سماحة المرجع الديني آية الله العظمى
السيد محمد تقي المدرسي

من هدى القرآن

الجزء السادس

سورة الفاتحة - سورة البقرة - سورة آل عمران

دار القارئ

بسم الله الرحمن الرحیم

من هدى القرآن

كاتب:

آیت الله سید محمد تقی مدرسی

نشرت فی الطباعة:

دار محبی الحسین (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

من هدى القرآن المجلد ۶

اشاره

سرشناسه:مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور:من هدی القرآن/ محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر:تهران: دار محبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری:ج ۱۸

شابک:۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۱۸-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷--۱۸ ؛ ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳

وضعیت فهرست نویسی:فهرستنویسی قبلی

یادداشت:عربی

یادداشت:کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت:کتابنامه

موضوع:تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره:BP۹۸/م ۴م ۸ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی:۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی:م ۷۷-۱۲۵۶۱

ص :۱

اشاره

سوره النحل

اشاره

ص:۳

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

فضل السوره

عن الامام الباقر علیه السلام قال:

«من قرأ سوره النحل فی کل شهر کفی الغرم فی الدنیا،و سبعین نوعا من أنواع البلاء،أهونه الجنون و الجذام و البرص،و کان مسکنه فی جنه عدن و هی وسط الجنان» نور الثقلین-ص ۳۸-الجزء ۳-

عن النبی محمّد صلی الله علیه و آله قال:

«من قرأها لم یحاسبه اللّه تعالی بالنعم التی أنعمها علیه فی دار الدنیا،و ان مات فی یوم تلاها أو لیلته،أعطی من الأجر کالذی مات و أحسن الوصیه» البیان-ص ۳۴۷-الجزء ۶-

ص:۵

الإطار العام

لأنّ سوره النحل تذكرنا بنعم اللّه.حتى سميت بسوره النعم عند البعض.و سوره النحل(و العسل واحد من أفضل أنواع الشراب)عند الآخرين.فان الإطار العام للسوره-كما يبدو لی-هو كيف نتعامل مع نعم الخالق..و جمله القول فی ذلك.

١-ضروره توحيد اللّه و نفی الشركاء عمن أنعم علينا.

٢-تكميل نعمه التی لا تحصی بأعظم نعمه و هی الوحی و الرساله.

٣-الالتزام بحدود اللّه فی الاستفاده من هذه النعم(التقوی).

كل ذلك يجعلنا من اتباع إبراهيم الخليل الذی كان شاكرا لأنعم اللّه.

و تكاد آيات الدرس الأول تذكرنا بكل موضوعات السوره جمله واحده.

و تستوقفنا للتدبر الآيه الثانيه يُنَزِّلُ الْمَلاٰئِكَهَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ*أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنَا فَاتَّقُونِ و هكذا تذكرنا بالوحی.و التوحيد

ص:٧

و التقوى.و هى الموضوعات الرئيسيه فى السوره.و التى يريدنا الذكر الحكيم.ان نستفيدها من نعم اللّه.و نجعل الأيمان بها شكرا عليها:

ثم تذكرنا بآيات اللّه.تمهيدا لذكر النعم و أعظم الآيات خلق السموات و الأرض و ثم خلق الإنسان من نطفه.و خلق ما يحتاجه من الأنعام..

و بعد ذكر أهم المنافع للأنعام.تبين الآيه(۹)ان السبيل القويم للحياه.

الطيبه.و بالتالى لطريقه الانتفاع بنعم اللّه.انما هو السبيل الذى يهدينا اليه اللّه سبحانه اما السبل الآخره فهى جائره.و هكذا يصل السياق بين نعمه الوحى و سائر النعم باعتباره متمما أساسيا لها.

و فى الآيات(۱۸/۱۰)يذكرنا الرب بنعم الماء و الزرع و الثمرات و كيف سخر لنا الشمس و القمر.و سخر البحر و ما فيه من نعمه الأسماك و الطرق البحريه للتجاره.و نعمه الجبال و ما فيها من فائده حفظ الأرض و مخازن الماء و كيف جعل النجوم علامات.

و يأمرنا بالتفكر و التعقل و التذكر و الشكر.لعلنا نهتدى الى حقيقه التوحيد.

و ان اللّه الذى يخلق ليس كالشركاء الذين لا يخلقون.

و تتابع الآيات(۲۹/۱۹)التذكره بالخالق.الذى يحيط بنا علمه.و ان علينا الخشيه منه.و الا نستكبر أو نستنكف عن عبادته سبحانه.لأنه يعلم ذلك منا و انه لا يحب المستكبرين.

و يحذرنا من انكار الرساله.و يذكرنا بمصير المستكبرين كيف أتى اللّه بنيانهم من القواعد فاذا بالسقف يخر عليهم.فى الدنيا.اما فى الآخره فلهم الخزى و النار، و انهم أسلموا حين جاءهم ملائكه الموت فادخلوهم جهنم لأنهم تكبروا.

و يستمر السياق(۴۴/۳۸)فی معالجه حاله الاستکبار(و لعلها أعظم عقبه فی طریق الأیمان بالوحی)و ذلک بالتذکره بالبعث.و کیف ان الهدف منه بیان الواقع الذی یتمثل فی کذب الکفار.

و فی الآیه(۴۲/۴۱)یذکرنا الرب بأجر المهاجرین لماذا؟لعل ذلک تنبیه الی ضروره مقاومه اغرار النعم.إذا خیّر المؤمن بینها و بین الحق.

و یعود و یذکرنا بالوحی.و کیف ان النبی لیس بدعا من الرسل.

و مره أخری(۵۵/۴۵)یذکرنا اللّه سبحانه بان الذین مکروا السیئات لا أمان لهم من مکر اللّه.و لعلّ ذلک لکی یعالج غرور الاستکبار فی النفس ثم یذکرنا بان کل شیء فی الطبیعه یسجد للّه سبحانه و ان الملائکه لا یستکبرون عن عباده اللّه.بل یخافون ربهم و أن اللّه قد نهی عن اتخاذ شریک له و أمر بالخوف منه و تقواه.أو لیست النعم منه.و إذا فقدنا منها شیئا أو لسنا نجأر الیه؟و مع ذلک یشرکون باللّه بعد ان یکشف عنهم الضر.

و یستمر السیاق فی تسفیه فکره الشرک.و الاعتقاد بأن النعم من غیر اللّه.و نسبه الأمثله السیئه الی ربهم سبحانه مثلا.ان الواحد منهم یکره البنت و لکنهم یزعمون ان للّه البنات سبحانه.

کلاّ للّه المثل الأعلی.و للمشرکین مثل السوء.و ان لهم النار و ان الشیطان ولیهم.

و لعلّ آیات الدروس الأخیره هذه تهدینا الی ضروره التسلیم بان النعم من اللّه.

و عدم الانبهار بالنعم و بمن یملک النعم من البشر.أو بما هی وسیله للنعم من مصادر الطبیعه.أقول عدم الانبهار بها لکی یهبط الإنسان الی حضیض الشرک فینسی ان

المثل الأعلى للّه سبحانه.

و هكذا الآيات(۷۴۴)فهى فى الوقت الـذى تـذكرّنا بـانّ الرزق و الوحى من اللّه.تبيّن لنا:مجموعه من النعم مثل الماء الـذى ينزله اللّه من السـماء فيحى به الأرض.و يرزقنا شرابا لذيذا من بين فرث و دم لبنا خالصا.و يرزقنا السكر من ثمرات النخيل و الأعناب.و شراب ثالث يرزقنا من النحل فيه شفاء للناس.

تلـك نعم اللّه فلمـا ذا نشكر غيره أم نعبـد سواه؟و يقلب اللّه البشـر من حيـاه الى موت.و ربمـا الى هرم و يفضل بعض الناس فى الرزق.فهل نعبد سواه.فهل يملك الرزق غيره؟ و هو الذى جعل للناس من أنفسـهم أزواجا و أولادا و حفده.و رزقهم من الطيبات فلمـا ذا يكفرون بنعمه اللّه.و يعبـدون غيره و هو لا يملك رزقا.أو يقرنوه بسوء و يضـربون له الأمثال سـبحانه؟ و يبـدو ان الآيات هذه تخفف من(سوره)الانبهار بنعم اللّه.لكى يخلص المرء لربه عبادته.و يمحّضه حبّه.

و هكذا الآيات(۸۳/۷۵)تذكر الناس بان اللّه وحده يملك ناصيه الأقدار بينما الشركاء المزعومون هم كعبد مملوك لا يقدر على شىء.فمن هو أحق بالعباده؟ و ان اللّه يملك غيب السـموات و الأرض.كما يملك امر الساعه.و هو الـذى أنعم على البشـر بالعلم بعد أن خرج من بطن امه لا يعلم شيئا.و هذه الطيور فى جوّ السماء ما يمسكهن الاّ اللّه.

هكـذا الولايه للّه.و انه السـلطان القائم بأمر العالمين و هكذا نعم السـكن الدائم أو المتنقل كالخيم و نعمه الأثاث و المتاع.و نعمه الظلال.و الأكنان و الثياب أيام

السلم و الدروع للحرب أو ليست من تمام نعمه اللّه؟فلما ذا الكفر و انكار نعمه اللّه؟ و يستمر السياق و عبر الآيات(۸۹/۸۴)ينذر الكفار و الظالمين و المشركين الذين يبعثون و لا يخفف عنهم العذاب و لا هم ينظرون. و لا ينقذهم شركاؤهم و القوا جميعا السلم الى اللّه.و بيد ان كبراءهم أشد عذابا.و يؤكد السياق على شهاده الرسول هنا لك.و ان الكتاب لا بدّ ان يقرن بالشاهد على الناس.و انهما لن يفترقا.

و يعود القرآن الكريم(۹۷/۹۰)يبيّن واحدا من أهم نعم اللّه.و هو الكتاب الذى أوحاه الرب لعبده يتم نعمته على الناس.و يبين السبيل الى الانتفاع بالنعم و جمله القول فى تنظيم الحياه حتى تكون طيبه:هى العدل.و الإحسان و إيتاء حقوق ذوى القربى.و اجتناب الفحشاء و المنكر و البغى.و هكذا الوفاء بعهد اللّه.و الالتزام بالأيمان.(و يشدد عليها القرآن توكيدا و ربما لأنها أهم منظم للعلاقات الاجتماعيه).

و رعايه التساوى امام القانون.لكى لا تستضعف طائفه طائفه ثانيه.بل لما تعتقد انها أرجى منها.و اجتناب استغلال اليمين استغلالا سيئا.

ثم الصبر(و لعله لمقاومه إغراء الشهوات).

و يشجع السياق العمل الصالح لأنه مفتاح الحياه الطيبه.و هكذا يبين الكتاب منهاجا كاملا للحياه الطيبه.

و لكن كيف نستفيد من القرآن؟لأن الشيطان قد يغوينا عنه.أو يجعلنا نحرف آياته فان الآيات(۱۰۵/۹۸)تبين لنا منهاجا لفهم القرآن.

أولا:بالاستعاذه باللّه حين قراءته من الشيطان.

ص:۱۱

ثانیـا:بالتسـلیم لکل آیاته لأن روح القـدس قـد نزله بأمر اللّه فلا اختلاف و لا نقص فیه و شـبهات الکفار مرفوضه حیث قالوا بان رجلا أعجمیا یعلم الرسول هذا القرآن الذی هو قمه البلاغه.

ثالثا:اجتناب الافتراء علی اللّه«الکذب».

السبیـل الی الأیمـان التعـالی عن الحیاه الـدنیا.و اسـتحباب الآخره علیها.و هکـذا تکون النعم فی الـدنیا نافعه لمن ملکها و أما من ملکته النعم و استحب الحیاه الدنیا علی الآخره فان اللّه لا یهدیه لأنه یکفر باللّه و برسالاته.

هکذا تبیّن الآیات(۱۰۶/۱۱۳)الموقف السـلیم من نعم اللّه.و یبدو ان الذین یسـتحبون الحیاه الدنیا.و یفضـلون نعمها علی نعم اللّه فی الآخره هم الذین یشرحون للکفر صدرا فیسلب منهم الرب أدوات الوعی.و أولئک هم الغافلون.

أما من یسمو بنفسه عن الدنیا.و یهاجر بعد ان یفتن فی اللّه و یجاهد و یعبد فان اللّه بعدها لغفور رحیم.

أن تسامیه عن الدنیا ینفعه یوم تأتی کل نفس تجادل عن نفسها.

و إنّ الکفر باللّه.یسـلب النعم فی الـدنیا أیضا.کما ضـرب اللّه مثلا قریه أسـبغ اللّه علیها نعمه الأمن و الرزق فلما کفرت أذاقها اللّه لباس الجوع و الخوف.

هکذا جزاء من امتلکته الدنیا و لم یسمع لنداء الرسول.و بالتالی لم یستفد من نعمه الوحی التی تحافظ علی سائر النعم.

و هذا لا یعنی أبدا ترک نعم اللّه.کلاّ.بل یعنی:

اولا:تنظیم العلاقه معها.بحیث لا تنسینا ذکر اللّه.

و ثانیا:تنظیم الاستفاده منها کما امر اللّه.

و هکذا تبیّن الآیات(۱۱۹/۱۱۴)حدود اللّه فی الانتفاع بنعمه.و هذا بعد من ابعاد التقوی التی جاءت الآیات الأولی فی هذه السوره لتأمرنا بها.

علینا الاّ نحرم الطیبات علی أنفسنا.بل نأکل منها و نشکر اللّه علی نعمه.

أما المحرمات فهی المیته و الدم.و لحم الخنزیر و ما اهلّ لغیر اللّه به(الا عند الاضطرار).

و حرام الافتراء علی اللّه،و الکذب علیه بان هذا حلال و هذا حرام.

أما الیهود فقد ظلموا أنفسهم فحرم علیهم أشیاء بسبب ظلمهم.

أما رحمه اللّه علی هذه الأمه فهی واسعه حیث ان اللّه رفع القلم عمّن عمل سوء بجهاله ثم تاب و أصلح.

و یعطی القرآن الکریم و عبر الآیات(۱۲۳/۱۲۰)أسوه للذین آمنوا من قصه إبراهیم کیف کان شاکرا لأنعم اللّه.و علینا اتباع ملته.

أما قصه السبت و حرمه الصید فیه.فهی خاصه بالذین اختلفوا فیه(۱۲۴).

و الرسول مهبط وحی اللّه یدعو قومه بالحکمه و الموعظه الحسنه.و هو المثل الأعلی للعدل و الإحسان و للصبر و الاستقامه.وسعه الصدر.و سیره الرسول شاهده علی صدق رسالته.و إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الَّذِینَ اتَّقَوْا وَ الَّذِینَ هُمْ مُحْسِنُونَ (۱۲۸/۱۲۵).

و هکذا تحدد سوره النحل العلاقه السلیمه مع نعم اللّه.حیث یزداد المؤمن بها ایمانا لربه.و تسلیما لرسالات ربه و نبذا للشرکاء و استقامه امام المفسدین و الحمد للّه رب العالمین.

ص:۱۳

[سوره النحل (۱۶): الآیات ۱ الی ۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . أَتىٰ أَمْرُ اَللّٰهِ فَلاٰ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحٰانَهُ وَ تَعٰالىٰ عَمّٰا يُشْرِكُونَ (١) يُنَزِّلُ اَلْمَلاٰئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ
يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنَا فَاتَّقُونِ (٢) خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعٰالىٰ عَمّٰا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ اَلْإِنْسٰانَ مِنْ
نُطْفَةٍ فَإِذٰا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (۴) وَ اَلْأَنْعٰامَ خَلَقَهٰا لَكُمْ فِيهٰا دِفْءٌ وَ مَنٰافِعُ وَ مِنْهٰا تَأْكُلُونَ (۵) وَ لَكُمْ فِيهٰا جَمٰالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَ حِينَ
تَسْرَحُونَ (۶) وَ تَحْمِلُ أَثْقٰالَكُمْ إِلىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بٰالِغِيهِ إِلاّٰ بِشِقِّ اَلْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (٧) وَ اَلْخَيْلَ وَ اَلْبِغٰالَ وَ اَلْحَمِيرَ
لِتَرْكَبُوهٰا وَ زِينَةً وَ يَخْلُقُ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ (٨) وَ عَلَى اَللّٰهِ قَصْدُ اَلسَّبِيلِ وَ مِنْهٰا جٰائِرٌ وَ لَوْ شٰاءَ لَهَدٰاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩)

اللغه

۶[تریحون]:من أراح بمعنی رد الانعام بالعشی الی المراح و هو محل استراحه الحیوانات.

[تسرحون]:ترسلونها صباحا الی محل الرعی و السرح و هی مأخوذه من السروح.

ص:۱۵

۹[قصد]:القصد استقامه الطریق.

ص:۱۶

و علی اللّه قصد السبیل

هدی من الآیات:

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ باسم اللّه،برحمته الواسعه الدائمه،بعلمه و حکمته،بقدرته و تدبیره،تشرع هذه السوره.

یستعجل المشرکون دائما جزاء أعمالهم،زاعمین أن التأخیر دلیل العدم، کلا..فها هو أمر اللّه المتمثل فی تحقیق ما أنذر به الرسول قد أتاکم لیجازیکم علی شرککم،دون أن یقدر الشفعاء علی انقاذکم من عذاب اللّه.

و تهبط الملائکه بین حین و آخر من أمر اللّه،بالروح الذی یحمل رساله ربه إلی الناس بالإنذار بضروره التوحید،و الأمر بالتقوی.و لا أحد یفر من الجزاء،لأن خلق السماوات و الأرض قائم علی أساس الحق،و لا إله ینقذ البشر من عذاب اللّه.

تعالی اللّه عن شرکهم.

ص:۱۷

و من الذى يستكبر على اللّه؟!إنّه هذا الإنسان الذى كان أصل خلقه نطفه، فإذا به يديم الجدال و بكلّ وقاحه فى الحقائق،بالرغم من انه لا يزال بحاجه إلى نعم اللّه،فهذه الأنعام خلقها اللّه للإنسان يستدفئ بها،و ينتفع منها،و يأكل منها،و يتخذ منها وسائل الزينه،و وسائل النقل الى بلد بعيد يشق على الأنفس الوصول إليه،كلّ ذلك آيه رحمه اللّه و رأفته بالبشر،كما خلق الرب الخيل و البغال و الحمير لكى يمتطيها البشر و يتخذ منها زينه،هذه نعم ظاهره،و هناك نعم باطنه لا نعرفها،و اللّه الذى هيأ النعم حدد البرامج التفصيليه للانتفاع الأفضل منها،حين بين لنا بفضله السبيل المستقيم إليها،و لكن دون أن يفرض علينا السير عبره،و لو شاء اللّه لهدى الناس جميعا.

بينات من الآيات:

بين الخلق و الأمر:

[۱]يبدو ان أمر اللّه هو إبداعه و انشاؤه الذى يتم باحداث الإراده،و يعبر عنها القرآن بكلمه-كن-قائلا:« إِنَّمٰا أَمْرُهُ إِذٰا أَرٰادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » و يبدو أن هناك فرقا بين الأمر و الخلق،فالخلق قد يكون بالواسطه،و حسب السنن التى أجراها اللّه،بينما الأمر هو الخلق المباشر الذى لوحظ فيه الإنشاء و الإبداع.

و عذاب اللّه للأمم المنحرفه،كما و رساله الرسل أمران إلهيان إبداعيان،لا يخضعان للسنن المعروفه لدينا.

و حين جاء الرسل بالإنذار استعجل الكفار ما انذروا به،و اتخذوا من التأخير دليلا على عدم وجود الجزاء،و جاءت الآيه تنذرهم باقتراب ساعه الجزاء..

أَتىٰ أَمْرُ اللّٰهِ فَلاٰ تَسْتَعْجِلُوهُ

ص:۱۸

و الواقع أن شركهم باللّه،و زعمهم ان هناك آلهه تمنعهم من دون اللّه،هو الـذى جعلهم يطمئنون و لا يأخذون الإنـذار بجديه كافيه،و نفى ربنا ما أشركوا به..

سُبْحٰانَهُ وَ تَعٰالىٰ عَمّٰا يُشْرِكُونَ فهو منزه و هو أسمى من أن تساويه بشريك،و هو خالق كل شيء.

روح رسالات اللّه:

يُنَزِّلُ الْمَلاٰئِكَهَ بِالرُّوحِ [٢]و اللّه ينزل الملائكه ملكا بعد ملك،مؤيدين بالروح،و الروح-حسبما يظهر من النظر فى مختلف الآيات التى تحدّثنا عنه-هو:ذلك الملك العظيم الـذى يؤيد اللّه به رسله، و الذى يأتى الى الأرض فى ليله القدر مع الملائكه و هناك قول آخر يقول:ان الروح كلمه الحياه التى يلقيها اللّه سبحانه الى الأشياء فيجيبها لمشيئته،وعدّ إلقاءه و انزاله على نبيه إيحاء فى قوله: «وَ كَذٰلِكَ أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا» (١)فإن الوحى هو الكلام الخفى و التفهيم بطريق الإشاره و الإيماء،فيكون إلقاء كلمته تعالى-كلمه الحياه-الى قلب النبى صلى الله عليه و آله وحيا للروح إليه (٢)و إذا كان الروح ملكا،فإن الباء هنا تدلّ على الاستعانه،أى مستعينا بالروح و مؤيدا،أما إذا كان الروح جوهر الرساله المركب من نور العلم و الهدى،و هو الـذى يحيى البشر كما قال سبحانه: «اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذٰا دَعٰاكُمْ لِمٰا يُحْيِيكُمْ» فإن الروح يكون النور الذى جاء به الملائكه الى الأرض،و هذا المعنى قريب أيضا من

١- ١) الشورى(٥٢)

٢- ٢) الميزان للعلامه الطباطبائى-ج ١٢-ص ٢٠٦.

قوله سبحانه: «يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ».

مِنْ أَمْرِهِ و الملائكه تصدر انطلاقا من أمر اللّه،فلا تعمل حسب أهوائها،لذلك فهم يهبطون الى عباد اللّه المصطفين.

عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ فالرسل عباد للّه و ليسوا أنصاف آلهه،أما محتوى الرساله و جوهرها فهو التالى:

أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنَا فَاتَّقُونِ إخلاص العباده للّه فى كلّ الشؤون،و الذى يتجسد فى التقوى،هو جوهر الرسالات الإلهيه.

[٣]و حين ينذر ربنا عباده من الانحراف عن خط التوحيد،فإن ذلك ينسجم مع أساس الخلق،حيث خلق السماوات و الأرض بالحق،و انه هو المهيمن عليها دون شريك،فالبشر إذا شذوا عن سنه الكون،فلا أحد ينقذهم من جزاء انحرافهم،لأنّ ربنا تعالى عن الشركاء الذين يدعوهم الكفار أندادا له سبحانه فلا يغنون من عذاب اللّه شيئا.

خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعٰالىٰ عَمّٰا يُشْرِكُونَ [۴]و من هو هذا الإنسان الذى يخالف سنه الكون؟!أو لم يخلق من نطفه، فإذا به يتحول الى مجادل يلقى الحجه بعد الحجه.و يختار رأيه الخاص به،و يفند سائر الآراء بل تراه قد يتحدى سنه الحق بلا استحياء!!.

خَلَقَ الْإِنْسٰانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذٰا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ [۵]و الإنسان بحاجه الى الطبيعه من حوله،يتفاعل معها،فلا بد ان يكيّف نفسه مع السنن العامه التى تحكمها،فنرى الانعام كالغنم و البقر و الإبل خلقها اللّه لكى ينتفع بها البشر من عده أبعاد.

أولا:انها تدفئ جسد الإنسان،بأصوافها و أشعارها.

وَ الْأَنْعٰامَ خَلَقَهٰا لَكُمْ فِيهٰا دِفْءٌ ثانيا:ان للانعام(و هى الإبل و البقر و الغنم)منافع أخرى فى أنها تحمل الإنسان.أو ليس الإبل سفينه الصحراء أو لم تكن الأبقار أفضل وسيله للزراعه سابقا؟!فهى تحرث الأرض و هى تروى الأسره باللبن و مشتقاته و هى الى جانب ذلك ثروه عظيمه بسبب سرعه تناسلها.

وَ مَنٰافِعُ ثالثا:يأكل الإنسان من الأنعام باعتبارها أفضل مصدر للغذاء،و أنسب طعام للإنسان،و من أخصب الحيوانات نسلا،و أسرعها نموا..

وَ مِنْهٰا تَأْكُلُونَ [۶]رابعا:و هى تشبع حاجه نفسيه للبشر،حاجه السيطره على الطبيعه، و تسخيرها لأهدافه،و التفاعل معها.إن منظر الأنعام حين تعود من مراعيها بالليل ليريحها أصحابها فى مرابضها.إن هذا المنظر يملأ العين بهجه و القلب سرورا، و يشبع كلّ أبعاد النفس البشريه التى تحن إلى أمها الطبيعه.كما ان منظرها و هى تسرح أول الشروق،يطلب أصحابها لها الرزق،يشبع غرور المسؤوليه عند

البشر.

وَ لَكُمْ فِيهٰا جَمٰالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَ حِينَ تَسْرَحُونَ إن الحيوانات الأليفه تشبع تقريبا ذات الحاجه النفسيه التى يشبعها الأولاد عند أبناء آدم و لكن بدرجه أدنى.

إن خالق الإنسان و جاعل الغرائز فى نفسه،هو خالق الأنعام التى تشبع هذه الغرائز،و هذا هو الحق الذى أرسى عليه اللّه بناء السماوات و الأرض.

[٧]خامسا:و يحتاج البشر الى مراكب فى البر كحاجته إليها فى البحر،و فى ذات الأنعام و بالذات فى الإبل هذه الفائده الكبيره..

وَ تَحْمِلُ أَثْقٰالَكُمْ إِلىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بٰالِغِيهِ إِلاّٰ بِشِقِّ الْأَنْفُسِ أى تحمل الأنعام أحمالكم الى البلاد البعيده التى يشق عليكم بلوغها.

إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ و فر هذه النعم جميعا لكم لأنه ذو رأفه و رحمه،و ربما الفرق بين الرأفه و الرحمه يكمن فى أنّ الأول يلاحظ النفع الحالى،بينما يلاحظ فى الثانى النفع حالا و مستقبلا.

[٨]والى جانب الأنعام خلق اللّه للإنسان حيوانات أخر للركوب و الزينه،فيها -تقريبا-ذات المنافع و لكن بدرجات متفاوته لا يعلمها البشر..

وَ الْخَيْلَ وَ الْبِغٰالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهٰا وَ زِينَةً وَ يَخْلُقُ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ من أنواع المنافع الماديه و المعنويه التى لا نعلم مدى حاجتنا إليها.

ص:٢٢

[۹]و اللّه الذی خلق کلّ هذه النعم فصّل لنا کیف نستفید منها،و وضع البرامج التی تمنع الإسراف أو الإفساد فیها،أو الشذوذ فی الاستفاده منها!!.

وَ عَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ فقد کتب علی نفسه الرحمه فبین بفضله الطریق القاصد المستقیم إلی الغایات النبیله،فلأنه الذی خلق تلک الأحیاء لفائده البشر،فهو العلیم بمنهاج الانتفاع بها، فهو الذی یبین لنا السبیل المستقیم فی ذلک،و لکنه لم یجبرنا علی ذلک جبرا،فمن الناس من یسلکون السبیل الجائر المائل عن الحق.

وَ مِنْهَا جَائِرٌ وَ لَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ

ص:۲۳

[سوره النحل (۱۶): الآیات ۱۰ الی ۱۸]

اشاره

هُوَ اَلَّذِی أَنْزَلَ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مٰاءً لَکُمْ مِنْهُ شَرٰابٌ وَ مِنْهُ شَجَرٌ فِیهِ تُسِیمُونَ (۱۰) یُنْبِتُ لَکُمْ بِهِ اَلزَّرْعَ وَ اَلزَّیْتُونَ وَ اَلنَّخِیلَ وَ اَلْأَعْنٰابَ وَ مِنْ
کُلِّ اَلثَّمَرٰاتِ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَةً لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ (۱۱) وَ سَخَّرَ لَکُمُ اَللَّیْلَ وَ اَلنَّهٰارَ وَ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ وَ اَلنُّجُومُ مُسَخَّرٰاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِی
ذٰلِکَ لَآیٰاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ (۱۲) وَ مٰا ذَرَأَ لَکُمْ فِی اَلْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوٰانُهُ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَةً لِقَوْمٍ یَذَّکَّرُونَ (۱۳) وَ هُوَ اَلَّذِی سَخَّرَ
اَلْبَحْرَ لِتَأْکُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِیًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْیَةً تَلْبَسُونَهٰا وَ تَرَی اَلْفُلْکَ مَوٰاخِرَ فِیهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ (۱۴) وَ
أَلْقیٰ فِی اَلْأَرْضِ رَوٰاسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِکُمْ وَ أَنْهٰاراً وَ سُبُلاً لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ (۱۵) وَ عَلاٰمٰاتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ (۱۶) أَ فَمَنْ یَخْلُقُ
کَمَنْ لاٰ یَخْلُقُ أَ فَلاٰ تَذَکَّرُونَ (۱۷) وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اَللّٰهِ لاٰ تُحْصُوهٰا إِنَّ اَللّٰهَ لَغَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۸)

ص:۲۴

هدى من الآيات:

بعد ان ذكرنا الرب بآياته.من خلق السموات و الأرض،ثم خلق الإنسان من نطفه،و إعطائه النطق ثم خلق الأنعام.و الخيل و البغال و الحمير.مبتدء بالخلق الأعظم فالأعظم و أنعمه الأكبر فالأكبر.أقول:بعد ان ذكرنا الرب بها فى الدرس السابق لعلنا نخلص العباده للّه،و نترك الشركاء من دونه.

أخذ السياق-بعدئذ-يتدرج عبر سائر النعم الأقرب منها إلينا فالأقرب.

فذكرنا بالمنافع التى جعلها فى المطر.و تغير الأنواء و اختلاف الليل و النهار.و ما فيها من منافع و نتساءل من الذى انزل المطر من السماء فاخرج المراعى و الثمرات و وفر الماء للشرب؟ إنه اللّه.

و من الذى أنبت فى الأرض زرعا بماء السماء،و أنبت أشجار الزيتون و النخيل

و الأعناب و ألوانا من الثمرات الأخرى؟ انه اللّه،و لكن المتفكرين من الناس هم الذين يهتدون بهذه الآيات و سخر الليل و النهار للإنسان،و سخر الشمس و القمر كما سخر النجوم.كل تجرى فى فلك.أن هذه الآيات ينتفع بها من ينتفع بعقله،و هيّء فى الأرض للبشر ألوان المنافع،فمن تذكر اهتدى بهذه الآيات الى اللّه.خالقها و مدبرها.

و جعل اللّه البحر بحيث يستفيد منه الإنسان لحما طريا،كما أودع فى قاعه أنواع الزينه،و هيأه للسفن التى تمخر فيه،كل ذلك لكى يسعى الإنسان من أجل رزقه ثم يشكر اللّه عليه.

و إذا خرجت الى البر رأيت الجبال التى تقوم بدور المراسى (1)تحافظ على تعادل الأرض و تمنع ميلانها،و أودع فيها مخازن المياه التى تتفجر أنهارا،كما جعل فيها طرقا يسلكها البشر و يهتدى فيها بعلمه،و لعله يهتدى الى ربه بذلك العلم.

و اللّه سبحانه أودع فى السماء علامات يهتدى بها البشر،و وراء كل آيه حقيقه، و وراء آيات الكون حقيقه الالوهيه،فهل الذى يخلق كمن لا يخلق،لماذا لا نتذكر؟ كل تلك النعم-التى لو عديتها لما أحصيتها- شاهده على ان اللّه غفور رحيم بعباده.

بينات من الآيات:

اشاره

[۱۰]اللّه الذى قدّر الكون بحيث انزل لكم و من أجل استمرار معاشكم ماء من السماء تشربون منه،كما ينبت لكم اللّه به مراع لانعامكم،و لو لا المطر من اين

۱- ۱) المراسى:جمع مرساه بمعنى انجر السفينه الذى تقف به فى البحر.

تأكل الانعام؟! هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً لَکَمْ مِنْهُ شَرٰابٌ وَ مِنْهُ شَجَرٌ قال الازهری:الشجر ما ینبت من الأرض قام علی ساق أو لم یقم.و هذا الرأی أقرب الی السّیاق هنا،کما هو الأقرب الی أصل معنی الشجر و هو ظهور الشیء أو اختلاطه ببعضه.

فِیهِ تُسِیمُونَ الکلمه مأخوذه من الاسامه،و هی الرعی یقال اسمت الإبل أی رعیتها.

و قال بعض المفسّرین:ان الآیه تدل علی ماء الشرب انما هو من السّماء فقط.

و هو کذلک واقعا.

[۱۱]و الماء الواحد یهبط علی الأرض الواحده،فاذا بها تنبت به ألوانا مفیده من الثمرات.

یُنْبِتُ لَکُمْ بِهِ الزَّرْعَ و أکثر طعام البشریه من الحنطه و الحبوب و الخضروات و بالتالی من الزرع.

وَ الزَّیْتُونَ وَ النَّخِیلَ وَ الْأَعْنٰابَ و هی الثمرات الأکثر نفعا للجسم البشری، و الأکثر انتشارا فی مختلف الأقالیم.

وَ مِنْ کُلِّ الثَّمَرٰاتِ یوفر اللّه لکل ارض ما یناسبها،و یناسب حاجه أهلها،ففی ثمره کل ارض

المواد الأشد ضروره بالنسبه الى سكان تلك الأرض.

إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

مراحل العلم و هدف الانعام:

[۱۲]تختم هـذه الآيـات بالكلمـات التـاليه«يتفكرون-يعقلون-يـذّكرون- لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ -تهتـدون-»فما هى العلاقه بينها؟و لماذا جاءت متدرجه.علما بأن التـدبر فى نهايات الآيات يفهمنا معانى الآيات و لربما أعطانا علما جديـدا؟يبدو ان مراحل تكون العلم عند الإنسان هى التاليه:

ألـف:مرحله جمع الحوادث و ربطهـا ببعضـها و التعرف على علاقتهـا الثـابته ببعضـها،و الحصول منهـا-بالتـالى-على قـانون عـام يحكمهـا،و هـذا يحصـل عن طريق التفكر،لاـن التفكر-حسـبما يبـدو لى-هو تقليب المعلومـات و خلطهـا و اعـاده فرزها جاء فى المنجد(الفكر ج أفكار:تردد الخاطر بالتأمل و التدبر بطلب المعانى).

و الآيه الماضيه ربطت الحوادث الظاهره(هطول الأمطار،و اخضرار الأرض و اختلاف الثمرات)ببعضها،و جعلتها جميعا آيه الخلق عن طريق التفكر،فقال ربنا: «إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» لأنه بسبب تقليب المعلومات نحصل على انها آيه اللّه.

باء:مرحله تخزين التجارب و الاستفاده منها فى فهم الحوادث الجديـده،و يبـدو ان هذه العمليه تسمى بالعقل-حسبما تدل عليه الكلمه-إذ أن أصل العقل مستوحى من العقال،و هو الّذى يحفظ الناقه،

و جاء فى الحديث:

«العقل حفظ التجارب » و ربطت هذه الآيه بين العقل و بين التعرف على سر تسخير الطبيعه للبشر،لان

فهم هذه الحقيقه أصعب و بحاجه الى تجارب مختزنه أكبر.يقول ربنا:

وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ فاختلاف سنن اللّه فی اللیل من الظلام و السّکون،و رکون الطبیعه الی الراحه.

اختلافها عن النهار و ما فیه من الضوء و الضوضاء،و النشاط فی السّعی کل ذلک جاء لمصلحه البشر،کما سخر اللّه الشمس و القمر.

وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ و قد لا تکون النّجوم جمیعا مسخرات للبشر إلا انها تنفع البشر،و ترتبط بتسخیر الشّمس و القمر،آیتی النّهار و اللیل.

إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ فعن طریق تخزین التجارب و الاستفاده منها سوف یبلغ البشر درجه من العلم تؤهله لمعرفه سرّ الطبیعه،و ان کل شیء فیها قد نظم لمصلحه البشر،و ان علیه ان یستفید منها لحیاته،و لکن لا یزال أمامنا مسافه حتی نصل الی ذروه العلم ما هی تلک المسافه؟انها التذکر.

[۱۳]بعد العقل یأتی دور التذکر و هو المرحله المتقدمه فی مسیره المعرفه.

جیم:و هی مرحله استیعاب التجارب من أجل العمل،فکیف نستفید من الطبیعه المسخره لنا؟هل کل شیء فیها صالح فی کل وقت و لکل شخص؟کلا..

إذ ان حقیقه الأشیاء مختلفه،و کل شیء نافع لوقت و لشخص،بالرغم من انها جمیعا خلقت للبشر.

وَ ما ذَرَأَ لَکُمْ فِی الْأَرْضِ

ما أظهره اللّه فی الأرض و ما انشأه و فطره من اجلكم و لمنفعتكم.

مُخْتَلِفاً أَلْوٰانُهُ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً لِقَوْمٍ یَذَّکَّرُونَ [۱۴]و اللّه سخر الطبیعه للإنسان،و لکن علی الإنسان ان یسعی هو بدوره من أجل إنجاز هذا التسخیر فی بعض الأحیان،فلیس النّعم تأتی دائما کماء السّماء، بل قد تحتاج الی معالجه جاده و الی المخاطره کالصید فی البحر.و السّفر عبره للتجاره.

وَ هُوَ الَّذِی سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْکُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِیًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْیَهً تَلْبَسُونَهٰا فالبحر مثل مخزن کبیر لأفضل أنواع اللحوم تحصل علیها فیه بأقل جهد و کذلک للحلی.

وَ تَرَی الْفُلْکَ مَوٰاخِرَ فِیهِ المخر:شق الماء عن یمین و شمال.و یحدث هذا الشّق صوتا یشبه صوت العاصفه، و هنا یذکرنا القرآن بمرحله رابعه للعلم هی:

دال:مرحله الاستفاده العملیه من العلم،تلک التی نسمیها الیوم التقنیه،و ربما یسمیها القرآن بالاکتساب.

وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ أی تسعوا فی البحار للحصول علی رزقکم الّذی هو فضل اللّه،و بعدها تأتی المرحله الخامسه و هی:

هاء:مرحله الرضا النّفسی،ذلک الّذی یفرزه الشّکر فان إشباع حاجات الجسد

عن طريق النّعم لا ـ تكفى،إذا ظلت النّفس قلقه،تحرص أبدا على شىء مفقود،اما إذا شكر الإنسان ربه،و عرف ان النّعمه ليست من حقه،بل هى من فضل اللّه، و تذكر الأيام التى كان يحتاج إليها و كيف حصل عليها بسعيه أو برزق اللّه،فان نفسه تمتلأ سكينه و هدوءا «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» .

و تبقى أمامنا درجه نعرج فيها الى ذروه الكمال فى درجات العرفان،و هى درجه الهدايه التى تذكرها الآيه التاليه.

[۱۵]كما السّفينه فى اعالى البحار بحاجه الى مرساه تحفظها وسط الأمواج المجنونه،كذلك الأرض التى تسبح فى الفضاء تدور حول محور الشّمس،بحاجه الى ثقل يرسيها و يوقف اهتزازها،و الجبال هى تلك المراسى.

وَ أَلْقىٰ فِي الْأَرْضِ رَوٰاسِيَ أى وضع اللّه فوق الأرض جبالا عاليه.

أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ أى لكى لا تتحرك بكم فتزعجكم إنّ الجبال متصله من الداخل ببعضها، لتكون حصنا منيعا للأرض يمنع الزلازل و الهزات التى يتعرض لها كوكبنا بسبب الغازات الداخليه.كما انّ الجبال تمنع العواصف الشّديده التى تجوب سطح الأرض باستمرار،و تمتص قوتها و هى-فى ذات الوقت-تعطى قوه اضافيه للأرض لمقاومه جاذبيه القمر،و فجر خلال الجبال عيونا.بسبب مخازن المياه العظيمه فى بطن الجبال.

وَ أَنْهٰاراً

و لقد كان من الممكن ان تمنع الجبال اتصال البشر ببعضهم،بيد أنّ اللّه هيأ بينهما سبلا و هذه من أعظم النّعم الإلهيه حيث انك لا تجد سلسله جبال متراصه كالجدار يفصل بين الأراضى.

وَ سُبُلاً كيف يهتدى الإنسان الى مآربه فى الأرض عبر هذه السّبل؟هكذا ينبغى ان يهتدى الى الحقائق من وراء الآيات،إذ الآيات هى السّبل المؤديه الى الحقائق.

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [۱۶]يهتدى البشر عن طريق معالم السّبل الى غاياته فى الدنيا،و هكذا ينبغى ان يهتدى عن طريق الآيات فى الأرض و فى السّموات الى حكمه اللّه و قدرته.

وَ عَلاٰمٰاتٍ كتلك التى يضعها على السّبل.

وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ و إذا كان البشر يهتدى بالنجم الى سبيله فى الأرض،و العلاقه خفيه بين النّجوم فى السّماء و سبل الأرض،فكيف لا يهتدى الى اللّه عبر آياته؟!و آيات اللّه أوضح شهاده.و أصرح دلاله و من آياته فى الأرض النّبيّون و الأوصياء عليهم السّلام يهتدى بنورهم المؤمنون.

أ فلا تذكرون:

[۱۷]كيف لا يميّز بين الخالق و المخلوق،بين اله السّماء و الأرض،و بين

الأرباب المخلوقين العاجزين؟! أَ فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لاٰ يَخْلُقُ أَ فَلاٰ تَذَكَّرُونَ [۱۸]و أنّى ألقينا بنظرنا،وجدنا آيه عظيمه من آيات اللّه تدلّنا على أحديّته، و أنّى تقلبنا فانما تحيط بنا نعم اللّه التى لا تحصى،فلما ذا الكفر؟!و لماذا الجهل؟ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ لاٰ تُحْصُوهٰا إِنَّ اللّٰهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ان كل سنه الهيه نعمه،و كل موهبه نعمه،و كل قدره نعمه،و كل عضو بل كل جزء من عضو،بل كل خليه نعمه،ان خلايا المخ تعد بالبلايين و فقدان كل خليه يسبب نقصا.

و ربنا الغفور ذو الرحمه،فلو لا غفرانه،إذا لسلبنا بعض النّعم بسبب غفلتنا عنها و عن شكرها،كما انه برحمته،يفيض علينا من نعمه التى لا تحصى.

[سوره النحل (۱۶): الآيات ۱۹ الى ۲۹]

اشاره

وَ اَللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا تُسِرُّونَ وَ مٰا تُعْلِنُونَ (۱۹) وَ اَلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ لاٰ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ (۲۰) أَمْوٰاتٌ غَيْرُ أَحْيٰاءٍ وَ مٰا يَشْعُرُونَ أَيّٰانَ يُبْعَثُونَ (۲۱) إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ فَالَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (۲۲) لاٰ جَرَمَ أَنَّ اَللّٰهَ يَعْلَمُ مٰا يُسِرُّونَ وَ مٰا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاٰ يُحِبُّ اَلْمُسْتَكْبِرِينَ (۲۳) وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمْ مٰا ذٰا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قٰالُوا أَسٰاطِيرُ اَلْأَوَّلِينَ (۲۴) لِيَحْمِلُوا أَوْزٰارَهُمْ كٰامِلَةً يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ وَ مِنْ أَوْزٰارِ اَلَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاٰ سٰاءَ مٰا يَزِرُونَ (۲۵) قَدْ مَكَرَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اَللّٰهُ بُنْيٰانَهُمْ مِنَ اَلْقَوٰاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ اَلسَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ أَتٰاهُمُ اَلْعَذٰابُ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَشْعُرُونَ (۲۶) ثُمَّ يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ يُخْزِيهِمْ وَ يَقُولُ أَيْنَ شُرَكٰائِيَ اَلَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قٰالَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ إِنَّ اَلْخِزْيَ اَلْيَوْمَ وَ اَلسُّوءَ عَلَى اَلْكٰافِرِينَ (۲۷) اَلَّذِينَ تَتَوَفّٰاهُمُ اَلْمَلاٰئِكَةُ ظٰالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا اَلسَّلَمَ مٰا كُنّٰا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلىٰ إِنَّ اَللّٰهَ عَلِيمٌ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۲۸) فَادْخُلُوا أَبْوٰابَ جَهَنَّمَ خٰالِدِينَ فِيهٰا فَلَبِئْسَ مَثْوَى اَلْمُتَكَبِّرِينَ (۲۹)

اللغه

۲۱[أيان]:فى اى وقت.

ص:۳۵

۲۷[تشاقون]:تخاصمون و تنازعون.

۲۸[السلم]:الاستسلام و الخضوع.

ص:۳۶

التكبر أسبابه و جزاؤه

هدى من الآيات:

من الّذى تحق عبادته؟الّذى خلق و أنعم و غفر و رحم أم الّذى لا يخلق ذبابا؟ حول هذا كان الدرس السّابق.

و نكرر من الّذى تحق عبادته؟اللّه الّذى يعلم السّر و أخفى،أم الذين يدعوهم المشركون،من الأصنام التى لا تخلق شيئا و هم يخلقون؟و ليس فقط لا يعلمون السّر، بل و لا يملكون الحياه،و لا شعور عندهم حتى يبعثون يوم القيامه؟! و اللّه إله الخلق أجمعين،واحد لا شريك له،أما المشركون فهم لا يؤمنون بالآخره و السّبب ان قلوبهم جاحده للحق لصعوبته عليها،و لأنهم يفتشون عن العلو فهم مستكبرون.

حقا يعلم للّه سرهم و اعلانهم،و اللّه لا يحب المستكبرين الذين يبتغون علوا فى الأرض،فيخالفون الحق بوعى و إصرار،لذلك يستصغرون الحق الّذى هبط عليهم من اللّه،و يقولون انه أساطير الأولين.

ص:٣٧

و هؤلاء يحملون أثقال ذنوبهم من دون ان تنقص عنهم بالتبرير،و يحملون أيضا شيئا من ذنوب النّاس الذين يضلونهم و لبئس ما يحملون.

و أنّ المستكبرين يمكرون فى آيات اللّه،و يحاولون منع النّاس عنها بشتى الحيل، كما فعل الذين من قبلهم،و لكن اللّه ينسف بناءهم من الأساس فاذا بالسقف ينهدم عليهم و يهجم عليهم العذاب من حيث لم يحتسبوا.

أما فى يوم القيامه فان اللّه يذلهم بان يقول لهم شماته:اين الذين كنتم تعبدونهم من دون اللّه و تشقون عصى الوحده من أجلهم؟!فيسكتون.أما أهل العلم فإنهم يقرّون للمشركين الخزى و السّوء لكفرهم.

و من هم الكافرون؟ أنهم الذين يظلمون أنفسهم،و عند الموت يتبرءون من أفعالهم و ينكرونها، و يدعون انهم لم يكونوا يعملوا شيئا من السّوء،بيد ان اللّه يخبرهم بعلمه بأعمالهم فيدخل كل منهم فى النّار،من باب الذنب الّذى ارتكبه و يبقى خالدا فيها،و تلحقه اللعنه بسبب تكبره فى الأرض.

بينات من الآيات:

من نعبد؟

[۱۹]علم البشر محدود و يتكامل عبر مراحل،و يختص بظواهر الأمور،و اللّه محيط علما بالسّر و العلن،و بالسرّ قبل العلن،لأن كل شیء يقع فى السرّ قبل ان يعلن عن ظهوره.

وَ اللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا تُسِرُّونَ وَ مٰا تُعْلِنُونَ [۲۰]و من يعلم السّر و العلن أحق بالدعوه،ممن لا يخلق و لا يعلم!!

ص:۳۸

وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لاٰ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ و السّؤال من هم هؤلاء؟ قالوا:هى الأصنام،و يبدو لى أنهم الطغاه و المستكبرون الذين ترمز إليهم الأصنام،و وفق هذه النّظره نجرى فى تفسير الآيات التاليه.

[۲۱]إن أول صفات الآلهه المزيفه هى انها أموات،لا علم لهم و لا قدره الا بقدر ما يهب اللّه لهم من علمه و قدرته.

أَمْوٰاتٌ غَيْرُ أَحْيٰاءٍ و ربما جاء التأكيد على انهم غير احياء،لان المراد بالأموات ليس حقيقه الموت،فوجب التأكيد.

وَ مٰا يَشْعُرُونَ أَيّٰانَ يُبْعَثُونَ أى انهم ينتظرون الجزاء لكفرهم من دون معرفه يومه،فهم مسئولون أمام اللّه.

قال الطبرسى(ره)و هو يفسّر الآيات:الأصنام أموات غير احياء،و أكثر كونها أمواتا بقوله غير احياء،لنفى الحياه عنها على الإطلاق،و ما يشعرون أيان يبعثون معناه:و ما تشعر هذه الأصنام متى تبعث للجزاء،و قيل فى الآيه هم أموات يعنى الكفار فى حكم الأموات،لذهابهم عن الحق و الدين و لا يدرون متى يبعثون! (۱)و إذا فسرنا الآيات بالأرباب الذين هم بشر،لا نحتاج الى هذه التفسيرات و الوجوه البعيده عن ظواهر الآيات.

ص:۳۹

۱- ۱) عن كتاب نور الثقلين ج ۳ ص ۴۸.

[۲۲]أمـا الإله الحق الّـذی ینبغی ان تخلص العباده له فهو اللّه.و لیس عـدم ایمان البعض به الا بسـبب نقص فیهم،حیث ان قلوبهم منکره تستبعد ما یرد علیها من الحق.

إِلٰهُکُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ فَالَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ قُلُوبُهُمْ مُنْکِرَهٌ و سبب جحودهم هو طلب العلو و الاستکبار.

وَ هُمْ مُسْتَکْبِرُونَ [۲۳]و لکنهم یخفون السّبب الحقیقی لجحودهم و هو الاستکبار،و تکریس عباده الذات،بینما اللّه یعلم اسرارهم و اعلانهم،و یکره حالتهم هذه.

لاٰ جَرَمَ أَنَّ اللّٰهَ یَعْلَمُ مٰا یُسِرُّونَ وَ مٰا یُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاٰ یُحِبُّ الْمُسْتَکْبِرِینَ کلمه لا جرم مأخوذه من الکسب(حسبما جاء فی المجمع عن أبی مسـلم)یعنی لا یحتاج معرفه هذا الأمر الی اکتساب علم، لأننا نفهمه بلا تکلف و بوضوح.و قال البعض إن(الجرم)بمعنی قطع التمر من الشّجر و إذا أضیف إلیه(لا)فانه یعنی لیس هناک شیء یقطع هذا الأمر أو یخالفه.

[۲۴]و لکی یغلفوا استکبارهم بتبریر مقبول عند النّاس،تجدهم یحسبون أنفسهم تقدمیین،و ینسبون الأفکار الصحیحه الی العصور الماضیه،و کأن الزمن یعتّق الحق و یجعله بالیا.

وَ إِذٰا قِیلَ لَهُمْ مٰا ذٰا أَنْزَلَ رَبُّکُمْ قٰالُوا أَسٰاطِیرُ الْأَوَّلِینَ و الأساطیر جمع أسـطوره-فی مثل وزن أحدوثه-و هی ما کتب و ربما توحی اللفظه بما کتب باطلا.

ص:۴۰

جزاء الاستكبار:

[۲۵]إن المستكبر یری فی الحق عدوه الخطیر،لأنه یرید ان یستغل النّاس و یبسط علیهم جناح طغیانه،و إذا کان النّاس عارفین بالحق فلن یسمحوا له بذلک، لذلک یبث الدعایه تلو الدعایه ضد الحق،و لکن ما هی العاقبه؟ ان عاقبته تحمّل أوزار الذین یضلهم بدعایاته،بالإضافه الی أوزاره.

لِیَحْمِلُوا أَوْزٰارَهُمْ کٰامِلَهً یَوْمَ الْقِیٰامَهِ وَ مِنْ أَوْزٰارِ الَّذِینَ یُضِلُّونَهُمْ بِغَیْرِ عِلْمٍ أَلاٰ سٰاءَ مٰا یَزِرُونَ و الأوزار هی أثقال الذنوب،باعتبار ان الذنب لا ینتهی بل سوف یبقی کثقل یتحمله صاحبه یوم القیامه،و قد یشترک اثنان فی تحمل وزر ذنب دون ان یخفف أحدهما عن الآخر،و قد جاء

فی الحدیث النّبوی الشّریف:

«من سن سنه حسنه کان له أجرها و أجر من عمل بها دون ان ینقص من اجره شیء،و من سن سنه سیئه کان له وزرها و وزر من عمل بها » و الآیه توحی بان فرض السّیطره علی أحد،إذا لم تکن فی طریق یعلم الفرد سلامته،یعتبر جریمه کبیره.

[۲۶]و لا یکتفی المستکبرون بالدعایه،بل یتأمرون ضد الحق و جبهته بشتی أنواع المکر و الخدع،و مکرهم یشبه مکر الذین کانوا من قبلهم،و کیف ان اللّه نسف أساسهم حتی وقع علیهم السّقف.

قَدْ مَکَرَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَی اللّٰهُ بُنْیٰانَهُمْ مِنَ الْقَوٰاعِدِ فَخَرَّ عَلَیْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ

هبط السّقف بسبب تزلزل القواعد التى قام عليها و هم تحته.

وَ أَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ فهم كانوا يزينون السّقف،و يحاولون المحافظه عليه،فاذا السّقف ينهدم بسبب نسف قواعده.

ان آيات سوره العنكبوت قد تكون أفضل تفسير لهذه الآيه،حيث ان الكفار الذين اعتمدوا على الماء،و بنوا بناءهم على قواعد الحضاره غرقوا فى البحر فتلاشوا كقوم فرعون،و كذلك الذين ركنوا الى مناعه بيوتهم كعاد دمّروا بالريح و بالصخور التى بنوا بناءهم بها و هكذا كل قوم اعتمدوا من دون اللّه على قواعد ماديه أتى عليها اللّه،و دمرهم بها و هم لا يشعرون ان خطأهم الأكبر كان اعتمادهم على هذه القوه الزائله.

[۲۷]ثم عذابهم فى الدنيا لا العذاب فى الآخره بل ان استكبارهم سوف يجر إليهم العار و الخزى.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَهِ يُخْزِيهِمْ وَ يَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ أى تشقون عصى الوحده من أجلهم،أو بتعبير آخر كنتم تتعبون أنفسكم دفاعا عنهم،تناضلون جبهه الحق من أجلهم،و كان الحرى بكم ان تحاربوهم.

قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَ السُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ فلهم عذاب نفسى هو العار،و عذاب جسدى يسوؤهم،و هذه الآيه توحى بقيمه العلم و فائدته.حيث انّ أعظم سبب لاستكبار المستكبرين و استغلالهم للناس هو انعدام العلم عند النّاس.

ص:۴۲

[۲۸]و هل الکافرون هم الذین یجحدون بألسنتهم،أو ان کل مستکبر عن الحق و ظالم لنفسه یواجه ذات العذاب؟ اَلَّذِینَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلاٰئِکَهُ ظٰالِمِی أَنْفُسِهِمْ أی فی الوقت الّذی کانوا یظلمون أنفسهم،أما من تاب قبلئذ فحسابه یختلف.

فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مٰا کُنّٰا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بالرغم من انهم قبل ذلک کانوا یستکبرون،و یحسبون أنفسهم فوق الحق،و فوق المسؤولیه،فوق القانون و یستضعفون النّاس.

بَلیٰ إِنَّ اللّٰهَ عَلِیمٌ بِمٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إن الاستکبار یبدأ من ظلم النّاس و استصغارهم و قد یرتکبه واحد من ادنی النّاس تجاه من هو ادنی منه.

جاء فی نص شریف مأثور عن الأمام أمیر المؤمنین(علیه السّلام):

«و من ذهب یری ان له علی الآخر فضلا فهو من المستکبرین».

فقلت:انما یری ان له علیه فضلا بالعافیه إذا رآه مرتکبا للمعاصی؟فقال «هیهات هیهات فلعله أن یکون قد غفر له ما أتی،و أنت موقوف تحاسب أما تلوت قصه سحره موسی» (۱).

[۲۹]آنئذ یساقون الی أبواب جهنم،کل جزء منهم یدخلها من الباب الّذی اختاره فی الدنیا لنفسه،فمنهم من اختار باب الطغیان علی العباد،و منهم من اختار باب طاعه الطغاه،و منهم من یدخل من باب الفساد فی الأرض و هکذا.

۱- ۱) الجزء ۶ الصفحه ۳۵۵(الکلام منقول بتصرف و اختصار).

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ الـذين اسـتكبروا عن الحق،و اسـتكبروا فى الأرض و كـانت قلوبهم منكره.

و آيات هذا الدرس إذا ما قسناها بآيات الدرس السّابق التى كانت حول العلم رأيناها تعالج حاله التكبر عن الحق التى هى أخطر أعداء العلم،و تتدرج من الإنكار الى الاستكبار الى التكبر.كما ان الآيات السّابقه كانت تتدرج من التفكر الى التعقل الى التذكره الى الشّكر فالهدايه.

[سوره النحل (۱۶): الآیات ۳۰ الی ۳۷]

اشاره

وَ قِیلَ لِلَّذِینَ اِتَّقَوْا مٰا ذٰا أَنْزَلَ رَبُّکُمْ قٰالُوا خَیْراً لِلَّذِینَ أَحْسَنُوا فِی هٰذِهِ اَلدُّنْیٰا حَسَنَهٌ وَ لَدٰارُ اَلْآخِرَهِ خَیْرٌ وَ لَنِعْمَ دٰارُ اَلْمُتَّقِینَ (۳۰)
جَنّٰاتُ عَدْنٍ یَدْخُلُونَهٰا تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ لَهُمْ فِیهٰا مٰا یَشٰاؤُنَ کَذٰلِکَ یَجْزِی اَللّٰهُ اَلْمُتَّقِینَ (۳۱) اَلَّذِینَ تَتَوَفّٰاهُمُ اَلْمَلاٰئِکَهُ طَیِّبِینَ
یَقُولُونَ سَلاٰمٌ عَلَیْکُمْ اُدْخُلُوا اَلْجَنَّهَ بِمٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۳۲) هَلْ یَنْظُرُونَ إِلاّٰ أَنْ تَأْتِیَهُمُ اَلْمَلاٰئِکَهُ أَوْ یَأْتِیَ أَمْرُ رَبِّکَ کَذٰلِکَ فَعَلَ
اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ مٰا ظَلَمَهُمُ اَللّٰهُ وَ لٰکِنْ کٰانُوا أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ (۳۳) فَأَصٰابَهُمْ سَیِّئٰاتُ مٰا عَمِلُوا وَ حٰاقَ بِهِمْ مٰا کٰانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ
(۳۴) وَ قٰالَ اَلَّذِینَ أَشْرَکُوا لَوْ شٰاءَ اَللّٰهُ مٰا عَبَدْنٰا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَیْءٍ نَحْنُ وَ لاٰ آبٰاؤُنٰا وَ لاٰ حَرَّمْنٰا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَیْءٍ کَذٰلِکَ فَعَلَ
اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَی اَلرُّسُلِ إِلاَّ اَلْبَلاٰغُ اَلْمُبِینُ (۳۵) وَ لَقَدْ بَعَثْنٰا فِی کُلِّ أُمَّهٍ رَسُولاً أَنِ اُعْبُدُوا اَللّٰهَ وَ اِجْتَنِبُوا اَلطّٰاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ
هَدَی اَللّٰهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَیْهِ اَلضَّلاٰلَهُ فَسِیرُوا فِی اَلْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ کٰانَ عٰاقِبَهُ اَلْمُکَذِّبِینَ (۳۶) إِنْ تَحْرِصْ عَلیٰ هُدٰاهُمْ فَإِنَّ
اَللّٰهَ لاٰ یَهْدِی مَنْ یُضِلُّ وَ مٰا لَهُمْ مِنْ نٰاصِرِینَ (۳۷)

اللغه

۳۴[حاق بهم]:حل بهم و أحاط.

ص:۴۵

و العاقبه للمتقين

هدى من الآيات:

فى الـدرس السّـابق بيّن السّـياق موقف الكفار من الرساله و أما المتقين فان موقفهم هو انها خير،حيث تهيأ منهاج الإحسان الّذى يؤدى الى الحسنات فى الدنيا، و فى الآخره جزائهم الأوفى حيث يستقر المتقون فيها بسلام.

هنا لك حيث الجنان الخالـده التى يـدخلونها،يجدون فيها الأنهار تجرى من تحتها، و تتحقق أمانيهم و ذلك جزاء المتقين الذين تنتهى حياتهم بخير،يسلم عليهم الملائكه التى تتوفاهم،و يبشرونهم بدخول الجنه بأعمالهم الصالحه.

و لا يهتـدى الكفار بعقولهم،بل ينتظرون هبوط الملائكه لينظروا إليها بأعينهم، أو نزول العذاب الّذى ينذرون به،و لكن الدنيا دار ابتلاء،فـاذا ظهرت الحقـائق فـان العـذاب لا يرد عنهم،و لا تقبل توبتهم،بأنهم ظلموا أنفسـهم و لم يظلمهم اللّه، هنا لك يجـدون سيئات أعمالهم،و يأخذهم ذلك العذاب الّذى استهزءوا به.

ص:۴۷

و من الكفـار من يبرر انحرافه الفكرى و السّلوكى بـالفكره الجبريه،و يقول:لو شاء اللّه لمنعنا عن عباده الشّـركاء،أو اتباع القانون الباطل،و هـذا تبرير قـديم،و لا يسع الرسل سوى البلاغ الواضـح،و بعدئذ تبقى لهم حريتهم و اختيارهم،و ابتلاء اللّه لهم،و اللّه لم يـأمرهم بعبـاده الطـاغوت،بـل بعث الأنبياء لخلاص النّاس من الطاغوت،فمنهم من اسـتجاب لـدعوه الرسل فهـدى،و منهم من لم يستجب فاضلّه اللّه،و المكذبون بالرسل أخذوا بأشد العذاب باعتبارهم أحرارا فى تصرفهم و تكذيبهم، فانظروا فى آثار السّابقين.

و اللّه لا يكره أحدا على الهدى،بل لا يهدى من يختار الضلاله،و لا ينصره و لن ينصره أحد.

بينات من الآيات:

جزاء المتقين:

[۳۰]تلك كانت نظره المسـتكبرين الى الرساله،أما المؤمنون الذين اتقوا فلم تحجب الذنوب عقولهم عن فهم الحقائق فإذا سـئلوا عن الرساله قالوا أنها خير.

وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مٰا ذٰا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قٰالُوا خَيْراً و لا يذوق حلاوه الايمان غير المتقين و ابرز سـمات المتقين هو الإحسان الّذى يثمر حسنات فى الدنيا و الآخره.

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيٰا حَسَنَةٌ وَ لَدٰارُ الْآخِرَهِ خَيْرٌ وَ لَنِعْمَ دٰارُ الْمُتَّقِينَ [۳۱]أما دار المتقين فهى متمثله فى جنات خالده.

ص:۴۸

جَنّٰاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهٰا تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ لَهُمْ فِيهٰا مٰا يَشٰاؤُنَ و هـذا الإطلاق يدل على ان أهل الجنه تتحقق أمانيهم هناک، فهم راضون عن وضعهم بالكامل،و هـذا الرضا لا يتحقق أبـدا فی الدنيا،حتی قال قائلهم:ما كلما يتمنى المرء يدركه!و هذا فارق كبير بين أهل الجنه و أهل النّار.

كَذٰلِكَ يَجْزِی اللّٰهُ الْمُتَّقِينَ أما غيرهم من المؤمنين فانّهم يظلون فی نار جهنم حتی تـذهب آثار الـذنوب التی ارتكبوها،و بعدئذ يدخلون الجنه.

[۳۲]و المتقی يبقی فی خطر عظيم حتی يأتيه اليقين و هو الموت،إذ يخشـی ان تزل قدمه قبل ان يصل الی نهايته فاذا اسـتمر على الهدی حتی الموت فهو الطيب.

اَلَّذِينَ تَتَوَفّٰاهُمُ الْمَلاٰئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ و بالرغم من أن هناک مسافه زمنيه واسعه بين الموت و دخول جنات الخلـد،الا ان الملائكه تبشـر المتقين عنـد موتهم بأنهم داخلوها حتما،مضافا الی أنهم يعيشون خلال الفتره فی جنان و رياض مماثله بجنات الخلد، فِی مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ .

[۳۳]أمـا غير المتقين،فان أكبر خطأ لهم انهم ينتظرون احاطه الخطر بهم حتی يعترفوا به،و انئـذ لا ينفعهم ايمانهم،ذلک أن الـدنيا دار اختبار و انما يختبر مدى ايمان الفرد و تقواه،و قوه إرادته و عقله إذا انذر بالخطر و أبلغ بالحقائق قبل ان يراها،أما بعدئذ فكل النّاس سواء،و كل شخص يهرب من الخطر الّذی يبصره،و لكن العقلاء

وحدهم يتجنبون الخطر فى الوقت المناسب،و عند ما تأتيهم نذره.و تظهر لهم ارهاصاته.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّٰ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلاٰئِكَةُ أى هل ينتظرون الملائكه حتى يؤمنوا،و إذا نزلت الملائكه انعدم الابتلاء.

أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ من العذاب،فآنئذ يؤمنون،و ماذا ينفعهم ايمانهم إذا رأوا العذاب؟ كَذٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فدمرهم اللّه شر تدمير.

وَ مٰا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ وَ لٰكِنْ كٰانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ان مثل هؤلاء كمثل رجل يبصر بعينه بئرا فلا يعترف بها حتى يقع فيها و تتهشم عظامه،فيقول الآن آمنت انها كانت بئرا!فلما ذا إذا زودت بعين،أو ليس لكى ترى أمامك الطريق؟!و تتجنّب البئر قبل الوقوع فيه.

لماذا زوّد الإنسان بالعقل؟أو ليس لكى يبصر الغيب،أما الشهود فيحس به حتى الحيوان!و لماذا زود بالإراده؟أو ليس لكى يتحدى الشهوات،أما الاسترسال معها فانه ليس بشيء!هكذا الخطر متى يقدر الإنسان على معالجته؟!عند ما ينتبه له بسبب علاماته المبكره،أما إذا أحدق به فكيف الفرار؟! [۳۴]هكذا قامت الدنيا على أساس الانتفاع بالعقل و الاراده،و الكفار لم يستفيدوا منهما.

فَأَصٰابَهُمْ سَيِّئٰاتُ مٰا عَمِلُوا وَ حٰاقَ بِهِمْ مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ أى حلّ بهم الفكر الّذى استهزءوا به،فقد انتقم منهم الفكر الحق الّذى سخروا منه،كما ان أفعالهم السيئه،تحولت الى مشاكل و صعوبات دمرت حياتهم.

[۳۵]إذا فأن انتظار تحول الحق المبلّغ به الى واقع مشهود خطأ كبير ارتكبه الهالكون من قبلنا،و علينا تجنبه،و خطأ آخر هو القدريه،و الاعتقاد بان اللّه لم يتركنا أحرارا فى تصرفاتنا،الا لأنه فوّض إلينا شؤون الحياه فيه نفعل كما نشاء،و لو كان يريد غير ذلك لأجبرنا على ترك عباده الطغاه.

وَ قٰالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مٰا عَبَدْنٰا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ فلا عبدنا المال المتمثل فى الرأسماليه،و لا عبدنا القوه المتمثله فى الطاغوت،و لا عبدنا التراث المتمثل فى الاباء.

نَحْنُ وَ لاٰ آبٰاؤُنٰا وَ لاٰ حَرَّمْنٰا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ فقلنا هذا حلال و هذا حرام حسب اهوائنا، كما فعل الجاهليون،حينما حرّموا البحيره و السائبه،و كما يضع الجاهليون اليوم قوانين تكبل طاقات الناس.و بتعبير آخر لم نخضع لسياده السلطه الفاسده،و لم نطبق التشريعات البشريه.

كَذٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ عبدوا الطاغوت،و شرّعوا لأنفسهم،و ادّعوا ان اللّه فوّض إليهم ذلك الأمر، و لكن لماذا بعث اللّه الرسل؟ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاٰغُ الْمُبِينُ

فلا اللّه فوّض أمر الحياه الى البشر،لأنه بعث الرسل،و لا أنه يريد ان يكره الناس على الهدايه،فاذا لم يكرهم فهو راض عنهم،لأن مهمه الرسل تنتهى عند البلاغ،لتبدأ مسئوليه الإنسان نفسه.

الكلمه البالغه:

[۳۶]و هكذا بعث اللّه الرسل بكلمه بالغه الوضوح:عباده اللّه و رفض الطاغوت.

وَ لَقَدْ بَعَثْنا فِی کُلِّ أُمَّهٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطّاغُوتَ الطاغوت يفرض نفسه على الناس و لا يكفى السكوت عنه، بل انه رجس يجب الاجتناب عنه،يجب التحصن منه،يجب الحذر،يجب التمرد و الثوره عليه،إذا لم يفوّض اللّه أمر العباد إليهم ليختاروا لأنفسهم حكومتهم،أو ليسكتوا ان شاؤوا عمن يريد استغلالهم و تضليلهم،كلا..بل أتم حجته عليهم بان بعث فى كل أمه رسولا يأتمون به،و يتفاعلون مع بعضهم،حتى لا يبقى أحد منهم يقول لم أكن أعلم.

و لكنه لم يشأ ان يكرهم على قبول الهدايه.

فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَی اللّهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَهُ الّذى يهتدى فاللّه يهديه و لكن بعد ان يختار ذلک،و الّذى يضل فاللّه يضله و لكن بعد ان يختار ذلک،لذل قال ربنا: «حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَهُ» أى وجبت ضلالته بعد أن أختار ذلک،و كلّ يتحمل مسئوليته.

فَسِيرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الْمُكَذِّبِينَ

فلو ان اللّه يرضى لعباده الكفر،إذا لم يعذب الكافرين؟! [۳۷]و مره أخرى يؤكد ربنا ان الهدى ليس جبرا من اللّه،و لذلك فلا ينتظر أحد ان يأتى نبىّ يكرهه على الهدايه،و لا يقولنّ إذا لم يأت من يجبره فما تقصيرى.

كلا.. أنت مسئول،و الرسول ليس مسئولا عنك.

إِنْ تَحْرِصْ عَلىٰ هُدٰاهُمْ فَإِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَ مٰا لَهُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ فلا يسلّوا أنفسهم بهذه التبريرات،و لا ينتظروا أحدا لينصرهم،كلا لا أحد ينصرهم،اللّه وحده هو الناصر،و أنت إذا اهتديت اليه حصلت على سعادتك المنشوده.

ص:۵۳

[سوره النحل (۱۶): الآيات ۳۸ الی ۴۴]

اشاره

وَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمٰانِهِمْ لاٰ يَبْعَثُ اَللّٰهُ مَنْ يَمُوتُ بَلىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ اَلنّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ (۳۸) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ اَلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَ لِيَعْلَمَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كٰانُوا كٰاذِبِينَ (۳۹) إِنَّمٰا قَوْلُنٰا لِشَيْءٍ إِذٰا أَرَدْنٰاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (۴۰) وَ اَلَّذِينَ هٰاجَرُوا فِي اَللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مٰا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي اَلدُّنْيٰا حَسَنَةً وَ لَأَجْرُ اَلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ (۴۱) اَلَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (۴۲) وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ إِلاّٰ رِجٰالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ اَلذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ (۴۳) بِالْبَيِّنٰاتِ وَ اَلزُّبُرِ وَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ اَلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّٰاسِ مٰا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (۴۴)

ص:۵۴

آثار الإيمان بالآخره

هدى من الآيات:

و لكى يتهرب الكفار من صعوبه العلم بالآخره،حلفوا باللّه الايمان المغلظه ان اللّه لا يبعث من يموت!فأكد اللّه لهم انه قد وعد أن يبعثهم فلن يخلف اللّه وعده، و أكثر الناس لا يعلمون هذه الحقيقه.

و الهدف من البعثه تبيان الحق فى اختلافاتهم،و إثبات كذب الكفار لهم، و ليست هناك صعوبه فى البعث إِنَّمٰا أَمْرُهُ إِذٰا أَرٰادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ .

و فى المقابل نجد الّذين يتحملون مسئوليه ايمانهم بالحق،فإذا هم يهاجرون عن أرضهم حين لا يجدون حربه العمل بالحق،فيعدهم اللّه حسنه فى الدنيا و أكبر منها فى الآخره،حيث أخفيت عنهم نعمها التى لا توصف،لأن هؤلاء يصبرون على الأذى،و يتوكلون على اللّه فى مقاومه الكفار.

و بعضهم يناقش فى صدق الرسول لأنه بشر كسائر الناس،علما بان اللّه قد

بعث من قبله رجالا ـ لا ـ يميزهم عن غيرهم سوى الوحى، ألا ـ فسألوا أهل العلم الّذين ذكروا بالبينات و الزبر.و القرآن ذكر أنزل على محمد صلى الله عليه و آله بهدف توضيح الرساله التى نزلت عليهم تدريجيا،و الغايه الأسمى لها اثاره عقولهم،و تحريضهم على التفكير.

بينات من الآيات:

العلم دليل الحقيقه:

[۳۸]السياق القرآنى يتبع عاده أكثر من خط فكرى واحد خلال درس أو سوره،لأنه كتاب اللّه الّذى لا يشغله شأن عن شأن،و إذا تدبرنا فى نهايات آيات هذا الدرس الكريم تبين لنا أن السياق يحدثنا أيضا عن العلم،بالإضافه الى حديثه عن الإيمان بالبعث،و عن الهجره فى اللّه،و عن الرساله،بل يكاد العلم يكون الخط الرابط بين موضوعات الآيات هذه،ذلك ان العلم مسئوليه خطيره لأنه قرين العمل،و يهتف به فإن وجده و إلّا ارتحل،و لو لا العمل بالعلم فإن القرآن لا يسميه علما،ذلك ان العلم-فى الإسلام- ليس مجرد تراكم المعلومات فى الحافظه البشريه كما تراكمها مثلا فى الكمبيوتر،بل هو انكشاف المعلومات بوضوح أمام العقل النير.و عند ما تنكشف الحقائق فإن العمل وفقها نتيجه فطريه لها.

و لكن هل العمل بالعلم سهل؟كلا..أو لم يقل

الحديث الشريف:

«حديثنا صعب مستصعب » فإن أمام العمل عقبات نفسيه و واقعيه لا بدّ من تجاوزها و التغلب عليها.

و لكى يتهرب البعض من مسئوليه العلم يجهلون،و يحلفون الإيمان المغلظه على جهلهم.

و من جهه أخرى فإن العلم بالآخره يبـدو كحجر الزاويه فى العلم،لأن فهم الدنيا و ما فيها من مسـئوليات و قيم و حقائق لا يمكن دون الاعتراف بالآخره،و إلاّ فكل شىء فى الدنيا يبدو لغزا و سرا كبيرا.

و من هنا كان إنكار الآخره بمثابه جهل مطبق بالحياه الدنيا،هذه التى قد تنتهى فى أيه لحظه و من حكمه معروفه.

و من جهه ثالثه:العلم بالآخره،يجعلنا نؤمن بان هناك حقا ثابتا فى هـذا العالم،و اننا سوف نعرفه و نحاسب على أساسه فى يوم ما لذلك لا بد أن نبحث عنه و أن نجعله هو المحور لتفكرنا و عملنا.

و فقدان محوريه الحق يشبه سقوط قاعده البناء،كلّ شىء فيه ينهدم،فإذا لم يكن هناك حق و باطل واقعيان،و إذا لم يكن هناك حسن و قبح عقليان-حسب تعبير الفلاسفه-فلما ذا ترانا نبحث فى العلم؟و ما هو المقياس فى الصراعات؟هل المقياس هو الأنا،أم الأقوى،أم ماذا؟ و يبدو ان الآيتين توضحان هذه الحقيقه:

وَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمٰانِهِمْ لاٰ يَبْعَثُ اللّٰهُ مَنْ يَمُوتُ القسم فيما لا يعلم الفرد دليل على تأكيده على جهله و فراره من العلم بالحق، و إلاّ فلما ذا التأكيد على القسم على ان اللّه لا يبعث الموتى؟ بَلىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ إن وعد اللّه حق،و قد وعد أن يبعث من يموت،و أكثر الناس لا يعلمون ذلك.

يقول العلامه الطباطبائى:(أىّ لا يعلمون انه من الوعد الّذى لا يخلف،

و القضاء الّذی لا یتغیر لاعراضهم عن الآیات الدّاله علیه،الکاشفه عن وعده و هی خلق السماوات و الأرض،و العدل و الإحسان،و التکلیف النازل فی الشرائع الإلهیه). (۱)

و قال البعض:أن المعنی لا یعلمون وجه الحکمه فی البعث فلا یؤمنون به. (۲)

و یبدو أن القرآن،ینفی علم أکثر الناس کعلم،کی لا تتخذ الأکثریه مقیاسا،بل یکون المقیاس هو الحق الّذی یتبین فی الآخره،و تنتهی الآیه الی بیان حقیقه العلم و مقاییسه،و اللّه العالم.

لماذا البعث؟

[۳۹]من أهداف النشور بعد الموت تبیان الحق،و کشف زیف الکفار، و هکذا یکون من حکم الزمان بالآخره،الإیمان بوجود مقیاس ثابت للحق،یرجع إلیه الناس،فیحکم بینهم فیما اختلفوا.

لِیُبَیِّنَ لَهُمُ الَّذِی یَخْتَلِفُونَ فِیهِ وَ لِیَعْلَمَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّهُمْ کٰانُوا کٰاذِبِینَ فلا یستطیع أحد من أن یبدل الحق بالباطل،و یخدع نفسه ان الباطل قد أصبح حقا،لأنّ رأی الأکثریه-حسبما یزعم أغلب الناس-هو مقیاس فهم الحق و الباطل،کلا..ان وراءنا یوما یمیز فیه الحق عن الباطل بوضوح کاف.

[۴۰]و یزعم الکفار أن البعث مستحیل،و لا یعلمون ان اللّه لو أراد شیئا،قال له:کن فیکون.

۱- ۱) المیزان-ج ۱۲-ص ۲۴۷.

۲- ۲) مجمع البیان-ج ۵-ص ۳۶۰.

إِنَّمٰا قَوْلُنٰا لِشَيْءٍ إِذٰا أَرَدْنٰاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ و تكرار كلمه(القول)ربما جاء لبيان ان الإراده ليست نعمه فى القلب،أو ترويا فى النفس،كما هى لنا نحن البشر،انما هو كالقول(فعل)يبدعه اللّه إبداعا،

و قد جاء فى الحديث الشريف عن أبى الحسن-عليه السلام- حينما سأله أحد أصحابه عن الإراده:من اللّه أم من الخلق؟قال عليه السلام :

«الإراده من الخلق الضمير،و ما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل،و أما من اللّه تعالى فإرادته إحداثه لا غير ذلك،لأنه لا يتروى و لا يهمّ و لا يتفكر،و هذه الصفات منفيه عنه و هى صفات الخلق،فإراده اللّه الفعل لا غير ذلك يقول له:

كن فيكون بلا لفظ،و لا نطق بلسان،و لا همه،و لا تفكر،و لا كيف لذلك،كما انه لا كيف له. » (۱)

واجب الهجره:

[۴۱]و كثير من الناس يتركون ما يعلمون،و يعلمون بالجهل خشيه المجتمع الفاسد و الطاغوت،بينما ينبغى أن يتمردوا عليهما فإذا ظلموا،و لم يجدوا حيله، هاجروا من تلك الأرض،و أرض اللّه واسعه،دعهم يهاجروا لكى يعودوا أقوى الى بلادهم.

وَ الَّذِينَ هٰاجَرُوا فِي اللّٰهِ أىّ فى سبيل اللّه،و من أجل العمل بأوامر اللّه.

مِنْ بَعْدِ مٰا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيٰا حَسَنَةً فسوف يهىء اللّه لهم:أرضا رحبه،و حياه حسنه،و حريه و أمنا.

۱- ۱) الميزان-ج ۱۲-ص ۲۵۹.

وَ لَأَجْرُ الْآخِرَهِ أَكْبَرُ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ و عليهم ألا يبحثوا فقط عن أجر الـدنيا،و فائده العلم انه ينقلنا الى رحاب الآخره و ما فيها من أجر كبير.

[۴۲]كلّ ذلك بشرط أن يتحملوا الأذى فى سبيل اللّه،و ألا يستسلموا لضغوط الطاغوت،و لا ينسوا قضيتهم الرساليه.

اَلَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

سبيل المعرفه:

[۴۳]إنهم يجادلون فى رساله محمد صلى الله عليه و آله لأنه رجل مثلهم،و هل بعث اللّه إلاّ رجالا أهم ما يميزهم عن غيرهم الوحى؟! وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ إِلاّٰ رِجٰالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ و على الإنسان أن يبحث عن الحقيقه بنفسه،فإذا لم يجدها يبحث عمن وجدها من الّذين صاغت المعرفه شخصياتهم،فتميزوا عن غيرهم بمعرفه البينات و الزبر.

فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ فإن كنتم تعلمون فلا يحق لكم تقليد الآخرين،كما لا يجوز إتباع من لا يعرف شيئا عن البينات و الزبر،أو يعرف و لكن لم ينتفع بها عمليا فلم يتذكر هو شخصيا بالوحى،و لم يتعظ بمواعظه الرشيده،و هذه الآيه و التى بعدها تحدد شروط التقليد، أو بتعبير آخر تحدد شروط اتباع الجاهل للعالم،و هما يشيران الى حقائق عقليه فطر البشر عليها.

البينات و الزبر:

[۴۴]عالم الطبيعه و عالم التاريخ و عالم الطب و من أشبه،لا يمكن تقليد أحدهم فى شؤون الحياه مما يتصل بالدين،بل عالم الدين الّذى تذّكر بالأدله و عرف المحتويات.

بِالْبَيِّنٰاتِ وَ الزُّبُرِ البينات هى الشواهد الواضحه،أما الزبر فانها الكتب التى تحتوى على العلوم الإلهيه.و لان البينات قد جاءت فى آيات قرآنيه أخرى مقارنه بكلمه الهدى،مثل قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضٰانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنّٰاسِ وَ بَیِّنٰاتٍ مِنَ الْهُدیٰ وَ الْفُرْقٰانِ ،فإن معناها-حسبما يبدو لى-هو التفاصيل الواضحه للتعاليم السماويه،بينما الهدى أو الزبر التى تحتوى عليه،هى البصائر و الإشارات (المحكمات)..التى فصّلت بعضها فقط.

و بناء على هذا التفسير فإن كلمه بالبينات و الزبر متعلقه بقوله تعالى: أَهْلَ الذِّكْرِ و قال البعض انها متعلقه بقوله سبحانه: وَ مٰا أَرْسَلْنٰا و قال العلامه الطباطبائى:(أىّ أرسلناهم بالبينات و الزبر،و ذلك ان المعنى فى الآيه السابقه، أنما هى ببيان كون الرسل بشرا على العاده فحسب،فكأنه لما ذكر اختلج فى ذهن السامع انهم بماذا أرسلوا؟فأجيب عنه فقيل بالبينات و الزبر،أما البينات فلإثبات رسالتهم،و أما الزبر فلحفظ تعليماتهم). (۱)

و أقول:كما أرسل ربنا رسوله بالبينات و الزبر،كذلك كان أهل الذكر يتذكرون بها،علما بان المتعلق أقرب الألفاظ السابقه،و الأقرب هنا:الذكر،

۱- ۱) الميزان-ج ۱۲-ص ۲۵۹-و قريب منه فى المجمع و غيرهما.

خصوصا بإضافه الأهل،و لا سيما و الكلمه غامضه و أكثر إثاره للتساؤل من كلمه «أرسلنا»ثم إن المتعلق ينبغى أن يكون حسب رأيهم كلمه الوحى لا أرسلنا، فتدبر.

هدف البعثه:

و هكذا انزل الذكر الى الرسول بهدف تحقيق واحد من أمرين:

الأول:أن يكون الرسول قدوه يتبع،و هذا يشبه التقليد.

الثاني:أن يثير عقول الناس و يحرك الراكد من أفكارهم،فيحصلون على العلم مباشره.و الهدف الأول يشمل جميع الناس،بينما يختص العقلاء بالثانى.

وَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْکَ الذِّکْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّٰاسِ مٰا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَکَّرُونَ

ص:٦٢

[سوره النحل (۱۶): الآیات ۴۵ الی ۵۵]

اشاره

أَ فَأَمِنَ اَلَّذِینَ مَکَرُوا اَلسَّیِّئاتِ أَنْ یَخْسِفَ اَللّهُ بِهِمُ اَلْأَرْضَ أَوْ یَأْتِیَهُمُ اَلْعَذابُ مِنْ حَیْثُ لا یَشْعُرُونَ (۴۵) أَوْ یَأْخُذَهُمْ فِی تَقَلُّبِهِمْ فَما هُمْ بِمُعْجِزِینَ (۴۶) أَوْ یَأْخُذَهُمْ عَلی تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّکُمْ لَرَؤُفٌ رَحِیمٌ (۴۷) أَ وَ لَمْ یَرَوْا إِلی ما خَلَقَ اَللّهُ مِنْ شَیْءٍ یَتَفَیَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ اَلْیَمِینِ وَ اَلشَّمائِلِ سُجَّداً لِلّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ (۴۸) وَ لِلّهِ یَسْجُدُ ما فِی اَلسَّماواتِ وَ ما فِی اَلْأَرْضِ مِنْ دابَّةٍ وَ اَلْمَلائِکَةُ وَ هُمْ لا یَسْتَکْبِرُونَ (۴۹) یَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ یَفْعَلُونَ ما یُؤْمَرُونَ (۵۰) وَ قالَ اَللّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلهَیْنِ اِثْنَیْنِ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ فَإِیّایَ فَارْهَبُونِ (۵۱) وَ لَهُ ما فِی اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لَهُ اَلدِّینُ واصِباً أَ فَغَیْرَ اَللّهِ تَتَّقُونَ (۵۲) وَ ما بِکُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اَللّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّکُمُ اَلضُّرُّ فَإِلَیْهِ تَجْئَرُونَ (۵۳) ثُمَّ إِذا کَشَفَ اَلضُّرَّ عَنْکُمْ إِذا فَرِیقٌ مِنْکُمْ بِرَبِّهِمْ یُشْرِکُونَ (۵۴) لِیَکْفُرُوا بِما آتَیْناهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (۵۵)

ص:۶۳

إنما هو إله واحد

هدى من الآيات:

ان الّذين يعملون السيئات بمكر،و يعالجونها بأفكارهم معالجه،ينبغى الا يأمنوا من مكرهم،فقد يخسف اللّه بهم جانبا من الأرض،أو يتعرضون للعذاب من حيث لم يتوقعوا،أو يحيط بهم عذاب اللّه و هم يبحثون عن المعاش فى البر و البحر،فلا يستطيعون رد العذاب عن أنفسهم،أو يأخذهم اللّه بعذابه و هم متيقظون فى كل وعيهم فلا يستطيعون ردّه،و لكن اللّه يؤخر عنهم العذاب لأنه رؤف بهم رحيم.

و لماذا يمكرون السيئات؟لماذا لا يعبدون ربهم؟أو لا يرون الى خلق اللّه أنى نظروا كيف يتحول ظلاله عن اليمين الى الشمائل،و كل هذا الخلق يسجدون للّه خاضعين،بلى كل ما فى السماء،و كل ما فى الأرض يسجد للّه،من الأحياء و الملائكه،دون ان يستكبروا شيئا،و هم يخافون ربهم ان يأتيهم عذابه من فوقهم، و لذلك يطيعون اللّه فى كل ما يأمرهم به.

أما الناس فبعضهم يتخذون الشركاء من دون اللّه،بينما أمرهم اللّه الا يعبدوا

الهين اثنين،لأنه لا اله إلا اللّه إلها واحدا،ينبغى ان يرهب جانبه،و ان للّه كل شيء فى السموات و الأرض،و له الحاكميه الواجبه،فلما ذا يحذرون غير اللّه فيعبدونه؟! بينما النعم منه و عند النعم يستغيثون اليه،و لكنهم إذا كشف الضر عنهم يشركون باللّه،كافرين بما آتاهم اللّه من خير و من كشف الضر،فدعهم إذا يتمتعون فسوف يعلمون غدا مصيرهم المحتوم.

بينات من الآيات:

الحاكميه الإلهيه:

[۴۵]اللّه هو الحاكم،و له الدين الواجب،أما الّذين يشرّعون لأنفسهم الأنظمه الباطله،و يبتدعونها بقوه خيالهم،من أجل الوصول الى أهدافهم السيئه التى يخططون للوصول إليها تخطيطا واعيا،فإنهم لا يأمنون عذاب اللّه.

أَ فَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئاتِ أى مكروا مكرا يعملون به السيئات، فالهدف كان شيئا،و لكنهم استخدموا حيلتهم الشيطانيه للوصول إليها،فهم أكثر ذنبا ممن يعمل السيئات مخطأ أو حسب الصدفه،فهل أمن هؤلاء مكر اللّه؟مثلا:

أَنْ يَخْسِفَ اللّٰهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذٰابُ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَشْعُرُونَ من فوقهم أو من أطرافهم.

يقول العلامه الطباطبائى:هذه الآيه و الآيتان بعدها إنذار و تهديد للمشركين، و هم الّذين يعبدون غير اللّه سبحانه،و يشرّعون لأنفسهم سننا يستّنون بها فى الحياه، فما يعملون من الأعمال مستقلين فيها بأنفسهم،معرضين عن شرائع اللّه النازله من

طريق النبوه،استنادا الى حجج داحضه(واهيه)اختلقوها لأنفسهم،كلها سيئات.

و أضاف قائلا:السيئات مفعول مكروا بتضمينه معنى عملوا:أى عملوا السيئات ماكرين. (۱)

و كلمه الدين واصبا فى السياق تدل على ما استوحاه العلامه الطباطبائى من معنى التشريع فى الشرك.

[۴۶]و البشر بحاجه الى الكسب،و الاكتساب محفوف بالأخطار،و اللّه سبحانه يحفظ الإنسان حين يسعى لرزقه،و لكنه إذا شرّع لنفسه قوانين باطله لسعيه،فقد يتركه اللّه فريسه للأخطار.

أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ أى فى سيرهم فى البر و البحر لاكتشاف الرزق.

فَمٰا هُمْ بِمُعْجِزِينَ لا يهربون من ملاحقه العذاب،و لا يفلتون من يد العقوبه.

أنواع العذاب الإلهى:

[۴۷]عذاب اللّه ألوان:

الأول:العذاب الفجائى الّذى لا ينتظره،و يأتى من دون سابق إنذار مثل الخسف و الزلازل.

الثانى:العذاب الّذى يسببه البشر بأخطائه كأن يركب البحر فتنقلب به

۱- ۱) الميزان ص ۲۶۲ ج ۱۲.

السفينه.

الثالث:العذاب التدريجي كأن يعذب اللّه أمه بالقحط فيموتوا بالتدريج.

و لكل لون من العذاب ألم خاص يدعنا نتحذر منه،و قد حذّرنا القرآن منها جميعا.

فعن اللون الأول من العذاب و الثاني حذرتنا الآيه الأولى و الثانيه،أما عن اللون الثالث فيقول سبحانه:

أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلىٰ تَخَوُّفٍ قال الطبرسي:التخوف و التنقص و هو ان يأخذ الأول فالأول حتى لا يبقى منهم أحد،و تلك حاله يخاف منها الفناء و يتخوف الهلاك،و يقال:تخوّنه الدهر. (۱)

و جاء في الحديث المأثور:

«التخوف هو التيقظ » و الواقع ان معنى التخوف الأصلي هو التيقظ اشتقاقا من كلمه الخوف،و لكن يسمى الهلاك التدريجي بذلك،لأن الإنسان يخشاه و يسعى جهده لتجنبه،فلا يستطيع ذلك مما يسبب له ألما جسديا و نفسيا،و ربما كان هذا اللون من العذاب هو الأكثر ألما،و لذلك طمأن ربنا عباده بأنه رؤف رحيم.

فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ فبالرغم من استحقاقهم العذاب التدريجي،الا انه يتابع نعمه عليهم برأفته و رحمته.

ص:۶۷

۱- ۱) مجمع البيان ص ۳۶۳ ج ۶.

آیات الخلق و حقیقه العبودیه:

[۴۸]لماذا الشرک باللّه العظیم؟أو لیس الکون کله ساجد للّه،خاضع لمشیئته.؟! أَ وَ لَمْ یَرَوْا إِلیٰ مٰا خَلَقَ اللّٰهُ أولا یرون ناظرین ما خلق اللّه من أشیاء!! مِنْ شَیْءٍ یَتَفَیَّؤُا ظِلاٰلُهُ ای یتحرک ظلاله من الیمین الی الیسار.

یقول الطبرسی:التفیؤ التفعل من الفیء،یقال فاء الفیء یفیء إذا رجع و عاد بعد ما کان ضیاء الشمس قد نسخه،و یضیف قائلا:الفیء ما نسخه ضوء الشمس،و الظل ما کان قائما لم تنسفه الشمس،و یستنتج من ذلک ان معنی الآیه یتمیل ظلاله عن جانب الیمین و جانب الشمال.

عَنِ الْیَمِینِ وَ الشَّمٰائِلِ و ربما جاء السیاق بلفظ الیمین مفردا بینما جمع الشمائل،لأنه قد اتخذ جانب الیمین مبدأ الحرکه،بینما جعل جانب الشمال مآلها،و الحرکه تبدأ من مکان و لکنها تسیر فی أماکن مختلفه.

سُجَّداً لِلّٰهِ وَ هُمْ دٰاخِرُونَ کل شیء یسجد للّه داخرا خاضعا صاغرا،بالرغم من أننا نراها و کأنها واقفه، حیث لا یتحرک الا ظلاله فقط،و لکنها فی الواقع تسجد للّه،تسبحه و تستجیب أوامره،

و فی السجود معنی لا نفهمه من الخضوع و هو معنی الفعل.

[۴۹]و کما الأشیاء الجامده التی تتحرک حولها الظلال و هی جامده ظاهرا، لکنها تسجد للّه،کذلک الأحیاء فی الأرض و الملاک فی السماء.

وَ لِلّٰهِ یَسْجُدُ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ مِنْ دٰابَّةٍ وَ الْمَلاٰئِکَةُ وَ هُمْ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ بالرغم من عظمتهم بالنسبه إلینا نحن البشر الّذین نستکبر و نتحدی اراده اللّه.

[۵۰]و کل شیء یخشی ربه الّذی یشعر انه فوقه قاهره.

یَخٰافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ العذاب یأتی من فوق و کذلک الثواب،یقول ربنا: « وَ فِی السَّمٰاءِ رِزْقُکُمْ وَ مٰا تُوعَدُونَ »و هذا هو شعور الفرد أیضا تجاه ربه المحیط به علما و قدره..

وَ یَفْعَلُونَ مٰا یُؤْمَرُونَ [۵۱]و یبقی الإنسان بین الخلق أجمعین یخضع لما هو خاضع للّه،یخضع للشمس و القمر و النجوم،یخضع للأنوار و الأشجار و الأحجار،یخضع للثروه،و القوه،و الدعایه.

وَ قٰالَ اللّٰهُ لاٰ تَتَّخِذُوا إِلٰهَیْنِ اثْنَیْنِ إِنَّمٰا هُوَ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ فلما ذا نرهب جانب الطبیعه،حتی نعبدها،و لماذا نرهب الطاغوت حتی نستسلم له؟!ألا فلنخشی ربا واحدا صمدا.

فَإِیّٰایَ فَارْهَبُونِ

ص:۶۹

«و من خاف ربه أخاف اللّه منه كل شىء،و من لم يخف ربه أخافه اللّه من كل شىء » إن أكثر ما تتم العباده من جانب البشر للأشياء،انما تتم بسبب الهيبه و الرهبه، الا فلتسقط هيبه الطبيعه الا فلنرهب ربها!و خالقها فقط!!

تجاوز الخوف شرط العباده:

[۵۲]و إذا تجاوزنا الخشيه من الطبيعه،و تحررنا من رهبتها أسلمنا الوجوه لرب العالمين، و خضعنا لحاكميته و سيادته القانونيه،و بالتالى لدينه الواجب.

وَ لَهُ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ و من بيده ناصيه الطبيعه له السياده التشريعيه.

وَ لَهُ الدِّينُ وٰاصِباً قال الطبرسى:وصب الشيء وصوبا إذا دام،و وصب الدين وجب. (۱)

أَ فَغَيْرَ اللّٰهِ تَتَّقُونَ لماذا نتحذر ممن لا سياده له؟ إن السياده للّه،و ان التشريع الذى يعكس هذه السياده هو للّه،و ان مخالفه تشريعه و سيادته هى ما نحذر منه.

[۵۳]و عمليا نحن بحاجه الى اللّه فى كل صغيره و كبيره،فما من نعمه الا و هى للّه،و عند فقدها نستغيث به ليعيدها علينا.فله السياده أم لغيره؟!

۱- ۱) مجمع البيان ص ۳۶۵ ج ۶.

وَ مٰا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللّٰهِ ثُمَّ إِذٰا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ الجؤار:الاستغاثه برفع الصدمه.

[۵۴]و لكنه ما ان يرفع الضر حتى تعود حجب الشرك تفصل بين قلب البشر و ربه ثُمَّ إِذٰا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذٰا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ و الشرك هنا قد يعنى الخضوع لقانون غير قانونه،إن لحظات الحاجه هى أكبر شاهد على سفاهه الشرك،لأننا آنئذ نرى بوضوح شديد عجز الشركاء،فهل الطاغوت و السلطه السياسيه الفاسده التى تخضع لها هى التى تنقذ من أمواج البحر حين تكاد تبتلع السفينه؟! أم ان الثروه و الأثرياء تقدر ان تنقذ طفلنا المشرف على الهلاك فى غرفه العنايه القصوى؟!من الذى نتوسل اليه آنذاك؟أو ليس اللّه،فلما ذا نعود و نخضع لقانون البشر؟! [۵۵]إن ذلك كفر بنعم اللّه الّتى وهبها اللّه لنا.

لِيَكْفُرُوا بِمٰا آتَيْنٰاهُمْ و الشكر هو الذى يدعم النعم،أما الكفر بها فصاحبه ينتظر اليوم الأسود.

فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ فان المتعه اليوم،تستتبع ندما طويلا طويلا.

[سوره النحل (۱۶): الآيات ۵۶ الى ۶۳]

اشاره

وَ يَجْعَلُونَ لِمٰا لاٰ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ تَاللّٰهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمّٰا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (۵۶) وَ يَجْعَلُونَ لِلّٰهِ اَلْبَنٰاتِ سُبْحٰانَهُ وَ لَهُمْ مٰا يَشْتَهُونَ (۵۷) وَ إِذٰا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ (۵۸) يَتَوٰارىٰ مِنَ اَلْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مٰا بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي اَلتُّرٰابِ أَلاٰ سٰاءَ مٰا يَحْكُمُونَ (۵۹) لِلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ اَلسَّوْءِ وَ لِلّٰهِ اَلْمَثَلُ اَلْأَعْلىٰ وَ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (۶۰) وَ لَوْ يُؤٰاخِذُ اَللّٰهُ اَلنّٰاسَ بِظُلْمِهِمْ مٰا تَرَكَ عَلَيْهٰا مِنْ دَابَّةٍ وَ لٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذٰا جٰاءَ أَجَلُهُمْ لاٰ يَسْتَأْخِرُونَ سٰاعَةً وَ لاٰ يَسْتَقْدِمُونَ (۶۱) وَ يَجْعَلُونَ لِلّٰهِ مٰا يَكْرَهُونَ وَ تَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ اَلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ اَلْحُسْنىٰ لاٰ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ اَلنّٰارَ وَ أَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (۶۲) تَاللّٰهِ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا إِلىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ اَلشَّيْطٰانُ أَعْمٰالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ اَلْيَوْمَ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ (۶۳)

اللغه

۵۹[يتوارى]:يستتر حياء و خجلا.

ص:۷۲

للّه المثل الأعلى

هدى من الآيات:

إن الشـرك يقتضـى أن يتنـازل البشـر عن جزء من نعم اللّه عليه لمصـلحه الآـلهه الّتى يزعم ان لهـا تأثيرا حقيقيا عليه،و لا يحق له ذلك و هذ كذب على اللّه يتحمل المشرك مسئوليته غدا.

و ينسـبون الى ربهم الأمثـال السـيئه،فمثلا ـ لأـنهم يكرهون البنـات،يجعلون لربهم البنـات،بينمـا يجعلون لأنفسـهم الـذكور الّـذين يشـتهونهم،فحين يبشـر أحـدهم بمولود أنثى،يبقى وجهه مسودا لزياده الغضب الذى يكظمه،و تراه يتخفى عن الناس،و هو متردد هـل يخفى ابنته فى التراب أم يبقى عليهـا على ذله و هوان؟ و سـاء مـا يصـفون به ربهم.انهم لافتقارهم الى مقياس الحق،و ذلك بسبب كفرهم بالآخره،يتخذون أسوأ القدوات لأنفسهم.

فدعهم فى غيهم-بالرغم من نسبتهم السيئه للّه-فإن اللّه لو أخذ الناس كلما

ظلموا أنفسهم،لما ترك عليها من دابه، و لكنه-و لحكمه- يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى،فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ .

و تراهم يصفون ربهم بما يكرهون لأنفسهم،و يزعمون أن لهم الحسنى بينما ليس لهم إلاّ النار،و انهم مجموعون إليها،و هذا ليس خاصا بهم،فلقد بعث اللّه الأنبياء بهذه الرساله للناس،فزيّن لهم الشيطان أعمالهم،و هو وليهم اليوم و لهم عذاب أليم.

بينات من الآيات:

الشرک عبوديه و ذل:

[۵۶]الشرک عبوديه و تقيد،و فقدان لاستقلال البشر و حريته أمام قوى الطبيعه أو القوى الاجتماعيه،و يتجسد الشرک فى الأغلال الّتى يضعها الإنسان لنفسه باسم الأنظمه و القوانين و يقيد بها حياته،و عاده ما يقدس البشر هذه الأنظمه.

و بكلمه:الشرک هو تنازل طوعى عن رزق اللّه لمصلحه الطبيعه أو لمصلحه مراكز القوى.

وَ يَجْعَلُونَ لِما لا يَعْلَمُونَ من الأصنام،و رؤساء القبائل،و قاده الأحزاب،و قوى التسلط،و كلما لا يعلم الإنسان ان اللّه أمر باتباعها،و ان فى اتباعها مصلحه الإنسان الحقيقيه،يجعل المشركون لهؤلاء..

نَصِيباً مِمّا رَزَقْناهُمْ أى جزء من نعم اللّه،و ذلک بسبب جهلهم بواقع الأصنام الحجريه و البشريه،

ص:۷۵

و انها لا تملک لهم شيئا،و اللّه لا يرضى أن يتنازل البشر عن حريته و كرامته و عن حقوقه شيئا،لأنّه هو الذى رزقه له لا لغيره.

تَاللّٰهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمّٰا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ [۵۷]للحياه مثلان،و فيها خطان،الأول:مثل القيم الساميه الكريمه،و خط القوه و العلم و الحريه،و الثانى:مثل الشهوات و الأهواء،و خط الضعف و الجهل و العبوديه.

و المشرك يجعل نفسه محور عقيدته،فيقيس العالم كله بما يشتهيه و يهواه، و تنقلب عنده المعايير،و يتخذ مثله من أرذل المثل،كما يتبع خط الضعف و الجهل و العبوديه.

إنّه يصبح أنانيا الى درجه ينسب كلّ خير إلى نفسه و ينسب الى ربه تعالى الكذب،و بالرغم من أن الخير و الشر عنده ليسا هما الخير و الشر فى الواقع،إلاّ انه ينسب الى ربه ما يراه هو شرا.إنک تراه ينسب الى اللّه البنات اللاتى يزعم أنهن منقصه لأبيهنّ و لكنه يرفض أن تكون له البنات،و يبحث دائما عن الذكور،فإذا افترضنا-جدلا-ان البنين خير فلما ذا لا تنسب الخير لربک،بل لنفسک فقط؟!.

وَ يَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنٰاتِ سُبْحٰانَهُ وَ لَهُمْ مٰا يَشْتَهُونَ من الأولاد.

مكانه المرأه فى الجاهليه:

[۵۸]بينما الواحد منهم يشتد غضبه إذا أخبر بأنه رزق مولودا أنثى.

و هـذا مثل من واقع المشـرك الذى يحرم نفسه من أفضل نعم اللّه من ريحانته من الدنيا،من بهجه البيت،من البنت النظره،بسـبب جهله و شركه و خضوعه للأعراف الجاهليه،انه حكم سىء جدا.

و لقـد كـانت عـاده و أد البنـات من أسوأ العـادات الشـركيه،و أول مـا بـدأ لهم ذلـك أن بنى تميم غزوا كسـرى فهزمهم،و سبى نساءهم و ذراريهم،فأدخلهن دار الملك، وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا من شده الحنق و الغضب.

وَ هُوَ كَظِيمٌ يكظم غيظه لأنه لا يجد من ينفس عنه غيظه.

[۵۹]و يتهرب من النـاس خجلا،و لكى يختلى الى نفسه و يفكر فى حـل لمشـكلته،فهـل يـدفن أبنته حيه فى الـتراب،أم يبقيهـا و يتجرع الهوان و الـذل على نفسه؟ يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أى يحتفـظ بالمولود بما فيه من ذل و هوان.

أَمْ يَدُسُّهُ فِی التُّرابِ أى يخفيه فى التراب.

أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ

ص:۷۷

و اتخذ البنات جواری و سرایا،ثم اصطلحوا بعد برهه و استردوا السبایا فخیرن فی الرجوع الی أهلهن،فامتنعن عده من البنات،فاغضب ذلک رجال بنی تمیم فعزموا ألا تولد أنثی إلاّ و أدوها و دفنوها حیه،ثم تبعهم فی ذلک بعض من دونهم،فشاع بینهم و أد البنات. (۱)

عباده الذات جذر الانحراف:

[۶۰]و الجاهلی الذی لا یؤمن بوجود مقیاس للحق غیر ذاته،حیث یجعل أهواءه و شهواته و نزعاته الفردیه و الإقلیمیه،و الاستکبار علی الناس،و ظلمه للضعفاء، و یجعل خیالاته و أساطیره الموروثه،یجعل-بالتالی-کلما یتصل بجانب الضعف و العجز و الاستسلام مثلا أعلی لنفسه،لأنه لا یری أن هناک یوما یطبق فیه الحق بلا لبس و لا خداع و لا نقیصه،فلما ذا البحث عن الحق؟و لماذا یجعله أساسا لحیاته، و مقیاسا لتقییم الأشیاء؟ و شیئا فشیئا یرحل عن قلبه ذلک الضوء الذی کان یهدیه أبدا للحق،فلا تبقی فی قلبه إلاّ ظلمات الشهوات.

لِلَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ مَثَلُ السَّوْءِ و هذه الآیه الکریمه تشهد بما شهدت به الآیه الأخر فی سوره صلی الله علیه و آله : فَاحْکُمْ بَیْنَ النّٰاسِ بِالْحَقِّ وَ لاٰ تَتَّبِعِ الْهَویٰ فَیُضِلَّکَ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ إِنَّ الَّذِینَ یَضِلُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذٰابٌ شَدِیدٌ بِمٰا نَسُوا یَوْمَ الْحِسٰابِ . (۲)

فلقد کان نسیان الحساب و یومه سببا للضلاله.

ص:۷۸

۱- ۱) المیزان-ج ۱۲-ص ۲۷۷.

۲- ۲) ./۲۶ص.

وَ لِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلىٰ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إن أعلى مثل يتطلع لتحقيقه البشر،هو الوصول إلى القوه و الفضيله،لكى يحقق الفضيله بما يملكه من قوه،و اللّه عزيز و حكيم،و من يتبع مثل اللّه فهو يصل إلى العزه و الحكمه باذنه.

و القرآن يهدى بهذه لكلمه الى ما يحب به كلّ منا بوجدانه،إذ أن هناك خطان خط الهدى و العقل،و خط الظلم و الطغيان.و من يؤمن بالآخره سيصل بإيمانه بيوم الحساب الى الخط الأمثل.

حكمه الأجل:

[۶۱]و لكن لماذا يترك اللّه العزيز الحكيم الناس يخالفون الحق،بل ينسبون الى اللّه الأمثال السيئه؟أ فلا يدل ذلك على رضا اللّه بما يفعلون؟كلا..انما هى حكمته و رحمته.

وَ لَوْ يُؤٰاخِذُ اللّٰهُ النّٰاسَ بِظُلْمِهِمْ مٰا تَرَكَ عَلَيْهٰا مِنْ دَابَّةٍ وَ لٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذٰا جٰاءَ أَجَلُهُمْ لاٰ يَسْتَأْخِرُونَ سٰاعَةً وَ لاٰ يَسْتَقْدِمُونَ إنّ كلّ دابه فى الأرض تظلم فى أىّ وقت و بالنسبه إلى أىّ شيء،تكفى سببا لعذاب اللّه،و لأن اللّه الذى خلق الأحياء للإنسان و سخرها له،فإن ظلم الإنسان يكفى سببا فى هلاك الدواب جميعا،و هكذا أغرق اللّه فرعون و جزء من دوابه، و أهلك اللّه عادا و ثمود و المؤتفكه و قوم لوط بدوابهم و مواشيهم.

[۶۲]و يكفى الجاهليين ذنبا ما يفترون على اللّه،أ فلا نرى كيف يجعلون للّه تلك البنات الّتى يكرهونها لهم؟!

ص:۷۹

وَ يَجْعَلُونَ لِلّٰهِ مٰا يَكْرَهُونَ وَ تَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنىٰ و يزعمون أن الأولاد الذكور شيء حسن،و انهم لهم،كلا..أن الأولاد فتنه،و عدم الوفاء بحقوقهم يؤدى بهم إلى وسط النار.

لاٰ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النّٰارَ أى حقا،و بلا حاجه إلى تفكر.

وَ أَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ أى معجلون إلى النار من قولهم:فرط و إفراط،إذا تقدم،و الإفراط الإسراف، و سره ان صاحبه يتقدم الآخرين،و معنى الآيه-على هذا التفسير-ان أصحاب هذه النظريه أول من يدخل النار.

لماذا التسافل؟

[۶۳]و يبقى السؤال:لماذا هبط هذا الفريق الى هذا الحضيض؟لماذا افتروا على اللّه الكذب؟ لأنهم عملوا السيئات فزين لهم الشيطان أعمالهم،فأصبح الشيطان أقرب صديق لهم،و كان لهم العذاب الأليم.

تَاللّٰهِ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا إِلىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰانُ أَعْمٰالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ ربما يدل لفظ اليوم على مرحله ما بعد التزيين،سواء فى الدنيا أو بعد الموت،أما

هنا فان انحرافهم عن الحق يجعلهم يبحثون أبـدا عن شـياطين الأنس لاتباعهم،أما فى الآخره فان هؤلاء الأشـخاص يقودونهم الى نار جهنم.

وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ

[سوره النحل (۱۶): الآيات ۶۴ الى ۷۴]

اشاره

وَ مٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْكَ اَلْكِتٰابَ إِلاّٰ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ اَلَّذِي اِخْتَلَفُوا فِيهِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۶۴) وَ اَللّٰهُ أَنْزَلَ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مٰاءً فَأَحْيٰا بِهِ اَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (۶۵) وَ إِنَّ لَكُمْ فِي اَلْأَنْعٰامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمّٰا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَناً خٰالِصاً سٰائِغاً لِلشّٰارِبِينَ (۶۶) وَ مِنْ ثَمَرٰاتِ اَلنَّخِيلِ وَ اَلْأَعْنٰابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَ رِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (۶۷) وَ أَوْحىٰ رَبُّكَ إِلَى اَلنَّحْلِ أَنِ اِتَّخِذِي مِنَ اَلْجِبٰالِ بُيُوتاً وَ مِنَ اَلشَّجَرِ وَ مِمّٰا يَعْرِشُونَ (۶۸) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ اَلثَّمَرٰاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهٰا شَرٰابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوٰانُهُ فِيهِ شِفٰاءٌ لِلنّٰاسِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (۶۹) وَ اَللّٰهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفّٰاكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلىٰ أَرْذَلِ اَلْعُمُرِ لِكَيْ لاٰ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اَللّٰهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (۷۰) وَ اَللّٰهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلىٰ بَعْضٍ فِي اَلرِّزْقِ فَمَا اَلَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلىٰ مٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوٰاءٌ أَ فَبِنِعْمَةِ اَللّٰهِ يَجْحَدُونَ (۷۱) وَ اَللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوٰاجاً وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ بَنِينَ وَ حَفَدَةً وَ رَزَقَكُمْ مِنَ اَلطَّيِّبٰاتِ أَ فَبِالْبٰاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَتِ اَللّٰهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (۷۲) وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ مٰا لاٰ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ شَيْئاً وَ لاٰ يَسْتَطِيعُونَ (۷۳) فَلاٰ تَضْرِبُوا لِلّٰهِ اَلْأَمْثٰالَ إِنَّ اَللّٰهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ (۷۴)

ص:۸۲

الكتاب مقياس الحق و مظهر الرحمه

هدى من الآيات:

إن للحق مقياسا يتجسد فى الآخره فى الحساب،و يتجلى فى الدنيا بالكتاب الذى أنزله اللّه لفض الخلافات،و إيصال الناس إلى صميم الحق،و توفير الرفاه لمن يؤمن منهم به.

و الكتاب مظهر لرحمه اللّه،كما ماء السماء الذى يحيى به اللّه الأرض بعد موتها،و من يسمع حق السمع يستدل بهذه النعمه على رحمه اللّه،فلا يضرب للّه الأمثال الباطله،بل يهتدى إلى أن لربه المثل الأعلى،أو ليس اللّه أودع فى حياه الأنعام عبره،كيف يسقى اللّه من بعض الأجهزه و الأعضاء المودعه فى بطونها المحتويه على فرث و دم،يسقينا لبنا خالصا هنيئا لمن يشربه؟! و من رحمته انه رزقنا من ثمرات النخيل و أنواع التمور،و من ثمرات الكروم، و أنواع الأعناب ما نتخذ منه سكرا حلوا،و رزقا حسنا،إن هذه عبره أخرى و آيه لقوم يعقلون.

ص:۸۴

و قد أوحى ربنا الى النحل لكى تتخذ من الجبال بيوتا،و كذلك تبنى بيوتا فى الشجر،و فيما يبنيه الناس من العمارات المختلفه،ثم أمرها اللّه بأن تأكل من كل الثمرات، ثم تتحرك عبر السبل الّتى جعلها اللّه لها،فإذا ببطونها تصبح بإذن اللّه ينبوعا لشراب مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ ،و هكذا يصل المتفكرون إلى ما وراء هذه الظاهره من آثار رحمه اللّه.

و تقلبات الحياه البشريه كيف أنه يخلقه اللّه ثم يميته،و البعض من الناس يطول عمره و يصل إلى وضع غير محمود،حتى لا يعلم بعد علم شيئا.

و هكذا فضّل اللّه الناس بعضا على بعض فيما رزقهم إياه بحكمته،فلا يستطيع ذوى الفضل أن يعطوا رزقهم لمن هو دونهم،و يملّكونهم حتى يصبحوا سواء،و لكن مع كل ذلك نجدهم يكفرون بنعمه اللّه،و يتخذون من الرزق وسيله للاستعلاء.

و هكذا جعل اللّه للناس أزواجا من أنفسهم،و رزقهم الذريه و الأولاد، و رزقهم من الطيبات،و مع ذلك يتركون نعمه اللّه و يؤمنون بالباطل المتجسد فى الشركاء من دون اللّه،الّذين لا يملكون شيئا من الرزق من السموات و الأرض،و لا يستطيعون شيئا.

كل هذه الآيات و غيرها تدل على أن للّه المثل الأعلى،و لا يجوز لنا ان نقيس ربنا بخلقه،و نضرب له الأمثال الباطله،فإن اللّه يعلم الحق و نحن لا نعلم،و لا يجوز أن يحكم الجاهل على العالم سبحانه!

بينات من الآيات:

الكتاب ميزان الحق:

[۶۴]كما أن للحق مقياسا ثابتا يتجلى فى اليوم الآخر على شكل جزاء،فلا

ص:۸۵

تختلط هنا لک الشهوات بالعلم،و لا الخرافات المزيفه للنفس بالحق،کذلک فی الدنيا أنزل اللّه کتابا ينطق بالحق،و يفرّق الحق عن الباطل.

وَ مٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْکَ الْکِتٰابَ إِلاّٰ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِی اخْتَلَفُوا فِيهِ و لکن ليس هذا هو الهدف الوحيد،بل لکی يبلغ الإنسان بالکتاب عمق الحق فيهتدی اليه،ثم لکی ينال بتطبيقه علی ذاته رحمه و رفاه جم.

وَ هُدیً وَ رَحْمَهً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ان من لا يؤمن بالحق ينتفع بالکتاب فائده واحده هی:رفع الخلاف الظاهر بينه و بين الآخرين،کما استفاد الأعراب من الإسلام قبل أن ينفذ الأيمان الی قلوبهم،فقد خضعوا للإسلام کحکم سياسی،فنفعهم تسليمهم له وحده سياسيه، و لکن بعد أن آمنوا وصلوا بأنفسهم الی الحق،و نالوا الخير الواسع.

القرآن مطر الرحمه:

[۶۵]و کتاب اللّه کماء السماء يحيی اللّه به الأرض بعد موتها.

وَ اللّٰهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَأَحْيٰا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآيَهً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سوف نستمع الی ثلاث عبارات جاءت کشرط مسبّق لاستيعاب عبره الحياه، و فهم خلفيات الطبيعه و هی بالتدريج.السمع،و العقل،و التفکر،و هی مراحل العلم الذی يهب اللّه للإنسان نوره،ثم يسلبه إذا بلغ أرذل العمر،و هی مرحله الإحساس المباشر،أو التجربه البسيطه الآتيه عن طريق السمع،و هی أقرب الاحاسيس إلی الشؤون العقليه،کما أنها وسيله حضاريه لنقل تجارب الأجيال

ص:۸۶

لبعضها،و لنقل تجارب الناس المعاصرين لبعضهم،ثم تأتی مرحله الحفظ و تراکم التجارب الّتی هی العقل حسبما

جاء فی الحدیث الشریف:

«العقل من العقال » و ان

«العقل حفظ التجارب »فی النهایه تأتی مرحله التفکر،و ذلک بربط التجارب إلی بعضها مما نسمیه نحن بالتحلیل أو التعقل،و یبدو أن المعرفه الحق لا ـ تحصل من دون اجتیاز المراحل جمیعا،و لکن القرآن الحکیم ربط بین کل مرحله و بین آیه إلهیه لحکمه بالغه قد لا نفهمها الا بالتدبر.

الأنعام عبره و رحمه:

[۶۶]و یتجلی اسم الرحمه الإلهی فی الأنعام الّتی نعتبر بها عند أدنی نظره، و نتعرّف من خلال النظر إلیها علی الهدف من خلقها،و ما یتصل بهذا الهدف من هدف أسمی لخلقه البشر هو العلم و العمل.

وَ إِنَّ لَکُمْ فِی الْأَنْعٰامِ لَعِبْرَةً فمن خلال النظر فیها و التدبر فی أمورها،ننفذ إلی الهدف منها،و لکن کیف؟ نُسْقِیکُمْ مِمّٰا فِی بُطُونِهِ مِنْ بَیْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ کیف یمیز اللّه اللبن عن الفرث،و هی الزیاده الّتی تهبط إلی الکرش قبل ان تخرج فتصبح سرجینا،و عن الدم الذی یجری فی العروق لیصبح.

لَبَناً خٰالِصاً

ص:۸۷

من الشوائب و الجراثيم.

سٰائِغاً لِلشّٰارِبِينَ ففيه الفائده لخلوصه،و اللذه لأنه هنىء يحبه الطبع البشرى.

[۶۷]و آيه أخرى هى الثمار النافعه كالرطب و العنب،و ما ينتهيان اليه من السكر و التمر و الزبيب.

وَ مِنْ ثَمَرٰاتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنٰابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَ رِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ و لا ريب أن ثمرات النخيل و الكروم من أفضل الرزق مذاقا،و فائده طيبه،أما السّكر فقد اختلفت كلمات العلماء فيها،و أمثل القول ما جاء مأثورا عن ابن عباس أنه قال:«السكر ما حرم من ثمرها،و الرزق الحسن ما حل من ثمرها» (۱)و قد يوسع فى معنى السكر حتى يشمل عدم الانتعاش،و لا ريب أن العنب و التمر يسببان انتعاشا،و الانتعاش بها لا يبلغ مستوى فقدان العقل حتى إذا زاد منه الشارب.

النحل آيه بينه:

[۶۸]و هناك رزق الهى يختلف عما ينبت من الزرع أو يجرى من الضرع هو:

العسل الذى هيّأ اللّه النحل له،حيث ألهمه أن يبنى بيوته السداسيه الشكل، البارعه و البالغه الدقه،و ذلك فى كنف الجبال،أو فى سوق الأشجار،أو فى الأبنيه.

۱- ۱) مجمع البيان ج ۶-صفحه ۳۷۱

وَ أَوْحىٰ رَبُّکَ إِلَی النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِی مِنَ الْجِبٰالِ بُیُوتاً وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمّٰا یَعْرِشُونَ و قال بعضهم أن العرش هو:الکروم الّتی تقام فوق ساباط مرتفع.

معنی الوحی:

و نتسائل:کیف الوحی؟ قبل الإجابه لنعرف معنی الکلمه،و الّتی یقول عنها اللغوی الراغب:الوحی الإشاره السریعه،و ذلک یکون بالکلام علی سبیل الرمز،أو بصوت مجرد عن الترکیب،أو بإشاره و نحوها.

و قال العلامه الطباطبائی:و المحصل من موارد استعماله:أنه إلقاء المعنی بنحو یخفی علی غیر من قصد إفهامه.

۱)/فالالهام بإلقاء المعنی فی فهم الحیوان من طریق الغریزه من الوحی:

«وَ أَوْحىٰ رَبُّکَ إِلَی النَّحْلِ».

۲)/و کذا ورود المعنی فی النفس عن طریق الرؤیا: «وَ أَوْحَیْنٰا إِلىٰ أُمِّ مُوسىٰ » (القصص۷/).

۳)أو ورود المعنی فی النفس عن طریق الوسوسه: «إِنَّ الشَّیٰاطِینَ لَیُوحُونَ إِلىٰ أَوْلِیٰائِهِمْ» (الأنعام۱۲۱/).

۴)و من الوحی التکلیم الإلهی لأنبیائه و رسله: «وَ مٰا کٰانَ لِبَشَرٍ أَنْ یُکَلِّمَهُ اللّٰهُ إِلاّٰ وَحْیاً» (الشوری۵۱/).

ص:۸۹

و الوحى من اللّه الى النحل يتناسب و جو الآيات العام،الـذى يهدينا الى آيات اللّه فى الحياه،ليبرز دور الإلهام فى العلم،ابتداء من إنزال الكتاب،إلى العلم الذى يسلبه اللّه عمن يبلغ أرذل العمر.

حيث ان الآيه هذه تشير الى دور الألهام المباشر من قبل اللّه فى حياه النحل، فكيف بالإنسان؟و ان من يتعالى على الوحى المنزل من السماء فانما يتكبر على أوضح و أبسط الحقائق الّتى يعيشها فى حياته،و هى النور الذى يضيء له دروب الحياه،و قد يكون ذلك سببا لتسميه هذه السوره المباركه باسم النحل.

[٦٩]ثم أمر اللّه النحل بان تأكل من زهره الأثمار،و الّتى هى خلاصه مواد الثمر قبل بروزه،متخذه السبل الإلهيه،و الأنظمه الّتى وضعها اللّه للحياه،حتى تتحول تلك الزهرات الى شراب سائغ.

ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرٰاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً أى الطرق المعبده الّتى هيأها اللّه لك،فقد جعل اللّه للهواء سبلا كما للأرض،و هى الأيسر سلوكا و الأقل مطبات هوائيه،و يتعرف عليها الطيارون بصعوبه،بينما أوحى اللّه بها إلى النحل و غيره مما يطير بجناحيه.

يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهٰا شَرٰابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوٰانُهُ و العسل يلقيه النحل من فيه،بعد أن يتفاعل فى بطنه،و لذلك عبر ربنا عن ذلك بأنه يخرج من بطون النحل.

فِيهِ شِفٰاءٌ لِلنّٰاسِ من أمراض مختلفه،و يعطى الجسم حيويه و مناعه عن الأمراض.

إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ إن النحل هذا الحیوان المستهان فی الدنیا،یأمره اللّه بأن یحقق هذا الهدف، و علّمه وسائل ذلک و کیف یبنی بیته؟و کیف یتخذ لنفسه یعسوبا،و کیف یتوالد؟ کل هذه السنن الإلهیه تستقطب اهتمامنا،و تجعلنا نعترف خاشعین بأن للکون المهیب إلها یدبر شؤونه سبحانه،و یبدو أن معرفه أسرار النحل بحاجه إلی بحث مثابر،و لذلک عقّب اللّه الآیه بأن النحل آیه للمتفکرین،بینما لا تحتاج آیه الثمرات إلی ذلک الجهد الفکری،بل إلی حفظ التجارب الزراعیه،لذلک بین السیاق هناک ان الثمرات آیه لمن یعقلون،و اکتفی فی مراقبه الأمطار بالسماع فقال:

«لَآیَهً لِقَوْمٍ یَسْمَعُونَ» و هکذا تختلف أسرار الحیاه فبعضها تفهم بأقل دراسه،بینما بعضها الآخر تفهم بدراسه معمقه،و تبقی بعضها متوسطه.

دلیل التدبیر:

[۷۰]و تطورات الحیاه البشریه تهدینا إلی تلک الإراده الّتی توجه حیاتنا،لقد خلقنا اللّه و حین یشاء یسترد أمانته منا فیمیتنا،و قد یشاء أن یعمّر الفرد طویلا حتی یبلغ سن الدناءه،فاذا به یفقد ما حصل علیه أیام شبابه من علم و خبره.

وَ اللّٰهُ خَلَقَکُمْ ثُمَّ یَتَوَفّٰاکُمْ وَ مِنْکُمْ مَنْ یُرَدُّ إِلیٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ أی العمر الأکثر هبوطا،کما کان فی أیام الصبا و الطفوله.

لِکَیْ لاٰ یَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَیْئاً إِنَّ اللّٰهَ عَلِیمٌ قَدِیرٌ فأصل علم الإنسان هبه الهیه،و یزداد بالسمع و الاعتبار و التعقل و التفکر، بینما علم اللّه واسع دائم.

ص:۹۱

حدود الحريه البشريه:

[۷۱]و الإنسان حرفی الحیاه،و لکن حریته محدوده،مما یهدینا إلی أنّ ید الغیب تدبر حیاته،و أن الحریه المحدوده التی یملکها إنما هی لاختباره و لیست من ذاته،لذلک تری مواقع الناس فی المجتمع و الدرجات العلیا أو الدنیا التی یتفاضلون عبرها،إنها نفوذ إلی أصول تکوینیه صعبه التغییر،أو مستحیله التغییر،فلقد فضل اللّه بعض الناس علی بعض فی الذکاء،أو فی النشاط،أو الصحه،و تهیئه فرص التقدم،فهل یقدر هؤلاء علی تحویل صفاتهم إلی أولئک؟کلا..

وَ اللّٰهُ فَضَّلَ بَعْضَکُمْ عَلیٰ بَعْضٍ فِی الرِّزْقِ و هو النعمه الّتی یهبها اللّه للإنسان بسعیه،و طیب نفسه،أو امتحانه و ابتلاء الناس به مثل:العلم،و العافیه،و الأمن.

فَمَا الَّذِینَ فُضِّلُوا بِرَادِّی رِزْقِهِمْ عَلیٰ مٰا مَلَکَتْ أَیْمٰانُهُمْ فَهُمْ فِیهِ سَوٰاءٌ فلا یقدر الّذین فضلهم اللّه أن یعطوا رزقهم الإلهی لمن هم دونهم،و لمن هم محکومون لهم.

و التعبیر القرآنی: «مٰا مَلَکَتْ أَیْمٰانُهُمْ» یوحی بالرّقیه الّتی کانت شائعه فی أیام نزول القرآن-و یبدو لی-أنه یشمل أیضا کل المراتب الاجتماعیه الّتی یقتضیها التفاضل بین الناس فی الکفاءات الطبیعیه،ذلک لأن الکفاءه تقتضی -بالطبع-هیمنه صاحبها علی من هو دونه فیها،فالعلم و القوه یعلوان الجهل و الضعف،و صاحبهما یملک و لو بنسبه معینه من لا علم و لا قوه له.

و لا أحد ينكر اختلاف الناس فى الكفاءه الطبيعيه،و ان هذه الكفاءه لا تقبل التحول من صاحبها الى من هو دونه،حتى يصبحوا جميعا سواء فيها.

إن نظام الكون قائم على التفاعل بين أجزائه،و قد أمرت سنه اللّه فى الناس ان يتعاون بعضهم مع بعض مثلما تتفاعل أجزاء الكون،و لكى يتعاونوا احتاج بعضهم إلى البعض الآخر،و اختلفت كفاءاتهم،و لو استغنى الناس عن بعضهم إذا لبقوا كالحيوانات يعيشون أفرادا،و لم يتقدموا و لا خطوه واحده فى طريق الحضاره.

أَ فَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ إن نعمه التفاضل الّتى تنتهى إلى التعاون و التقدم نعمه كبيره،لا بد من شكرها عن طريق رضا الناس بها و قبولها كواقع،ثم انطلاق كل واحد من موقعه فى سبل الخير و الفضيله.

نعمه الأزواج:

[۷۲]والى جانب نعمه التفاضل الطبيعى،و نعمه الحاجه المتبادله،و بالتالى نعمه التعاون الذى فرض على البشر فرضا،نجد نوعا آخر من الحاجه المتبادله و الّتى تؤدى إلى التعاون و هى الحاجه الى الزوج.

وَ اللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوٰاجاً وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ بَنِينَ وَ حَفَدَةً فلو لا الحاجه النفسيه و الفيسولوجيه و الاجتماعيه القائمه بين الزوج و الزوجه لما تم هذا التعاون العميق و الواسع بين الزوجين.

إنها نعمه كبيره أسبغها اللّه علينا،إذ جعل لنا من أنفسنا أزواجا،و كأنهن

ص:۹۳

فلقه منـا،انتزعت من كـل ابعاد وجودنا،و كأن كل جزء فى الـذكر أنفصل عنه جزء فى الأنثى،و انه يبحث عنه حتى يلتقى الـذكر بالأنثى،فتلتقى كل أجزاء وجوديهما الجسديه و النفسيه و العقليه.

و من الأزواج ينسل البنين و البنات،و أزواج البنات و هم الحفـده،أو أبناء البنين كما جاء فى تفسـير آخر،أو أبناء البنات كما جاء فى حـديث كريم،و أصل الكلمه مشـتق من لفظه الحفد و هو:الإسـراع فى العمل،و منه قيل للأعوان«حفده» لإسـراعهم فى الطاعه (1).

و يبدو أن الحفيد هو الفرد الذى يخدم الشخص،سواء كان ابن ابنه أو ابن بنته أو زوج بنته أو ابنها.

وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبٰاتِ و كلما كثر نسل الفرد زادت نعم اللّه عليه،بينما يقتضـى الحساب البشرى ان يتناقص،أو لا يدل على أن اللّه هو الرزاق؟ أَ فَبِالْبٰاطِلِ يُؤْمِنُونَ و يزعمون أن رازقهم الأغنياء أو الدوله أو الأصنام.

وَ بِنِعْمَتِ اللّٰهِ هُمْ يَكْفُرُونَ أى هؤلاء الّذين أنعم اللّه عليهم،تراهم يكفرون بنعمته،حيث يتوجهون تلقاء الشركاء من دونه.

ص:94

1- 1) مجمع البيان ج 8-صفحه 373

لماذا الإصرار؟

[۷۳]أ ترى الغباء و السفاهه؟كيف يترك البشر خالقه الرزّاق،و يتوجه بالعباده و الطاعه لمن لا يملك رزقا،و لا يقدر على أن يسلبه رزقه؟! وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ شَيْئاً وَ لا يَسْتَطِيعُونَ و ربما توحى كلمه الاستطاعه بالقدره الّتى يكتسبها البشر اكتسابا،بينما الرزق و الملك قد يأتيان بلا تعب،و الأصنام لا تملك و لا تستطيع،أو بتعبير آخر:لا تقدر على شيء من الرزق سعت أو لم تسع فى سبيل القدره.

[۷۴]كيف يشبه البشر ربه بخلقه؟ فَلا تَضْرِبُوا لِلّهِ الْأَمْثالَ فتقولوا:فلان يرزقنا.

إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ اللّه يعلم انه الخالق الرازق،و البشر لا يعلم شيئا الا بما علّمه اللّه،فلا يحق للبشر ان يتخيل ربه أو يتوهمه سبحانه،أو يحدد لفعله كيفا أو مكانا.

ص:۹۵

[سوره النحل (۱۶): الآیات ۷۵ الی ۸۳]

اشاره

ضَرَبَ اَللّٰهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لاٰ يَقْدِرُ عَلىٰ شَيْءٍ وَ مَنْ رَزَقْنٰاهُ مِنّٰا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَ جَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ (۷۵) وَ ضَرَبَ اَللّٰهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمٰا أَبْكَمُ لاٰ يَقْدِرُ عَلىٰ شَيْءٍ وَ هُوَ كَلٌّ عَلىٰ مَوْلاٰهُ أَيْنَمٰا يُوَجِّهْهُ لاٰ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ هُوَ عَلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ (۷۶) وَ لِلّٰهِ غَيْبُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مٰا أَمْرُ اَلسّٰاعَةِ إِلاّٰ كَلَمْحِ اَلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اَللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۷۷) وَ اَللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهٰاتِكُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ جَعَلَ لَكُمُ اَلسَّمْعَ وَ اَلْأَبْصٰارَ وَ اَلْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۷۸) أَ لَمْ يَرَوْا إِلَى اَلطَّيْرِ مُسَخَّرٰاتٍ فِي جَوِّ اَلسَّمٰاءِ مٰا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اَللّٰهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۷۹) وَ اَللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ اَلْأَنْعٰامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهٰا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَ يَوْمَ إِقٰامَتِكُمْ وَ مِنْ أَصْوٰافِهٰا وَ أَوْبٰارِهٰا وَ أَشْعٰارِهٰا أَثٰاثاً وَ مَتٰاعاً إِلىٰ حِينٍ (۸۰) وَ اَللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمّٰا خَلَقَ ظِلاٰلاً وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ اَلْجِبٰالِ أَكْنٰاناً وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرٰابِيلَ تَقِيكُمُ اَلْحَرَّ وَ سَرٰابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (۸۱) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمٰا عَلَيْكَ اَلْبَلاٰغُ اَلْمُبِينُ (۸۲) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اَللّٰهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهٰا وَ أَكْثَرُهُمُ اَلْكٰافِرُونَ (۸۳)

اللغه

۷۶[أبکم]:الذی یولد أخرس لا یفهم و لا یفهم.

ص:۹۶

يعرفون نعمه اللّه ثم ينكرونها

هدى من الآيات:

قد يفقد البعض منا القدره الطبيعيه،إمّا لقانون اجتماعى أو لنقص طبيعى، فيقعد به العجز عن أىّ عمل،كالعبد المملوك أو الأبكم،و يضرب القرآن بهما مثلا على واقع الكافر الذى يفقد قدره الايمان و العدل و الحق.

و اللّه سبحانه الذى يؤمن به المؤمنون عالم،و قادر،فعنده غيب السماوات و الأرض،و تتجلى قدرته فى الساعه،فأمرها مثل خطفه أو أقرب.

و اللّه مصدر العلم،أو لم يخرجنا اللّه من بطون الأمهات لا نعلم شيئا؟ثم وهب لنا السمع و الأبصار و القلوب بهدف الشكر له! و اللّه مصدر القدره،فهو الذى سخر الطير فى جو السماء،لا يستطيع أحد أن يحفظهن الا اللّه،ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون.

و اللّه مصدر الرحمه،فقد جعل للناس سكنا فى بيوتهم،كما وفر لهم من جلود

الانعـام بیوتـا خفیفه فی السـفر و الحضـر،و هیأ لهم من أصواف و أوبار و أشـعار الانعام متاع البیت.من فراش و دثار و معاش الی حین الانتقال من دار الدنیا الی دار القرار.

و هو الـذی وفر للإنسـان الظلال و الملابس السـلمیه و الحربیه،لتقیه من عاریه الطبیعه و من بأس بعضـهم،و أتم نعمته علی البشـر لکی یسلم وجهه الی اللّه،و لکنه یتولی و یعرض،و یکتفی الرسول بإبلاغ الرساله،لأن الأدله واضحه إذ یعرفون نعمه اللّه و لکنهم ینکرونها،و أکثرهم کافرون بربهم.

بینات من الآیات:

ظلم الطاغوت:

[۷۵]عنـد ما کانت الملکیه المطلقه نظاما سائـدا فی المجتمعات قبل انتشار نور القرآن،و کان العبد المملوک لا یقدر علی شـیء إلا بأذن مولاه.یضـرب القرآن بذلک العبد مثلا علی واقع ذلک الإنسان الذی یقید نفسه بإغلال الشـرک،فیجعل نفسه عبدا لغیره و قد خلقه اللّه حرا.

ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوکاً لا یَقْدِرُ عَلی شَیْءٍ و یمکننا ان نضـرب ذات المثل من واقع الشـعوب الّتی اسـتعبدها الأقویاء،و لم یترکوا لها شـیئا یتصـرفون فیه بحریتهم،هل هم سواء و من أنعم اللّه علیه بالایمان، و حرر نفسه من أغلال الشرک و عبودیه ذوی الثروه و السلطه و التضلیل؟! وَ مَنْ رَزَقْناهُ مِنّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ یُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَ جَهْراً هَلْ یَسْتَوُونَ کلا..الذی أعطاه اللّه الحریه و زوده بحب الخیر فهو لا ینفق ریاء،و لا یکتم إنفاقه عن الناس خوفا،بل ینطلق فی إنفاقه من إرادته الحره،یستهدف مرضاه اللّه،

و لا يرجو و لا يخشى أحدا.

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الذى هيأ للإنسان كل فرص الخير،و وفر له الحريه الكامله،و زوده بالأحاسيس الخيره.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ و الجهل آفه الحريه،و لأن الجهل يتفشى فى الأمم الضاله،فانه يسهل استعبادهم من قبل الطغاه.

ظلام الجبت:

[۷۶]كان ذلك مثلا ضربه القرآن الحكيم من واقع شخص سلبه الطاغوت حريته،و حوّله الى موجود عاجز،و يضرب القرآن مثلا آخر من واقع من يسلبه الجبت حريته،فاذا به كالأبكم الذى ولدته أمه و أذنه صماء لا تسمع شيئا،فلم يتعلم اللغه و لم يتفاعل مع الحضاره،و بقيت تجاربه محدوده بحدود ذاته،كالإنسان الذى ينمو فى غابه،هل يستوى هو و من أوتى العداله و الاستقامه؟ وَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمٰا أَبْكَمُ لاٰ يَقْدِرُ عَلىٰ شَيْءٍ وَ هُوَ كَلٌّ عَلىٰ مَوْلاٰهُ أى ثقيل على من يلى أمره و يشرف عليه..

أَيْنَمٰا يُوَجِّهْهُ لاٰ يَأْتِ بِخَيْرٍ كلما يبعثه الى مكان لا ينفع شيئا.

ص:١٠٠

هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ فهذا الذى يأمر بالعدل فصيح اللسان قوى الجنان لا يخضع للضغوط و لا يخشى من التهديد.

وَ هُوَ عَلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ فهو قادر على أن يحقق أهـدافه من أقرب الطرق ان هذان مثلان للمشـرك و الموحّد،فبينما المشـرك منغلق على ذاته،لا يكاد ينفتـح على العالم من حوله،بل يجحـد بآيات اللّه و يعبـد ذاته،و لا يسـمع و لا يعقل و لا يتفكر،و لذلك فهو ليس فقـط لاـ يقـدر على التخطيـط السـليم لنفسه،بـل إذا خطـط الآـخرون له شـيئا لا يقـدر على إنجازه،أقول:بينما المشـرك هكذا،ترى الموحد ليس فقط عادلا بنفسه،بل و يقود الآخرين نحو العداله.

و هذان المثلان يمكن تطبيقهما على الجاهل و العالم أيضا،لأن السياق يتحدث عن العلم أيضا.

[۷۷]و العلم و القدره عند اللّه،و العلم مفتاح القدره.

وَ لِلّٰهِ غَيْبُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ و لعلمه المحيط بكل شىء.

وَ مٰا أَمْرُ السّٰاعَهِ إِلاّٰ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ فهو يأمر بها فى أقل من رمشه العين فتأتمر.

إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

و من أراد العلم و القدره،فعليه أن يؤمن باللّه،و يتوكل عليه.

[۷۸]هـل العلم من ذواتنـا نحن البشـر؟إذا لكنـا عـالمين منـذ الميلاـد؟ كلاّ..حينمـا أخرجنا اللّه لم نكن نعلم شـيئا،ثم هيّأ الرب لنا وسائل العلم الظاهره و الباطنه،فأعطانا السمع و الأبصار،كما أعطانا الأفئده.

وَ اللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهٰاتِكُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصٰارَ و السّـمع هو:الأحساس الـذى يتقـدم ذكره فى القرآن،لأنه الاـداه الأولى لنقـل تجـارب الأجيـال الى بعضـها عبر اللغه،كمـا انها تنقل أيضا المفاهيم العامه الّتى تتجاوز الظواهر الجزئيه،ففائـدتها أهم و التعبير عنها يأتى بصـيغه مفرد(فلا يقال اسـماع)لأن المفاهيم العامه أقرب الى المجردات الكلّيه،و يلاحظ فيها العموم الذى يتجلى بالأفراد،بينما الجزئيات الّتى تعرف عن طريق البصر يلاحظ فيها التنوع، فهى أقرب الى الجمع.

وَ الْأَفْئِدَةَ و هى القلوب الّتى تجمع الأفكار و تحلل المعلومات،و لولاها لما كانت الحواس مفيده الا بقدر فائدتها للحيوان أو أقل.

لعلكم تشكرون:

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ الهدف الأسمى لنعم اللّه على البشر ليس التكامل الجسدى و المادى،بل المعنوى و الروحى،و التعرف على النعم و على اهميتها،و على الفوائد الكبيره لها،

ص:۱۰۲

و الانتفـاع بهـا فيمـا أمر اللّه،و فيما خصـصت النعم لها،و التعرف من خلالها بالتالى -إلى ينبوع الخير و معـدن الرحمه،إلى الرفيق الأعلى..كل ذلكم أسمى من الاستفاده الجزئيه لهذه النعم حسب الحاجات العاجله،و كل ذلك يجمعه معنى الشكر.

و الآيه هـذه لا تعنى أن العقل و بالتالى العلم ينشأ بتكامل طبيعى عنـد البشـر، بل بالعكس تماما،إذا كدت الآيه على ان ربنا جعل لنا الأفئده الّتى هى مركز العقل،فمن دون هذه النعمه كيف كان يتسـنى لنا العلم؟ [۷۹]و أشرف العلم معرفه اللّه،و لا تتم المعرفه من دون الايمان،إذ تبقى الشهوات و صفه الشرك كالسدود المنيعه الّتى لا تدع تيار المعرفه ينفذ الى القلب.

ان الجاحـد لاـ يرى فى الطيور الّتى تسـبح فى الفضاء الا ما تسـجله اداه التصوير، بينما المؤمن تنفـذ بصـيرته الى معرفه اللّه الـذى أمسك الطيور فى جو السّماء.

أَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرٰاتٍ فِى جَوِّ السَّمٰاءِ مٰا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّٰهُ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ اى فى الهـواء المحيط بالأـرض،و لو لاـ الهواء لمـا كـانت الطيور قـادره على البقـاء فى الجو،و لو لاـ الجـاذبيه المحيطه بالأـرض لقـذفت الطيور بمجرد صعودهن فى كره أخرى، أو فى الفضاء اللامتناهى.

[۸۰]و هكذا القلب المؤمن الذى أسلم للّه يعرف ما وراء نعم اللّه من عبر و أهداف.

وَ اللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً أى محلا تسكنون اليه.

وَ جَعَلَ لَكَمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعٰامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهٰا يَوْمَ ظَعْنِكَمْ وَ يَوْمَ إِقٰامَتِكَمْ اى بيوت الجلد الّتى هى خفيفه للسفر و الحضر.

وَ مِنْ أَصْوٰافِهٰا وَ أَوْبٰارِهٰا وَ أَشْعٰارِهٰا اى أصواف الضأن و أوبار الإبل و اشعار المعز.

أَثٰاثاً كالفراش و الدثار الّتى يتمتع بها الإنسان لأجل مسمى.

وَ مَتٰاعاً إِلىٰ حِينٍ [۸۱]تلك كانت نعمه السّكن،و أمتعه الإنسان الّتى تحفظ البشر من اختلاف الحر و البرد،و ظلال الأشجار تقى السّائر فى الصحراء حر الظهيره،و الكهوف تحمى الإنسان من عاديه البرد و الحر،و من الوحوش الضاريه.

وَ اللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمّٰا خَلَقَ ظِلاٰلاً كالأشجار الّتى أنبتها اللّه فى الأرض ليستظلها الإنسان.

وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبٰالِ أَكْنٰاناً اى مواقع تستترون فيها.

وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرٰابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَ سَرٰابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ فهناك ملابس السّلم تقى حرّ الجو،و ملابس الحرب(كالدروع)تقى حرّ

السّيف.

كَذٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ هكذا يحوط اللّه برحمته الواسعه الإنسان الضعيف، ليعلم حاجته الى ربه،فيسلم اليه وجهه،و لا يتجبر عليه.

إذا الهدف الأسمى لنعم السّكن و ما يحفظ البشر من شرور الطبيعه هو:دفعه الى التسليم لربه،ليحافظ بذلك على نفسه من غضب اللّه.

الهدايه بين الإكراه و الاختيار:

[۸۲]و لكن لا تبلغ قوه الدفع درجه الإكراه،فاللّه يريد ان يهدى الإنسان بما يوفر له من نعم،و لكنه لا يريد أن يجبره على ذلك،فاذا أعرض عن الرساله فليس على الرسول سوى إبلاغ الرساله اليه.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمٰا عَلَيْكَ الْبَلاٰغُ الْمُبِينُ [۸۳]و ليس النقص فى الآيات،أو فى وسائل المعرفه عند البشر،بل فى اراده الكفر الّتى عقدوا العزم عليها.

يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّٰهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهٰا وَ أَكْثَرُهُمُ الْكٰافِرُونَ

ص:۱۰۵

[سوره النحل (۱۶): الآيات ۸۴ الى ۸۹]

اشاره

وَ يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاٰ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ لاٰ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (۸۴) وَ إِذٰا رَأَى اَلَّذِينَ ظَلَمُوا اَلْعَذٰابَ فَلاٰ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ
وَ لاٰ هُمْ يُنْظَرُونَ (۸۵) وَ إِذٰا رَأَى اَلَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكٰاءَهُمْ قٰالُوا رَبَّنٰا هٰؤُلاٰءِ شُرَكٰاؤُنَا اَلَّذِينَ كُنّٰا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ اَلْقَوْلَ
إِنَّكُمْ لَكٰاذِبُونَ (۸۶) وَ أَلْقَوْا إِلَى اَللّٰهِ يَوْمَئِذٍ اَلسَّلَمَ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ (۸۷) اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اَللّٰهِ زِدْنٰاهُمْ
عَذٰاباً فَوْقَ اَلْعَذٰابِ بِمٰا كٰانُوا يُفْسِدُونَ (۸۸) وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنٰا بِكَ شَهِيداً عَلىٰ هٰؤُلاٰءِ وَ
نَزَّلْنٰا عَلَيْكَ اَلْكِتٰابَ تِبْيٰاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً وَ بُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (۸۹)

ص:۱۰۶

لا يؤذن لهم و لا هم يستعتبون

هدى من الآيات:

الّذين يتولون و يعرفون نعمه اللّه و ينكرونها-حسبما ذكرهم الدرس السّابق- ينتظرون يوم العذاب الأكبر،حين يبعث اللّه شهيدا من كل طائفه من الناس ليشهد عليهم،فاذا شهد لزمهم العقاب دون أن تجرى محاوله لإصلاحهم كما كان فى الدنيا،ثم حين العذاب لا يخفف عنهم شفقه بهم،و لا تعطى لهم مهله لدخولها،و لا تبقى لديهم حيله الاّ محاوله يائسه لإلقاء مسئوليه انحرافهم على من أطاعوهم و اتبعوهم من دون اللّه و هم الشركاء يتبرءون-بدورهم-من أمرهم، و سكت الجميع و استسلموا للّه،و تبخرت الأفكار التبريريه الّتى كانوا يفترونها من دون اللّه.

و لكن الكفار الّذين أضافوا الى كفرهم جريمه إضلال الناس،و قطع الطريق على من أراد مرضاه اللّه،لهؤلاء المزيد من العذاب بسبب افسادهم فى الأرض و إضلال الآخرين.

ص:١٠٧

من الشاهد؟

[۸۴]كل جيل من البشر،و كل فريق من الناس يعيشون فى قريه أو ضاحيه، يشهد عليهم واحد منهم،يكون أفضلهم سلوكا و أقربهم الى اللّه زلفى،ابتداء من الأنبياء و الأولياء،و مرورا بعباد اللّه الصالحين و العلماء العدول،و انتهاء بكل من يسبق من حوله فى طريق اللّه خطوه واحده،فحتى هذا الأخير شهيد على الآخرين بنسبه تلك الخطوه الّتى سبق الناس بها الى اللّه.

وَ يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً و هذا الشهيد هو أمام قومه عند اللّه،فان اتبعوه ظاهرا قادهم الى الجنه،و ان خالفوه ساقهم الى النار،و شهد عليهم عند رب العالمين.

يقول العلامه الطبرسى:بيّن سبحانه أنه يبعث فيه(يوم القيامه)من كل أمه شهيدا و هم:الأنبياء و العدول من كل عصر،يشهدون على الناس بأعمالهم.

و قال الصادق عليه السلام :

«لكل زمان و أمه امام تبعث كل امه مع أمامها » (۱)ثُمَّ لاٰ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ لاٰ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ اى انهم لا يمكنهم ان يعتذروا،و لا يحاول أحد ارضاءهم أو إصلاحهم كما كان الشهداء يفعلون فى الدنيا،فيسعون من أجل إصلاحهم و الاستماع الى حديثهم.

[۸۵]و يوم القيامه يعرض الظالمون الّذين غصبوا حقوق الآخرين،و اعتدوا

۱- ۱) مجمع البيان الجزء-۶-الصفحه ۳۷۸

على حرمات اللّه،يعرضون على النار ثم لا يخفف عنهم العذاب و لا تعطى لهم مهله.

وَ إِذٰا رَأَى اَلَّذِينَ ظَلَمُوا اَلْعَذٰابَ فَلاٰ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَ لاٰ هُمْ يُنْظَرُونَ اما قبل ذلك فى الدنيا فإنهم قادرون على تخفيف العذاب عن أنفسهم بالتوبه، و تأخيره بالدعاء.

مسئوليه الانحراف:

[۸۶]و يبدأ يومئذ الصراع السّاخن بين المشركين،و بين من عبدوهم من الطغاه و رموز الفساد السّياسى و الاجتماعى و الاقتصادى،فيتبرأ كل فريق من الآخر.

وَ إِذٰا رَأَى اَلَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكٰاءَهُمْ قٰالُوا رَبَّنٰا هٰؤُلاٰءِ شُرَكٰاؤُنَا اَلَّذِينَ كُنّٰا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ و طلبوا من اللّه ان ينزل بهم العذاب و يتركهم،لأنهم كانوا-فى زعمهم- مجبورين،كانوا شعبا اعزلا لا حول لهم فى مقاومه الطاغوت،كانوا أبناء قبيله لا قوه لهم فى التمرد على رئيس القبيله،كانوا جميعا رعاع لا علم لهم حتى ينتقدوا علماء السّوء و وسائل الاعلام المضلله،إذن ينبغى أن يتحمل القاده العذاب عنهم،و لكن الشركاء و هم طغاه السّياسه و الاجتماع و الاقتصاد تبرؤوا بدورهم.

فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ اَلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكٰاذِبُونَ اى ألقوا هذا الكلام.

[۸۷]و خضع الجميع،الشركاء و المشركون بهم،للّه رب العالمين.

وَ أَلْقَوْا إِلَى اللّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ فرفعوا أيديهم خاضعين للّه.

وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ فقد زالت عنهم نخوه الجاهليه،و تلك الأفكار الباطله الّتى زينوا بها شركهم، زالت عنهم الأسماء البراقه،و العناوين،و الشعارات،و ما فلسفوا به تسلطهم الباطل،و ما افتروا على اللّه كذبا.

عذاب المضل أشد:

[۸۸]و لكن لا يعنى هذا أن الشركاء متساوون فى العذاب مع المشركين،كلا ..القاده الّذين ظللوا الناس أشد عذاب،لأنهم أفسدوا عقول الناس،و منعوهم من ممارسه حريتهم و السّير فى طريق اللّه.

اَلَّذِينَ كَفَرُوا بأنفسهم..كفروا باللّه،و لم يشكروا نعمه الجاه و المال و العلم.

وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ فاتخذوا هذه النعم وسيله للتسلط على الناس،و منع الناس من ممارسه عبوديه اللّه و تطبيق مناهجه.

زِدْنٰاهُمْ عَذٰاباً فَوْقَ الْعَذٰابِ اى فوق جزائهم الطبيعى من العذاب.

ص:۱۱۰

بِمٰا كٰانُوا يُفْسِدُونَ لأنهم صدوا الناس عن سبيل اللّه،و أفسدوا فطره الناس بتضليلهم و افتراء الكذب عليهم،كما صدوا عن سبيل اللّه عمليا بالإرهاب،فأفسدوا على الناس حياتهم بسلب الحريه و الاستقلال عنهم،و الآيه هذه تدل على أن التضليل نوع من الإفساد.

[٨٩]و يبعث اللّه الرسول شهيدا على الناس فى عصره و العصور من بعده،بعد ان زوده بكل ما ينفعهم،كتابا..فيه تفصيل مناهج الحياه،و يهتدى به من أسلم وجهه الى اللّه، كما يوفر له أفضل حياه،و يبشر بحياه أفضل فى الآخره.

وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنٰا بِكَ شَهِيداً عَلىٰ هٰؤُلاٰءِ وَ نَزَّلْنٰا عَلَيْكَ الْكِتٰابَ تِبْيٰاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً وَ بُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ

ص:١١١

[سوره النحل (۱۶): الآیات ۹۰ الی ۹۷]

اشاره

إِنَّ اَللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ اَلْإِحْسٰانِ وَ إِيتٰاءِ ذِي اَلْقُرْبىٰ وَ يَنْهىٰ عَنِ اَلْفَحْشٰاءِ وَ اَلْمُنْكَرِ وَ اَلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (۹۰) وَ أَوْفُوا
بِعَهْدِ اَللّٰهِ إِذٰا عٰاهَدْتُمْ وَ لاٰ تَنْقُضُوا اَلْأَيْمٰانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهٰا وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اَللّٰهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اَللّٰهَ يَعْلَمُ مٰا تَفْعَلُونَ (۹۱) وَ لاٰ تَكُونُوا
كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهٰا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكٰاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمٰانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمٰا يَبْلُوكُمُ اَللّٰهُ بِهِ وَ لَيُبَيِّنَنَّ
لَكُمْ يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ مٰا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (۹۲) وَ لَوْ شٰاءَ اَللّٰهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وٰاحِدَةً وَ لٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ وَ لَتُسْئَلُنَّ
عَمّٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۹۳) وَ لاٰ تَتَّخِذُوا أَيْمٰانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهٰا وَ تَذُوقُوا اَلسُّوءَ بِمٰا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اَللّٰهِ وَ لَكُمْ
عَذٰابٌ عَظِيمٌ (۹۴) وَ لاٰ تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اَللّٰهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّمٰا عِنْدَ اَللّٰهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۹۵) مٰا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مٰا عِنْدَ اَللّٰهِ
بٰاقٍ وَ لَنَجْزِيَنَّ اَلَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۹۶) مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰاةً طَيِّبَةً
وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۹۷)

ص:۱۱۲

هدی من الآیات:

لقد بینت الدروس السّابقه فضیله العلم و قیمه التقوی و حاجه الإنسان إلی المدینه ببنائها و أمتعتها و إلی نظام اجتماعی توحیدی بعید عن الشرک،و إلی قیاده سماویه تتجسد فی الرسول،و ها هو هذا الدرس یأمرنا بالعلاقات الإسلامیه المثلی بین أبناء آدم،بإن یعطی کل فرد حقه،و أن یزاد له بالإحسان،و أن یبنی الحیاه الأسریه علی أساس العطاء،و ان یتقی الفحشاء و المنکر و الاعتداء،تلک هی موعظه اللّه الهادفه لتوجیه الإنسان.

و أن یحترم الجمیع عهودهم و أیمانهم الّتی أشهدوا علیها اللّه،و الاّ ینکثوا أیمانهم الّتی أکدوها بینهم،کتلک المرأه الخرقاء الّتی کانت تنقض آخر النهار ما غزلته أوله،فلا-تجعلوا الیمین وسیله للغدر للحصول علی نصیب أوفر من الدنیا.و لا-لکی یتعالی بعضکم علی بعض،ان اللّه یختبرکم باختلافاتکم الطبیعیه،و غدا یبین لکم من کان منکم علی حق و من لم یکن،و لو شاء اللّه لبیّن ذلک هنا،فنصر صاحب

الحق بالغيب الظاهر،و لكنه شاء أن يدعكم أحرارا ليسألكم عن أعمالكم،و لكى يُضِلَّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ حسب حكمته.

فلا تجعلوا الدين وسيله للغايات الماديه،فتحلفوا كذبا و غدرا فتزل بالكفر قدم كانت ثابته بالإيمان،و يصيبكم سوء الجزاء بسبب انهيار الثقه بينكم.و صدكم عن سبيل اللّه المتجسد فى العهد،كما يسجل لكم عذاب عظيم.

و عهد اللّه الذى تخونونه أعظم شأنا من المصلحه الماديه الّتى تبيعونه لها،فإن ما عند اللّه لمن ثبت على عهده خير من مصلحه الدنيا الّتى تفنى و يبقى ما عند اللّه فقط،و اللّه يجزى الصابرين بخير ما عملوا.

ذلك الخير هو توفير حياه طيبه لهم،فى الدنيا و جزاء حسن فى الآخره.

بينات من الآيات:

العدل سنه اجتماعيه و واجب الهى:

[۹۰]على كل واحد من أبناء المجتمع الاسلامى ان يكون عادلا،يعطى كل شخص حقه الفطرى و القانونى،و ليس الحفاظ على العدل مسئوليه الدوله فقط،لأن المجتمع الذى لا يشعر أبناؤه بضروره تطبيق القانون و احترام حقوق الآخرين،لا يمكن للدوله فيه أنى كانت أن تجبره على ذلك.

إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ و العدل لا يتنافى مع اختلاف الدرجات الذى تشير اليه الآيه الآتيه،إذ قد تكون المساواه أقبح ظلم،فليس سواء الجاهل و العالم،الكسول و النشيط،المضحى بنفسه و الجبان..و.و.إلخ.

ص:۱۱۵

و بالرغم من حاجه المجتمع إلى قانون يحدد أبعاد العداله،و حقوق الطبقات المختلفه،حسب مساعيهم و حاجاتهم و حاجه الناس إليهم،و مما يجعل للعداله معان مختلفه حسب القوانين و الأعراف.

إلّا ان العداله واقع فطرى لا يختلف البشر فى خطوطه العريضه،و ان اختلفوا فى التفاصيل.

و لكن قد يتعاسر الناس فى تطبيق العداله،فنحتاج إلى القضاء الذى لا يرضى عنه كل الخصماء،كما لا يطمئن الإنسان إلى نتائجه مائه بالمائه.

الإحسان ضروره العدل:

و لذلك يأمر القرآن بالإحسان،الذى هو التنازل عن بعض الحقوق للآخرين، و الذى يسع رحابه العداله و يزيد..فيقول:

وَ الْإِحْسٰانِ و يؤكد الإسلام على الإحسان لذوى القربى ليشكل الخليه الأولى فى الكيان الاجتماعى.

وَ إِيتٰاءِ ذِي الْقُرْبىٰ و جاء فى بعض النصوص الاسلاميه ان تفسير ذى القربى هو:«أهل بيت الرسول عليهم أفضل الصلاه السلام»و ان الإيتاء هو الخمس المذكور فى الآيه (۴۱)من سوره الأنفال،و قد نستوحى ذلك من سياق الحديث عن شهاده الرسول على الأمه فى الدرس السابق.

وَ يَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشٰاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ

الفحشاء كما قال فى المفردات:ما عظم قبحه من الأفعال،و يبدو من أصل اللفظه أن الفحشاء هى تجاوز الحد،و الذى يتناسب مع الإسراف و التبذير،و من المعلوم:أن الإسراف أصل كل خطيئه و رأس كل رذيله.

اما المنكر فهو الذنوب التى ينكرها الناس.

و يبدو ان معناه هو كل فحشاء قبيحه عند الناس،و هى أشد من سائر أنواع الفحشاء،بينما البغى هو تجاوز حقوق الناس بصوره علنيه،أو عن طريق الغش و الخداع و..و..

يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ انها حقائق فطر قلب البشر عليها و هو بحاجه إلى من يذكره و يعظه بها.

الوفاء لا النقض:

[۹۱]المجتمع الذى يمتلك أساسا لعلاقاته،و ركيزه يعود إليها عند الضروره، يستطيع ان يتبادل بسهوله،و المجتمع الاسلامى قائم على أساس الالتزام بالعهد و اليمين،اللّذين يؤكدان باسم اللّه.

وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَ لا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً فلأن أبناء المجتمع يتمسكون بقيمه التوحيد،و لأنهم لا يضحون بأيمانهم ابتغاء عرض الحياه الدنيا،فإنهم يعتمدون على بعضهم فى أمورهم الاقتصاديه،و حتى فى شؤونهم السّياسيه.

إن الثقه المتبادله هى أعظم رصيد يملكه المجتمع المسلم فى معاملته مع بعضه،

ذلك لأن شرف التوحيد يأبى لهم ان يغدروا ببعضهم و هم يؤمنون برعايه اللّه عليهم.

إِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مٰا تَفْعَلُونَ [٩٢]تروى قصص العرب أن امرأه قرشيه خرقاء كانت تغزل هى و جواريها عرض النهار،فاذا أمسى نقضت الغزل،و تركته كحالته السّابقه أنكاثا،لا فتل فيه و لا إبرام،فنهى القرآن الحكيم أن نكون مثلها،نتعب أنفسنا فى أمر الدين حتى إذا أحكمناه عدنا ننقضه بنكث العهد و نقض القسم.

وَ لاٰ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهٰا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ اى مثل«ريطه بنت كعب»خرقاء مكه التى غزلت بقوه،ثم نقضت من بعد قوه.

أَنْكٰاثاً جاء فى(المجمع):و كل شىء نقض بعد الفتل فهو أنكاث،حبلا كان أو غزلا.

تَتَّخِذُونَ أَيْمٰانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ اى تستخدمون اليمين وسيله للغدر،و الدخل-فى الأصل-كلما دخل الشىء،و ليس منه،و يكن به عن الخدعه و الخيانه.

أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبىٰ مِنْ أُمَّةٍ اى بهدف ان تكون أمه أعلى من أمه اخرى و تتسلط على أختها و تحافظ على سيطرتها بالخداع.

و ما الحلف و العهد،و ما نوازع السّلطه و الاستعلاء إلا ابتلاء الهى.

إِنَّما يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ و لن يصبح الحق باطلا بتضليل الناس،و لن يصبح السّىء صالحا بتبريره للنفس أو للآخرين،إذ ان هناك يوما يكشف اللّه فيه الحق لكل الناس.

وَ لَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَهِ ما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ [۹۳]و لكن لماذا لم يبيّن اللّه فى الدنيا واقع الخدّاعين،المتسلطين على رقاب الناس؟ان لهذا حكمتين:

الاولى:ليمنح نعمه الهدايه للبعض،و يسلب نور العقل من آخرين حسب اختيارهم هم،لا حسب علمه سبحانه.

الثانيه:ليجازى صاحب الخير،و فاعل الشر بالعمل الذى ما رسوه بكل اختيار و حريه.

وَ لَوْ شاءَ اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّهً واحِدَهً وَ لكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ وَ لَتُسْئَلُنَّ عَمّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

آثار اليمين الكاذبه:

[۹۴]و عاد السّياق ينهى عن الخداع فى اليمين،و يحذر من آثاره الفكريه و الاجتماعيه.

أ/فمن الناحيه الفكريه:حنث اليمين و نكث العهد يسبب ضلاله صاحبه، فاذا بتلك القدم الثابته بسبب الإيمان تزل بالحنث و النكث،و ماذا ينفع الثبات فى

أوضاع عاديه،إنما الثبات عند ما تهب عواصف المصالح.

وَ لاٰ تَتَّخِذُوا أَيْمٰانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهٰا ب/و من الناحيه الاجتماعيه:لا يمكن ان يستخدم الفرد يمينه(و بالتالى شرفه و حسن سمعته عند الناس)إلا مره واحده،و بعدها يكشفه الناس،بل و تشيع عند الناس فكره خبيثه هى:أن أهل هذا البلد لا يحترمون اليمين،فلا يحترم بعضهم يمين البعض،و إذا سقطت قيمه اليمين الاجتماعيه أغلق باب واسع للثقه و للتعاون، و بالتالى أنهار البناء الاجتماعى،و يذوق الجميع فاجعه تهاونهم باليمين،و صدهم عن سبيل الثقه بها.

وَ تَذُوقُوا السُّوءَ بِمٰا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ و سبيل اللّه هو كل خير،و كل تقدم و عمران و رفاه للناس،و منع الناس عن سبيل اللّه.و صدهم عنه قد يكون بإغلاق طرق التعاون و اليمين من أفضلها،إذ لا شىء من القوانين و الوثائق و الضمانات و الرهون بسهوله اليمين و لا بقوته فى إشاعه الثقه و التعاون.

وَ لَكُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ [۹۵]و كما اليمين العهد الذى يشترى به البعض ثمنا قليلا و إن كانت قيمه الثمن الذى يقبضه الفرد بيع شرفه و عهده و ايمانه فانها ستكون قليله،لأنها تسقط هيبه العهد فيسد باب كبير للرحمه.

وَ لاٰ تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللّٰهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّمٰا عِنْدَ اللّٰهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

فمن يبدل رحمه اللّه ببضع دراهم يكسبها من نكث العهد أو بسلطه زائله أو ما أشبه؟!

خلود الجزاء:

[۹۶]علما بأن ما عند اللّه من خير يبقى ببقاء اللّه سبحانه،بينما حطام الدنيا يزول بزوال العوامل التى أنشأته.

مٰا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ بٰاقٍ إن الحق الذى يضمن اللّه ثباته،أبقى من الباطل الذى يضمنه غرور الإنسان، و خداع الشيطان،لقد خلق اللّه السّموات و الأرض بالحق، فلذلك تخدم حركه الكون سلطه الحق،بينما الباطل يجرى فى عكس حركه الطبيعه و التاريخ.

فطره الإنسان حق،لأن القوانين النفسيه و الجسميه و الاجتماعيه السّائده على أبعاد حياه البشر لا تتغير منذ خلق اللّه آدم و إلى الأبد،فاذا كانت فطره الإنسان قائمه على أساس الوفاء بالعهد،فان المجتمع القائم على أساس شرف العهد يكون أبقى،و خير اللّه أكثر مما يحصل عليه بعض الأفراد بسبب الغدر و المكر.

إلا أن الحق بحاجه إلى الزمن حتى يظهر،و لذلك فإنا بحاجه إلى الصبر حتى يخدمنا الزمن.

وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ فان طيبات العمل تنمو فى عمق الزمن،بينما يذهب العمل السّيء كما يذهب غثاء السّيل برغم ظهوره و بروزه،

و قال الحديث: «للباطل صوله و للحق دوله ».

ص:۱۲۱

الحق صلاح:

[۹۷]الحق فی واقع السّعی صلاح،فمن اتبع الحق فان عمله صالح،ینمو مع نمو الطبیعه،و یزرع بذلک بذور الحیاه الطیبه لنفسه فی ارض الزمن المبارکه،لیحصد جزاء حسنا فی الدنیا و اجرا کریما فی الآخره.

مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً مِنْ ذَکَرٍ أَوْ أُنْثیٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْیِیَنَّهُ حَیٰاهً طَیِّبَهً وَ لَنَجْزِیَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ و هکذا یغفر اللّه لمن عمل صالحا سیئات عمله،و یحفظ له صالحات عمله لیجزیه بها خیرا.

و جاء فی حدیث مأثور أن «الحیاه الطیبه هی القنوع »و لا ریب أنه کنز من کنوز اللّه التی لا تنفد،و تطیب الحیاه کلما طابت النفس البشریه فی مواقفها منها،فإن الرضا أطیب من کل الطیّبات.

و کلمه اخیره:إنّ العهد لیس فقط أساس التعامل المالی فی المجتمع،بل قبل ذلک أساس التعاون السّیاسی،و إذا انعدم شرف العهد فی أمه،فسوف یبدأ بالتشرذم السّیاسی،و قدیما قیل:«لا وفاء لملک و أن الملک عقیم».

و لذلک أکد القرآن الحکیم فی هذا الدرس علی حرمه نقض العهد من أجل سلطه قوم علی آخر،و أن تکون أمه هی أربی من أمه.

ص:۱۲۲

[سوره النحل (۱۶): الآیات ۹۸ الی ۱۰۵]

اشاره

فَإِذٰا قَرَأْتَ اَلْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ مِنَ اَلشَّيْطٰانِ اَلرَّجِيمِ (۹۸) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰانٌ عَلَى اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (۹۹) إِنَّمٰا
سُلْطٰانُهُ عَلَى اَلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَ اَلَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (۱۰۰) وَ إِذٰا بَدَّلْنٰا آيَةً مَكٰانَ آيَةٍ وَ اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا يُنَزِّلُ قٰالُوا إِنَّمٰا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ (۱۰۱) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ اَلْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ هُدىً وَ بُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (۱۰۲) وَ لَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمٰا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسٰانُ اَلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هٰذٰا لِسٰانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (۱۰۳) إِنَّ اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِآيٰاتِ اَللّٰهِ لاٰ
يَهْدِيهِمُ اَللّٰهُ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ (۱۰۴) إِنَّمٰا يَفْتَرِي اَلْكَذِبَ اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِآيٰاتِ اَللّٰهِ وَ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْكٰاذِبُونَ (۱۰۵)

ص:۱۲۳

كيف نفهم الكتاب؟

هدى من الآيات:

كان الدرس السّابق بعض تعاليم القرآن الاجتماعيه الرشيده التى لا ينكرها الا الجاحدون،و هى تدل على ان الكتاب من اللّه،بيد أن الكتاب لا يفهمه إلا من تخلص من سلطان الشيطان،و لا يتخلص منه إلا المتوكلون الذين يستعيذون باللّه من شره،اما الذين يقوّلونه و يجعلونه شريكا فى أمورهم بطاعته،فإن الشيطان يتسلط عليهم و لا يدعهم يبصرون نور القرآن.

و قد ينسخ اللّه آيه بآيه لعلمه بالمصالح العامه التى تتغير وفق الظروف،فآنئذ يجد المشركون فرصتهم فى اتهام الرسول بأنه مفتر، لجهل أكثرهم بحكم الآيات.كلا..

إنّ القرآن كتاب اللّه الذى أنزله روح القدس بالحق من اللّه،ليكون تثبيتا لإيمان المؤمنين،و هدى لهم،و بشرى إلى حياه أفضل.

و يقولون:إنّ الرسول يتعلم من بعض النصارى المبادرين بالإسلام،دون ان يعرفوا الفرق بين لسان النبى و لسانهم،فبينما ذلك اللسان أعجمى نرى القرآن

ص:۱۲۴

يحدثنا بلسان عربى مبين،و ليس الجدل فى القرآن إلا بسبب جحودهم به،و لا يهدى اللّه قلبا جاحدا،بل يذيقه عذابا أليما.

و كيف يفترى الكذب شخص مخلص لربه،محسن إلى الناس كمحمد صلى الله عليه و آله و الذى يعرف أن الكذب أبعد خصله عن المؤمن،و لا يفترى الكذب الا الذين لا يؤمنون بآيات اللّه،و أولئك هم الكاذبون حقا؟!

بينات من الآيات:

توكل على اللّه:

[۹۸]القلب البشرى يلفه الظلام الآتى من طبيعه الضعف و الجهل فيه،و من تأثير جاذبيه الطبيعه،و بالرغم من أن هذه النفس قد أوتيت قبسا من نور الحقيقه هو الذى نسميه بالعقل و الاراده،إلا أن على الإنسان أن يتحدى الظلام المحيط بنفسه عن طريق إثاره عقله،و يتحدى ضعفه و يأسه و خوفه بالتوكل على اللّه.

ان أقوى الحجب التى تمنع النور عن قلب البشر هو:الخوف من الحقيقه،و الجبن عن مواجهه القوى الفاسده و الباطله التى ترفض الحقيقه.

الاستعاذه باللّه،و الطلب المباشر منه لكى يحفظ الإنسان من خطر القوى التى ترفض الحق،إنه العلاج المباشر لمشكله الخوف من الحقيقه،و لمقاومه سلطان الشيطان على القلب.

فَإِذٰا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطٰانِ الرَّجِيمِ لكى نبلغ قمه الحقيقه المتمثله بالقرآن لا بد أن نتجاوز جاذبيه الأرض،و القوه التى بها نقاوم هذه الجاذبيه المتجسده فى الشهوات هى قوه التوكل على اللّه،

و الاستعاذه نوع من التوكل،و تفترق عنه فی أن الاستعاذه طلب ملح من اللّه بإنقاذ الإنسان من شر محدق،و أی شر أخطر من شر العقیده الباطله،أو من شر الجهل بالحقیقه الذی تخلقه وساوس الشیطان فی القلب؟! و فی طول فتره تلاوه القرآن لا بد أن یستعین البشر بربه.

التوکل حصن المؤمن:

[۹۹]الشیطان ینفذ الی قلب الشخص،و یتجسد فی شکل القوی السّیاسیه و الاجتماعیه المحیطه به،و لکن المؤمن الذی یتوکل علی اللّه یحفظه اللّه من هذا الشیطان الذی یجری فیه مجری الدم.

إِنَّهُ لَیْسَ لَهُ سُلْطٰانٌ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَلیٰ رَبِّهِمْ یَتَوَکَّلُونَ بینما الذی لا یؤمن باللّه یتسلط علیه الشیطان،فیضله عن الحقیقه لضعف إرادته.

[۱۰۰]الذی یتخذ الشیطان ولیا و قائدا مطاعا،فیشرک باللّه و یتخذ من الشیطان شریکا مزعوما للّه،و یعبد اللّه حینا و یعبد و یطیع الشیطان حینا آخر،إنه یقع فریسه الشیطان الذی لا یستطیع ان یتخلص من شره إلا بالاستعاذه باللّه.

إِنَّمٰا سُلْطٰانُهُ عَلَی الَّذِینَ یَتَوَلَّوْنَهُ وَ الَّذِینَ هُمْ بِهِ مُشْرِکُونَ یبدو أن هناک فریقین یتسلط علیهما الشیطان،إنسیا کان شیطانهما أو جنّیا، ظاهرا کالطغاه و المستکبرین،أو باطنا کالعقائد الفاسده و العقد النفسیه.

الفریق الأول:الذین یتخذون الشیطان ولیا،و یخلصون الانتماء الیه کمثل

أئمه الکفر،و الملأ من حول الفراعنه،و البطانه من حول الطغاه.

الفریق الثانی:الـذین یطیعون الشـیطان خوفا و طمعا و سواء هـذا الفریق أو ذاک فإنهم جمیعا یصـبحون عبیـد الشـیطان،و یفقدون حریتهم و استقلالهم و ثرواتهم التی یصادرها الشیطان.

القـوی الاسـتکباریه فی الأـرض المتمثلـه الیـوم فی«امریکـا»و«روسـیا» و اقمارهـا المفسـدین،لم یفوضـوا بالسـیطره علی الشـعوب المستضـعفه من قبل اللّه الحکیم سـبحانه،إنما نحن الـذین خضـعنا لإدیولوجیتهم فأخضـعونا لمصالحهم،أو خضـعنا للثروه و القوه رهبا و رغبا،فامتلکوا دوننا ناصیه الثروه و القوه،و استعبدونا صاغرین.

و الآـن کیف نتخلص؟ لا بـد أولا من التحرر عن إدیولوجیه الاسـتعمار،و عن التبعیه المطلقه للمال و الرجال،ثم العوده إلی اللّه،و الاسـتعاذه به من شـر الشیطان،ذلک لأن الطبیعه ترفض الفراغ،و القلب البشری ینقاد إما لسلطه اللّه أو لتسلط الطاغوت،فإذا رفضنا ولا-یه اللّه اسـتعبدنا الشـیطان،و لا-حیـاد بین الحق و الباطـل،کمـا لا-مسـافه بین الکفر بـاللّه و رفض حاکمیته علی الإنسان،و بین الإیمان بالطاغوت و الخضوع لتسلطه و استغلاله.

و السّـیاق القرآنی یشـیر إلی هذه المعادله،إذ یأمرنا ربنا بالاستعاذه باللّه و التوکل علیه،ثم یبیّن أن الشیطان عاجز عن التسلط علی المتوکلین باللّه.

و نتسـاءل معـا:هـل تعنی الاسـتعاذه مجرد التوجه القلـبی الی اللّه؟أم ان تطـبیق مناهـج السّـماء فی الوحـده و الصبر،و الاسـتقامه و السّعی،و القیاده الرشیده،کل أولئک بعض معانی الاستعاذه باللّه،و بالتالی طرق مقاومه العبودیه للشیطان الانسی

و الجنی؟

شیطان الفکر:

[۱۰۱]الشیطان الثقافی أخطر علی الإنسان من زملائه شیاطین الثروه و الإرهاب و الزینه؟ ذلک لان قدره الإنسان علی التمییز بین الحق و الباطل لیست عالیه،و ذلک لسبب بسیط أن القلب البشری یتعرض لعواصف الشهوات،فیخبو ضوء العقل،و لو لا تدخل قوه غیبیه هی قوه الإیمان و التوکل،فإن ریاح الشهوه تکاد تطفئ مشعل العقل.

من هنا کانت الشبهات خطیره،و من هنا أیضا لم یتخلص حتی المؤمنون من وساوس الشیطان،فغفر اللّه لهذه الأمه المرحومه ما یوسوس به الشیطان إذا لم یعتقد به المؤمن.

و من الشبهات ما أثاره الشیاطین حول تبدل الأحکام الشرعیه وفق متغیرات الظروف فقالوا:إذا کان الرسول صادقا إذا لم یأت کل یوم بقانون جدید و مخالف للقانون السّابق؟بل قالوا:إذا کانت رسالات السّماء صادقه إذا ما اختلفت شرائعها؟! و لکن اللّه اعلم بما ینزل،و هم جاهلون و لا یعلمون أن الحیاه تتغیر،و کل قانون یناسب وضعا معینا،فإذا نزل فیه کان حکیما،و إذا تخطاه کان سفها.

وَ إِذٰا بَدَّلْنٰا آیَةً مَکٰانَ آیَةٍ وَ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا یُنَزِّلُ فهو عالم بحکم النسخ و التغییر.

ص:۱۲۸

قٰالُوا إِنَّمٰا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ و إذا ترسخت هذه الشبهه فی قلب فلیس من السّهل إزالتها،لذلک کان علینا الاستعاذه باللّه أبدا حین قراءه القرآن،بل حین دراسه أیّه قضیه علمیه حتی لا یختلط الحق و الباطل فی أذهاننا.

[۱۰۲]ان الذین یکذبون و یبدلون آراءهم کل یوم،بل بین ساعه و أخری انما یتبعون أهواءهم،بینما الکتاب نزّله اللّه بسبب روح القدس المعصومه عن الزلل، و المقدسه عن الأهواء،و حکمه هذه الروح التی ترافق الرسول أن تثبّت المؤمنین و تعصمهم من غوایه الشیطان و من شبهاته.

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّکَ بِالْحَقِّ فالحق المتمثل فی سنن اللّه،فی الآفاق و الأنفس،هو باطن آیات اللّه،کل آیه مظهر لسنه إلهیه راسخه فی ضمیر الخلق.و السّنن لیست واحده و کذلک الآیات.

و الاختلاف بین الخلق موجود،و دلیل علی وحده خالقهم،کذلک الاختلاف فی آیات اللّه الکاشفه لتلک السّنن موجود،و کاشف عن علم اللّه سبحانه.

لِیُثَبِّتَ الَّذِینَ آمَنُوا فالذین آمنوا یعتصمون بروح القدس،و یظلهم روح القدس بقبس من نوره.

وَ هُدیً وَ بُشْریٰ لِلْمُسْلِمِینَ فمن أسلم وجهه للّه،هداه اللّه بالقرآن و بشره بحیاه طیبه،و إذا تکامل فانه سوف یصبح مؤمنا،و المؤمن یملک قوه الهیه تحفظه من کید الشیطان،و من شبهاته و هذا یسمی بالعداله،و یقولون خطأ أنها ملکه فی النفس؟

ص:۱۲۹

من شبهات الشيطان:

[۱۰۳]و شبهه اخرى يطرحها الشيطان.

وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمٰا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسٰانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ يلحدون:أی يميلون.فقد قالوا:أن رجلا اسمه(ابو فكيهه مولى بنى الخضرمى) كان اعجمى اللسان،و كان قد اتبع نبى اللّه و آمن به،و كان من أهل الكتاب، قالوا أنه يعلّم الرسول!! و بعض التفاسير تقول:إنه غير هذا الرجل،و لكنه على أى فرض كان أعجمى اللسان،و القرآن نزل بلغه عربيه واضحه.

وَ هٰذٰا لِسٰانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ

الرد على الشبهه:

إنّ الترجمه تحمل طابعها مهما كانت بلاغه المترجم،لان كل لغه تعبر عن ثقافه خاصه صيغت تلك اللغه على مقاسها،و اللغه العربيه لم تكن قادره على التعبير بدقه عن الأفكار الدخيله،و لم تكن واضحه بذلك الوضوح المتناهى فى البلاغه و النفاذ الى القلب،لو لا أن ملاقيها قد تعمق فى فهم المحتوى،و اهتدى إلى الموضوع الذى يعبّر عنه،و واضح أن التعبير المفصل لا يكون من دون فهم عميق للفكره،فكيف يعبر الرسول عن كل تلك الأفكار المفصله و الدقيقه إذا كان مجرد مترجم؟! [۱۰۴]ثم ان القلب الذى لا يؤمن باللّه لا يقدر أن يعبّر عن اللّه،و أن ينطق باسم اللّه بهذا الوضوح و الصراحه و القدره،ذلك لأن.

ص:۱۳۰

إِنَّ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّٰهِ لاٰ يَهْدِيهِمُ اللّٰهُ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ [۱۰۵]و المؤمن بالله لا يفترى على الله،خصوصا و رسول الله أكد بوضوح مدى جريمه الافتراء على الله،فكيف يرتكب بنفسه لو كان مؤمنا هذه الجريمه؟! إِنَّمٰا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّٰهِ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْكٰاذِبُونَ الذى يؤمن بآيات الله،و شخص رسول الله هو أظهر مصاديقه بلا ريب،فإنه يخشى من الكذب،بل إنه قوى لا يحتاج إلى الكذب،و عالم لا يتورط فى الكذب.

و لذلك

جاء فى الحديث النبوى:عن عبد الله بن جراد أنه سأل النبى صلى الله عليه و آله قال:

«هل يزنى المؤمن؟قال:قد يكون ذلك!قال:هل يسرق المؤمن؟قال:قد يكون ذلك!قال:هل يكذب المؤمن؟قال:لا»(ثم اتبعها نبى الله) صلى الله عليه و آله « إِنَّمٰا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ . »

[سوره النحل (۱۶): الآیات ۱۰۶ الی ۱۱۳]

اشاره

مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اَللّهِ وَ لَهُمْ عَذابٌ
عَظِيمٌ (۱۰۶) ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اِسْتَحَبُّوا اَلْحَياةَ اَلدُّنْيا عَلَى اَلْآخِرَةِ وَ أَنَّ اَللّهَ لا يَهْدِي اَلْقَوْمَ اَلْكافِرِينَ (۱۰۷) أُولئِكَ اَلَّذِينَ طَبَعَ اَللّهُ عَلى
قُلُوبِهِمْ وَ سَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ وَ أُولئِكَ هُمُ اَلْغافِلُونَ (۱۰۸) لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي اَلْآخِرَةِ هُمُ اَلْخاسِرُونَ (۱۰۹) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ
هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَ صَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۱۰) يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها وَ تُوَفّى
كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (۱۱۱) وَ ضَرَبَ اَللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ
بِأَنْعُمِ اَللّهِ فَأَذاقَهَا اَللّهُ لِباسَ اَلْجُوعِ وَ اَلْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ (۱۱۲) وَ لَقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ اَلْعَذابُ وَ هُمْ
ظالِمُونَ (۱۱۳)

اللغه

۱۰۹[لا جرم]:حقا-لا محاله.

ص:۱۳۲

١١٢[رغدا]:طيبا واسعا.

ص:١٣٣

عاقبه الارتداد

هدی من الآیات:

فی الدروس السابقه حذرنا الرب الکریم من الکفر بعد الإیمان،و الزلل بعد الثبات و ذلک بمناسبه الحدیث عن النکث و الحنث.و ها هو الدرس یفصّل القول فی الکفر بعد الإیمان بصفه عامه،فیحذر من غضب اللّه الذی یحل بمن یرتد عن دینه-قولا أو عملا-إلاّ الذی أکره علی الکفر بطریق لسانه،بینما لا یزال قلبه مطمئنا،و إنما المرتد من استقبل الکفر بصدر رحب و ذلک له عذاب عظیم،لأنه فضّل الحیاه الدنیا علی الآخره،فسلب اللّه منهم نور الهدی،و یطبع اللّه علی قلوبهم و سمعهم و أبصارهم و هم غافلون عن أوضح الحقائق من حولهم،و بالتأکید سوف یخسرون أنفسهم فی الآخره.

بینما الثابتون علی الهدی برغم ما یتعرضون له من مکروه،و یهاجرون الی الدیار الآمنه من بعد الابتلاء،فإن اللّه بالنسبه إلیهم غفور رحیم،یشملهم برحمته فی یوم تأتی کلّ نفس تدافع عن ذاتها،فلا تعطی إلاّ جزاء عملها الأوفی،دون أن

ص:۱۳۴

نظلم من عملها شيئا.

و أما من يكفر بعد إيمانه فإن اللّه يضرب له مثلا من واقع قريه كانت آمنه مطمئنه يأتها رزقها واسعا طيبا،من كلّ مكان،و لكنها كفرت بأنعم اللّه فشملهم الجوع و الخوف بسبب أفعالهم،و كلما حاول رسولهم أن يهديهم لم يسمعوا له،بل كذبوه و كانوا ظالمين لأنفسهم فى ذلك.

بينات من الآيات:

الإيمان مسئوليه:

[۱۰۶]ما هو الإيمان؟هل أنه مجرد العمل؟أم مجرد كلام؟ كلا..انهما مظهران للإيمان،و لكن الإيمان شيء آخر.أنه موقف الشخص من الحياه الدنيا،و مدى اطمئنانه بها،و استحبابه لها بالقياس الى الآخره،فالذى يريد الدنيا بقلبه و يفضلها على الآخره فإن اللّه لا يهديه سبيلا.

و إذا كان الإيمان موقفا قلبيا فما هو دور القول؟!أو ليس مواقف البشر تتحدد بأقوالهم؟! بلى..و لكن قد يتلفظ الإنسان بلسانه ما ليس فى قلبه،كما المنافق الذى يدّعى بلسانه أنه مؤمن و الواقع انه كاذب،و كذلك الذى أكره على الكفر بلسانه، بينما بقى قلبه مطمئنا بالإيمان ثابتا عليه.

هكذا كان«عمار بن ياسر»الذى تعرض لتعذيب وحشى من قبل كفار قريش،فأعطاهم بلسانه ما أسرّهم،حيث مدح آلهتهم و نال من رسول اللّه صلى الله عليه و آله لإنقاذ نفسه، فنزلت فيه الآيه الكريمه تقرر تقاته منهم،و أمره الرسول أن يعود لمثل

ذلك إذا عادوا عليه..

مَنْ كَفَرَ بِاللّٰهِ مِنْ بَعْدِ إِيمٰانِهِ و هل يكفر أحد بعد أن آمن؟أو ليس الإيمان معرفه و علما؟و كيف يتحول الفرد بين لحظه و أخرى من عارف الى جاهل!!؟ بلى..الإيمان علم،و لكن العلم وحده لا يكفى،بل للإيمان عنصر آخر هو:

اليقين،و عقد القلب و الثبات،و مواجهه الضغوط،الإيمان موقف و انتماء و سعى و فداء..

جاء فى حديث شريف:عن أبى عبد اللّه الصادق عليه السلام قال: فأما ما فرض على القلب من الإيمان.الإقرار و المعرفه و العقد و الرضا و التسليم بأن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له،إلها واحدا،لم يتخذ صاحبه و لا ولدا،و أن محمدا عبده و رسوله،و الإقرار بما جاء به من عند اللّه من نبى أو كتاب،فذلك ما فرض اللّه على القلب من الإقرار و المعرفه و هو عمله،و هو قول اللّه عز و جل: إِلاّٰ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمٰانِ وَ لٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً . (1)

و من الناس من يتنازل عن موقفه و انتمائه فور ما يتعرض لضغط،فيكفر بعد الإيمان،و منهم من يصمد،و منهم من يخلص نفسه باستخدام التقاه،فيكتم إيمانه كما فعل عمار الذى قال ربنا عنه و عن أمثاله..

إِلاّٰ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمٰانِ

و الحديث المأثور فى قصه عمار يقول: لما أراد رسول اللّه أن يهاجر الى المدينه قال لأصحابه:تفرقوا عنى،فمن كانت به قوه فليتأخر الى آخر الليل،و من لم تكن به

١- ١) الميزان-ج ١٢-ص ٣٥٩.

قوه فليذهب فى أول الليل،فإذا سمعتم بى قد استقرت بى الأرض فالحقوا بى.

فأصبح بلال المؤذن،و خباب،و عمار،و جاريه من قريش كانت أسلمت (و هى سميه أم عمار حسبما جاء فى حديث،و أضيف أيضا اسم ياسر والد عمار) فأصبحوا بمكه،فأخذهم المشركون و أبو جهل،فعرضوا على بلال أن يكفر فأبى، فأخذوا يضعون درعا من حديد فى الشمس ثم يلبسونها إياه،فإذا ألبسوها إياه قال:

أحد..أحد..و أما خباب فأخذوا يجرونه فى الشوك.

و أما عمار فقال لهم كلمه أعجبتهم تقيه،و أما الجاريه فوتد لها أبو جهل أوتاد ثم مدها،فادخل الحربه فى قلبها حتى قتلها، (1)ثم خلّوا عن بلال و خباب و عمار..

فلحقوا رسول اللّه صلى الله عليه و آله فأخبروه بالذى كان من أمرهم،و اشتد على عمار الذى كان تكلم به،فقال له رسول اللّه صلى الله عليه و آله كيف كان قلبك حين قلت الذى قلت؟أ كان منشرحا بالذى قلت أم لا؟قال:لا..فأنزل اللّه: إِلاّٰ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمٰانِ .

هكذا صمد عمار فلم يستجب لضغوط قريش،بل تحداهم بالتقيه و ظل على موقفه الثابت.

و آخرون ينهارون فيتقبلون الكفر برحابه صدر،فيتعرضون لغضب اللّه سبحانه..

وَ لٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللّٰهِ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ

١- ١) و هكذا قتل زوج هذه الجاريه الشهيده ياسر و هما أبوا عمار بن ياسر الذين كانا أول شهيدين فى سبيل الله فى الإسلام..

ذلـك لأـنهم أرادوا إرضـاء الطغـاه فغضـب اللّه عليهـم،و أرادوا الحصـول على نعـم الـدنيا فلحقهـم عـذاب عظيـم فى الآـخره،و لفظه«فعليهم»خبر لفظه من كفر باللّه.

جذر المشكله:

[۱۰۷]و جذر المشكله يتصل بموقفهم من الدنيا التى فضلوها على الحياه الآخره..

ذٰلِکَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيٰاهَ الدُّنْيٰا عَلَى الْآخِرَهِ أى بلغ حبهم للدنيا مستوى فضّلوها على الآخره..

وَ أَنَّ اللّٰهَ لاٰ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكٰافِرِينَ فمن استحب الدنيا على الآخره،يغضب اللّه عليه بسلب نور العقل عنه،فيتركه فى ظلمات جهله الذاتى،لأنه قد اختار منذ البدء الكفر.

و هذه الآيه توحى بان المعرفه و اليقين و الهدى،كلّ ذلک يأتى بعد الإختيار السليم،و تفضيل الآخره على الحياه الدنيا.

الارتداد انحطاط:

[۱۰۸]الـذى يرتـد عن الإيمان لا يهبط فقط الى مسـتوى الشـخص العادى الـذى لمّا يؤمن،بل يهبط أكثر منه بكثير،إذ يسـلب منه اللّه«جل جلاله»فرصه الهدايه الى الأبد بسبب موقفه الجحودى..

ص:۱۳۸

أَولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ سَمْعِهِمْ وَ أَبْصَارِهِمْ بل يصبح هؤلاء كمن لا شعور له غافلين عن أبسط الحقائق و أوضحها..

وَ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ [۱۰۹]و لأنهم اختاروا الدنيا على الآخره فلا ريب أنهم يخسرون الآخره..

لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى الْآخِرَهِ هُمُ الْخَاسِرُونَ

سبيل المغفره:

[۱۱۰]كم ينبغى أن نصمد فى مواجهه الضغط حتى لا نحسب من المرتدين؟ يضرب اللّه لنا مثلا فيقول:

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَ صَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ أجل انها مسئوليه كبرى ينبغى أن يستعد كلّ مؤمن لها،و يعقد العزم على أدائها بإذن اللّه، الهجره النفسيه و البدنيه عن المجتمع الجاهلى بعد التوخى للفتنه(أو تدرى إن أصل كلمه الفتنه إدخال الذهب النار لتظهر جودته!!).

و ليست الهجره نهايه المطاف،بل لا بدّ من الجهاد للعوده الى الوطن السليب، و تحريره من طغيان المفسدين،و الصبر على صعوبات الجهاد..

و آنئذ يغفر اللّه لهم ذنوبهم السابقه،مثل سكوتهم السابق على الظلم،بل خضوعهم للظالم و هو أكبر ذنب،بل هو الشرك ذاته،كما يغفر اللّه هفواتهم

ص:۱۳۹

اللاحقه.

[۱۱۱]و غفران اللّه نعمه كبرى يدّخرها المجاهدون الصابرون ليوم القيامه، حيث يأتى كلّ فرد وحده لا أحد ينصره أو ينفعه غير عمله..

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها أى كلّ إنسان يدافع عن نفسه فلا يجد إلّا الحق..

وَ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ

عاقبه الارتداد فى الدنيا:

[۱۱۲]كلّ ذلك فى الآخره،أما فى الدنيا فإن الكفر بعد الإيمان ينتهى بالمجتمع الى سلب نعم اللّه،كمثل تلك القريه التى كانت تتمتع بالرفاه و السلام فكفرت،فأنزل اللّه عليها الفقر و الحرب.

وَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ يبدو من الآيه ان للأمن درجات،و هكذا للرفاه الاجتماعى درجات،و ان هذه القريه كانت تعيش فى أمن ظاهر و أمن قلبى،و هو أفضل درجات السلام، كما كانت تعيش على رزقها و رزق ما حولها من القرى،و هذا أفضل درجات الرفاه..

فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذاقَهَا اللّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ

و عبّر القرآن عن وضعهم بعد الكفر بأنهم تخلفوا إلى أن أصبحوا يحيط بهم الجوع و الخوف كما يحيط بهم اللباس.

و قد لا تكون هذه القريه واحده عبر التاريخ،فربما تشير الآيه الى آلاف القرى التى تردت الى هذا المستوى بسبب كفرها،

و فى حديث مأثور يقص علينا قصه واحده من تلك القرى فيقول: نزلت فى قوم كان لهم نهر يقال له«الثرثار» و كانت بلادهم خصبه كثيره يستنجون بالعجين و يقولون:هو ألين لنا،فكفروا بأنعم اللّه،و استخفوا فحبس اللّه عنهم الثرثار،فجدبوا حتى أحوجهم اللّه الى أكل ما يستنجون به،حتى كانوا يتقاسمون عليه. (1)

الحجّه التامه:

[۱۱۳]و لقد جاءهم رسول من أنفسهم يدعوهم الى الشكر،فلم يستجيبوا له حتى أخذهم اللّه بعذاب شديد..

وَ لَقَدْ جٰاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذٰابُ وَ هُمْ ظٰالِمُونَ و فى نهايه هذا الدرس القرآنى الكريم ينبغى أن نطرح عده نقاط هامه:

ألف:أن قصه هذه القريه التى تتكرر عاده فى كلّ عصر،توحى إلينا بضروره مواجهه المؤمن لضغط قد يكون أشد من ضغط الإرهاب،ذلك هو ضغط الإغراء، فمع الرفاه و الأمن يزداد شره النفس و شبقها،و بالتالى احتمالات الغفله عن اللّه و عن حقوق الإيمان به.

۱- ۱) الميزان-ج ۱۲-ص ۳۷۵.

و إذا كان عمار قد تعرض لإرهاب قريش و معه أكثر أصحاب النبى صلى الله عليه و آله فتحدوا بإيمانهم ذلك الإرهاب العظيم،فإن بعض أصحاب النبى قد غرتهم الدنيا بعد أن فتح اللّه عليهم،فأخذوا يخوضون فى أموال المسلمين

«خوض الإبل بنبته الربيع» -كما يقول الإمام على(عليه السلام).

من هنا أكدت الآيات(۱۱۲ و ۱۱۳)على ضروره مواجهه ضغط الإغراء بعد أن أكدت الآيات(۱۰۶ الى ۱۱۱)فى هذا الدرس على مسئوليه مواجهه الإرهاب الجاهلى.

باء:ان ربنا الرحيم يرسل أنبياء فى مراحل هبوط الحضارات لكى يوقفوا تدهور المجتمع،و لكن أغلب المجتمعات تسترسل مع عوامل الانهيار حتى النهايه الأليمه،و هكذا بعث اللّه رسول هذه القريه فلما كذبوه أخذهم عذاب عظيم.

جيم:لقد أشرنا فى بدايات هذه السوره الكريمه إلى ان سياقها يوحى بمناهج البحث و سبل الحصول على المعرفه،و فى هذا الدرس ذكرنا اللّه بمعنى الإيمان الذى هو أرفع درجات العلم،كما أشارت آيه كريمه منه-هى الأولى-إلى المسؤوليه التى تتبع الإيمان،بل هى جوهره،و إلى استثناءات المسؤوليه.

و يشير حديث نبوى شريف إلى هذه الآيه فى هذا الحقل فيقول: «دفع عن أمتى أربعه خصال:ما أخطئوا،و ما نسوا،و ما أكرهوا عليه،و ما لم يطيقوا، و ذلك فى كتاب اللّه:(إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ)». (۱)

۱- ۱) المصدر-ص ۳۵۹.

[سوره النحل (۱۶): الآيات ۱۱۴ الى ۱۱۹]

اشاره

فَكُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اَللّٰهُ حَلاٰلاً طَيِّباً وَ اُشْكُرُوا نِعْمَتَ اَللّٰهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ (۱۱۴) إِنَّمٰا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ اَلْمَيْتَةَ وَ اَلدَّمَ وَ لَحْمَ اَلْخِنْزِيرِ وَ مٰا أُهِلَّ لِغَيْرِ اَللّٰهِ بِهِ فَمَنِ اُضْطُرَّ غَيْرَ بٰاغٍ وَ لاٰ عٰادٍ فَإِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۱۵) وَ لاٰ تَقُولُوا لِمٰا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ اَلْكَذِبَ هٰذٰا حَلاٰلٌ وَ هٰذٰا حَرٰامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اَللّٰهِ اَلْكَذِبَ إِنَّ اَلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اَللّٰهِ اَلْكَذِبَ لاٰ يُفْلِحُونَ (۱۱۶) مَتٰاعٌ قَلِيلٌ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ (۱۱۷) وَ عَلَى اَلَّذِينَ هٰادُوا حَرَّمْنٰا مٰا قَصَصْنٰا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ مٰا ظَلَمْنٰاهُمْ وَ لٰكِنْ كٰانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۱۱۸) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا اَلسُّوءَ بِجَهٰالَةٍ ثُمَّ تٰابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ أَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهٰا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۱۹)

اللغه

۱۱۵[باغ]:غير طالب للمحرم للذه أو استئثار.

[و لا عاد]:و لا متجاوز ما يسد الرمق.

ص:۱۴۳

السبیل الی شکر النعم

هدی من الآیات:

لکی یشکر الفرد نعم اللّه لا بد ان یعرف حدود التصرف فی هذه النعم،و بمناسبه الحدیث عن العلم و الایمان و الکفر و الارتداد الـذی مر فی آیـات سـبقت،تری هـذا الـدرس الکریم یأمرنا بان نأکل من رزق اللّه شـریطه ان یکون حلالا من ناحیه المکسب و طیبا من ناحیه ذات المأکول،و لکن علینا ان نؤدی حقوق النعم فلا نخضع لغیر اللّه ابتغاء الحصول علی بعض النعم.

و علینـا ان نتفقه فی الـدین،فلاـ نحلـل و نحرم حسب اهوائنا،کلا..انما حرم اللّه علینا المیته و الـدم و لحم الخنزیر و الـذبیحه التی ذکر علیها اسم غیر اللّه، اما من اضـطر من دون ان یکون معتدیا و مسـرفا فان اللّه یغفر له،و لا یجوز ان تتحرک ألسـنتنا بالحلیّه و الحرمه من قبل أنفسـنا،فهـذا کـذب و افتراء علی اللّه،و من یفتری علی اللّه الکـذب فانه لا یفلح،لأنه لا یحصل الا علی متاع قلیل بینما له عذاب الیم.

و قد یحرم اللّه أشیاء اضافیه بسبب ظلم الناس،کما بین لنا فی آیات اخری انه

ص:۱۴۴

حرم أشياء على بنى إسرائيل لظلمهم.

و قد يعمل الإنسان شيئا بجهاله،ثم يتوب الى اللّه،و يصلح ما أفسده بعمله، فان اللّه من بعد ذلك غفور رحيم.

بينات من الآيات:

حدود الانتفاع بالنعم:

[۱۱۴]العداله فى المعاش تتحقق بالانتفاع المناسب من رزق اللّه،اما الذين لا يستفيدون من نعم اللّه و يزعمون ان ذلك زهد فانه بعيد عن تعاليم السماء،فربنا يقول:

فَكُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ بيد ان حدودا ثلاث تحيط بهذا الانتفاع و هى:

ألف:ان يكون الرزق من نصيبك،لا من حق الآخرين حتى يكون حلالا لك.

باء:أن يكون طيبا،فأكل الخبيث كالنجس و الحشرات-و الخبائث الأشياء المضره و العفنه-لا يجوز.

جيم:ان تؤدى حق النعمه،بان تعرف انها من اللّه،ثم لا تنسى المحرومين، فاذا قويت بها نشطت فى عمل الخير،بعد ان تذكر ربك بحمده..

حَلاٰلاً طَيِّباً وَ اشْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيّٰاهُ تَعْبُدُونَ [۱۱۵]و لا يجوز أن يحرم الفرد على نفسه الطيبات باسم الدين،بل المحرمات

ص:۱۴۵

أشياء معروفه..

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ اى ذبح باسم الأوثان،كالتى كان الجاهليون يذبحونها على اقدام أصنامهم! فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لاَ عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ بعد ان استثنى القرآن الإكراه من المسؤوليات،يبين رفع التكليف عما اضطر اليه الإنسان من خلال حاجته الضروريه التى من دونها يتعرض للهلاك.

كيف نشكر اللّه؟

[۱۱۶]و لكى نشكر ربنا لا بد ان نلتزم بحدوده و شرائعه،و لا بد ان نضمن صحه المصادر التشريعيه،فلذلك حذر ربنا من إصدار الأحكام من دون تثبت..

وَ لاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَ هَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ فالذى يسعد الإنسان هو الدين الحق،و ليست الأهواء التى تفترى و تسمى دينا!!

جزاء الكذب و البدع:

[۱۱۷]إن نهايه المبدعين و الكذابين أليمه،إذ ان متاعهم فى الدنيا قليل...

مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يبدو من هذه الآيه ان المبتدع لا يغير فى الدين إلا لهوى فى نفسه أو نفس

السلطان،و لتحقيق مصلحه ذاتيه،يحذر ربنا منها،و يهدده بعذاب اليم فى مقابل تلك اللذه التى يصيبها بسبب التحريف.

[۱۱۸]و نتساءل:إذا كانت المحرمات محصوره بالتى سبقت،فلما ذا نرى بنى إسرائيل محرم عليهم أشياء كثيره من الطعام و غيره؟! و يقول ربنا جوابا عن هذا السؤال:

وَ عَلَى الَّذِينَ هٰادُوا حَرَّمْنٰا مٰا قَصَصْنٰا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ مٰا ظَلَمْنٰاهُمْ وَ لٰكِنْ كٰانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ لقد ضيقوا على أنفسهم و ظلموها،فحرم اللّه عليهم أشياء كانت حلالا عليهم، و جاء فى آيه اخرى: «فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هٰادُوا حَرَّمْنٰا عَلَيْهِمْ طَيِّبٰاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ» (النساء/۱۶۰).

التوبه و الإصلاح:

[۱۱۹] ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهٰالَةٍ ثُمَّ تٰابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ أَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهٰا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ قد يكون وعى الفرد ناقصا و علمه محدودا و لم يؤت فرصه للتوجيه الكافى، فيرتكب بجهالته(و ليس بجهله)ذنبا سرعان ما يتوب عنه فور ما يعود الى رشده و يملك الوعى و التوجيه،فيغفر اللّه له ما سبق.

و الجهاله غير الجهل،فان الجهل عذر شرعى فى الموضوعات و فى بعض الأحكام، فلا يتناسب و التوبه التى وعدها اللّه لصاحب الجهاله،بينما الجهاله ليست بعذر شرعى،إذ يكفى ان صاحبها يعلم بصوره مجمله حدود الواجب الشرعى الذى عليه،

و یمکنه ان یفتش عنه حتی یجده.

و قـد جاءت فی آیات عدیـده کلمه الإصـلاح بعـد التوبه للـدلاله علی ان التوبه الظاهریه لا تنفع شـیئا،إنما ینبغی ان تکون التوبه نصوحـا یتغیر حـال الفرد بهـا من سـیء الی حسن،و من فاسـد الی صالـح،و فی الآـیه بحوث تتصـل بعلم أصول الفقه نـدعها الی الکتب العلمیه المتخصصه.

ص:۱۴۸

[سوره النحل (۱۶): الآیات ۱۲۰ الی ۱۲۸]

اشاره

إِنَّ إِبْرٰاهِیمَ کٰانَ أُمَّهً قٰانِتاً لِلّٰهِ حَنِیفاً وَ لَمْ یَکُ مِنَ اَلْمُشْرِکِینَ (۱۲۰) شٰاکِراً لِأَنْعُمِهِ اِجْتَبٰاهُ وَ هَدٰاهُ إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ (۱۲۱) وَ آتَیْنٰاهُ
فِی اَلدُّنْیٰا حَسَنَهً وَ إِنَّهُ فِی اَلْآخِرَهِ لَمِنَ اَلصّٰالِحِینَ (۱۲۲) ثُمَّ أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ أَنِ اِتَّبِعْ مِلَّهَ إِبْرٰاهِیمَ حَنِیفاً وَ مٰا کٰانَ مِنَ اَلْمُشْرِکِینَ (۱۲۳)
إِنَّمٰا جُعِلَ اَلسَّبْتُ عَلَی اَلَّذِینَ اِخْتَلَفُوا فِیهِ وَ إِنَّ رَبَّکَ لَیَحْکُمُ بَیْنَهُمْ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ فِیمٰا کٰانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ (۱۲۴) اُدْعُ إِلیٰ سَبِیلِ رَبِّکَ
بِالْحِکْمَهِ وَ اَلْمَوْعِظَهِ اَلْحَسَنَهِ وَ جٰادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِیلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ (۱۲۵) وَ إِنْ
عٰاقَبْتُمْ فَعٰاقِبُوا بِمِثْلِ مٰا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَیْرٌ لِلصّٰابِرِینَ (۱۲۶) وَ اِصْبِرْ وَ مٰا صَبْرُکَ إِلاّٰ بِاللّٰهِ وَ لاٰ تَحْزَنْ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ تَکُ
فِی ضَیْقٍ مِمّٰا یَمْکُرُونَ (۱۲۷) إِنَّ اَللّٰهَ مَعَ اَلَّذِینَ اِتَّقَوْا وَ اَلَّذِینَ هُمْ مُحْسِنُونَ (۱۲۸)

ص:۱۴۹

شكر النعمه و برامج الوحی

هدی من الآیات:

الشکر یزید النعمه،و المجتمع الکافر یلفه الجوع و الخوف،و الفرد الشاکر یبعثه اللّه أمه و یدخله فی الصالحین،کما کان إبراهیم الذی حنف عن ضلاله قومه الی اللّه الواحد،و شکر أنعم اللّه فاجتباه اللّه و هداه الی صراط مستقیم،و آتاه فی الدنیا حسنه،و أدخله فی الآخره فی زمره الصالحین،ثم أمر الرسول بأن یتبع نهجه التوحیدی البعید عن الشرک.

و أما المجتمع الکافر بأنعم اللّه،فمثله مثل بنی إسرائیل الذین اختلفوا فی السبت،فأخره اللّه علیهم و حرم علیهم فیه الصید،و سوف یقضی ربنا یوم القیامه فی أمرهم.

و فی نهایه السوره یلخص اللّه برامج الوحی التی تتلخص فی ثلاث کلمات هی:

۱-الدعوه الی سبیل اللّه بالحکمه،دون أن یتکفل الداعیه مسئولیه الناس

عن إيمانهم أو ضلالتهم،بل اللّه ولى ذلك.

٢-و عند المواجهه يكون العقاب بقدر الذنب،و الانتقام بقدر الجرم،و التنازل عن الحق الشخصى فى اللّه أولى.

٣-و الاستقامه بالصبر على أذى الناس،دون أن يحزن الداعيه على مصيرهم،و لا يخشى من مكرهم،ذلك لان اللّه مع أهل التقوى و الإحسان.

بينات من الآيات:

إبراهيم قدوه الشكر:

[١٢٠]على الإنسان أن يشكر نعم اللّه عليه حتى و لو كفر بها المجتمع الذى يعيش فيه،أو ليس إبراهيم قدوه الإنسانيه المثلى،الذى شكر أنعم اللّه مخالفا سيره قومه الجاهليين؟! إِنَّ إِبْرٰاهِيمَ كٰانَ أُمَّةً و لو كان رجل آخر فى عهد إبراهيم مسلما لذكره اللّه،و لكنه وحده تحدى مجتمع الفساد و كان..

قٰانِتاً لِلّٰهِ خاضعا له قلبا..

حَنِيفاً تنكب طريق الضلاله إلى صراط العزيز العليم.

ص:١٥١

وَ لَمْ يَکَ مِنَ الْمُشْرِکِينَ الذين أحاطوا به.

و قد جاء فى الحديث المأثور عن الصادق(عليه السلام) :لقد كانت الدنيا و ما كان فيها إلاّ واحدا يعبد اللّه،و لو كان معه غيره لأضافه اليه حيث يقول:

(إِنَّ إِبْرٰاهِيمَ كٰانَ أُمَّةً قٰانِتاً لِلّٰهِ حَنِيفاً وَ لَمْ يَکُ مِنَ الْمُشْرِکِينَ)فصبر بذلك ما شاء اللّه،ثم ان اللّه تبارك و تعالى آنسه بإسماعيل و إسحاق فصاروا ثلاثه.

[۱۲۱]أبرز صفات إبراهيم التى تتناسب و السياق القرآنى هنا:صفه الشكر التى أنهت بإبراهيم الى أن يختاره اللّه من بين الملايين من البشر المعاصرين له،و أن يهديه الى الصراط المستقيم..

شٰاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَبٰاهُ وَ هَدٰاهُ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ و هكذا كلّ من شكر أنعم اللّه هداه اللّه الصراط المستقيم.

۱۲۲]و لم يبق إبراهيم وحده،بل آنسه اللّه بذريه طيبه لم تلبث أن تكاثرت حتى ملأت الدنيا،و أما فى الآخره فهو فى عداد الصالحين..

وَ آتَيْنٰاهُ فِي الدُّنْيٰا حَسَنَةً وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصّٰالِحِينَ [۱۲۳]و جعله اللّه قدوه الأنبياء و أمام الناس،حتى أن ربنا أمر نبيه الأعظم أن يتبع دين إبراهيم و طريقته،لأنه كان مستقيما معصوما عن الزلل..

ثُمَّ أَوْحَيْنٰا إِلَيْکَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرٰاهِيمَ حَنِيفاً وَ مٰا كٰانَ مِنَ الْمُشْرِکِينَ و اللّه لا يأمر باتباع المشرك أنى كانت الظروف.

ص:۱۵۲

بنی إسرائیل و الابتلاء:

[۱۲۴] إِنَّمٰا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ماذا تعنی الآیه فی هـذا السـیاق القرآنی بالذات؟ لقد جاء فی التفاسـیر:ان السـبت بمعنی القطع،و سمی السبت بهذا الاسم لان الیهود کانوا قد کلفوا بقطع العمل فی هذا الیوم.

ثم قـالوا:ان اختلاف الیهود فی السـبت کان بسـبب انهم خالفوا أوامر اللّه فی الاستراحه فیه،ففرض اللّه علیهم ذلک،و کان ذلک بمثابه الابتلاء.

و بعضهم قال:بل انه فرض علیهم یوم الجمعه،و حین اختلفوا أخّره اللّه الی السبت.

و بقی السؤال العریض:مـا هی علاـقه الآـیه بمـا سـبقتها؟ ربمـا الآیه توحی الی أن بنی إسـرائیل أمروا بأن یعطلوا یوما یقضون فیه حاجـاتهم الخـاصه،فلم یتفقوا علی یوم،بـل کـان کـلّ فریق یتنافس و سائر الفرقاء فی المکسب،مما جعلهم فی الحیره،و هنا جعل اللّه علیهم السبت لیقطع خلافاتهم، و کان ذلک امتحانا لهم.

و هـذا یتنـاسب مع السـیاق الـذی یـدلّ علی أن بعض الأحکـام الشـرعیه تشـرع بسـبب ظروف خاصه،ثمّ إذا تغیرت الظروف زال الحکم،و هذا أمر کثیر فی بنی إسرائیل..

وَ إِنَّ رَبَّکَ لَیَحْکُمُ بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ فِیمٰا کٰانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ

وصایا للدعاه:

[۱۲۵]و فی نهایه السوره التی خصصت آیاتها بالوحی تقریبا،و سمیت باسم «النحل»الذی یوحی إلیه اللّه سبحانه ما یشاء،جاءت توصیات الی الدعاه الی اللّه من الذین یحملون الوحی.

الحکمه:

و أولها:الدعوه إلی سبیل اللّه بالحکمه و قد ذکرت آیات القرآن فی سوره الإسراء القادمه،و فی سوره لقمان،و سور أخری معنی الحکمه،و قد عرفها البعض بأنها الجانب النظری من العلم،و لکنها فی الواقع أکثر من هذا،انها جماع الصفات النفسیه و السلوکیه الحسنه التی یذکر بها اللّه فی آیات تأتی..

اُدْعُ إِلیٰ سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ و تتجلی الحکمه فی الحدیث الطیب الذی لا و هن فیه و لا خشونه،انما هو حزم فی لین،و بلاغه فی وضوح،و جمال فی إتقان..

وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ و حین الجدال ینبغی ألاّ یثور غضب الداعیه،فیصدر أحکاما کاسحه علی الناس،و لا یهن أمام الخصم فیتنازل له عن بعض الحقائق طمعا فی استجابته للحقیقه..

وَ جٰادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ و قد جاء فی حدیث شریف ان الجدال بالتی هی أحسن هو القرآن،و لا ریب

أن تفاصيل السلوك الحسن موجوده فى القرآن الحكيم..

إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ فلا يجوز اتهام الناس بالكفر و الزندقه،و اتخاذ مواقف سلبيه منهم جميعا،بل اللّه يحاسبهم،انما على الداعيه أن يعمل بواجبه فى دعوتهم الى اللّه.

و جاء فى حديث طويل معنى الجدال بالتى أحسن:بأنه اتباع الحق فى كل مراحل الحديث،فلا ينكر حقا لزعم انه ينفى حقا أكبر منه،و لا يقبل بباطل لأنه -فى زعمه-يثبت حقا أكبر منه،كلا..ينبغى أن نصل الى الهدف الحق عبر وسيله الحق نفسه.

و كلمه أخيره:إنّ الآيه هذه تدلّ على ضروره تحكيم العقل فى أسلوب الدعوه الى اللّه.

العدل:

[۱۲۶]و الوصيه الثانيه للدعاه:التزام العداله فى معامله الأعداء،فلا يسرف فى العقوبه،بل يسعى الدعاه فى تجاوز أنفسهم،و أن يتنازلوا عن حقوقهم من أجل المصلحه العامه..

وَ إِنْ عٰاقَبْتُمْ فَعٰاقِبُوا بِمِثْلِ مٰا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصّٰابِرِينَ

و جاء فى حديث مأثور عن الإمام الصادق عليه السلام لما رأى رسول اللّه ما صنع بحمزه بن عبد المطلب قال:«اللهمّ لك الحمد،و إليك المشتكى،و أنت المستعان على ما أرى»ثمّ قال:«لإن ظفرت لأمثلن و لأمثلن»فأنزل اللّه: وَ إِنْ عٰاقَبْتُمْ

فَعٰاقِبُوا بِمِثْلِ مٰا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصّٰابِرِينَ فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله :«أصبر أصبر.»

الاستقامه:

[۱۲۷]و الوصيه الثالثه:صفات الاستقامه.

وَ اصْبِرْ وَ مٰا صَبْرُكَ إِلاّٰ بِاللّٰهِ وَ لاٰ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمّٰا يَمْكُرُونَ فالصبر بالتوكل على اللّه،و عدم التأثر بتغيّر الظروف و أقوال الناس،و سعه الصدر فى مواجهه المشاكل..

[۱۲۸]و فى نهايه السوره يؤكد القرآن على أن اللّه يؤيد الدعاه بشرطين:

الأول:أن يتقوا اللّه.

الثانى:الإحسان و الطاعه..

إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ نرجو أن نكون من الدعاه الى اللّه و القاده فى سبيله..إنّه عزيز حكيم.

ص:۱۵۶

سوره الإسراء

اشاره

ص:۱۵۷

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم

فضل السوره:

عن النبی صلی الله علیه و آله أنه قال: «من قرأ سوره بنی إسرائیل فرقّ قلبه عند ذکر الوالدین أعطی فی الجنه قنطارین من الأجر و القنطار ألف أوقیه و مائتا أوقیه و الأوقیه منها خیر من الدنیا و ما فیها. »

عن الصادق علیه السلام انه قال: «من قرأ سوره بنی إسرائیل فی کل لیله جمعه لم یمت حتی یدرک القائم و یکون من أصحابه. » (۱)

ص:۱۵۹

۱- ۱) مجمع البیان ج ۶ ص ۳۹۳.

الإطار العام

لعل أهم الموضوعات التى تناولتها سوره الإسراء هى مسئوليه الإنسان عن اعماله.فى اطار الرساله الالهيه.و تتحدث السوره عن طائفه من المسؤوليات تجاه المجتمع ابتداء من الوالدين و انتهاء بسائر الناس.

و تعالج السوره بتفصيل قضيه الشرك باللّه،أو ليس الشرك جذر الفساد و سبب تبريرات البشر عن مسئولياته؟ كما تبين بتفصيل أيضا خطط الشيطان لإغواء البشر و كيفيه محاربه تلك الخطط،و يضرب القرآن الامثله التاريخيه العديده.

و تبدأ السوره بقصه بنى إسرائيل كمثل لمجتمع سعى مره و تخاذل اخرى و تنتهى بها.

هذه جمله القول فى اطار السوره اما التفصيل فان حياه البشر تجسيم لسعيه،تلك هى جمله القول فى اطار سوره الإسراء.و تلك هى خلاصه رسالات اللّه التى هى-فى

الواقع-واحده.

فبعد ان أشار القرآن الى واقعه الإسراء،فالمعراج ذكرنا بأنه السميع البصير، و بالتالى محيط بعباده علمه مما يوحى بضروره التقوى منه(۱).

و خلاصه الكتاب الذى أنزله على موسى لبنى إسرائيل الا يتخذوا من دون اللّه وكيلا(۲)ذلك ان الشرك باللّه،هو جذر كل فساد و ضلال.

أ فلم يكونوا ذريه الذين حملهم الرب مع نوح فى السفينه لينجيهم من الطوفان.

و كان نوح عبدا شكورا(۳).

بلى و لكنهم قد أفسدوا(أو يفسدون)مرتين فى الأرض،و يلاقون جزاءهم(۵)إذ يبعث اللّه بعد ان يحين ميعاد الجزاء فى المره الاولى عبادا له أقوياء فيدمر عرشهم(۶) و بعد أن يعيد لهم الكره.يأتى وعد المره الثانيه،و يتبروهم تتبيرا.لماذا؟لان اللّه يجازيهم بالإحسان إحسانا.و بالاساءه جزاء وفاقا(۷)تلك هى سنه اللّه فى التاريخ.جزاء كل مجموعه لمجمل أفعالهم اما فى الآخره فان اللّه جعل جهنم للكافرين سجنا(۸).

الهدى من اللّه عبر القرآن.اما الايمان و العمل الصالح فهو من فعل الشر.

و عليهما الجزاء الكبير و الكفر قد اعتد لصاحبه العذاب الأليم(۹/۱۰).

و الجزاء يتأخر.و كان الإنسان عجولا فتراه يدعو بالشر كدعائه بالخير.الا ان الجزاء لواقع(۱۱).

الق نظره فى آيات الكون ماذا ترى؟ آيه الليل التى محاها الرب بحكمته.و آيه النهار جعلها مبصره بحسن تدبيره

لکی تسعی لمعاشک و تعد السنوات و تفقه الحساب.

إذا کل شیء منظم،مقدر و مدبر و الذی دبر شؤون اللیل و النهار و نظمها،فصل لنا القول فیها تفصیلا.

فیخرج البشر عن هذا النظام؟کلا.بل هو الآخر محکوم بسعیه،حیث یکتب فی صحیفه عمله المعلقه بعنقه.کل فعاله لیلقی کتابه منشورا یوم القیامه.

و یقال له اقرأ کتاب و حاسب نفسک فأنت الذی تدین نفسک بنفسک لو کنت خاطئا(۱۳/۱۲).

الهدی بسعیک و الضلاله من عندک،و لا أحد یتحمل وزر الآخرین،و لا یبدر الرب عباده بالعذاب ان ضلوا حتی ینذرهم برسول،و هکذا حین یحین میعاد هلاک قریه یبعث فی أمها رسولا ینذر مترفیهم و قیاده انحرافهم.و لکنهم یفسقون عن أمر اللّه.

فهنا لک تثبت علیهم الحجه فیدمرهم اللّه تدمیرا.

و کذلک أهلک اللّه کثیرا من القرون،من بعد طوفان نوح.و الهلاک الشامل للمفسدین فیه. وَ کَفیٰ بِرَبِّکَ بِذُنُوبِ عِبٰادِهِ خَبِیراً بَصِیراً .فلا یزعمن أحد أن اللّه غافل عنه(۱۷/۱۴).

و السعی ینتج واقعا.و لکن حسب نیه البشر.فمن أراد الدنیا أعطاه اللّه منها بقدر ما تقتضیه سنن اللّه و حکمته.الا ان جزاءه فی الآخره سیکون جهنم حیث یصلاها مذموما مدحورا.

أما من أراد الآخره و سعی من أجلها بقدرها فان اللّه یشکر سعیه.

ص:۱۶۳

و اللّه یمد للأول فی دنیاه و للثانی فی أخراه.و ما کان عطاؤه محظورا.هکذا یجعل حیاه البشر ولیده إرادته و سعیه.

و کما ان رزق الناس فی الدنیا متفاضل-بسبب تفاضل سعیهم-کذلک و أکثر منه جزاء الآخره(۲۱/۱۸)ثم یحذرنا الرب من الشرک(و یبدو ان المراد منه هنا:الاسترسال مع التقالید و تیارات المجتمع لأنه ینتمی الی اللوم و الخذلان)(۲۲).

و یأمرنا بألا نعبد الا إیاه(فلا نعبد الاباء و لا نخضع لضغوط المجتمع)الا ان علینا إیجاد العلاقات الایجابیه مع الناس(فی اطار التوحید)و أهمها الإحسان الی الوالدین.و بالذات عند الکبر.و الرحمه بهم و الاستغفار لهم(۲۵/۲۳).

و بعد الوالدین یلتزم المؤمن بحقوق الأقارب و المسکین و ابن السبیل و یتقی التبذیر لان التبذیر یجعله فی صف الشیاطین(و الطغاه)و الکافرین باللّه،غیر الشاکرین لا نعمه و فی حاله الاعراض عنهم(مادیا)لا بد ان تحسن إلیهم(معنویا) بالقول المیسور(۲۸/۲۶).

و یأمرنا الرب بالاقتصاد فی الإنفاق فلا بخل یغل الیدین و لا سرف ینتهی الی الملامه و الضیق أو لیس اللّه یبسط الرزق لعباده و یقدره فلما ذا البخل و السرف(بل علینا ان نتبع أصول الحکمه فی الصرف کما ربنا سبحانه)و لماذا قتل الأولاد خشیه إملاق ما دام الرب هو الرزاق(۳۱/۲۹).

و مثلما نهی اللّه عن قتل الأولاد فی اطار المسؤولیه الاسریه (بما یشمل الإجهاض حسب الظاهر)ینهی عن الزنا باعتباره ذنبا کبیرا.و ساء سبیلا.

و فی اطار المسؤولیات الاجتماعیه یحرم قتل النفس الا بالحق.و یجعل لمن قتل لولیه حق القصاص.و ینهی عن الإسراف فی القتل و یبشره بأنه کان

منصورا(۳۳/۳۲).

و تلك كانت مسئوليات الإنسان تجاه الناس.و تتلخص فى ثلاث كلمات.

التوحيد(و عدم الخضوع للتقاليد و الضغوط)و الإحسان.و احترام حقوق الآخرين.

و فى الدرس السابع يحرم مجرد الاقتراب الى مال اليتيم« إِلاّ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ » و يأمر بالوفاء بالعهد و إيفاء الكيل و الوزن.

و لعل هـذه المسؤوليات الاجتماعيه و التى تأتى تحصن المجتمع من بعض الثغرات التى يدخل منها الظلم الى كيان المجتمع فان اقامه العدل لا يمكن الا بسد كل أبواب الظلم و المداخل الطبيعيه التى اشاعه الظلم فى المجتمع.و هكذا يأمر الرب بضروره أتباع العلم،و ترك سوء الظن عن التكبر و الاستكبار فى الأرض.و يجعل ذلك من الحكمه التى اوصى بها الرب الى العباد و التى يجمعها توحيد اللّه سبحانه(۳۹/۳۶).

بلى ان بناء المجتمع الفاضل قائم على أساس التثبت من التهم و المساواه أمام القانون.

و ينهى اللّه عن الشرك،أو ليس الشرك أساس كل جريمه،و تبرير شائع لكل فساد و لا مسئوليه؟ أ صحيح ان اللّه أختار لهم البنين و اتخذ من الملائكه بنات انه بهتان عظم.و قد صرف القرآن لهم من كل مثل.و لكنهم ازدادوا نفورا(۴۱/۴۰).

لو كان هؤلاء الآلهه كما يزعمون إذا لتحدوا سلطان الرب ذى العرش،كلا.

سبحان اللّه و تعالى عما يقولون علوا كبيرا.ان السموات السبع و الأرض تشهد

بقدس مقامه و تسبح له و کل شیء یسبح بحمده.الا ان البشر عاجز عن فهم تسبیحهم.و اللّه حلیم عن العاصین غفور للمؤمنین سبحانه.

أما الدرس الثامن.فانه یبین أخطار الکفر بالحیاه الآخره.و کیف ان اللّه یجعل بین الرسول و من لا یؤمن بها حجابا مستورا.حیث یحیط بقلوب الکافرین بها ستارا فلا یفقهون القرآن و یجعل اللّه فی آذانهم وقرا.حتی انهم یولون نفورا.کلما ذکر الرسول ربه فی القرآن وحده.

ان تراکمات الجهل و الضلاله و العصبیه تجعلهم یستمعون الی الرسول من وراء شبهات باطله.فهم یقولون عن الرسول انه رجل مسحور فیضلون و لا یهتدون سبیلا الی الحقائق.و تراهم ینکرون البعث و یتساءلون ابعد ان نصبح عظاما و رفاتا یعقل ان یخلقنا اللّه من جدید؟!(۴۹/۴۵).

و هکذا تصبح هذه الشبهات حجابا مستورا بینهم و بین القرآن و فهم حقائقه.

و یردهم اللّه بقوه:حیث یذکرهم بأنهم لو کانوا من الحجاره أو الحدید أو ای شیء کبیر فی نظرهم فان اللّه الذی خلقهم أول مره قادر علی ان یعیدهم.ثم یقولون متی؟یقول اللّه عسی ان یکون قریبا.ذلک الیوم الذی یدعوهم اللّه فیستجیبون بحمده،و یزعمون انهم کانوا فی الدنیا أو البرزخ أیاما قلیله(۵۲).

و لان الشیطان عدو مبین فعلی عباد اللّه ان یختاروا کلماتهم لکی لا ینزغ الشیطان بینهم بها.

و ان یترکوا العصبیه لقومهم أو تزکیه أنفسهم إذ أن اللّه اعلم بهم یرحم من یشاء و یعذب من یشاء(۵۵/۵۳).

هکذا تبین آیات الدرس التاسع بعض المسؤولیات الاجتماعیه الواجبه علی

المؤمنين لبعضهم.

و لعل الصراعات الداخليه تنشأ من رواسب الشرك.فيعود السياق لبيان زيف الأنداد و انهم لا يدفعون الضر عن أنصارهم(۵۶).

بل هم بدورهم يبتغون سبيلا الى اللّه ربهم و يرجونه و يخافونه.

و كل القرى معرضه للهلاك قبل يوم القيامه،أما بالعذاب أو الموت.و لقد كذب الأولون بآيات اللّه.فاستحقوا العذاب.و لان اللّه لم يشأ إهلاكهم فانه لم ينزله عليهم كلما طلبوه.إذ لو أوتوه ثم كفروا لهلكوا.فهذه ثمود لما أتاها اللّه الناقه آيه مبصره كفروا بها فاهلكهم اللّه.و انما حكمه الآيات التخويف« لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ »(۵۹/۵۷).

و هكذا ارى اللّه رسوله رؤيا، جعلها فتنه لهم،كما أخبره بالشجره الملعونه، و يخوفهم اللّه فلا يزدادون الا طغيانا(۶۰).

و هكذا كانت الآيات للتخويف،و ليس من أجل إنزال العذاب عليهم.

و يبقى سؤال هام:لماذا الشرك أساسا،و لم لا يخلص الناس الطاعه للّه،و لمن فرض اللّه طاعته،و لماذا تنمو على صعيد مجتمع مسلم شجره ملعونه كبنى اميه يفرضون سيادتهم على الناس؟فى آيات الدرس العاشر،نقرأ الجواب الذى يستوحى منه قصه الخلق و كيف اضحى إبليس عدو بنى آدم و ما هى خططه الماكره؟ و القصه بدأت حين أخذته العصبيه الذاتيه و ادعى ان عنصره أفضل من عنصر آدم،و رفض السجود لآدم الذى سجد له الملائكه جميعا.

و أمهله اللّه ليوم القيامه،و تحدى ربه فى السيطره على ولد آدم.و أخبره اللّه

اولا:انه سوف يخسر العاقبه هو و من اتبعه.

ثانيا:انه لا سلطان له على عباد اللّه بالرغم من وسائله الماكره لأنهم يتوكلون على اللّه و كفى باللّه وكيلا.

اما خطط الشيطان فهى اربعه:التضليل الاعلامى،و الإرهاب،و إفساد النظام الاقتصادى و التربوى،و الغرور(۶۵).

و لكن اللّه هو الذى يزجى الفلك فى البحر و هو الذى يكشف الضر.و هو الذى يخشى مقامه فاذا أراد ان يخسف الأرض بأهلها،أو يرسل قاصفا من الريح.فلا أحد ينجيهم من اللّه.

و هو الذى كرم بنى آدم،و حملهم فى البر و البحر و فضلهم على كثير من الخلق تفضيلا(۷۰).

و هكذا كان كيد الشيطان ضعيفا.لان الولايه للّه و له الدين و بيده الأمر،و هو يريد كرامه الإنسان بينما يريد الآخرون إضلاله.

و حبل الانقاذ من أمواج كيد الشيطان و مكره هو القرآن.

كيف نقاوم مكر الشيطان؟و الى أين ينتهى الصراع بين بنى آدم و إبليس؟و ما هى عبر التاريخ فى هذا الحقل؟ يبدو ان آيات الدرس الحادى عشر تدول حول هذه الاسئله.

و تبدأ بالحديث عن القياده باعتبارها تحدد خطر البشر.ففى يوم البعث يدعو اللّه كل أناس بإمامهم،و يختلف الناس بين من يؤتى كتابه بيمينه فيقرأه و من يحشر

أعمی و امام الهدی عصمه من مکر الشیطان.

و یبین القرآن بعدئـذ کیف تعرض الرسول للضـغط الاعلاـمی لیفتنوه عما اوحی الیه فتحـداه.و لنا فیه أسوه حسـنه.و یعلمنا کیف نقاوم الفتنه بالتوکل علی اللّه کما فعل الرسول صـلی الله علیه و آله فثبته اللّه کان هـذا مثل لخطه التضـلیل و یضـرب القرآن مثلا لخطه الإرهـاب حیث کـادوا یسـتفزون النـبی صـلی الله علیه و آله من الأـرض و لـو فعلوا لمـا بقوا من بعـده الاـ قلیلا.تلـک سـنه اللّه(٧٧).

و لمواجهه غوایه إبلیس فرضت علینا اقامه الصلوات الخمس و أمرنا بنافله اللیل التی بعث اللّه بها نبیه مقاما محمودا.

و لکی نحافظ علی النظام الاقتصادی و الاجتماعی و التربوی السـلیم و لا نـدع إبلیس یفسده،فعلینا ان نسأل اللّه أن یوفقنا للصدق فی المدخل و المخرج،و ان یجعل لنا من لدنه سلطانا نصیرا.و ان نثق بان الحق منتصر و ان الباطل کان زهوقا(٨١).

و لکی نقاوم مکر إبلیس و کیده علینا ان نقوم بأمرین:

١-التمسک بحبل القیاده الإلهیه المتمثله فی شخص رسول اللّه.و الائمه من خلفائه،و من ثم الأمثل من الفقهاء و الأقرب الی نهج الرسول.و قد بینت آیات هذا الدرس صـفات الرسول فی الاسـتقامه،و الصبر و التوکل و الثقه.و کأنها الصفات المثلی للقیاده التی تعصمنا من مکر الشیطان.

٢-الاعتصـام بالقرآن.باعتبـاره حبـل اللّه المتین.و فی آیـات الـدرس الثـانی عشـر بیان ذلک.حیث تبین ان القرآن شـفاء و رحمه للمؤمنین.بینمـا لاـ یزیـد الظـالمین الا خسارا،و یمکننا ان نسـتفید من آیات هـذا الـدرس کیفیه الاسـتفاده من القرآن و التمسـک بحبله،ببیان ان الإنسان یغتر بالنعم،فاذا أوتیها اعرض و نآ،و ان سلبت

منه استبد به اليأس.

و الناس مختلفون فكل يعمل على شاكلته.و اللّه اعلم بمن هو أهدى سبيلا.

و انما القرآن من اللّه.فاذا شاء ذهب به.و انه لمعجز،فلو اجتمعت الجن و الانس ما استطاعوا تحديه،و فيه من كل شيء مثل و انهم ليطالبون ببعض الآيات الماديه دون ان يهتدوا الى ان الرسول بشر و انما القرآن من اللّه،و انما عليه البلاغ.

و لعل فى هذا الدرس أهم محاور سوره الإسراء.و هو الذى يدور حول الرساله.

و ان الذى يستفيد منه انما هو المؤمن بها،اما الظالم الذى يعرض عن نعم اللّه و يتولى بركنه عنها و الذين مقاييسهم ماديه فإنهم لا ينتفعون بالوحى.

لماذا لا يؤمن الناس بالهدى الذى جاءهم؟و ما هى أهم عقبات الايمان برسالات اللّه؟ اولا:زعمهم بان الرسول ينبغى ان يكون ملكا.

ثانيا:ارتيابهم فى البعث.

و هكذا تعالج آيات الدرس الثالث عشر العقبات النفسيه التى يضعها إبليس فى طريق الايمان بالرساله(۹۹/۹۴)فيبين ان الرسول يجب ان يكون من جنس من يرسل إليهم.فلو كان سكان الأرض الملائكه لا نزل اللّه إليهم ملكا رسولا.

و بعد ان يبين ان اللّه سبحانه شهيد على صدق رساله النبى،و ان بيده الهدايه.

و ان من يضله لا هادى له و لا ولى.و انه يحشر أعمى و ابكم و أصم،و ان عاقبته جهنم التى يستمر سعيرها جزاء على ما عملوا(۹۸).

و بعدئذ يستنطق وجدانهم و يقول أ ليس اللّه الذى خلق السموات وَ الْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ،و انما لا يؤاخذهم بالعذاب لأنه قدر لهم أجلا لا ريب فيه و لكنهم لا يستغلون هذه الفرصه.

و لان الإنسان كفور بطبعه،و بخيل قتور فهو بحاجه الى هاد و مرب و هو الرسول الذى يأتيه بالقرآن شفاء لما فى الصدور.

و لم يكن النبى محمد-صلى اللّه عليه و آله-بدعا من الرسل،فهذه رساله اللّه تتنزل على موسى عليه السلام و اللّه سبحانه يؤتيه تسع آيات بينات فتحداه فرعون و اتهمه بأنه مسحور،و بين له موسى انها بصائر من اللّه و ان فرعون مبتور.

و كما جرى لرسول اللّه محمد جرى لرسول اللّه موسى عليهما صلوات اللّه،حيث أراد فرعون ان يستفز الرسول من الأرض فاغرقه اللّه و من معه جميعا و أورث اللّه الأرض لنبى إسرائيل من بعده الى أجل معدود.

هذا مثل لشهاده اللّه على صدق رسالاته.و مثل لمكر الشيطان و كيده.و مثل لنصره اللّه عباده.و ان الحق منتصر و ان الباطل كان زهوقا.

و لقد جاء القرآن بالحق،و ما على الرسول الا إبلاغه.و انما فرقه اللّه على أنجم ليثبت به فؤاد رسوله.

هكذا ابتدأت آيات الدرس الأخير الرابع عشر(۱۱۱/۱۰۵).

و هى تعالج عقبه اخرى للايمان.و هو تفريق القرآن و تنزله عبر سنين البعثه.

و تؤكد ان للقرآن أصحابا يؤمنون به و انهم يخرون للأذقان سجدا كلما تليت عليهم آياته.و يزدادون ايمانا بوعد اللّه،و يسجدون و يزيدهم القرآن خشوعا لربهم.

ص:۱۷۱

و هذه هی صفات المؤمنین بالقرآن.و هم عباد اللّه الذین لا سلطان لإبلیس علیهم.

و من صفاتهم انهم یدعون اللّه-کما أمرهم-بأسمائه الحسنی،و انهم لا یجهرون بصلاتهم(ریاء)و لا یخافتون بها(خوفا)انما یبتغون بین ذلک سبیلا..

(لان مشیهم الهون و سیرتهم الاقتصاد.و أمتهم وسط).

و تختم سوره الإسراء بحمد اللّه الذی لا ولد له و لا شریک له و لا ولی له من الذل.

کما ابتدأت بحمد اللّه و تسبیحه(۱۱۱).

ص:۱۷۲

[سوره الإسراء (١٧): آيه ١]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . سُبْحٰانَ اَلَّذِي أَسْرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرٰامِ إِلَى اَلْمَسْجِدِ اَلْأَقْصَى اَلَّذِي بٰارَكْنٰا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيٰاتِنٰا إِنَّهُ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْبَصِيرُ (١)

اللغه

١[أسری]سار لیلا.

ص:١٧٣

قصه الإسراء

بينات من الآيات:

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ « بِسْمِ اللَّهِ »ذی القدره و العظمه،و النور و الکمال،و الفضل و الانعام « اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ».

ابتدأت السوره بالتسبيح،و التسبيح يدل على التنزيه و التقديس،و مادتها من (سبّح)ای نزه،و معنى ذلک أن نبعد اللّه عن أی نقص أو عجز أو حدّ.

ان العقل البشری لا يستطيع ان يدرک الاّ الأمور القريبه من ذهنه أو المتعارفه فی الطبيعه،و لکنه يعجز عن ادراک ما وراء ذلک،و لو أراد الإنسان ان يتصور اللّه لتصوره فی حدود مفاهيمه و معارفه.حيث ان بعضهم قال:ان اللّه«سبحانه و تعالى عما

يقولون»على صوره إنسان أعلاه مجوف و أسفله مصمت،و هو نور ساطع يتلألأ،و له حواس خمس. (1)

و التاريخ يدلنا على:ان الأمم الكافره و المشركه،انما تصورت اللّه فى حدود معارفها،فالامه التى كانت بحاجه الى الزراعه و الرعى كانت تقدس الماء أو البقر أو كليهما باعتبارهما آلهه.

و الامه التى كانت بحاجه الى الأنواء و النجوم لتهتدى بها فى السفر،كانت تتصور اللّه نجما أو قمرا أو شمسا،اما الامه التى كانت تعيش ضمن القبيله و التقاليد الموروثه،فانها كانت تقدس الجد الأكبر لها،و بالتالى فإنهم كانوا يتصورون اللّه شيخا كبيرا ذا لحيه بيضاء.

و قد جاء فى بعض الكتب الحديثه التى انطلقت من الغرور العلمى،أحاديث مسهبه خلاصتها:

(انه لما كان اللّه موجودا فى كل مكان و ليس له صوت و لا صوره فهو إذا الجاذبيه).

و قال بعضهم بان اللّه هو الوجود.

و روى عن الامام الصادق عليه السلام :

«و لو ان النمله تصورت ربها لتصورت له قرنين » (2).

و من أجل ان يقطع الإنسان على نفسه الدخول فى هذه الدائره عليه أن يقول:

١- ١) بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٨٩ نقلا عن بعض الجهله

٢- ٢) الحديث منقول بمحتواه و ليس بنصه

«سبحان اللّه»فینزهه لأنه اجلّ من ان یتصور،

و فی حدیث عن الامام الباقر علیه السلام یقول حین سأله ابن أبی نجران عن التوحید: أتوهّم شیئا؟فقال:

«نعم غیر معقول و لا محدود،فما وقع و همک علیه من شیء فهو خلافه،لا یشبهه شیء و لا تدرکه الأوهام،کیف تدرکه الأوهام و هو خلاف ما یعقل، و خلاف ما یتصوّر فی الأوهام.انما یتوهم بشیء غیر معقول و لا محدود » (۱)و بالتالی فان کل ما نتصوره مخلوق مردود إلینا،و الشیء الوحید الذی یمکن ان نقوله عن ربنا هو:«سبحان اللّه»فاننا متی ما قلنا ذلک اقتربنا الی اللّه خطوه.

جاء فی الحدیث عن الامام الباقر علیه السلام و قد سأله البعض:یجوز ان یقال للّه انه شیء؟فقال:

«نعم تخرجه من الحدین حدّ التعطیل،و حد التشبیه » (۲)و هذا معنی الاعتراف باللّه،لذلک بدء القرآن حدیثه بالتسبیح فقال:

[۱] سُبْحٰانَ الَّذِی أَسْریٰ بِعَبْدِهِ لَیْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ إِلَی الْمَسْجِدِ الْأَقْصَی الَّذِی بٰارَکْنٰا حَوْلَهُ لِنُرِیَهُ مِنْ آیٰاتِنٰا إِنَّهُ هُوَ السَّمِیعُ الْبَصِیرُ ما هی علاقه تقدیس اللّه و تنزیهه بالحادثه التاریخیه التی وقعت لرسول اللّه صلی الله علیه و آله و هی حادثه الإسراء و المعراج؟ قال بعض المفسرین ان التسبیح هنا بمعنی التعجب ای عجبا.کیف اسری اللّه

۱- ۱) المصدر ج ۳ ص ۲۶۶

۲- ۲) المصدر ص ۲۶۲

بعبده من البیت الحرام الی المسجد الأقصی ثم عرج به الی السماء هذا صحیح.

و لکن یبقی السؤال ما هی العلاقه بین التسبیح و التعجب؟الواقع اننا حین نتعجب من شیء،فان الشیطان و النفس الاماره بالسوء یوسوسان لنا بأن ذلک الشیء هو عظیم الی حد الالوهیه،و من أجل ان نبتعد عن هذا الشرک علینا ان نسبح اللّه و ننزهه لنتذکر بأنه أکبر من أیّ شیء عجیب قد یبهرنا.

و هکذا عند ما اسری اللّه بالنبی صلی الله علیه و آله من المسجد الحرام الی المسجد الأقصی، ثم عرج به الی السماء کان من الممکن ان یعتقد البعض بان النبی صلی الله علیه و آله هو الإله، لذلک کان یلزم ان تبدأ القصه ب«سبحان اللّه».

و لمفردات اللغه العربیه معان دقیقه فمثلا:إذا ذهب أحدهم فی أول الصباح الی مکان ما یقال عنه(بکّر)و إذا کان بعد ذلک بقلیل قیل(صبّح)و بعد مده (غدی)ثم(أضحی)و فی النهار یقال(سرب)و اما فی اللیل فیقال(سری).

و القرآن فی هذه الآیه یقول« سُبْحٰانَ الَّذِی أَسْریٰ بِعَبْدِهِ »یعنی اسری به فی اللیل، فلما ذا تقول تتمه الآیه:« بِعَبْدِهِ لَیْلاً »؟ قد یکون ذلک لما یلی:

أولا:اسری بعبده ای ذهب باللیل،و لکن هل کان رجوعه فی اللیل أیضا؟ ان کلمه«لیلا»جاءت هنا لتؤکد علی ان الذهاب و الإیاب کان فی اللیل،تأکیدا لمعجزه الإسراء.

ثانیا:قد یکون تأکید الآیه علی ان هذا الحدث العجیب قد تم فی اللیل، حیث السکون و الهدوء،و حیث لا یتم الانتقال فیها إلا قلیلا،ثم ان العروج الایمانی یتم فی اللیل أکثر من النهار،قال ربنا:« إِنَّ نٰاشِئَهَ اللَّیْلِ هِیَ أَشَدُّ وَطْئاً

وَ أَقْوَمُ قِيلًا ».

اما محل انطلاق رسول اللّه صلى الله عليه و آله للاسراء فقد اختلفت الروايات فى ذلك، فمنهم من قال:بأنه خرج من المسجد الحرام،و بعض قال:من بيت أم هانى بنت أبى طالب،و لكن يمكن جمع الخبرين بالقول:ان الرسول صلى الله عليه و آله كان فى بيت أم هانى،ثم خرج الى المسجد الحرام،و من هناك بدأ رحلته الى المسجد الأقصى،اى المسجد الأبعد من المسجد الحرام.

و اما العروج فقد كان من المسجد الأقصى الى السماء،حيث رأى آيات ربه الكبرى،إذ يقول تعالى: لِنُرِيَهُ مِنْ آيٰاتِنٰا و فى آيه أخرى يقول: لَقَدْ رَأىٰ مِنْ آيٰاتِ رَبِّهِ الْكُبْرىٰ (1)و لكن ما هى تلك الآيات؟و اين هى؟ القرآن لا يحدثنا عن هذه الآيات انما نجد هناك إشارات الى هذه الآيات فى الأحاديث كما سيأتى ذكره.

اما كيف تمت تلك الآيات و الحوادث فى ليله واحده فى حين انها تحتاج الى مده مديده؟فان ذلك اثار التساؤلات لدى العلماء،فقال بعضهم:بان الزمان فى الفضاء الأعلى يختلف عمّا هو عليه فى كرتنا الارضيه،و لهم فى ذلك بحوث مطوله لا يسع المجال لذكرها،و أساسا هناك تساؤلات حول كيفيه حدوث الإسراء لشخص الرسول كالتالى:

١-كيف قطع الرسول المسافه بين المسجدين فى ليله،علما بأنها كانت تقطع فى ذلك الزمان فى أسابيع؟ ٢-و بعدئذ كيف اخترق جاذبيه الأرض الى الفضاء،و نحن اليوم لا نقدر

١- ١) سوره النجم(١٨)

على مثله الا بمركبات فضائيه متطوره و معقده،و مع ذلک فانها لا تستطيع ان تعمل الا فی حدود ضيقه جدا،بالنسبه الی الرسول صلّی اللّه عليه و آله؟ ۳-و إذا كانت السموات جميعا عرصه رحله الرسول،فيقتضی ذلک ان تكون سرعه المركبه أضعاف سرعه النور بملايين المرات،لان الرسول قطع-حسب الروايات-تلک المسافات فی ساعات.

و تساؤلات اخری جعلت طائفه من العلماء يشككون أنفسهم فی المعراج،حتی ان بعضهم أوله بأن روح الرسول هی التی عرجت و ليس النبی صلی الله عليه و آله بجسمه و روحه.

بيد ان إجماع علماء آل البيت عليهم السلام قائم علی ان العروج كان بالجسم و الروح كما يحكيه شيخ الطائفه الطوسی(قدس اللّه سره)و الشيخ الطبرسی(ره) و العلامه المجلسی و آخرون. (۱)

و هكذا ذهب أكثر المحققين من علماء المسلمين الی ذلک و عليه روايات صحاح مشهوره حسب ما يحكيه المفسر المعروف الرازی. (۲)

و يدل علی ذلک:

أولا:ان الآيه صريحه علی ان العروج تم«بعبده»كما جاء فی هذه الآيه و تصرح آيات سوره النجم بقوله: وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَهً أُخْریٰ* عِنْدَ سِدْرَهِ الْمُنْتَهیٰ* عِنْدَهٰا جَنَّهُ الْمَأْویٰ* إِذْ يَغْشَی السِّدْرَهَ مٰا يَغْشیٰ* مٰا زٰاغَ الْبَصَرُ وَ مٰا طَغیٰ* لَقَدْ رَأیٰ مِنْ آيٰاتِ رَبِّهِ الْكُبْریٰ . (۳)

۱- ۱) راجع تفسير نمونه ص ۱۳ ج ۱۲

۲- ۲) المصدر،و يراجع أيضا تفسير الرازی

۳- ۳) سوره النجم ۱۳-۱۸

و هذا التعبير صريح فی ان العروج تم به و لیس بروحه صلی الله علیه و آله .

ثانیا:ان الرسول صلی الله علیه و آله قص علی الناس فی مکه و أکثرهم کفار قصه المعراج، فکذبوه و أخبرهم بما رأی فی الطریق مما ظهر صدقه لهم بعدئذ،و لو ان العروج کان بروحه فی مثل النوم،لکان الأمر غیر ذی بال،و لا یثیر التساؤلات عندهم.

و علی العموم لا بد ان نعرف:ان عروج الرسول لم یکن مثل صعود المرکبات، بل کان اعجازا مثل صعود عیسی و إدریس علیه السلام و مثل ما فعل اللّه سبحانه و تعالی لأنبیائه(علیهم السلام)من طوفان نوح،و خمود النیران لإبراهیم علیه السلام و ابتلاع عصی موسی علیه السلام لحبال سحره فرعون و احیاء الموتی علی ید عیسی بن مریم علیه السلام .

و کما القرآن اعجاز تحدی کل العلماء و البلغاء،و لم یستطیعوا أن یأتوا بمثله، کذلک أسراء النبی صلی الله علیه و آله و معراجه.

اما کیف تم ذلک فان العلم یتقدم،و امامه طریق طویل حتی یستطیع ان یکشف اسرار هذه الرحله المادیه الروحیه العجیبه.

بل فهذا العلم تقدم خطوات،و أظهر ان قطع المسافه بین المسجدین فی لیله واحده ممکنه،ثم تقدم و اثبت ان الصعود الی الفضاء هو الآخر ممکن بصوره اجمالیه، بینما کان الأمران محالان عند السابقین حین تمت رحله الإسراء و المعراج،و سوف یتقدم و یتقدم لیکشف بعض اسرار الرحله المعجزه.

و أخیرا لنعلم ان عروج الرسول کان رحله روحیه أیضا،بالاضافه الی انه کان رحله مادیه،حیث شاهد الملائکه و الأنبیاء السابقین،و الجنه و النار و من فیهما.

حدیث الإسراء:

فی الحدیث المروی عن تفسیر القمی،عن أبی عمیر،عن هشام بن سالم،عن

أبی عبد اللّه الصادق علیه السلام انه قال:

جاء جبرئیل و میکائیل و إسرافیل بالبراق الی رسول اللّه صلی الله علیه و آله فأخذ واحد باللجام و واحد بالرکاب،و سوّی الآخر علیه ثیابه،فتضعضعت البراق(ای تحرکت)فلطمها جبرئیل،ثم قال لها:اسکنی و تطأطئی یا براق،فما رکبک نبی قبله،و لا یرکبک بعده مثله،فرفّت به(ای طارت)و رفعته ارتفاعا لیس بالکثیر، و معه جبرئیل یریه الآیات من السماء و الأرض،فبینما انا فی سیری إذ نادی مناد عن یمینی،یا محمد!فلم أجبه،و لم التفت الیه،ثم نادی مناد عن یساری:یا محمد! فلم أجبه و لم التفت الیه،ثم استقبلتنی امرأه کاشفه عن ذراعیها،علیها من کل زینه الدنیا فقالت:یا محمد!انظرنی حتی أکلمک فلم التفت إلیها ثم سرت، فسمعت صوتا افزعنی فجاوزته،فنزل بی جبرئیل،فقال:صلّ،فصلیت،فقال:

أ تدری این صلیت؟قلت لا!فقال:صلیت بطور سیناء،حیث کلّم اللّه موسی تکلیما،ثم رکبت فمضینا ما شاء اللّه،ثم قال لی:انزل فصلّ،فنزلت فصلیت، فقال:أ تدری این صلیت؟فقلت لا.قال:صلیت فی بیت لحم.(و بیت لحم ناحیه من نواحی بیت المقدس حیث ولد عیسی ابن مریم)ثم رکبت،فمضینا حتی انتهینا الی بیت المقدس،فربطت البراق بالحلقه التی کان الأنبیاء تربط بها،فدخلت المسجد و معی جبرئیل الی جنبی،فوجدنا إبراهم و موسی و عیسی فیمن شاء اللّه من أنبیاء اللّه علیه السلام فقد جمعوا الیّ و أقیمت الصلاه-و لا ـ أشک الا ـ و جبرئیل سیتقدمنا-فلما استووا أخذ جبرئیل بعضدی،فقدمنی،و أممتهم،و لا فخرا(یعنی لا ـ افتخر بذلک)ثم آتانی الخازن بثلاثه أوان،إناء فیه لبن،و إناء فیه ماء،و إناء فیه خمر و سمعت قائلا یقول:ان أخذ الماء غرق و غرفت أمته،و ان أخذ الخمر غوی و غویت أمته،و ان أخذ اللبن هدی و هدیت أمته،قال:فأخذت اللبن و شربت منه،فقال جبرئیل:هدیت و هدیت أمتک.ثم قال ماذا رأیت فی مسیرتک؟فقلت نادانی مناد عن یمینی فقال:أو أجبته؟فقلت:لا،و لم التفت

الیه،فقال:ذاک داعی الیهود،لو أجبته لتهودت أمتک من بعدک،ثم قال:ماذا رأیت؟فقلت:نادانی مناد عن یساری،فقال لی:أو أجبته؟فقلت لا،و لم التفت الیه،فقال:ذاک داعی النصاری،و لو أجبته لتنصرت أمتک من بعدک،ثم قال:

ماذا استقبلک؟فقلت:لقیت امرأه کاشفه عن ذراعیها،علیها من کل زینه الدنیا فقالت:یا محمد!انظرنی حتی أکلمک،فقال:أو کلمتها؟فقلت:لم اکلمها،و لم التفت إلیها،فقال:«تلک الدنیا و لو کلمتها لاختارت أمّتک الدنیا علی الآخره، ثم سمعت صوتا أفزعنی فقال لی جبرئیل:أ تسمع یا محمد،قلت:نعم،قال:هذه صخره قذفتها من شفیر جهنم منذ سبعین عاما،فهذا حین استقرت،قالوا:فما ضحک رسول اللّه حتی قبض علیه السلام. »

ص:۱۸۲

قصه المعراج

اشاره

فی حـدیث الإسـراء و المعراج کثیر من المواعـظ و الحکم،و فی نفس الوقت هو حـدیث ممتع،یحمـل الإنسـان بعیـدا عن آفـاق الزمان و المکان، و یدعه یسیح فی آفاق بعیده و أشارت الی ذلک الآیه القرآنیه تقول: «لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا» .

فی وقت کان الناس یعتقدون بأن الأرض هی محور الکون،و ان السماء سقفها ،و ان النجوم مسامیر وضعت فی هذا السقف لکی لا تقع السماء علی الأرض، و لتکون زینه،و کان یتصور فریق منهم ان السموات عقول مجرده لا تحتمل الفساد.

فی ذلک الوقت تمت حادثه المعراج،و نقلتها الأحادیث،و لا بـد ان نعرف أن قصه السـموات تختلف عن موضوع الکبد مثلا فی جسم الإنسان،إذ الکبد شیء خفی لا یهتم کلّ إنسان به،اما السماء فکل إنسان یزعم انه یعرف عنها الشیء الکثیر،و ذلک لعلاقته الوثیقه بها،فهو یری الشـمس و القمر و النجوم یومیا،کما انه یشاهـد تغییرات الأنواء باسـتمرار،و هکـذا فانه لا بد ان یکوّن تصورا معینا عن

ص:۱۸۳

السماء فی نفسه یکون خاطئا فی الأغلب،و کثیرا ما تحولت الأساطیر المرتبطه بعلم الهیئه القدیم الی أفکار مقدسه،فمثلا:دافعت الکنیسه عن هیئه بطلیموس، و أحرقت أو قتلت من تحداها،کما جری لجالیلیو،حین قال:بان الأرض التی تدور حول الشمس و لیس العکس.

و بالرغم من ذلک فقد جاءت إشارات صریحه فی بعض الأحادیث عن طبیعه السماء

یقول الامام علی علیه السلام فی حدیث له:

«ان وراء عالمکم هذا أربعین عالما. » و أربعین عدد یدل علی الکثره فی اللغه العربیه.

و لقد کان الامام علی علیه السلام یقف فی مسجد الکوفه فیقول بملیء فیه:

«سلونی عن طرق السماوات فانی اعلم بها من طرق الأرض. »

و الامام الرضا علیه السلام یقول فی حدیث مسهب:

«ان لکل ارض سماء تحیطها. »

حدیث المعراج:

انتهینا فی الدرس الماضی من الحدیث عن الإسراء،و نواصل هنا الحدیث عن المعراج،

هذا الحدیث یقول:

قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله : «فصعد جبرئیل و صعدت معه الی السماء الدنیا(یعنی أقرب سماء الی الأرض،فان لفظه دنیا مؤنث أدنی،و ادنی مقابل أقصی)و علیها ملک یقال له إسماعیل،و هو صاحب الخطفه التی قال اللّه عز و جل إِلّاٰ مَنْ خَطِفَ

الْخَطْفَهَ فَأَتْبَعَهُ شِهٰابٌ ثٰاقِبٌ و تحته سبعون الف ملك و تحت كل ملك سبعون الف ملك». (۱)

فقال:يا جبرئيل من هذا الذى معك؟فقال:محمد رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال:و قد بعث؟فقال:نعم،ففتح الباب(كأنّ للسماء بابا و لكن ليس كالأبواب المتعارفه لدينا)فسلمت عليه،و سلّم علىّ،و استغفرت له،و استغفر لى،و قال:مرحبا بالأخ الصالح،و النبى الصالح،و تلقتنى الملائكه حتى دخلت السماء الدنيا،فما لقينى ملك الا ضاحكا مستبشرا،حتى لقينى ملك من الملائكه،لم أر أعظم خلقا منه، كريه المنظر، ظاهر الغضب،فقال لى مثلما قالوا من الدعاء،الا انه لم يضحك،و لم أر فيه من الاستبشار ما رأيت من ضحك الملائكه،فقلت:من هذا يا جبرئيل؟فانى قد فزعت منه فقال:يجوز ان يفزع منه،فكلنا نفزع منه.ان هذا مالك خازن النار،لم يضحك قط،و لم يزل منذ ان ولاه اللّه جهنم،يزداد كل يوم غضبا و غيضا على أعداء اللّه و أهل معصيته،فينتقم اللّه به منهم،و لو ضحك الى أحد قبلك أو كان ضاحكا الى أحد بعدك لضحك إليك،فسلمت عليه فردّ السلام علىّ،و بشرنى بالجنه،فقلت لجبرئيل:ألا تأمره ان يرينى النار؟فقال له جبرئيل:يا مالك أر محمد النار،فكشف عنها غطاءها،و فتح بابا منها فخرج لهب ساطع فى السماء،و فارت،و ارتفعت حتى ظننت ليتناولنى مما رأيت،فقلت:يا جبرئيل:قل له:فليرد عليها غطاءها،فأمره فقال لها:ارجعى فرجعت الى مكانها الذى خرجت منه (۲)

۱- ۱) مكلفون بإداره السماء الأولى فقط،و هناك أحاديث تصف بعض الملائكه فتقول بان جناح الواحد منهم يمتد ما بين المشرق و المغرب،أو ان الواحد منهم يحمل ثقل الأرض كلها فوق جناحه،و ما هذه الإشارات الا الى سعه السماوات.

۲- ۲) و من هذا الحديث يبدو ان جهنم ضمن اطار السماء الاولى و هى أقرب سماء إلينا،و قد تكون جهنم مثلا كره ملتهبه من هذه الكرات الموجوده فى احدى هذه المجرات،أو شمس من الشموس العتيقه التى تحدث فيها انفجارات هائله تتجاوز عظمتها ملايين المرات عما هى عليه القنابل النوويه فى الدنيا،أو يكون ما راه سيدنا و نبينا محمد صلى الله عليه و آله جانبا من جهنم و اللّه العالم.

ثم مضيت فرأيت رجلا آدما جسيما،فقلت:من هذا يا جبرئيل؟فقال:هذا أبوك آدم،فاذا هو يعرض عليه،فيقول:روح طيّبه،و ريح طيبه من جسد طيب،ثم تلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله سوره المطففين على رأس سبع عشر آيه كَلاّٰ إِنَّ كِتٰابَ الْأَبْرٰارِ لَفِي عِلِّيِّينَ* وَ مٰا أَدْرٰاكَ مٰا عِلِّيُّونَ* كِتٰابٌ مَرْقُومٌ* يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (الى آخر الآيات)قال:فسلمت على أبى آدم،و سلّم علىّ،و استغفرت له،و استغفر لى،و قال:

مرحبا بالابن الصالح،و النبى الصالح،المبعوث فى الزمن الصالح.

قال:ثم مررت بملك من الملائكه جالس على مجلس،و إذا جميع الدنيا بين ركبتيه،و إذا بيده لوح من نور ينظر فيه،مكتوب فيه كتاب ينظر فيه،لا يلتفت يمينا لا شمالا،مقبلا عليه كهيئه الحزين،فقلت من هذا يا جبرئيل؟قال:هذا ملك الموت،دائب فى قبض الأرواح،فقلت:يا جبرئيل أدننى منه حتى أكلمه،فأدنانى منه،فسلمت عليه،و قال له جبرئيل:هذا محمد نبى الرحمه الذى أرسله اللّه الى العباد،فرحّب بى و حيّانى بالسلام.قال:أبشر يا محمد.ارى الخير كله فى أمتك، فقلت:الحمد للّه المنان،ذى النعم على عباده،ذلك من فضل ربّى،و رحمته علىّ، فقال جبرئيل:هو أشد الملائكه عملا،فقلت:أ كلّ من مات أو هو ميت فيما بعد هذا تقبض روحه؟فقال:نعم،قلت:و تراهم حيث كانوا،و تشهدهم بنفسك؟ قال:نعم،فقال ملك الموت:ما لدنيا كلها عندى فيما سخّر اللّه لى و مكننى عليها الا كالدرهم فى كف الرجل يقلبها كيف يشاء،و ما من دار الا و انا أتصفحه كل يوم خمس مرات،و أقول إذا بكى أهل الميت على ميتهم،لا تبكوا عليه فان لى عوده و عوده حتى لا يبقى منكم أحد،فقال رسول اللّه:كفى بالموت طامّه يا جبرئيل، فقال:جبرئيل:انما بعد الموت اطّم و اطّم من الموت.

قال:ثم مضيت فاذا انا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيّب،و لحم خبيث، يأكلون اللحم الخبيث،و يدعون الطيّب،فقلت من هؤلاء يا جبرئيل؟فقال:الذين

يأكلون الحرام،و يدعون الحلال،و هم من أمتك يا محمد،فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله :ثم رأيت ملكا من الملائكه جعل اللّه امره عجيبـا.نصف جسـده النـار،و النصف الآخر ثلـج،فلا النار تـذيب الثلـج،و لا الثلـج يطفئ النار،و هو ينادى بصوت رفيع و يقول:

سبحان الـذى كفى حر هـذه النار فلا تـذيب الثلـج،و كفى برد هـذا الثلج فلا يطفئ حر هذه النار،اللهم يا مؤلف بين الثلج و النار الف بين قلوب عبادك المؤمنين، فقلت:من هـذا يا جبرئيل؟فقال:هـذا ملك و كلّه اللّه بأكناف السـماء و أطراف الأرضـين،و هو أنصـح ملائكه اللّه لأهل الأرض من عباده المؤمنين يـدعو لهم بما تسـمع منـذ خلق،و رأيت ملكين يناديان فى السـماء واحدهما يقول:اللهم أعط كل منفق خلفا،و الآخر يقول:اللهم أعط كل ممسك تلفا.

ثم مضـيت فـاذا انـا بـأقوام لهـا مشافر كمشافر الإبل،يقرض اللحم من جنوبهم و يلقى فى أفواههم،فقلت:من هؤلاء يا جبرئيل؟قال هؤلاء الهمازون اللمازون (المغتابون النمامون).

ثم مضـيت فـاذا انـا بقوم ترضـخ رؤوسـهم بالصـخر،فقلت:من هؤلاـء يـا جبرئيل؟ فقال:هؤلاء الـذين ينامون عن صـلاه العشاء،ثم مضـيت فـاذا انـا بأقوام تقـذف النار فى أفواههم و تخرج من ادبارهم،فقلت من هؤلاء يا جبرئيل؟قال:هؤلاء« اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً.إِنَّما يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ ناراً وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً »ثم مضـيت فاذا انا بأقوام يريـد أحـدهم ان يقوم فلا يقـدر من عظم بطنه،فقلت،من هؤلاـء يـا جبرئيـل؟قال:هؤلاء الـذين يأكلون الربا« لا يَقُومُونَ إِلاّ كَما يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ »و إذا هم بسبيـل آل فرعون يعرضون على النـار غـدوا و عشيا..يقولون:ربنـا متى تقوم السـاعه،قـال:ثم مضـيت فـاذا انـا بنسوان معلقات باثدائهن،فقلت:من هؤلاء يا جبرئيل؟فقال هؤلاء اللواتى يورثن اموال أزواجهن

ص:۱۸۷

ولاد غيرهم (۱)ثم قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله :

اشتد غضب اللّه على امرأه ادخلت على قوم فى نسبهم من ليس منهم، فاطلع على عوراتهم و أكل خزائنهم.

ثم قال:مررنا بملائكه من ملائكه اللّه عز و جل:خلقهم اللّه كيف شاء، و وضع وجوههم كيف شاء،و ليس شىء من اطياف أجسادهم الا و هو يسبح اللّه و يحمده من كل ناحيه بأصوات مختلفه،فسألت جبرئيل عنهم،فقال:كما ترى خلقوا.ان الملك منهم الى جنب صاحبه ما كلمه كلمه قط،و لا رفعوا رؤوسهم الى ما فوقها،و لا خفضوها الى ما تحتها خوفا من اللّه و خشوعا،فسلمت عليهم فردّوا علىّ إيماء برؤوسهم من الخشوع،فقال لهم جبرئيل:هذا محمد نبى الرحمه،أرسله اللّه الى العباد رسولا و نبيّا،و هو خاتم النبيين،و سيدهم،أ فلا تكلمونه؟فقال:عند ما سمعوا ذلك من جبرئيل أقبلوا علىّ بالسلام و اكرمونى و بشرونى بالخير لى و لا متى.

الرسول فى السماوات:

يقول رسول اللّه صلى الله عليه و آله : ثم صعدنا الى السماء الثانيه فاذا فيها رجلان متشابهان.فقلت:من هذان يا جبرئيل؟فقال:أبناء الخاله يحيى و عيسى،فسلمت عليهما و سلّما علىّ،و استغفرت لهما،و استغفرا لى،و قالا:مرحبا بالأخ الصالح، و إذا فيها من الملائكه و عليهم الخشوع،و قد وضع اللّه وجوههم كيف شاء،ليس منهم ملك الا يسبّح اللّه بحمده بأصوات مختلفه.

ثم صعدنا الى السماء الثالثه،فاذا فيها رجل،فضل حسنه على سائر الخلق، كفضل القمر ليله البدر على سائر النجوم،فقلت:من هذا يا جبرئيل؟فقال:هذا

۱- ۱) يعنى أن المرأه تلد من الزنا فتجعله للزوج

أخوك يوسف،فسلمت عليه و سلم عليّ،و استغفرت له،و استغفر لی،و قال:مرحبا بالنبی الصالح،و الأخ الصالح،المبعوث فی الزمن الصالح،و إذا فیها ملائکه علیهم من الخشوع مثلما وصفت فی السماء الاولی و الثانیه،فقال لهم جبرئیل فی أمری،ما قال للآخرین،و صنعوا فیّ مثلما صنع الآخرون،ثم صعدنا الی السماء الرابعه، و إذا بی رأیت رجلا،فقلت:من هذا یا جبرئیل؟فقال:هذا إدریس رفعه اللّه مکانا علیّا،فسلمت علیه،و سلّم علیّ،و استغفرت له،و استغفر لی،و إذا فیها من الملائکه لخشع مثلما فی السماوات التی عبرناها،فبشرونی بالخیر لی و لأمتی،ثم رأیت ملکا جالسا علی سریر و تحت یدیه سبعون الف ملک،تحت کل ملک سبعون الف ملک، فوقع فی نفس رسول اللّه انه هو،فصاح به جبرئیل فقال:قم،فهو قائم الی یوم القیامه.

ثم صعدنا الی السماء الخامسه فاذا فیها رجل کهل عظیم العین،لم أر کهلا أعظم منه،حوله ثله من أمته،فاعجبنی کثرتهم فقلت:من هذا یا جبرئیل؟فقال:

هذا المحبّب فی قومه هارون بن عمران،فسلمت علیه و سلّم علیّ،و استغفرت له و استغفر لی،و إذا فیها من الملائکه الخشع مثلما رأیت فی السماوات.

ثم صعدنا الی السماء السادسه و إذا فیها رجل آدم(ای أسمر اللون)طویل کأنه من شنوه (۱)و لو ان له قمیصین لنفذ شعره فیها،و سمعته یقول:یزعم بنو إسرائیل انی أکرم من ولد آدم علی اللّه و هذا رجل أکرم علی اللّه منی(و أشار الی رسول اللّه)فقلت:من هذا یا جبرئیل؟فقال:هذا أخوک موسی بن عمران،فسلمت علیه و سلّم علیّ،و استغفرت له،و استغفر لی،و إذا فیها من الملائکه الخشع مثلما فی السماوات. (۲)

ص:۱۸۹

۱- ۱) شنوه قبیله عربیه معروفه طوال القامه

۲- ۲) و هکذا فاننا نری بان الرسول صلی الله علیه و آله یلتقی فی کل سماء بنبی أو أکثر تعبیرا عن وحده الرسالات السماویه و عن الاخوه بین الأنبیاء،و عن اختلاف درجات الأنبیاء.

ثم صعدنا الی السماء السابعه فما مررت بملک من الملائکه الا قال:یا محمد احتجم،و أمر أمتک بالحجامه (۱)و إذا فیها رجل اشمط الرأس و اللحیه،جالس علی کرسی،فقلت:یا جبرئیل من هذا الذی فی السماء السابعه علی باب البیت المعمور.

فی جوار اللّه؟فقال:هذا یا محمد أبوک إبراهیم،و هذا محلک و محل من اتقی من أمتک، ثم قرأ رسول اللّه:« إِنَّ أَوْلَی النّاسِ بِإِبْراهِیمَ لَلَّذِینَ اتَّبَعُوهُ وَ هٰذَا النَّبِیُّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ اللّٰهُ وَلِیُّ الْمُؤْمِنِینَ »فسلمت علیه و سلّم علیّ و قال:مرحبا بالنبی الصالح،و الابن الصالح،المبعوث فی الزمن الصالح،و إذا فیها من الملائکه الخشع مثلما فی السماوات فبشرونی بالخیر لی و لامتی. (۲)

قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله : و رأیت فی السماء السابعه بحارا من نور تتلألا.تلألؤها یخطف بالأبصار و فیها بحار من ظلمه،و بحار من ثلج ترعد،فکلما فزعت و رأیت هولا سألت جبرئیل فقال:أبشر یا محمد،و اشکر کرامه ربک،و اشکر اللّه بما صنع إلیک،قال:فثبتنی اللّه بقوته و عونه حتی کثر قولی لجبرئیل و تعجبی، فقال جبرئیل:

یا محمد تعظم ما تری(هل تراه عظیما)؟!انما هذا خلق من خلق ربک فکیف بالخالق الذی خلق ما تراه،و ما لا تراه أعظم من هذا!! ان بین اللّه و بین خلقه سبعین الف حجاب،و أقرب الخلق الی اللّه انا و إسرافیل،و بیننا و بینه اربعه حجب:حجاب من نور و حجاب من الظلمه و حجاب من الغمامه و حجاب من الماء.

و قال رأیت من العجائب التی خلق اللّه،و سخّر علی ما اراده،دیکا رجلاه فی

۱- ۱) الحجامه تعنی ان یأخذ الإنسان مقدارا من دمه کل عام

۲- ۲) اننا نجد ان الأنبیاء فی حدیثهم مع النبی محمد صلی الله علیه و آله یقولون له:المبعوث فی الزمن الصالح و هذا یدل علی ان البشریه قد تکاملت عبر رسالات اللّه حتی بلغت مرحله النضج فی عهد رسول اللّه صلی الله علیه و آله و العهود التالیه لعهده، و إنسان الیوم انما یتقدم فی مدارج الکمال بفضل رسالات اللّه.

تخوم الأرض السابعه و رأسه عند العرش و هو ملک من ملائکه اللّه تعالی،خلقه اللّه کما أراد،ثم اقبل مصعدا حتی خرج فی الهواء الی السماء السابعه،و انتهی فیها مصعدا حتی انتهی قرنه الی قرب العرش،و هو یقول سبحان ربی حیث ما کنت..

لا تدری این ربک من عظم شأنه،و له جناحان فی منکبه إذا نشرهما جاوزا المشرق و المغرب،فاذا کان فی السّحر نشر جناحیه و خفق بهما،و صرخ بالتسبیح و یقول:

سبحان اللّه الملک القدوس،سبحان اللّه الکبیر المتعال لا اله الا اللّه الحی القیوم، و إذا قال ذلک سبّحت دیوک الأرض کلها،و خفقت بأجنحتها و أخذت بالصراخ، فاذا سکت ذلک الدیک فی السماء سکتت دیوک الأرض کلها،و لذلک الدیک زغب خضر (۱)و ریش ابیض شدید البیاض..ما رأیت مثله قط و له زغب أخضر أیضا تحت ریشه الأبیض کأشد خضره ما رأیتها قط.

قال:ثم مضیت مع جبرئیل،فدخلت البیت المعمور،فصلیت فیه رکعتین و معی أناس من اصحابی علیهم ثیاب جدد،و آخرین علیهم ثیاب خلقان، فدخل أصحاب الجدد و جلس أصحاب الخلقان (۲)ثم خرجت فانقاد لی نهران،نهر یسمی الکوثر،و نهر یسمی الرحمه،فشربت من الکوثر و اغتسلت من الرحمه (۳)ثم انقادا لی جمیعا حتی دخلت الجنه و إذا علی حافتیها بیوتی و بیوت أهلی،و إذا ترابها کالمسک، و إذا جاریه تنغمس فی أنهار الجنه فقلت:لمن أنت یا جاریه.فقالت لزید بن حارثه. (۴)

۱- ۱) و الزغب هو الریش الصغیر

۲- ۲) و القرآن الحکیم یقول فی سوره البقره «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَیْرَ الزّٰادِ التَّقْویٰ» فلباس التقوی خیر لباس و زاد التقوی خیر زاد،و کلما کنت تقیا کان ثوبک فی یوم القیامه أجدّ و انئذ یمکنک ان تدخل مع رسول اللّه صلی الله علیه و آله الی البیت المعمور فتصلی فیه.

۳- ۳) یعنی استوعب رسول اللّه الخیر الکثیر و لفّته الرحمه.

۴- ۴) الذی تبناه رسول اللّه صلی الله علیه و آله و هو والد اسامه و قد استشهد فی معرکه مؤته،التی استشهد فیها عبد اللّه بن رواحه و جعفر الطیار.

و إذا رمّانها مثل الدليّ العظام (۱)و إذا شجره لو أرسل طير فی أصلها ما دارها سبعمائه سنه و لیس فی الجنه منزل الا و فیه غصن منها،فقلت ما هذه یا جبرئیل؟ فقال:هذه شجره طوبی قال اللّه:« طُوبیٰ لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ »قال رسول اللّه:

فعند ما دخلت الجنه رجعت الی نفسی فسألت جبرئیل عن تلک البحار و هولها و أعاجیبها،فقال:هی سرادقات الحجب التی احتجب اللّه تبارک و تعالی بها،و لو لا تلک الحجب لهتک نور العرش کل شیء فیه.

و انتهیت الی سدره المنتهی فاذا الورقه منها تظل امه من الأمم،فکنت منها کما قال تعالی: قٰابَ قَوْسَیْنِ أَوْ أَدْنیٰ فنادی اللّه سبحانه و تعالی: آمَنَ الرَّسُولُ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَیْهِ مِنْ رَبِّهِ فقلت انا،مجیبا عنّی و عن أمتی:« وَ الْمُؤْمِنُونَ کُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ مَلاٰئِکَتِهِ وَ کُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لاٰ نُفَرِّقُ بَیْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ قٰالُوا سَمِعْنٰا وَ أَطَعْنٰا غُفْرٰانَکَ رَبَّنٰا وَ إِلَیْکَ الْمَصِیرُ » فقال اللّه: «لاٰ یُکَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا لَهٰا مٰا کَسَبَتْ،وَ عَلَیْهٰا مَا اکْتَسَبَتْ» فقلت: «رَبَّنٰا وَ لاٰ تَحْمِلْ عَلَیْنٰا إِصْراً کَمٰا حَمَلْتَهُ عَلَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِنٰا» فقال اللّه:« لأحملنّک».

فقلت: «رَبَّنٰا وَ لاٰ تُحَمِّلْنٰا مٰا لاٰ طٰاقَهَ لَنٰا بِهِ وَ اعْفُ عَنّٰا وَ اغْفِرْ لَنٰا وَ ارْحَمْنٰا أَنْتَ مَوْلاٰنٰا فَانْصُرْنٰا عَلَی الْقَوْمِ الْکٰافِرِینَ» .

فقال اللّه تبارک و تعالی:«قد أعطیتک ذلک و لامتک ».

قال الصادق علیه السلام :

«ما وفد علی اللّه تعالی أحد أکرم من رسول اللّه حین سأل لامته هذه الخصال » (۲)

ص:۱۹۲

۱- ۱) حیث أن رمان الجنه کالدلو،و دلیّ جمع دلو.

۲- ۲) و تلک هی الآیات الاخیره من سوره البقره،و قد جاء ذلک فی مضمون حدیث عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله حیث قال: رفع عن أمتی تسع:الخطأ و النسیان و ما لا یعلمون و...و الی آخر الحدیث).

فقال رسول اللّه: «يا رب أعطيت أنبياؤک فضائل فاعطنى!فقال اللّه:قد أعطيتک فيما أعطيتک كلمتين من تحت عرشى:لا حول و لا قوه الا باللّه،و لا منجى منک الا إليک»قال:و علمتنى الملائكه قولا أقوله إذا أصبحت و أمسيت:

«اللهم ان ظلمى أصبح مستجيرا بعفوک،و ذنبى أصبح مستجيرا بمغفرتک،و ذلّى أصبح مستجيرا بعزتک و فقرى أصبح مستجيرا بغناک،و وجهى الفانى أصبح مستجيرا بوجهک الباقى الذى لا يفنى».

ثم سمعت الأذان و إذا ملک يؤذن لم ير فى السماء قبل تلک الليله.

فقال:اللّه أكبر..اللّه أكبر.

فقال اللّه:«صدق عبدى انا أكبر من كل شىء».

فقال:اشهد ان لا اله الا اللّه اشهد ان لا اله الا اللّه.

فقال اللّه:«صدق عبدى انا اللّه لا اله الا انا و لا اله غيرى».

فقال:اشهد ان محمدا رسول اللّه-اشهد ان محمدا رسول اللّه.

فقال اللّه:«صدق عبدى ان محمدا عبدى و رسولى.انا بعثته و انتجبته».

فقال:حى على الصلاه-حى على الصلاه.

فقال اللّه:«صدق عبدى دعا الى فريضتى،فمن مشى إليها راغبا محتسبا كانت له كفاره لما مضى من ذنوبه».

فقال:حى على الفلاح-حى على الفلاح.

فقال اللّه:«حیّ الصلاح و النجاح و الفلاح. » ثم امّمت الملائکه فی السماء کما امّمت الأنبیاء فی بیت المقدس.

و للحدیث بقیه حول

ان الرسول صلی الله علیه و آله کلّف بخمسین صلاه،و حین جاء الی موسی علیه السلام و أخبره بذلک،فقال له موسی علیه السلام :ان أمتک لا تطیق ذلک،فارجع الی ربک فلیقلّلها،فعمل بذلک و قلّلها اللّه حتی خمس صلوات،فقال له موسی علیه السلام :ان أمتک لا تطیق ذلک أیضا،لکن النبی صلی الله علیه و آله خجل من ربه و استحیا ان یطلب من اللّه التقلیل. و قال صلی الله علیه و آله اصبر علیها و تصبر أمتی و قال اللّه:«ان أدیت ذلک أنت و أمتک فانی سأحسب الصلاه الواحده بعشره صلوات. » و هناک أحادیث اخری فی هذا المجال یمکن الرجوع إلیها فی الکتب التی احتوت علی النصوص الاسلامیه.

ص:۱۹۴

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٢ الى ٨]

اشاره

وَ آتَيْنا مُوسَى اَلْكِتابَ وَ جَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ أَلاّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً
(٣) وَ قَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي اَلْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي اَلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً (۴) فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ
عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ اَلدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولاً (۵) ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ اَلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ
جَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (۶) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها فَإِذا جاءَ وَعْدُ اَلْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا اَلْمَسْجِدَ
كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً (٧) عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنا وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً (٨)

اللغه

۴[و قضينا]:القضاء فصل الأمر على إحكام.

۶[الكره]:الرجعه و الدوله.

ص:۱۹۵

٧[ليسوؤا وجوهكم]:يحزنوكم.

٧[و يتبروا]:التتبير الإهلاك.

٨[حصيرا]:الحصير الحبس و يقال للملك حصير لأنه محجوب.

ص:١٩٦

ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم

هدى من الآيات:

ان القرآن الحكيم يكرس فی الإنسان روح المسؤولیه،و یبین له بأن طبیعه حیاته لیست الا نتیجه لإرادته و سعیه،و یضرب ربنا مثلا فی هذه السوره عن واقع بنی إسرائیل،و کیف انهم عند ما أحسنوا تقدموا،و عند ما أساؤوا تخلفوا،و شروط السعاده اتباع هدی اللّه الذی یحمله رسوله فی صوره کتاب الهی،و رساله الکتاب تتلخص فی التوکل علی اللّه وحده،و نبذ الشرکاء و الأنداد.

و بنو إسرائیل الذین ذرأهم اللّه من صلب الناجین عن واقعه الطوفان،و حملهم فی سفینه نوح علیه السلام ذلک العبد الشاکر لربه،هؤلاء منّ اللّه علیهم-مره اخری- بکتاب و رسول هو موسی(علیه السلام).

و قضی الرب الی بنی إسرائیل فی الکتاب:انهم یفسدون-بالتأکید-فی الأرض مرتین،و یطغون فبعد اولی المرتین یبعث اللّه علیهم عبادا له،و لکنهم یعودون

ص:۱۹۷

-بفضل اللّه-أقوياء،و يغلبون أعداءهم،حيث يجعلهم اللّه أكثر أموالا و أولادا.

و بسبب قوتهم أو ضعفهم،إحسانهم أو إساءتهم،و هكذا يعود أولئك العباد الى سابق قوتهم،و يدخلون المسجد و هذه سنه اللّه قائمه على أساس الجزاء،ليس فى الدنيا فقط و انما فى الآخره أيضا حيث ان ربنا يجعل جهنم للكافرين حصيرا.

بينات من الآيات:

اشاره

ماذا جرى على بنى إسرائيل؟يقول تعالى:

[۲] وَ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ جَعَلْنَاهُ هُدىً لِبَنِى إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِى وَكِيلاً قد جمعت رساله اللّه لبنى إسرائيل و التى حملها موسى فى كتاب التوراه فى كلمه (توحيد اللّه)و أثر التوحيد فى استراتيجيه العمل «أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِى وَكِيلاً» هو الاعتماد على اللّه،و الاستفاده من مواهبه العظيمه التى أسبغها على الإنسان،و عدم الاعتماد على الناس و ما لديهم من أفكار و أشياء،و بالتالى الاستقلال السياسى، و الاقتصادى،و الثقافى الذى هو من أعظم ثمرات توحيد اللّه.

و يبدو ان هذا هو أهم ما توحى به كلمه «إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا» إذ التوكل على اللّه و ليس على الناس رمز التقدم،و عكسه عنوان التخلف.

[۳] ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً هناك فرق بين من يدخل مكتبه فيجد الكتب متراكمه فيها،و بين من يستوعب الكتب و يحفظها،فيعرف السقيم منها و السليم،فليس كل من امتلك مكتبه كان عالما،كما أن هناك فرق بين من يستوعب علما،و بين من يعمل بذلك

العلم،فليس کل عالم عامل،و هکذا يوجد فرق بين من يعرف الحقائق الروحيه و النفسيه و بين من يربی نفسه عليها،فاغلب الناس عالمون غير عاملين،و قليل من العاملين يربّون أنفسهم علی الأخلاق الفاضله.

فقد تعرف الشكر خلال لحظات و تعرف حقيقته،و لكن إذا أردت ان تحوّل هذه الحقيقه الی سلوك فتكون من الشاكرين فان ذلك ليس بالأمر الهيّن،و المسافه بينهما مقدار الاراده.

معرفه الذات منطلق الشكر:

ان الشكر عند الإنسان يتجسد تبعا لأحد موقفين من الطبيعه حوله:

الاول:ان يعتقد بأنه موجود متكامل بالأصل،و انه يملك بذاته الجوارح، و الجوانح،و العقل،و العلم،و السعاده،و الرقی،فليس بحاجه الی ان يشكر أحدا.

الثاني:ان يعتقد بأنه كان قطره من ماء مهين فصار إنسانا،ثم أعطاه اللّه الجوارح و النعم و هی ليست ملكا ذاتيا له،و انما وهبها اللّه له فتنه،فان شكره عليها زاده منها،و ان كفر فانه سيعذبه عذابا شديدا،يقول تعالی وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ،وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذٰابِي لَشَدِيدٌ (۷/إبراهيم) و هكذا فان كل نعمه تستحق الشكر الجزيل و الثناء الجميل،فبالعين تری الأشياء،و بالاذن تسمع،و القلب ينبض بانتظام لتبقی حيا بإذن اللّه،و ما علی الإنسان الا ان يستفيد من كل ما قدّره اللّه له،فلا يعمل الا صالحا،و لا ينظر الی ما حرمه اللّه،و لا يسمع الا الكلام الطيب.و هذا هو معنی الشكر.

الكثير من الناس بدل ان تكون النعم عاملا يؤكد فيهم صفه الشكر،و التواضع للذی منّ عليهم بها و هو اللّه،بدل ذلك يتكبرون لأنهم يشعرون بالكمال،فيقدسون

ذواتهم،و يقولون:انما أوتيناه على علم عندنا كما فعل قارون،اما المؤمنون فإنهم يزدادون ايمانا و شكرا للّه.

و فى حديث عن عائشه ان رسول اللّه صلى الله عليه و آله كان يغيب عن فراشه و يتوجه الى البقيع،فيتعبد و يبكى و يتضرع فتقول له عائشه:يا رسول اللّه أو لم يغفر لك ربك ما تقدم ذنبك و ما تأخر؟فيقول:نعم.فتقول له:فلما ذا تتعب نفسك؟ فيقول:

«أ فلا أكون عبدا شكورا. » هكذا كان نوح عبدا شكورا،و هكذا يأمر اللّه بنى إسرائيل الذين أنقذ آباءهم مع نوح من ذلك الطوفان العظيم ان يشكروا ربهم،و هو بعدئذ منّ عليهم بكتاب فيه هدى يحمله إليهم نبى عظيم و هو موسى(عليه السلام)الذى قادهم بإذن اللّه من نصر الى نصر.

فلو أنهم شكروا نعمه الرساله،و نفّذوا تعاليمها،فقد أحسنوا لأنفسهم،و كان هذا فى الكتاب مسطورا كما بينته الآيه التاليه.

الظالم سيف اللّه:

[۴] وَ قَضَيْنٰا إِلىٰ بَنِي إِسْرٰائِيلَ فِي الْكِتٰابِ لقد انبأ كتاب التوراه بنى إسرائيل بقضاء اللّه الذى سوف يتحقق.

لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً علو بنى إسرائيل يشبه علو فرعون الذى يقول عنه ربنا: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاٰ فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهٰا شِيَعاً» (۴/القصص).

و العلو هو حاله الغرور بالذات،و الاستكبار على الحق،و الاستعلاء على الآخرين..

[۵] فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا يعنى حان وقت الفساد الاول.

بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ البأس:الشده و الغلظه و هى كلمه تستخدم عاده عند الحديث عن الحرب.

و لكن من هم هؤلاء العباد؟هل يصدق هذا على بخت نصّر،هكذا قال البعض فلقد كان ملكا على بابل فى العراق،فقاد جيشه نحو فلسطين،فأنهى حضاره اليهود،و هدم الهيكل،و قتل سبعين ألفا منهم،و سبى الآلاف،ثم تأججت الحروب بين بابل و بلاد فارس،و التى كان يرأسها كورش الاول،فانتصر الأخير و حرر المستعبدين من بنى إسرائيل،و أعادهم الى فلسطين،و بنى لهم الهيكل،و حينما رأى اليهود ذلك علو فى الأرض ثانيه و أفسدوا فيها.

و لو كان هذا المقصود فهل يمكن ان يسمى القرآن السفاكين كبخت نصر« عِبَاداً لَنَا »؟ بلى،إذ الصالح و الفاسد كلاهما عبد ان للّه،و قد يكون الظالم وسيله انتقام الرب من العصاه حيث

جاء فى حديث قدسى «الظالم سيفى انتقم به و انتقم منه. » فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ و جاس من التجسس اى دخل بخت نصر و جماعته أعماق البلاد،و تجسسوا عن أحوالها.

ص:۲۰۱

وَ کٰانَ وَعْداً مَفْعُولاً- فحینما ینزل البلاء قد لا یدفعه الدعاء،و لا الأمر بالمعروف أو النهی عن المنکر، و حین یولی علی الناس شرارهم بسبب تفریطهم فی جنب اللّه،و ترک وظیفه الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر لا یستجاب دعاؤهم.لماذا؟لان الذنب قسمان،فاذا کنت قد أذنبت أنت،ثم رفعت یدیک بالدعاء و تبت الی ربک فان اللّه قد یغفر لک، ما إذا فسد المجتمع کله،فانه لا ینفعه دعاء فرد واحد،انما یجب ان یتوبوا الی اللّه جمیعا.و یصلحوا ما فسد من أمورهم.

[۶] ثُمَّ رَدَدْنٰا لَکُمُ الْکَرَّهَ عَلَیْهِمْ ای صارت الکرّه لبنی إسرائیل علی أهل بابل و الحاکمین فیها.

وَ أَمْدَدْنٰاکُمْ بِأَمْوٰالٍ وَ بَنِینَ وَ جَعَلْنٰاکُمْ أَکْثَرَ نَفِیراً النفیر جمع نفر و معناه العدد المقاتل.

الإنسان قرین عمله:

[۷] إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِکُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهٰا لقد کان علوکم و قدرتکم بسبب أعمالکم الحسنه.و الإنسان قرین عمله حسنا کان أو سیئا،و قد قیل-مره-لهرتزل مؤسس الکیان الصهیونی الغاصب فی فلسطین:کان الیهود خلال اربعه آلاف سنه بؤساء محرومین،فکیف تبادر الی ذهنک تأسیس دوله لهم؟فقال:قرأت قرآن(محمد)فرأیت فیه آیه تقول: «إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِکُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهٰا» فعرفت ان البؤس الذی یعانیه الیهود فی العالم لیس الا من عند أنفسهم.

هؤلاء الصهاينه حين غصبوا أراضى الآخرين،و طردوهم من ديارهم،و استبدوا فى البلاد ظلما و بطشا،لن يتركهم اللّه،بل سوف يسلط عليهم عبادا له ذوى بأس شديد،فيصيبهم ما أصابهم فى المرتين السابقتين إذ أفسدوا فى البلاد.

فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَهِ اى حان وقت الإفساد الثانى.سلط اللّه عليهم ملك الروم(اسبيانوس)الذى بعث قائده(طرطوز)الى فلسطين فدخل البيت المقدس،و قتل أهلها،و سباهم، و عمل الفضائع فى بنى إسرائيل حيث يقول تعالى:

لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّهٍ بالطبع ان(بخت نصر)غير(اسبيانوس)و لكن القرآن يريد ان يذكرنا بان الطغاه سواء جاؤوا من الشمال أو الجنوب فهم ذووا مسلك واحد و هدف مشترك.

و ما ذكرناه سلفا واحد من التفاسير المعروفه فى هذه الآيات،و هناك من يرى غير ذلك،مثلا:

۱-ان(القدس)قد بنى مره على عهد داود و سليمان(عليهما السلام)فهدمه بخت نصر،و مره اخرى بنى على عهد ملوك الفرس من سلسله(هخامنش)و ان قائدا باسم(طيطوس)هدمه و بقى مهدما حتى فتحه المسلمون على عهد الخليفه الثانى.

۲-و قالوا:بأن فساد بنى إسرائيل الاول كان فى عهد بدايه الإسلام،حيث قمعه عباد اللّه المسلمون.اما فسادهم الثانى فهو اليوم،و سوف يقمعه عباد اللّه المسلمون،أيضا.نرجو ان يكون ذلك قريبا بأذن اللّه.

وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً

إذ كانوا يقطعون الأشجار،و يحطمون العمران و يهلكون الحرث و النسل.

[۸] عَسىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنا فاذا تركتم الفساد،و توجهتم الى تعاليم اللّه فانه سوف يغنيكم و يرحمكم.هذا فى الدنيا اما فى الآخره فانه تعالى يقول:

وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً ان بنى إسرائيل لم ينتفعوا بهذه الحكمه الالهيه البالغه،فجاءوا الى فلسطين جبارين بعد أن ربطوا أنفسهم بالقوى المفسده فى الأرض،و قتلوا،و شردوا،و ارهبوا، و ارتكبوا أبشع الجرائم بحق الناس الآمنين من أهالى فلسطين باسم حقّهم فى ارض الميعاد،و لعمرى لو كان دينهم يعطيهم شرعيه الظلم و العدوان فانه ليس دين اللّه، و لا هو ينسجم مع وجدان الإنسان،انما هى عقد نفسيه تراكمت عبر التاريخ، و انفجرت اليوم،و لإن امهلهم الرب العزيز الحكيم،فلسوف يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

هذا عنهم،اما عنا فلقد جعلنا هذه الآيه خلف ظهورنا،و لم ننتفع بحكمتها أيضا،فلقد كسلنا،و تقاعسنا،و اختلفنا،و لم نتضرع الى اللّه،و نصلح أنفسنا حين أحاط بنا البلاء،و كان بنوا إسرائيل اليوم بالنسبه إلينا كما كان بخت نصر بالنسبه إليهم ظالمين،ينتقم اللّه بهم منا،و ثم ينتقم منهم بمن يشاء سبحانه.

[سوره الإسراء (۱۷): الآيات ۹ الى ۲۱]

اشاره

إِنَّ هٰذَا اَلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَ يُبَشِّرُ اَلْمُؤْمِنِينَ اَلَّذِينَ يَعْمَلُونَ اَلصّٰالِحٰاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (۹) وَ أَنَّ اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنٰا لَهُمْ عَذٰاباً أَلِيماً (۱۰) وَ يَدْعُ اَلْإِنْسٰانُ بِالشَّرِّ دُعٰاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كٰانَ اَلْإِنْسٰانُ عَجُولاً (۱۱) وَ جَعَلْنَا اَللَّيْلَ وَ اَلنَّهٰارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنٰا آيَةَ اَللَّيْلِ وَ جَعَلْنٰا آيَةَ اَلنَّهٰارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اَلسِّنِينَ وَ اَلْحِسٰابَ وَ كُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنٰاهُ تَفْصِيلاً (۱۲) وَ كُلَّ إِنْسٰانٍ أَلْزَمْنٰاهُ طٰائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ كِتٰاباً يَلْقٰاهُ مَنْشُوراً (۱۳) اِقْرَأْ كِتٰابَكَ كَفىٰ بِنَفْسِكَ اَلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً (۱۴) مَنِ اِهْتَدىٰ فَإِنَّمٰا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمٰا يَضِلُّ عَلَيْهٰا وَ لاٰ تَزِرُ وٰازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ وَ مٰا كُنّٰا مُعَذِّبِينَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُولاً (۱۵) وَ إِذٰا أَرَدْنٰا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنٰا مُتْرَفِيهٰا فَفَسَقُوا فِيهٰا فَحَقَّ عَلَيْهَا اَلْقَوْلُ فَدَمَّرْنٰاهٰا تَدْمِيراً (۱۶) وَ كَمْ أَهْلَكْنٰا مِنَ اَلْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَ كَفىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبٰادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (۱۷) مَنْ كٰانَ يُرِيدُ اَلْعٰاجِلَةَ عَجَّلْنٰا لَهُ فِيهٰا مٰا نَشٰاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنٰا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاٰهٰا مَذْمُوماً مَدْحُوراً (۱۸) وَ مَنْ أَرٰادَ اَلْآخِرَةَ وَ سَعىٰ لَهٰا سَعْيَهٰا وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ كٰانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً (۱۹) كُلاًّ نُمِدُّ هٰؤُلاٰءِ وَ هَؤُلاٰءِ مِنْ عَطٰاءِ رَبِّكَ وَ مٰا كٰانَ عَطٰاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً (۲۰) اُنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنٰا بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجٰاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلاً (۲۱)

اللغه

۹[أقوم]:الأشد استقامه.

۱۲[طائره]:عمله المقدر عليه.

۱۴[و لا تزر وازره]:و لا تحمل نفس.

[وزر أخرى]:إثم أخرى.

ص:۲۰۶

الإنسان ذلک المسؤول

هدی من الآیات:

بعد أن بیّن القرآن الحکیم فی الآیات السابقه قصه بنی إسرائیل التی ترکز البحث فیها حول العلاقه بین أعمالهم و ما أصابهم تبعا لذلک،لخص فکره القصه و عبرتها فی کلمه حین قال: «إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا» تؤکد هذه الآیات ذات الفکره،و هی مسئولیه الإنسان الفرد أو المجتمع،و یبین أبعادها، و کیف انها اخطر فکره ینبغی علی الإنسان ان یفهمها،فی حین انه ابعد ما یکون عنها،ذلک لأنها تدعوه الی السعی و العمل الجدّی،و التحدی،و الصمود،و ما الی ذلک من أسباب التقدم و التی تبدو صعبه علی النفس البشریه.

و لذلک فانه تعالی یضرب لنا مثلا من التاریخ مره،و یؤکد مره اخری اهمیه تحمل المسؤولیه فی الحیاه الدنیا و دور هذا الاحساس فی تقدم البشریه،ثم انه یذکرنا بیوم القیامه و مدی مسئولیه الإنسان عن اعماله فیها.

ص:۲۰۷

بينات من الآيات:

[٩]لقد أتم اللّه حجته على خلقه حين انزل عليهم القرآن الذى يهديهم الى الصراط القويم.

إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ «يهدى»من أراد الهدايه« لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »بعيدا عن الهوى،و الضلاله، و الخرافه،و فى كل المجالات السياسيه،و الاقتصاديه،و الاجتماعيه،و الثقافيه و التربويه و..و..و بالتالى فهو ينسّق بين سعى الإنسان من جهه،و بين فطرته، و الطبيعه من حوله،و التاريخ و سننه من جهه اخرى،و يخبره ان الإنسان قرين عمله، ان خيرا فخير،و ان شرا فشر،فيقول:

وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّٰالِحٰاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً فلا- يكفى الايمان وحده،بل يجب ان يعمل المؤمن الصالحات،و عندها يكون له عند اللّه أجر كبير.

[١٠] وَ أَنَّ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ أَعْتَدْنٰا لَهُمْ عَذٰاباً أَلِيماً فالإيمان بالآخره وحده ركن مهم يجعل الإنسان يشعر بالمسؤوليه إزاء أعماله، و انه مجزى عليهما،ان لم يكن ذلك فى الدنيا ففى الآخره.مما يدفعه لتحمل المسؤوليه و العمل الدؤوب.

[١١] وَ يَدْعُ الْإِنْسٰانُ بِالشَّرِّ دُعٰاءَهُ بِالْخَيْرِ الخطأ الكبير الذى يرتكبه الإنسان دائما هو أنه يحسب الشر خيرا،و السؤال:

أو ليس له عقل يميز بين الخير و الشر؟بلى له عقل و لكنه عاده ما يكون محجوبا بأهوائه

ص:٢٠٨

و مصالحه التی يستعجل بها،فيقدم على الكبائر من الذنوب ظنّا منه بأنها خير بمجرد انها توفر له بعض اللذات الآنيه،و لا يثور على السلطان الجائر خشيه فقدان بعض المصالح العاجله.

وَ كٰانَ الْإِنْسٰانُ عَجُولاً و هذه الطبيعه هى التى تجعل الإنسان يتوهم بان عصفوره فى الحاضر خير من عشره فى المستقبل،فيتقرب الى الدنيا لأنها عاجله و ان كانت شرا،غافلا عن ان

(ربّ اكله منعت أكلات) بينما يتنازل عن الآخره و يحيد عن طريقها.

و قوله تعالى: وَ كٰانَ الْإِنْسٰانُ عَجُولاً تعليل لقوله وَ يَدْعُ الْإِنْسٰانُ بِالشَّرِّ دُعٰاءَهُ بِالْخَيْرِ ذلك لان الخير بحاجه الى صبر.و المسؤوليه لا تنمو فى قلب عجول، و انما فى قلب مطمئن صبور،و لعل الآيه الكريمه تذكر أيضا بان تأخر الجزاء عن وقت العمل قد يغرى الإنسان الغافل بارتكاب الجرائم لان الإنسان كان عجولا.

و العجله من ذات الإنسان،حيث انها نابعه من الجهل بالمستقبل،و الاحتجاب عن غيب الزمن،بينما الصبر وليد العقل،و العلم بالنتائج المستقبليه،و معلوم ان ذات الإنسان جهل،و العلم من اللّه،و هكذا تكون الآيه منتظمه الى سياق الآيات التى تذكرنا بالمسؤوليه.

المسؤوليه و عامل الزمن:

[١٢] وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهٰارَ آيَتَيْنِ فالليل و ما فيه من سكون و هدوء آيه من آيات اللّه،و كذلك النهار و ما فيه من تحرك و نشاط آيه أيضا.

فَمَحَوْنٰا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنٰا آيَةَ النَّهٰارِ مُبْصِرَةً اى جعلنا الليل سكنا و هدوءا-و كأن الليل آيه ممحاه-ذلك لان الليل لمن ينامه قصير،أما النهار فآيته مبصره لأنه عامر بالنشاط و التحرك من أجل الحصول على الرزق.

لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسٰابَ تعاقب الليل و النهار مبدأ للحساب الزمنى-هذا هو ظاهر الآيه-اما المغزى منها فهو:ان حركه الزمان تدعو الإنسان الى تحمل مسئوليته فى الدنيا،و ادراك حقيقه نفسه،فالإنسان الذى يجمّد فكره فلا يتحرك فانه لا ينتج شيئا سوى العبث و ضياع الوقت،و

اللّه تعالى يقول فى حديث قدسى: «يا ابن آدم انما أنت أيام فاذا مضى يوم فقد مضى بعضك »فالذى يعرف ان للزمان قيمه(يحاسب نفسه على الساعات و الدقائق)يتقدم لأنه يعلم ان

«من كان مطيته الليل و النهار يسار به و ان كان واقفا. » وَ كُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنٰاهُ تَفْصِيلاً فالأيام لها حسابها،و اليوم يختلف عن الغد،و هذا الشهر يختلف عن الآخر، و ان كانت كلها للّه،و قد فصّل اللّه لنا بيان حقيقه الزمان،و التقدير لكى نتذكر و نعى واقع أنفسنا،و اللّه الذى دبر شؤون الليل و النهار و القمر و الشمس،و قدرهما بالسنين و الحساب،جعل للإنسان أيضا كتابا و حسابا،فما من عمل يقوم به أو خطوه يخطوها،أو فكره تجول فى ضميره إلاّ و تسجل فى كتابه،و يحاسب عليها يوم القيامه.

[١٣] وَ كُلَّ إِنسٰانٍ أَلْزَمْنٰاهُ طٰائِرَهُ فِي عُنُقِهِ

و هـذه الآيه دعوه ضـمنيه الى تحمل المسؤوليه لأنها تذكر الإنسان بمسؤوليته عن عمله و الذى يترتب عليه جزاؤه فى الحاضـر و المستقبل.

وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ كِتٰاباً يَلْقٰاهُ مَنْشُوراً فللإنسان كتاب عند اللّه،فيه تفصيل ما عمله فى دنياه.ينشره له يوم القيامه ليقرأه.

[۱۴] اِقْرَأْ كِتٰابَكَ كَفىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً الإنسان يعترف بأعماله،و يحكّم نفسه بنفسه،فلا حاجه الى محكمه تقضـى عليه،و لا الى شهود يثبتون عليه جرائمه،بالرغم من وجود تلك المحكمه و أولئك الشهود.

و بعـد ذلـك يوضـح لنـا ربنـا بعـدا آخر من ابعـاد المسؤوليه و هى مسـئوليه الإنسان عن هـداه و ضـلالته كمسؤوليه عن سـعيه و عمله،إذ يقول تعالى:

[۱۵] مَنِ اهْتَدىٰ فَإِنَّمٰا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمٰا يَضِلُّ عَلَيْهٰا و كثيرا ما ترى أناسا يضلّون،فيلقون اللوم على عاتق الآخرين كأن يقول:لم يكن هناك من يهـدينى،أو ان الحكومه ضـللتنى،أو ان البيئه الثقافيه و التربويه لم تكن مساعده لى على الهدايه.كلا..ان اللّه اعطى لكـل إنسان قـدره الكشف و الاهتـداء،و وفر له فرصه الهـدايه،و انما يتبع البشـر هواه لأنه أسـهل له و أقرب الى طبيعته الجاهليه العجوله.

و مثلما هو مسئول عن ضلالته،فهو مسئول عن اعماله،و حرام ان يلقى اللائمه

على الآخرين.

وَ لاٰ تَزِرُ وٰازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ فلا يستطيع أحد ان يهدى أحدا الا إذا أراد الآخر ان يهتدى بهداه،كما لا يستطيع أحد إضلال الآخر الا إذا أراد هذا ان يضل بضلالته،و لكن القرآن ينفى ذلك و يقول:ان لكل عمله.و لا أحد يقدر على تحمل وزر عملك.

و الآيه هنا تقول«وازره»و هى اسم فاعل للمؤنث،كنايه عن النفس البشريه،و هنا تتبين العلاقه بين النفس و المسؤوليه العمليه للإنسان.

وَ مٰا كُنّٰا مُعَذِّبِينَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُولاً-ان التاريخ يحدثنا بان العذاب لم ينزل على امه ما الا-من بعد ان يرسل اللّه إليهم هاديا ينذرهم،و يبلغهم رسالات ربهم.

كلمه«الرسول»عامه تشمل كل من حمل رساله التوحيد بصوره مباشره كرسول اللّه صلى الله عليه و آله أو غير مباشره مثل الائمه المعصومين عليهم السلام أو الفقهاء المجتهدين،أو الرساليين و المجاهدين.

كيف تنهار الأمم؟

و دليل مسئوليه البشر،هو جزاؤه فى الدنيا على سيئات عمله،و علينا ان نقيس الآخره بالدنيا،و دليل رحمه اللّه و حكمته،أنه لا يعذب أحدا حتى يبعث اليه رسولا، انه سبحانه لم يهلك قريه الا بعد ان أتم حجته عليهم بالرسل.

وَ إِذٰا أَرَدْنٰا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنٰا مُتْرَفِيهٰا فَفَسَقُوا فِيهٰا

يربط القرآن الحكيم فى هـذا السياق بين الإسراف و هلاك القرى،و لكن بماذا امر اللّه المترفين؟ المأمور به هنا محذوف و هو معطوف على قوله تعالى: حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُولاً فاللّه سبحانه و تعالى يأمر الناس بالهـدى و الخير و التقوى،و لكنهم حين لا يعملون بها بل يفسقون عنها،و يحاربون اللّه و رسوله،فما ذا يحدث آنئذ؟ فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنٰاهٰا تَدْمِيراً اى تحققت عليهم المسؤوليه و أصبحت للّه الحجه البالغه عليهم، فدمرهم بسبب تركهم لها تدميرا،و لعل الآيه تشير الى حقيقه تاريخيه هامه هى:ان اللّه سبحانه يبعث الرسل عاده على القرى التى ينتشر فيها الفساد.و يتسلط عليها المترفون، و ذلك لكى يرتدعوا،و لا يستمروا فى رحله الفناء حتى النهايه،و عاده لا يتوبون فيحق عليهم العذاب،و ربما تشير الآيه أيضا الى الدورات الحضاريه فى التاريخ.

[١٧] وَ كَمْ أَهْلَكْنٰا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَ كَفىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبٰادِهِ خَبِيراً بَصِيراً فاذا قلنا باننا لسنا من قوم نوح،أو قوم عاد،أو ثمود،فان اللّه يؤكد لنا بأنه سبحانه اعلم بذنوبنا منا،و ليست المسأله محصوره فى عنصر ما،بل هى سنه اللّه فى الخلق.

[١٨]قد جاء فى الآيه(١٢)من هـذه السوره المباركه: وَ يَدْعُ الْإِنْسٰانُ بِالشَّرِّ دُعٰاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كٰانَ الْإِنْسٰانُ عَجُولاً و هذه الآيه تكلّمنا و تقول:

مَنْ كٰانَ يُرِيدُ الْعٰاجِلَةَ عَجَّلْنٰا لَهُ فِيهٰا مٰا نَشٰاءُ لِمَنْ نُرِيدُ

فاذا أراد الإنسان الدنيا فان اللّه يؤتيه منها بقدر حكمته و وفق سنته.

ثُمَّ جَعَلْنٰا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاٰهٰا مَذْمُوماً مَدْحُوراً فيذم نفسه،و يذمه الآخرون،و يدحرونه،اى يبعدونه عنهم و كذلك اللّه يذمه و يدحره.

وَ مَنْ أَرٰادَ الْآخِرَةَ وَ سَعىٰ لَهٰا سَعْيَهٰا وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ كٰانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً و تشير الآيه الى ان سعى الإنسان فى الدنيا مفيد،فان كان يريد الدنيا فان اللّه سبحانه يعطيه منها بقدر،و من أراد الآخره يشكره اللّه على سعيه.

و لكسب رضى اللّه و الفوز بالجنه لا يكفى الإنسان ان يحلم بذلك،بل عليه ان يسعى من اجله،و ان يكون مؤمنا بعمله،يؤديه عن خلوص نيّه.

[۲۰] كُلاًّ نُمِدُّ هٰؤُلاٰءِ وَ هَؤُلاٰءِ مِنْ عَطٰاءِ رَبِّكَ وَ مٰا كٰانَ عَطٰاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً و قد يتساءل المرء:من اين تأتى قوه الإنسان التى يختار بها طريقه و يسعى بها فيه؟ الحقيقه ان قوه الاختيار،و قوه السعى هى من عند اللّه،فحتى العصاه يستمدون قوتهم من اللّه،فليس عطاء اللّه ممنوعا عن أحد،و هذا منتهى الحريه الممنوحه للبشر.

[۲۱] اُنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنٰا بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ

ص:۲۱۴

دَرَجاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلاً فاذا كان الفرق بين إنسان و آخر في الـدنيا الأموال الكثيره،و الرفاه الواسع،فان هـذه الفواصل في الآخره تكون أكبر بكثير،و المسـافه بينهمـا أعرض،فترى إنسانـا مؤمنـا يخرج من قبره في يوم القيامه،فيجتاز الصـراط بسـرعه الى الجنه،و هناك مؤمن ينتظر خمسـين الف سـنه في صـحراء القيامه حتى يصل دوره للحساب،بينما نجد جارهما المنافق أو الكافر يلقى في نار جهنم مذموما مدحورا.

ص:۲۱۵

[سوره الإسراء (١٧): الآیات ٢٢ الی ٣٣]

اشاره

لاٰ تَجْعَلْ مَعَ اَللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً (٢٢) وَ قَضىٰ رَبُّکَ أَلاّٰ تَعْبُدُوا إِلاّٰ إِیّٰاهُ وَ بِالْوٰالِدَیْنِ إِحْسٰاناً إِمّٰا یَبْلُغَنَّ عِنْدَکَ اَلْکِبَرَ أَحَدُهُمٰا أَوْ کِلاٰهُمٰا فَلاٰ تَقُلْ لَهُمٰا أُفٍّ وَ لاٰ تَنْهَرْهُمٰا وَ قُلْ لَهُمٰا قَوْلاً کَرِیماً (٢٣) وَ اِخْفِضْ لَهُمٰا جَنٰاحَ اَلذُّلِّ مِنَ اَلرَّحْمَهِ وَ قُلْ رَبِّ اِرْحَمْهُمٰا کَمٰا رَبَّیٰانِی صَغِیراً (٢۴) رَبُّکُمْ أَعْلَمُ بِمٰا فِی نُفُوسِکُمْ إِنْ تَکُونُوا صٰالِحِینَ فَإِنَّهُ کٰانَ لِلْأَوّٰابِینَ غَفُوراً (٢۵) وَ آتِ ذَا اَلْقُرْبیٰ حَقَّهُ وَ اَلْمِسْکِینَ وَ اِبْنَ اَلسَّبِیلِ وَ لاٰ تُبَذِّرْ تَبْذِیراً (٢۶) إِنَّ اَلْمُبَذِّرِینَ کٰانُوا إِخْوٰانَ اَلشَّیٰاطِینِ وَ کٰانَ اَلشَّیْطٰانُ لِرَبِّهِ کَفُوراً (٢٧) وَ إِمّٰا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ اِبْتِغٰاءَ رَحْمَهٍ مِنْ رَبِّکَ تَرْجُوهٰا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَیْسُوراً (٢٨) وَ لاٰ تَجْعَلْ یَدَکَ مَغْلُولَهً إِلیٰ عُنُقِکَ وَ لاٰ تَبْسُطْهٰا کُلَّ اَلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً (٢٩) إِنَّ رَبَّکَ یَبْسُطُ اَلرِّزْقَ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ یَقْدِرُ إِنَّهُ کٰانَ بِعِبٰادِهِ خَبِیراً بَصِیراً (٣٠) وَ لاٰ تَقْتُلُوا أَوْلاٰدَکُمْ خَشْیَهَ إِمْلاٰقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِیّٰاکُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ کٰانَ خِطْأً کَبِیراً (٣١) وَ لاٰ تَقْرَبُوا اَلزِّنیٰ إِنَّهُ کٰانَ فٰاحِشَهً وَ سٰاءَ سَبِیلاً (٣٢) وَ لاٰ تَقْتُلُوا اَلنَّفْسَ اَلَّتِی حَرَّمَ اَللّٰهُ إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنٰا لِوَلِیِّهِ سُلْطٰاناً فَلاٰ یُسْرِفْ فِی اَلْقَتْلِ إِنَّهُ کٰانَ مَنْصُوراً (٣٣)

اللغه

٢٣[و لا تنهر هما]:النهر هو الزجر بإغلاظ و صیاح.

٢۵[للأوابین]:الراجعین بعد الذنب.

٢۶[تبذیرا]:التبذیر التفریق بالإسراف و أصله أن یفرق کما یفرق البذر.

ص:٢١۶

۲۸[تعرضن]:الاعراض صرف الوجه عن الشیء.

[میسورا]:القول باللطف و اللین.

۳۱[إملاق]:خوف الفقر.

ص:۲۱۷

هدى من الآيات:

تحـدد الآيـات الكريمه هـذه عـده جوانب من المسؤوليه الاجتماعيه للإنسان، و كمثل تنفيـذى لفكره المسؤوليه ذلك ان القرآن الحكيم لاـ يحـدثنا عن قضـيه فى جانبهـا النظرى،الاـ و تطرق الى جانبها العملى أيضا،فلا يـدع النظريات بلا برامـج عمليه،كما لا يترك المناهج العمليه من دون جذور نظريه.

و لمسؤوليه الإنسـان فى الحيـاه الـدنيا علاقه بالمناهـج التى جاءت بها الآيات، و لـذلك قال بعض المفسـرين بان سوره(كـذا)قد خصـصت للبرامـج العمليه و قـال بعضـهم:بأنها تبحث القضايا النظريه.و كلاهما صادق فى تفسـيره لان السوره تحـدثنا عن الواقع كواقع،سواء كان نظريا أم عمليا.

فمثلا الآيات(٢٢)و(٣٩)تبحث فى التعـاليم الاجتمـاعيه و البرامـج العمليه، و لكنهـا تبـدأ بقوله: (لاـ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً) -(٢٢)-و تختم البحث الآيه(٣٩)بقوله: وَ لاٰ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتُلْقىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً .

ص:٢١٨

و السؤال:لماذا تبدأ هذه الآيات و تنتهى بموضوع واحد هو النهى عن الشرک باللّه سبحانه و تعالى؟ ان الشرک باللّه يشكل جذر كل مشكله، اجتماعيه كانت أو نفسيه،فالشرک وجهها النظرى بينما وجهها العمل فهو الكذب و الغدر و الخيانه،و عدم الوفاء،و غير ذلک.و کذلک الايمان باللّه و توحيده من جهه،و الصلاه و الصوم و الحج و غيرها من مظاهر التعبد للّه من جهه اخرى يعتبران وجهين لقضيه واحده.

و هناک أمر لا بأس بالاشاره اليه و هو ان اللّه سبحانه و تعالى فى سوره النحل (الآيه ۹۰)يقول: إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسٰانِ وَ إِيتٰاءِ ذِى الْقُرْبىٰ وَ يَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشٰاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ و فى الآيات التاليه من سوره الإسراء يؤكد هذه المعانى.إذ ان العدل هو:ان تتحرک فى الصراط المستقيم فلا تفرط و لا تفرّط،و ان تفى بحقوق الآخرين،اما الإحسان فهو:ان تحسن الى غيرک فى المعامله،و الإحسان اسمى درجه من أداء الحقوق،و البغى هو:القتل،و الفحشاء هو:الزنا،و المنكر هو:الكذب،و هكذا بقيه المعانى،و من أراد التأكيد فى مدى تطابق هذه الآيات مع تلک.عليه ان يراجع تفسيرنا لسوره النحل،و هناک ملاحظه:

«ان العدل هو إعطاء كامل الحقوق،و أما الإحسان فهو إعطاء الزياده».

بينات من الآيات:

الشرک جذر الانحراف:

[۲۲] لاٰ تَجْعَلْ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً جاء النهى عن الشرک فى مقدمه الحديث عن قضايا اجتماعيه لان الإنسان قد يعبد صنما فيتخذه إلها،سواء كان هذا الصنم رمزا لرئيس القبيله أو لصاحب المال أو لصاحب الصولجان أو لأيه قوه اجتماعيه اخرى،و إذا ما فعل ذلک فانه سيندم،

و یذمّه عقله،و کذلک العقلاء کما سیکون بعیدا عن نصره اللّه.

من حقوق الوالدین:

[۲۳] وَ قَضىٰ رَبُّکَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِیّاهُ فالعباده یجب ان تکون خالصه للّه وحده فی حین انه یمکن للإنسان ان یحسن لمن یشاء.

وَ بِالْوٰالِدَیْنِ إِحْسٰاناً و الإحسان هو العطاء بنفس راضیه،و هو ممدوح عند اللّه.بعکس العباده التی هی الخضوع و التسلیم و بالتالی العطاء بإکراه.

إِمّٰا یَبْلُغَنَّ عِنْدَکَ الْکِبَرَ أَحَدُهُمٰا أَوْ کِلاٰهُمٰا فَلاٰ تَقُلْ لَهُمٰا أُفٍّ وَ لاٰ تَنْهَرْهُمٰا وَ قُلْ لَهُمٰا قَوْلاً کَرِیماً فالأب أو الام عند ما یکبران تتغیّر حالتهما النفسیه فتکون طلباتهما بحیث قد لا یستطیع الابن ان یوفرها لهما،فعندئذ یجب الا ترد طلباتهما و لا یؤذیان و لو بکلمه «أف»و هی تعبیر عن الضجر،بل علی الابن ان یجیبهما بکلمات تبعث الأمل فی نفسیهما و تحفظ لهما کرامتهما.

[۲۴] وَ اخْفِضْ لَهُمٰا جَنٰاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَهِ علی المسلم ان یخفض جناحیه لوالدیه کما یفعل الطیر مع أفراخه،و هذا لا یعنی خضوع العقل و الاراده و انما خضوع الرحمه و الشفقه و بالتالی فان علی الابن ان یرفع کفیه بالدعاء:

ص:۲۲۰

وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمٰا كَمٰا رَبَّيٰانِي صَغِيراً فكم يتعب الأب و الام على الابن،فالام تنهض فى الليالى الظلماء من نومها، و تترك فراش الراحه من أجل ان تغذى طفلها و تهدأه كما يخوض الأب غمار الاخطار من أجل إطعام ولده و يسهر على راحته،فلا بد ان يطلب الابن لوالديه الرحمه من اللّه.و الآيه تدل على:ان الدعاء بحق الآخرين نافع لهم كما ان الشفاعه -و هى نوع من الدعاء- نافعه بحق المذنبين.

[۲۵] رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمٰا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صٰالِحِينَ فَإِنَّهُ كٰانَ لِلْأَوّٰابِينَ غَفُوراً فاللّه يعلم بما يجرى فى نفوس الأبناء من تمنيات و طلبات،فقد ترى الابن يسب أبويه إذا ما مرضا،و لكن اللّه يدعونا الى ابعاد الشيطان و وساوسه عن النفس، و الاستغفار لهما عما مضى فانه تعالى غفور ودود.و لعل الآيه تعالج-عبر الأمر بالإحسان و الرحمه و الاستغفار-و هى التى تنظم علاقه الأبناء بالآباء فى هذه المجموعه من الآيات.-تعالج عبرها مشكله صراع الأجيال،إذ كل جيل يعيش وضعا مختلفا عن الجيل الماضى، و بالتالى:ينتقد الجيل الماضى،كما يتعرض عاده لانتقادات لاذعه منه،و السبيل الى حل المشكله:

اولا:بالإحسان،إذ ان جيل الأبناء ذى القوه الناميه يجب ان يجعل بعضا من قدراته للجيل الذى تتلاشى الآن قواه.ليمتص كثيرا من تحفظاته النابعه عن فقده لمصالحه.

و ثانيا:بالأخلاق الحسنه،كالتشاور و الاحترام و التذلل رحمه و ليس صغارا.

و ثالثا:بالعفو عن سيئاتهم و الاستغفار لهم فهل انهم كانوا مخطئين أ فلا

یستحقون المغفره من اللّه؟بلی و لعل الآیه الاخیره تشیر الی انه لیس من المعلوم من هو المذنب بل اللّه اعلم بکم فلا تخطئوا الآخرین عبثا.

الإنفاق زکاه المال:

[۲۶] وَ آتِ ذَا الْقُرْبیٰ حَقَّهُ وَ الْمِسْکِینَ وَ ابْنَ السَّبِیلِ وَ لاٰ تُبَذِّرْ تَبْذِیراً الذی لدیه اموال طائله و لا یعطی حقوقها فانه لا بد ان یکون مسرفا،لان صاحب الدنیا انما یمنعه من العطاء السرف أو البخل،و ما الإسراف الا استعمال الشیء فی غیر محله الذی خلقه اللّه من اجله،و بذلک فانه انحراف عن مشیئه اللّه و سننه فی الحیاه و کل ما خالف أوامر اللّه و سننه فی الخلق فهو نوع من الکفر، و الشیطان کافر،یقول تعالی:

[۲۷] إِنَّ الْمُبَذِّرِینَ کٰانُوا إِخْوٰانَ الشَّیٰاطِینِ وَ کٰانَ الشَّیْطٰانُ لِرَبِّهِ کَفُوراً و الشّیاطین من الانس هم الطغاه و من یبذر ماله لا بد ان یفتش عن مصادر غیر شرعیه لجمع المال و لا یجدها الا بالتحالف مع الطغاه.

[۲۸] وَ إِمّٰا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغٰاءَ رَحْمَهٍ مِنْ رَبِّکَ تَرْجُوهٰا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَیْسُوراً إذا أنت أعرضت و لم تعطهم القلیل أو الکثیر،فقابلهم بالابتسامه،و الرد اللطیف.و هذا ادنی الحق الذی یجب علیک تجاه الرحم و الأقرباء.

کیف ننفق؟

[۲۹]۱- وَ لاٰ تَجْعَلْ یَدَکَ مَغْلُولَهً إِلیٰ عُنُقِکَ

و هنا يشبه القرآن البخلاء بالذين يربطون أيديهم بأعناقهم فيخنقون أنفسهم.

ذلك انما يجمع الإنسان المال من أجل ان يكون حرا فی التصرف.و ليسهل عليه الصعاب،فاذا بخل فان الهدف من امتلاک المال سوف يتلوث و يصبح العكس.إذ سيصبح هو خادما للمال و هكذا يكون البخل هو الفقر الحاضر.

٢- وَ لاٰ تَبْسُطْهٰا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً و هناک-على العكس من البخلاء-أناس يبسطون أيديهم الى درجه انهم يفقدون كل شیء،فيتحسرون على ما فاتهم و يتأوّهون،و بالتالی فان الناس سوف يذمونهم و يلومونهم على فعلتهم.

و هؤلاء انما يفقدون توازنهم و حسن التصرف بسبب حبهم المفرط للمساكين، و لهذا الفريق من الناس يقول تعالى:

[٣٠] إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّهُ كٰانَ بِعِبٰادِهِ خَبِيراً بَصِيراً فاللّه يبسط الرزق بحكمه و يضيق و يقدر بحكمه أيضا.فلا يفكر أحد بأنه سيكون ارحم من اللّه لعباده.و لعل الآيتين تنظمان سلوك البشر فيما يرتبط بالمال بصفه عامه فعلى الإنسان ان يتوخى القصد فی الصرف.فيعطی بقدر،و لا يبذر و لا يبخل.

الثقه باللّه مفتاح السعاده:

[٣١] وَ لاٰ تَقْتُلُوا أَوْلاٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاٰقٍ كان بعض الاعراب يقتلون أولادهم خشيه الفقر و الفاقه فطمأنهم اللّه بقوله:

نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيّٰاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كٰانَ خِطْأً كَبِيراً لان قتلهم يحرمكم من نعمه الولد من جهه و يحرمهم من نعمه الحياه من جهه ثانيه.

[۳۲] وَ لاٰ تَقْرَبُوا الزِّنىٰ إِنَّهُ كٰانَ فٰاحِشَةً وَ سٰاءَ سَبِيلاً الزنا أسوء طريق يتخذه الإنسان فى إشباع غريزته،لان الزنا ظلم للنفس و تعدى على القانون،فكما انه من الظلم ان يقتل الإنسان نفسا حرمها اللّه-كذلك حرم اللّه العبث بمصير الأجيال الناشئه من أجل السرف فى الشّهوات.ذلك ان الزنا يهدم البناء الاسرى و بالتالى ينسف قواعد البناء الاجتماعى القائمه على أسس التربيه و التكامل و التعاون،و هكذا نجد المجتمعات الجاهليه التى فقدت الاسره كيف فقدت أكثر القيم الانسانيه.

[۳۳] وَ لاٰ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللّٰهُ إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنٰا لِوَلِيِّهِ سُلْطٰاناً فَلاٰ يُسْرِفْ فِى الْقَتْلِ إِنَّهُ كٰانَ مَنْصُوراً فالمقتول ظلما يحق لوليه ان يقتص من قاتله،و لكن بشرط الا يتعدى الحدود، و الا يستبد به غضبه،فهو فى كل حال منصور من قبل اللّه.و هذه احدى سنن اللّه فى الحياه.

ص:۲۲۴

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٣۴ الی ۴۴]

اشاره

وَ لاٰ تَقْرَبُوا مٰالَ اَلْيَتِيمِ إِلاّٰ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ حَتّٰی يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ اَلْعَهْدَ كٰانَ مَسْؤُلاً (٣۴) وَ أَوْفُوا اَلْكَيْلَ إِذٰا كِلْتُمْ وَ زِنُوا بِالْقِسْطٰاسِ اَلْمُسْتَقِيمِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٣۵) وَ لاٰ تَقْفُ مٰا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ اَلسَّمْعَ وَ اَلْبَصَرَ وَ اَلْفُؤٰادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كٰانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً (٣۶) وَ لاٰ تَمْشِ فِی اَلْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ اَلْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ اَلْجِبٰالَ طُولاً (٣٧) كُلُّ ذٰلِكَ كٰانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً (٣٨) ذٰلِكَ مِمّٰا أَوْحیٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ اَلْحِكْمَةِ وَ لاٰ تَجْعَلْ مَعَ اَللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتُلْقیٰ فِی جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً (٣٩) أَ فَأَصْفٰاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَ اِتَّخَذَ مِنَ اَلْمَلاٰئِكَةِ إِنٰاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً (۴٠) وَ لَقَدْ صَرَّفْنٰا فِی هٰذَا اَلْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَ مٰا يَزِيدُهُمْ إِلاّٰ نُفُوراً (۴١) قُلْ لَوْ كٰانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمٰا يَقُولُونَ إِذاً لاَبْتَغَوْا إِلیٰ ذِی اَلْعَرْشِ سَبِيلاً (۴٢) سُبْحٰانَهُ وَ تَعٰالیٰ عَمّٰا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً (۴٣) تُسَبِّحُ لَهُ اَلسَّمٰاوٰاتُ اَلسَّبْعُ وَ اَلْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لٰكِنْ لاٰ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كٰانَ حَلِيماً غَفُوراً (۴۴)

اللغه

٣٧[فرحا]:فرحا و بطرا و اختيالا.

۴٠[أ فأصفاكم ربكم]:أ فخصكم ربكم؟

ص:٢٢۵

۴۱[صرفنا]:کررنا بأساليب مختلفه و طرق متنوعه.

۴۶[أكنه]:أغطيه و أغلفه.

ص:۲۲۶

الإنسان بين الشّرک

اشاره

و الهروب من المسؤولیه

هدی من الآیات:

هنـاک تساؤل:إذا کانت سوره الإسـراء تتحـدث عن المسؤولیات التی یجب علی الإنسان أداؤها.فلما ذا یتطرق هـذا الـدرس الی بیان التوحید و الشّـرک و ابعادهما؟ و بشکل عام لماذا یحدثنا ربنا سبحانه و تعالی عن قضیه الشّرک و التوحید کلما تحدث عن المسؤولیه؟ الجواب:ان المسؤولیه هی ذات التوحیـد،و اللامسـئولیه هی ذات الشّـرک،بـل ان التهرب من المسؤولیه و التـبریر انما هما الهدف من وراء الشّرک.

النفس البشـریه،قوه نسـمیها بـالقوه المسوّله عملهـا تبریر الکسـل و الجمود، و تسویـل الفحشـاء و المنکر،و هـذه القوه التی یثیرها الشّیطان أیضا تزین الاستسلام للدعه و الاسترسال مع الشّهوات بطرق أبرزها:

۱-الحتمیات حیث یخیل للنفس عجزها عن مقاومه ضغوط الطبیعه و المجتمع

ص:۲۲۷

عليه.فيتملص عن المسؤوليه باسم الحتميه التاريخيه.أو الاجتماعيه أو الطبيعيه أو ما أشبه.

و هذا نوع من تأليه الطبيعه أو المجتمع.و جعلها فوق قدره اللّه. و فوق قدره الاراده التى منحها اللّه للإنسان.

٢-الفداء حيث يزعم البشر انه إذا كانت أوامر الرب شاقه،و لاـ يمكن احتمالها إذا دعنا نتصور وجود أرباب آخرين نهرب من الرب الأعلى إليهم لينقذونا عن صعوبات المسؤوليه التى يفرضها ربنا الأعلى سبحانه و تعالى.

و هذه هى فكره الفداء التى تسربت الى مذهب النصارى.

و سواء فكره الحتميات أو الفداء فان الايمان باللّه الواحد الأحد،ينفيها و يجعل البشر وجها لوجه امام المسؤوليات الكبيره.

ان من يؤمن باللّه و لا يتخذ بينه و بين عقله حجابا يشعر فى اعماق ذاته بان اللّه قد جعله مستقلا فى قراراته حرا فيما يشاء.فاذا وصل الى هذه الحقيقه تحمّل مسئولياته اعتقادا منه بان متغيرات حياته كالصحه أو المرض،و الاستغلال أو العبوديه و الغنى أو الفقر و ما الى ذلك انما هى من عند نفسه أيضا،و الإنسان البسيط غير المعقد و البعيد عن الشّهوات يشعر دوما بهذه الحقيقه و هذا الاحساس يدفع به نحو تحمل المسؤوليه،لأنه حينما يعترف بواقعه يرسم لنفسه خطه حكيمه لكى يصل بها الى اهدافه.

فى المقابل نجد إنسانا يتصور بان هناك أشياء اخرى فوق عقله،تلك ما يسمونها اليوم بالحتميات-حتميات التاريخ و الاجتماع و الاقتصاد و السيكولوجيا و التربيه -فيزعم أحدهم بان الحتميات هى التى تصنع الإنسان،و ليس للإنسان ان يتخذ

قرارا نابعا من فكره و إرادته ذلك لان العقل فى نظره ليس الا صوره متطوره للماده.

لقد قسم الأطباء قديما الناس حسب أمزجتهم،فهذا مزاجه صفراوى،و ذاک بلغمى و الآخر سوداوى و هكذا فزعموا ان اراده الناس تتبع أمزجتهم اما أحد الفلاسفه الجدد فانه يقول:بان اراده الإنسان نابعه من الغده الدرقيه،فاذا صار أحدهم طبيبا و الآخر عاملا بسيطا فان ذلك يعود الى مقدار و نوع افرازات الغده الدرقيه فى دم الإنسان،حيث تؤثر هذه الغده فى قراراته.

و يقول الفيلسوف البريطانى المعروف(برانـدراسل):انک انما تتبع بما تأكل،لان العناصر الكيمياويه الموجود فى أنواع الاغذيه،تؤثر فى مخ الإنسان و قراراته و هكذا سلبت هذه النظريات الشّركيه قدره القرار من البشر و إذا كان الإنسان لا يستطيع ان يقرر لنفسه قرارا،فهو بمنزله ريشه فى مهب الريح،لا يستطيع ان يتحمل مسئوليه،إذا فهو غير مسئول عن شیء.

اما الفكر اليونانى القديم فانه يعتقد بتعدد الآلهه،فللحرب اله و للسلم اله، و للمطر اله و للنور اله و للظلمه اله و هكذا..و كان اليونانيون ينحتون أصناما و يتخذونها رمزا لتلك القوى التى كانوا يتصورون بان لها تأثيرا حتميا على أعمالهم و نفسياتهم و هكذا جردوا أنفسهم عن مسئوليه أعمالهم حين نسبوها الى الآلهه و هكذا تربط آيات هذا الدرس بين المسؤوليه و التوحيد فتبدأ بالنهى عن أكل مال اليتيم (اشاره الى حرمه المال)و تأمر بالوفاء بالعهد(للتذكره باحترام العهد)و تأمر باحترام المال،و احترام سمعه الناس و تحرّى الحقائق،ثم تنهى عن الشّرك باللّه و تأمر بتسبيح اللّه سبحانه،و لعل محرمات هذا الدرس تسدّ أبواب الظلم،و تضع قوانين اجتماعيه تحافظ على حقوق الناس،ابتدءا من حفظ حقوق الأيتام(و هم حلقه ضعيفه فى المجتمع)و احترام الكيل و الوزن و احترام سمعه الناس،و ضروره الوفاء بالعهود و ما أشبه.

ص:٢٢٩

بينات من الآيات:

مسئوليات اجتماعيه:

[۳۴] وَ لاٰ تَقْرَبُوا مٰالَ الْيَتِيمِ إِلاّٰ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتّٰى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ يحق لولى اليتيم ان يأخذ مال اليتيم فيستثمره لصالح اليتيم،و لكنه لا يجوز له التصرف فى هذا المال الا فى هذا المجال،حتى يبلغ أشده حينما يصل الى مرحله البلوغ فتسلم اليه أمواله،و لان اليتيم ضعيف فاحترام ماله يدل على ضروره احترام اموال الأقوياء بالطبع.

وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كٰانَ مَسْؤُلاً و العهد ركيزه اجتماعيه فى الإسلام،و محور للتعاون و التبادل الفكرى و السياسى و التجارى،و الإسلام يحث على أداء العهود لهذا السبب اولا،و لسبب اخلاقى ثانيا، و لان الوفاء بالعهود يجرى عليه حكم الشّرع ثالثا:و العهد واحد من اخطر مسئوليات البشر فى حياته.

[۳۵] وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ إِذٰا كِلْتُمْ وَ زِنُوا بِالْقِسْطٰاسِ الْمُسْتَقِيمِ القسطاس المستقيم:هو البيع الذى لا غبن فيه و لا غش و لعل احترام الكيل يدل على أكثر من احترام حقوق الناس،حيث يدخل ضمن احترام قوانين البلد و عدم الخروج عليها لمصلحه ذاتيه.

ذٰلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً فهذا امر حسن فطريا و اجتماعيا،و أحسن نهايه و عاقبه،لان الغش لو ساد مجتمعا فستحل به كارثه لا يمكن التخلص منها ثم انك لو تجاوزت حقوق الناس أ فلا

تخشى ان تسلب حقوقک أيضا.

[۳۶] وَ لاٰ تَقْفُ مٰا لَيْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ ای تتبع امرا لا تعلم مبدأه و منتهاه.

إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤٰادَ كُلُّ أُولٰئِکَ كٰانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً حيث تؤكد هذه الآيه على مسئوليه جوارح الإنسان التى يجب ان تتحرک حسب مقياس صحيح و ان مسئوليه قلب الإنسان عن أفكاره و هواجسه و ظنونه و حسده و حقده و جوارح الإنسان عن غمزها و لمزها،و الغيبه و النميمه.

انها لأعظم مسئوليه اجتماعيه و لو سمى المؤمن الى مستوى ضبط فؤاده و سمعه و بصره فيما يخص علاقته بالمؤمنين لكان جديرا بان يدخل جنات عدن..

[۳۷] وَ لاٰ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً الإنسان المرح هو الذى يعيش حياه اللامسئوليه و ما يتبعها من ظواهر كالفراغ و اللهو و اللعب و التكبر على الآخرين.

إِنَّکَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبٰالَ طُولاً فانک لن تقهر الطبيعه فتشق الأرض،و تخرقها،أو تبلغ الجبال عظمه.

[۳۸] كُلُّ ذٰلِکَ كٰانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّکَ مَكْرُوهاً يبدو ان تفسير هذه الآيه انه ينبغى للإنسان ان يتكبر أحيانا و ذلک حينما يقابل الظالم الجائر حتى لا يشعر بأنه ضعيف امامه،لذلک يؤكد القرآن بان السيئه (مكروهه)-فيكون ما عدى السيئه غير مكروه- فالتكبر على المتكبر ليس

مکروها،بل هو مستحب،

و فی الحدیث:

«التکبر علی المتکبر عباده ».

[۳۹] ذلِکَ مِمّا أَوْحی إِلَیْکَ رَبُّکَ مِنَ الْحِکْمَهِ و الحکمه هی الجانب العملی من العلم،و هنا تعنی السلوک الحسن.

وَ لا تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ فَتُلْقی فِی جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً لا تتخذ لنفسک إلها غیر اللّه فتلقی فی جنهم.یلومک الناس و لا ینصرک الآلهه، و هذه الآیه تشیر الی ان الإنسان هو الذی یجعل من الصنم إلها،و من الطاغوت إلها و حین یحطم المؤمن الأصنام الثقافیه و الاجتماعیه و الاقتصادیه فانه یشعر باستقلاله و حریته و یتحمل مسئولیاته بعزم راسخ.

[۴۰] أَ فَأَصْفاکُمْ رَبُّکُمْ بِالْبَنِینَ وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِکَهِ إِناثاً کان الکفار یریدون النیل من اللّه سبحانه و تعالی لأنهم یتصورون الملائکه ضعافا،و لأنهم کانوا یعتبرون الأنثی رمزا للضعف فإنهم نسبوا الانوثه الی الملائکه، و یردّ سبحانه قولهم هذا:

إِنَّکُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِیماً [۴۱] وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِی هذَا الْقُرْآنِ لِیَذَّکَّرُوا وَ ما یَزِیدُهُمْ إِلاّ نُفُوراً فقد ضرب اللّه الامثله فی القرآن لیبین لنا آیاته و نعرفه بحقائق الایمان و لکن علی العکس من ذلک نری الکفار لا تزیدهم التذکره الا نفورا من الحق.

ص:۲۳۲

[۴۲] قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً- فلو كانت الآلهه متعدده،إذا لاتخذت طريقها الى السماء،و لقاومت الإله الكبير كما يدعون و تمردت عليه،و نالت منه و استرجعت حصتها من الألوهيه! و لاستطاعت ان تقهر الرب سبحانه علما بأنه لا حول لهم و لا طول فكيف تتخذ آلهه من دون اللّه.

[۴۳] سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً فاللّه أكبر من هذه الخرافات التافهه و هو الذى.

[۴۴] تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ ذلك ان السماوات على عظمتها و ما فيها من شموس و كواكب و منظومات، و الأرض و ما فيها من حجر و مدر فانها جميعا تسبيح للّه وحده و تشهد على وحدانيته، و يبدو ان الأشياء كلها ذات شعور بنسبه معينه.

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً فكل يسبح بحمده و لكننا لا نستطيع ادراك ألفاظها و تسبيحاتها لان لكل شيء لغته الخاصه.

ص:۲۳۳

[سوره الإسراء (۱۷): الآيات ۴۵ الی ۵۲]

اشاره

وَ إِذا قَرَأْتَ اَلْقُرْآنَ جَعَلْنا بَیْنَکَ وَ بَیْنَ اَلَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ حِجاباً مَسْتُوراً (۴۵) وَ جَعَلْنا عَلیٰ قُلُوبِهِمْ أَکِنَّهً أَنْ یَفْقَهُوهُ وَ فِی
آذانِهِمْ وَقْراً وَ إِذا ذَکَرْتَ رَبَّکَ فِی اَلْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلیٰ أَدْبارِهِمْ نُفُوراً (۴۶) نَحْنُ أَعْلَمُ بِما یَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ یَسْتَمِعُونَ إِلَیْکَ وَ
إِذْ هُمْ نَجْویٰ إِذْ یَقُولُ اَلظّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً (۴۷) اُنْظُرْ کَیْفَ ضَرَبُوا لَکَ اَلْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلاٰ یَسْتَطِیعُونَ سَبِیلاً (۴۸)
وَ قالُوا أَ إِذا کُنّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِیداً (۴۹) قُلْ کُونُوا حِجارَهً أَوْ حَدِیداً (۵۰) أَوْ خَلْقاً مِمّا یَکْبُرُ فِی صُدُورِکُمْ
فَسَیَقُولُونَ مَنْ یُعِیدُنا قُلِ اَلَّذِی فَطَرَکُمْ أَوَّلَ مَرَّهٍ فَسَیُنْغِضُونَ إِلَیْکَ رُؤُسَهُمْ وَ یَقُولُونَ مَتیٰ هُوَ قُلْ عَسیٰ أَنْ یَکُونَ قَرِیباً (۵۱) یَوْمَ
یَدْعُوکُمْ فَتَسْتَجِیبُونَ بِحَمْدِهِ وَ تَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّ قَلِیلاً (۵۲)

اللغه

۴۹[رفاتا]:ما تکسّر و بلی من کل شیء.

ص:۲۳۴

۵۱[فسينغضون]:النغض تحريك الرأس باستهزاء و استخفاف.

ص:۲۳۵

الحجب و ضروره التصحيح

هدی من الآيات:

اشاره

حينما يتخذ الإنسان موقفا تجاه فكره ما،فانه لا يستطيع ان يعرف الحقيقه لأنه قد ينظر إليها من وراء حجاب.و هذه صفه الكافرين بالحياه الآخره،و هذه سمه الكثير من الناس،فلا يتلون آيات القرآن الا من وراء حجاب،و لا يستمعون اليه الا عبر مجموعه من الأحكام المسبقه التی اصدرتها أنفسهم.

و يبقى السؤال:كيف يمكن للإنسان ان ينظر الى رساله اللّه نظره مجرده عن المواقف المسبقه؟ الاجابه على ذلک:ان قوه العقل محدوده عند الإنسان،فاذا تراكمت الشّهوات على قلبه،و تكاثفت غيوم الجهل و الضلاله و الخرافات عليه،فانه بحاجه الى عمليه صعبه و مجهده حتى يتجاوز هذا الركام من الترسبات،كما يحتاج الى هزّه عنيفه ليهدم البناء الفكری الفاسد و ثم يقيم محله بناء قويما و ليس ذلک بالأمر اليسير.

و نتساءل:كيف تتصلب الاراده،و ينمو العقل.و ما هی الهزّه العنيفه التی تهدم

بناء الأفكار الفاسده،و المتراكمه فوق بعضها فی قلب البشر؟

الجواب:

بالایمان بالحیاه الآخره،حیث انها قوه التعادل،و ثقل السکینه عند الإنسان، فمن آمن بالآخره سلا عن الشّهوات،و تعالی فوق الضغوط،و تجاوز العقد النفسیه، و کل ذلک یحفظ قلبه عن الأفکار التی تملیها الشّهوات و الضغوط و العقد،و.و.

اما الذی لا یؤمن بها،فان اللّه تعالی یجعل بینه و بین القرآن حجابا لا یراه، و لا یمکنه إذا اختراقه،کیف؟فاذا قلبه مستور ان یفقه،و إذا اذنه ثقیله بالوقر و إذا به یهرب عن حقیقه التوحید،و یبحث عن الآلهه الکاذبه،و إذا به لا یستمع-و هم یناجون بعضهم-ان هذا الرسول مسحور،و لیس بعاقل،و بسبب هذه الأمثال یضلون الطریق و لا یهتدون الی سبیل الحق.

و جذر مشکلتهم کفرهم بالآخره إذ یقولون:هل نحن نعود الی الحیاه بعد ان نکون عظاما و رفاتا،دعهم یکونون حجاره أو حدیدا،أو ای شیء کبیر فی نظرهم، فان الذی خلقهم أول مره یعیدهم أما متی؟فان علمه عند اللّه فعسی ان یکون قریبا،یوم یدعوهم اللّه،فاذا بهم یستجیبون لداعی اللّه و هم یحمدون ربهم، و یزعمون انهم ما لبثوا فی القبر الا قلیلا.

بینات من الآیات:

[۴۵] وَ إِذٰا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنٰا بَیْنَکَ وَ بَیْنَ الَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ حِجٰاباً مَسْتُوراً من الطبیعی ان الذین یتذکرون الموت و یؤمنون بالآخره و ما تشتمل علیه من ثواب و عقاب،فإنهم یشعرون بالمسؤولیه دائما،و ینظرون الی القرآن نظره واقعیه

بعیدا عن الرؤی و الخیال،بل نابعه عن موضوعیه کامله و تدبّر،و لذا فان افئدتهم بصیره و بصیرتهم نافذه.اما الذین لا یؤمنون بالآخره فإنهم محجوبون عن الواقع بسبب عدم ایمانهم.

و قد قال المفسرون عن «حِجٰاباً مَسْتُوراً» انه لم یکن أحد من الکفار یمکنه رؤیه الرسول صلی الله علیه و آله حینما یقرأ القرآن حتی لا یصیب رسول اللّه بأذی.

و یبدو ان التفسیر الأقرب القول بان الحجاب المستور،و هو النظره السلبیه التی یتخذها الکفار إزاء آیات القرآن و الآیات التالیه تفسر-فیما یبدو لی-معنی الحجاب المستور.

[۴۶] وَ جَعَلْنٰا عَلیٰ قُلُوبِهِمْ أَکِنَّهً أَنْ یَفْقَهُوهُ لکی لا یفقهوا القرآن،جعل اللّه قلوبهم فی اکنه.و لفظه الاکنه،جمع للفظه کنان و هو الستر و هذا الستر هو ذلک الحجاب المستور الذی ضربه اللّه بین القرآن و بین قلوب الذین کفروا بالآخره عقابا لهم علی تکذیبهم بالبعث،و استهانتهم بقدره اللّه علی اعاده الخلق و استجابتهم لشهواتهم و عصبیاتهم.

و نتساءل هل هذا الحجاب هو تلک السنه الإلهیه التی جرت فی خلقه ان من یتعصب لفکره فاسده فانه لن یری الحقیقه،أم انه فعل الهی جدید،حیث یزید اللّه الکافرین ضلاله و کفرا،و یدعهم فی ظلمات یعمهون؟ بلی انه فعل جدید،انه حجاب یجعله اللّه بین الکفار و القرآن.و انه لعقاب عظیم ان یشاء اللّه ضلاله البشر،بعد ان کفر بالهدی،و ان علینا الحذر أبدا من هذا العقاب العظیم،و نسأل اللّه دائما الهدایه،و الا یضلنا بعد ان هدانا،انه مجیب الدعاء.

وَ فِی آذٰانِهِمْ وَقْراً الوقر:هو الثقل.و الاذن الوقره هی الثقیله السمع.و فی هذه الحاله لن یکون باستطاعه الاذن أداء وظیفتها بشکل جید،کما انه إذا ما أصیب العقل بضعف فسوف لن یستوعب ما تنقله الاذن و لا سائر الجوارح.

وَ إِذٰا ذَکَرْتَ رَبَّکَ فِی الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلیٰ أَدْبٰارِهِمْ نُفُوراً و لان الکفار لم یعتقدوا بوحدانیه اللّه فإنهم کانوا ینفرون من سماع القرآن لان أفکار القرآن تخالفهم و انما کان فرارهم بسبب خوفهم من صحوه الضمیر.

[۴۷]ان جوارح البشر نوافذ قلبه علی العالم الخارجی،و إذا کان القلب قد ران علیه الشّهوات و التعصب لافکار باطله،فان الجوارح تشل أو تعمل خلاف المطلوب، ذلک ان القلب المریض سوف یفسر کل الحقائق التی تتوارد علیه عبر الجوارح تفسیرا باطلا یتناسب و امراضه التی رانت علیه و کما ان من یضع علی عینیه نظاره ملونه یری کل شیء بذلک اللون،کذلک من وضع علی قلبه سماعه مضلله فانه یسمع کل شیء عبرها،بصوره خاطئه،انه قد صنع لنفسه قوالب ثقافیه معینه یضع کل معلوماته الجدیده فیها فلا یزداد بالحقائق الا ضلالا،ربنا یقول:

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمٰا یَسْتَمِعُونَ بِهِ و لعل(الباء)هنا للاستعانه و تعبر عن تلک الأحکام المسبقه و القوالب الفکریه الجاهزه التی بها یستمعون الی الحقائق فیفسرونها حسب أهوائهم و الآیات التالیه توضح تلک القوالب:

إِذْ یَسْتَمِعُونَ إِلَیْکَ وَ إِذْ هُمْ نَجْویٰ إِذْ یَقُولُ الظّٰالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّٰ رَجُلاً مَسْحُوراً

كانوا يبررون مواقفهم بحجج واهيه يقولون انه مسحور و ليس بساحر يمارس الكذب و الدجل بينما كانوا يدعون الرسول صلى الله عليه و آله (بالصادق الأمين)فلم يبق هناك مجال للتهمه سوى القول بأنه مخدوع بسحر الساحرين فهو مسحور.و يسفه القرآن هذه التهمه فيقول:

[۴۸] اُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً لأنهم اتهموا رسول اللّه صلى الله عليه و آله تهما واهيه و أضلوا الطريق،و انحرفوا عن الجاده، و بذلك صاروا لا يفقهون آيات القرآن و لا يعرفون مغزاها،و لا يهتدون الى سبيل الحق.

و كما قلنا سلفا:ان الايمان بالآخره ضمان للتفكير السليم فى الحياه،و ان الكفار لم يكتفوا بإنكار الآخره،و انما كانوا يسعون لتبرير اعتقاداتهم بأفكار سخيفه،و شبهات واهيه،و منها الشبهه التاليه:

[۴۹] وَ قالُوا أَ إِذا كُنّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً إذا كان الإنسان مبعوثا يوما ما فلم يصبح رفاتا اى خلقا يتلاشى؟ هذا ما كان يتساءل الكفار عنه مستنكرين فأجابهم اللّه:

[۵۰]-[۵۱] قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً* أَوْ خَلْقاً مِمّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فسواء أ كنتم حجاره أو حديدا أو اى شىء آخر،تتصورونه فى أذهانكم كبيرا

ص:۲۴۰

كالجبال و البحار و الصحارى و ما الى ذلك.

فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنٰا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ و بـديهى ان الخلق ثـانيه أهون من الخلق ابتـداء.و لعل الكفار كانوا يزعمون ان الحديد و الحجر لا سبيل الى التحكم فيهما،باعتبارها صلبه،و ليس كاللحم و العظم -فى نظرهم-أو يزعمون انهما ابعد عن الخلق باعتبارهما جامدين بخلاف البشر المركب من مواد حيّه.

و أجاب السياق عن شبهتهم بان كلامهم يخضع لمقاييس المخلوقين اما الخالق فهو على كل شيء قدير.

فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتىٰ هُوَ اى سـيهزون رؤوسـهم و يمدونها الى الامام فى هيئه الشخص المتعجب و يتساءلون متى موعـدنا ان كان لنا موعـد؟ فمن عاده الإنسان انه إذا احتمل فى امر احتمالين،فانه يحتمل وقوع الأيسـر منهما و يسـتبعد وقوع الاحتمال الثانى،و يشير هنا ربنا الى استبعاد الإنسان وقوع الآخره،و لكنه تعالى يؤكد له هذا الاحتمال فيقول:

قُلْ عَسىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيباً إذ ان مجرد اعتقاد الإنسان بأنه قـد يترك الـدنيا فى ايّه لحظه و ان القيامه سـتقوم متى أراد-اللّه يجعله متّقيا للّه فى اعماله صغيرها و كبيرها.

[۵۲] يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَ تَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّٰ قَلِيلاً

فلیست الدنیا من الآخره الا قلیل،إذ ان معدل عمر الإنسان فی الدنیا هو سبعون سنه أو أکثر من ذلک بقلیل،و لیس لهذه السنین قیمه امام الخلود فی

ص:۲۴۲

الآخره-أما فی الجنه و أما فی النار-.

[سوره الإسراء (۱۷): الآیات ۵۳ الی ۶۰]

اشاره

وَ قُلْ لِعِبٰادِی یَقُولُوا اَلَّتِی هِیَ أَحْسَنُ إِنَّ اَلشَّیْطٰانَ یَنْزَغُ بَیْنَهُمْ إِنَّ اَلشَّیْطٰانَ کٰانَ لِلْإِنْسٰانِ عَدُوًّا مُبِیناً (۵۳) رَبُّکُمْ أَعْلَمُ بِکُمْ إِنْ یَشَأْ یَرْحَمْکُمْ أَوْ إِنْ یَشَأْ یُعَذِّبْکُمْ وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ عَلَیْهِمْ وَکِیلاً (۵۴) وَ رَبُّکَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لَقَدْ فَضَّلْنٰا بَعْضَ اَلنَّبِیِّینَ عَلیٰ بَعْضٍ وَ آتَیْنٰا دٰاوُدَ زَبُوراً (۵۵) قُلِ اُدْعُوا اَلَّذِینَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلاٰ یَمْلِکُونَ کَشْفَ اَلضُّرِّ عَنْکُمْ وَ لاٰ تَحْوِیلاً (۵۶) أُولٰئِکَ اَلَّذِینَ یَدْعُونَ یَبْتَغُونَ إِلیٰ رَبِّهِمُ اَلْوَسِیلَهَ أَیُّهُمْ أَقْرَبُ وَ یَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ یَخٰافُونَ عَذٰابَهُ إِنَّ عَذٰابَ رَبِّکَ کٰانَ مَحْذُوراً (۵۷) وَ إِنْ مِنْ قَرْیَهٍ إِلاّٰ نَحْنُ مُهْلِکُوهٰا قَبْلَ یَوْمِ اَلْقِیٰامَهِ أَوْ مُعَذِّبُوهٰا عَذٰاباً شَدِیداً کٰانَ ذٰلِکَ فِی اَلْکِتٰابِ مَسْطُوراً (۵۸) وَ مٰا مَنَعَنٰا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآیٰاتِ إِلاّٰ أَنْ کَذَّبَ بِهَا اَلْأَوَّلُونَ وَ آتَیْنٰا ثَمُودَ اَلنّٰاقَهَ مُبْصِرَهً فَظَلَمُوا بِهٰا وَ مٰا نُرْسِلُ بِالْآیٰاتِ إِلاّٰ تَخْوِیفاً (۵۹) وَ إِذْ قُلْنٰا لَکَ إِنَّ رَبَّکَ أَحٰاطَ بِالنّٰاسِ وَ مٰا جَعَلْنَا اَلرُّؤْیَا اَلَّتِی أَرَیْنٰاکَ إِلاّٰ فِتْنَهً لِلنّٰاسِ وَ اَلشَّجَرَهَ اَلْمَلْعُونَهَ فِی اَلْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَمٰا یَزِیدُهُمْ إِلاّٰ طُغْیٰاناً کَبِیراً (۶۰)

اللغه

۵۳[ینزغ بینهم]:یفسد و یهیج الشر بینهم.

۵۷[محذورا]:یحذر منه و یتقی.

ص:۲۴۳

هدی من الآیات:

لکی لا یبث الشیطان روح العداء بین عباد اللّه،علیهم ان یختاروا أفضل القول،ذلک أن الشیطان عدو مبین للإنسان و لا یجوز ان یجعل البشر نفسه وکیلا عن الناس(فیکفّرهم حسبما یشاء،و یحکم علیهم بعذاب اللّه).

و اللّه اعلم بعباده فهو(و لیس الداعیه)یرحم ان شاء و یعذب ان شاء و قد أحاط علما بمن فی السماوات و الأرض،و انما یتفاضل الناس بمشیئه اللّه،أو لیس قد فضل بین أنبیائه و أتی داود زبورا؟ و یبدو ان هذه الآیات تبین بعض المسؤولیات الواجبه علی المؤمنین تجاه بعضهم و تشمل غیر المؤمنین،فالقول الحسن،و عدم التسرع بالحکم علی الناس،و ترک التحاسد جزء من مسئولیه المؤمن تجاه أخیه.

ص:۲۴۵

و لعل عوامل الخلاف تنشأ من عـدم خلوص التوحيـد،من رواسب الشـرك فلـذلک يعود السـياق الى قضـيه الشـرک و ان الآلهه الباطله لا يملكون كشف الضر عنهم و لا تحويلا.

بل ان من يدعون من دون اللّه هم بدورهم يبتغون إلى ربهم الوسيله،يرجون رحمته و يخافون عذابه.

و بـالرغم من وجود الآلـهه البـاطله فـان اللّه يهلـك جميع القوى قبـل يوم القيـامه ممـا يـدل على انهم لاـ يملكون دفع الضـر عن شعوبهم.

و لقد كذب الأولون بآيات الرب فهذه ثمود كذبوا و ظلموا بالناقه و هی آيه مبصره،و آيات اللّه ليست الا للتخويف.

و الهـدف من التخويف هو امتحان البشـر و قد أحاط اللّه بالناس قدره و علما، و لقد امتحنهم بالرؤيا التى أراها رسوله،كما جعل الشـجره الملعونه فى القرآن فتنه (شـجره الزقوم التى يجسدها فى الدنيا المجرمون كبنى اميه)الا ان آيات التخويف لا تزيدهم الا طغيانا كبيرا.

بينات من الآيات:

القول الأحسن:

[۵۳]هكذا اثار المشـركون الشبهات حول الرسول،فما هى مسئوليه الدعاه الى اللّه،فى مواجهه تلک الشبهات؟الجواب ان محتوى رساله الدعاه الى اللّه حق و صواب،يبقى الأسـلوب،فلو أنهم اتبعوا أحسن الاساليب فى الدعوه فندوا تلک الشـبهات و لكنه ان لم يتبعوا أفضل نهج للدعوه،فان الشيطان يستغل الفرصه، و يضخّم الاخطاء فى عين المشركين،و يزين فى قلوبهم العداوه للمؤمنين و من ثم

رساله الایمان بوسیله الاخطاء التی یرتکبها الدعاه فی أسلوبهم کأن یفحشوا فی القول،أو یتطرّفوا.

وَ قُلْ لِعِبٰادِی یَقُولُوا الَّتِی هِیَ أَحْسَنُ یبدو ان العباد هنا هم عباد اللّه الصالحین.

إِنَّ الشَّیْطٰانَ یَنْزَغُ بَیْنَهُمْ فالشیطان یمشی بین العباد بالعداوه،و یبث روح العداء و یستفید من الکلمات النابیه بل من سقطات اللسان و الاخطاء الّتی یتهاون الناس عاده فیها، فی بث روح العداء بین المؤمنین.

إِنَّ الشَّیْطٰانَ کٰانَ لِلْإِنْسٰانِ عَدُوًّا مُبِیناً فعداوته لیست بجدیده،و لیست بخفیه،و علی العاقل ان یحذر العدو العنید المجاهد بعداوته.

فلما ذا نتبع خطوات الشّیطان،و نعطیه فرصه التوغل بین صفوفنا و زرع الشّقاق بین بعضنا و البعض؟

کیف تنظر الی الناس؟

[۵۴]بعض الناس یحکمون علی الآخرین احکاما قاسیه دون ان یعرفوا واقع أنفسهم،و هل رضی اللّه عنهم أم لا،فاذا بهم یکفّرون الناس و یفسقونهم و یحصون عیوبهم

و الحدیث الشّریف یقول:

«رحم اللّه عبدا شغلته عیوب نفسه عن عیوب الناس. »

و الإنسان الّذی یدعو الی اللّه،و یحمل رسالته الی الآخرین،هو أقرب الناس الی هذه الزله الشّیطانیه الّتی ینفذ من خلالها الی قلبه یدعوه لتکفیر الآخرین و اسقاطهم من قائمه المؤمنین.

و یعالج القرآن هذه المشکله بقوله:لا تحکموا علی الناس بالباطل لأنکم قد تحکمون علی أحد بالانحراف ثم یتوب فیتوب اللّه علیه،بینما یبقی الّذی حکم بینهم بذلک رهین خطأه الّذی قد لا یستغفر منه،فلا یتوب اللّه علیه،و ربما یستغفر و لکن اللّه لا یتوب علیه لان ذلک الشّخص لم یغفر له،و هذا هو الذنب الّذی لا یترک فی الآخره.

جاء فی الحدیث: «الا و ان الظلم ثلاثه:فظلم لا یغفر،و ظلم لا یترک،و ظلم مغفور،فاما الظلم الّذی لا یغفر فالشرک باللّه تعالی،قال تعالی: إِنَّ اللّهَ لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ ،و اما الظلم الّذی یغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات(ای الذنوب الصغیره)،و اما الظلم الّذی لا یترک فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص هناک شدید(ای فی الآخره)لیس هو جرحا بالمدی و لا ضربا بالسیاط،و لکنه ما یستصغر ذلک معه. » أذن قد یدخل الجنه ذلک الإنسان الّذی نعتقد بأنه منحرف فاسق،بینما ندخل نحن النار،قال اللّه سبحانه و تعالی:یصف أهل النار: وَ قالُوا ما لَنا لا نَریٰ رِجالاً کُنّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِیًّا أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصارُ* إِنَّ ذٰلِکَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النّارِ إذا فلا تحکموا علی الناس احکاما ارتجالیه بل لیکن مقیاسنا فی الحکم علیهم بمدی التزامهم بالقیم.

إذن لا تغتر بحسناتک،و لا تعب علی الناس سیئاتهم،و لا تعتبر نفسک أفضل من الناس.و لعل الشّخص یعیب علی أخیه فعلا و هو یرتکب ما هو أقبح منه،بل قد

يكون ذلك الفرد معذورا فى تصرفه دونه،فلعل ضغوطا تربويه أو اقتصاديه أو اجتماعيه تكره الفرد على اقتراف ذلك الفعل القبيح،بينما الّذى يعيبه يرتكب ذات الفعل بلا ضغوط فيغفر اللّه لصاحبه و لا يغفر له.

وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً :

[۵۴] رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً بعث الرسول بالرساله شاهدا و مبشرا و نذيرا،و لم يبعث وكيلا-على الناس يدخل من يشاء منهم فى رحمه اللّه،و يخرج منهم من يريد.انما هذه المهمه هى مهمه اللّه وحده.

فاذا ليس باستطاعتک أنت ان ترتب الناس ضمن خانات تصنعها حسبما تريد ، الم تسمع هذا الحديث:

عن أبى ذر(رض):ان رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال: ان رجلا قال:و اللّه لا يغفر اللّه لفلان،فقال اللّه:من ذا الذى تالى على ان لا اغفر؟ فانى قد غفرت لفلان،و أحبطت عمل الثانى بقوله:لا يغفر الله لفلان.

[۵۵] وَ رَبُّکَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ اى ربک اعلم بالناس و بأعمالهم ماذا سيفعلون؟لاحظ وجود(من)الموصوله الّتى تأتى للعاقل فنستطيع ان نقول:ان ربک اعلم بالذى فى السماوات و الأرض من الجنس العاقل سواء كان بشرا أم ملائكه.

وَ لَقَدْ فَضَّلْنٰا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلىٰ بَعْضٍ الأنبياء كسائر البشر خلقوا بتفضيل و أفضل من الأنبياء الرسل فأفضل الرسل

خمسه:و هم أولوا العزم و أفضل اولی العزم رسول اللّه صلی الله علیه و آله

و قد قال رسول اللّه فی حدیث له:

«فضلت علی سائر الأنبیاء بست:أعطیت جوامع الکلم،و نصرت بالرعب من مسیره شهر،و أحلت لی الغنائم و جعلت لی الأرض مسجدا و طهورا،و أرسلت الی الخلق کافه،و ختم بی النبیون. » وَ آتَیْنٰا دٰاوُدَ زَبُوراً یبدو ان زبور داود هو کتاب دعاء و مناجات مع اللّه سبحانه،و کما هو معلوم فان عدد کتب اللّه مائه و اربعه و عشرون کتابا،انزل کل کتاب لیواکب ذلک الظرف الزمنی المعین و لعل ذکر زبور داود دون غیره کان للأسباب التالیه:

۱-ان اللّه بشر فیه بالنبی محمد صلی الله علیه و آله و انه سوف یورث أرضه عباده الصالحین.

۲-ان الیهود زعموا ان اللّه لم یرسل بعد موسی أحدا و کان داود بعده نبیا مرسلا باعترافهم.

۳-ان تفاضل الأنبیاء لم یکن بالملک بل بالرسالات،فبالرغم من ان داود کان ملکا لم یذکر اللّه هنا ملکه بل ذکر الکتاب الّذی انزل علیه و هو الزبور و هو یتمیز بین سائر الکتب بأنه کتاب دعاء و کان هذا أعظم میزه له بین سائر الکتب.

الآلهه الزائفه:

[۵۶] قُلِ ادْعُوا الَّذِینَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلاٰ یَمْلِکُونَ کَشْفَ الضُّرِّ عَنْکُمْ وَ لاٰ تَحْوِیلاً لا بد ان نجعل الایمان باللّه محورا لحیاتنا و تحرکنا،لان ما دونه من الآلهه لن

ص:۲۵۰

تستطيع ان تنفعنا أو تضرنا،و هم بالاضافه الى ذلك أعجز من ان يقوموا بما نريد بل يعجزون عن القيام بما يريدون لأنفسهم،فكيف يقومون بحاجات الناس،و هنا نلاحظ من كلمه(زعمتم)اى ادعيتم و صنعتم،فالإنسان هو الّذى يصنع الطاغوت المتسلط،و يصنع الصنم الجامد،و يصبغ عليه القوه و من بعد ذلك يخافه،و هو يعلم انه لا يملك كشف الضر عنه عوضا عن تحويله.

[۵۷] أُولٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ هؤلاء الأولياء الذين يزعمون بأنهم آلهه انما هم عباد له ضعفاء يبتغون رضا ربهم،و يريدون الوسيله اليه،فكلهم فقير محتاج الى رحمته،و يريد الزلفى اليه بفطرته و ربما بإيمانه أيضا فى هذه الآيه،و فى آيات مشابهه تحيّر طائفه من المفسرين و تساءلوا من هم أولئك الذين يدعون و كيف انهم يبتغون الوسيله الى اللّه ربهم؟ زعم البعض انهم الأصنام،بينما قال البعض انهم الملائكه و العباد الصالحون الذين اتخذهم اتباعهم أربابا من دون اللّه.

و الواقع ان ذاك و هذا بعض معنى الآيه،الا ان المعنى الاشمل هو كل شىء أو شخص يطاع من دون اللّه،و لان أغلب أبناء آدم يعبدون من دون اللّه،ذوى القوه و الثروه و الجاه،كالملوك و القيادات السياسيه و المترفين و الأحبار و الرهبان.

فان الآيات فيما يبدو تشمل هؤلاء بل تركز عليهم و تسعى لتحرير البشر من نير عبوديتهم و لعل قراءه سريعه لآيات الشّرك توحى إلينا بان الآلهه المعبوده من دون اللّه هم عاده بشر،يقول ربنا سبحانه و تعالى: وَ إِذٰا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكٰاءَهُمْ قٰالُوا رَبَّنٰا هٰؤُلاٰءِ شُرَكٰاؤُنَا الَّذِينَ كُنّٰا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ (۸۶/النحل) و قال: قُلْ يٰا أَهْلَ الْكِتٰابِ تَعٰالَوْا إِلىٰ كَلِمَةٍ سَوٰاءٍ بَيْنَنٰا وَ بَيْنَكُمْ أَلاّٰ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّٰهَ

وَ لاٰ نُشْرِکَ بِهِ شَيْئاً،وَ لاٰ يَتَّخِذَ بَعْضُنٰا بَعْضاً أَرْبٰاباً مِنْ دُونِ اللّٰهِ (۶۴آل عمران) و قال: اِتَّخَذُوا أَحْبٰارَهُمْ وَ رُهْبٰانَهُمْ أَرْبٰاباً مِنْ دُونِ اللّٰهِ (۳۱/التوبه) و قـال: أَ أَرْبٰابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّٰهُ الْوٰاحِدُ الْقَهّٰارُ (۳۹/يوسف) و قـال: وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَنْدٰاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّٰهِ (۱۶۵/البقره) و قال: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ عِبٰادٌ أَمْثٰالُكُمْ (۱۹۴/الأعراف) و هكذا نستوحى من هذه الآيات ان الأرباب و الأنداد و الشّركاء عباد من البشر.

وَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ يَخٰافُونَ عَذٰابَهُ إِنَّ عَذٰابَ رَبِّكَ كٰانَ مَحْذُوراً هؤلاء يرجون رحمه اللّه و يخافون عـذابه،و من الملاحظ ان الرجاء ليس بمرتبه الخوف،فالخوف من العذاب يصلح الإنسان أكثر مما يصلحه الرجاء،

جاء فى الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام :

«فمن اشتاق الى الجنه سلا عن الشّهوات،و من أشفق من النار اجتنب المحرمات. » ان الخوف من النار يمنع الإنسان عن المحرمات و بينما رجاء الجنه يبعد الإنسان عن الشّهوات.

سنه العذاب:

[۵۸] وَ إِنْ مِنْ قَرْيَهٍ إِلاّٰ نَحْنُ مُهْلِكُوهٰا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيٰامَهِ أَوْ مُعَذِّبُوهٰا

عَذٰاباً شَدِيداً كٰانَ ذٰلِكَ فِي الْكِتٰابِ مَسْطُوراً قال بعضهم انه:عند ما يتحدث اللّه عن بلده طيبه فى القرآن يسميها بلدا أو مصرا،و عند ما يتحدث عن بلده سيئه يسميها قريه مهما بلغت من الضخامه.

و كانت الآيه تشير الى قضيه مهمه جدا فى حياه القرى الّتى تشذ عن امر اللّه حيث يكتب عليها العذاب منذ بدايه انحرافها،و لكن مع وقف التنفيذ،فربما يرسل العذاب فى هذه اللحظه و ربما لا يعذبهم الا بعد سنين من المعاناه،و نلمس من هذه الآيه:ان اللّه اعطى الإنسان مهله،و عليه ان يتحمل تنفيذ الحكم الربانى عليه ان حاد عن طريقه كما ان الآيه تشير الى طبيعه البشر النازعه الى الانحراف حيث تجلب إليها عذاب الرب.

[۵۹] وَ مٰا مَنَعَنٰا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيٰاتِ إِلاّٰ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ليست مشكله البشر قله الآيات بل المشكله هى ان الناس لا يستوعبون الآيه و لا يعرفون قيمتها و بالتالى يكذبون و ابرز مثال على ذلك قوم ثمود.

وَ آتَيْنٰا ثَمُودَ النّٰاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهٰا هذه الناقه كانت آيه جليه واضحه إذ خرجت إليهم من الجبل الأصم نستقيهم اللبن،و لكن مع الأسف هذه الناقه سببت لهم مصيبه كبرى إذ ظلموا أنفسهم بسببها.

السياق القرآنى يحذرنا من طرف خفى من ان نطالب أبدا بالآيات دون ان نكون مستعدين لها، إذ لو نزلت الآيات ثم كفرنا بها فقد استوجبنا عذاب ربنا الشّديد فنكون قد ظلمنا أنفسنا بتلك الآيه،كما فعلت ثمود.

ص:۲۵۳

و قد جاء فی تفسیر هذه الآیه الکریمه:

حدیث مأثور عن الامام الباقر علیه السلام ان محمدا صلی الله علیه و آله سأله قومه ان یأتیهم بآیه،فنزل جبرئیل و قال:ان اللّه یقول: وَ مٰا مَنَعَنٰا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآیٰاتِ إِلاّٰ أَنْ کَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ و کنا إذا أرسلنا الی قریه آیه فلم یؤمنوا بها أهلکناهم فلذلک آخرنا عن قومک الآیات (۱) وَ مٰا نُرْسِلُ بِالْآیٰاتِ إِلاّٰ تَخْوِیفاً ای ان هناک نوعین من الآیات فآیه مبصره مثل ناقه صالح کفروا بها فأتاهم العذاب و آیه تخوفهم و تنذرهم بعذاب الآخره مثل البأساء و الضراء.

و لان اللّه ختم بنبیه محمد صلی الله علیه و آله الرسل فقد أرسل الآیات تخویفا بالقیامه و لم یرسلها بحیث یجلب العذاب لو کفروا بها.

الرؤیا:

[۶۰]ما هی الرؤیا؟یبدو ان لدی کل واحد منا حاسه سادسه و نعنی بذلک الحس الّذی یلتقط الارهاصات الّتی یشعر بها مثل النعمه أو المصیبه،و تلعب هذه الحاسه دورا أساسیا أثناء الظروف الصعبه حیث النفوس ملتهبه و لعل الرؤیا هی جزء من هذه الحاسه ذلک لأن الإنسان فی حاله الیقظه یحجبه عن رؤیه الحقائق و تفهمها ما یشاهده بعینه و ما یبتلی به فی حیاته الیومیه،بینما فی النوم حین الاحاسیس الاخری هامده تبقی الحاسه السادسه هی الفعاله فیری الإنسان الأمور، و کثیرا ما یحذر اللّه الإنسان من المستقبل و أمور عدیده فی حاله النوم،الا ان غالبیه بنی البشر و لتورطهم بغرور الدنیا و نعم اللّه فیها،لا یستفیدون من رؤیاهم،و لا من احساسهم بالخطر المحدق بهم،و لعل الآیه تشیر الی هذه النعمه.

۱- ۱) تفسیر الصافی ج ۳ ص ۱۹۹

وَ إِذْ قُلْنا لَکَ إِنَّ رَبَّکَ أَحاطَ بِالنّاسِ علما و قدره.

وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِی أَرَیْناکَ إِلاّ فِتْنَهً لِلنّاسِ يعنى تجربه و اختبارا لهم.

وَ الشَّجَرَهَ الْمَلْعُونَهَ فِی الْقُرْآنِ اى و جعلنا هذه الرؤيه اشاره للشجره الملعونه.

وَ نُخَوِّفُهُمْ فَما یَزِیدُهُمْ إِلاّ طُغْیاناً کَبِیراً و اللّه تعالى يقول فى الآيه الّتى تليها: وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِیسَ قالَ أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِیناً .

ان حاله الغرور و التكبر و الاستعلاء على المؤمن و على آيات اللّه المحذره و النذيره، كل ذلك نابع من خطأ قديم ارتكبه أبونا آدم،دفعه الى ذلك إبليس الّذى تكبر على السجود للّه تعالى و هذا لا يزال يزيد الإنسان غرورا و كبرا.

الشّجره الملعونه:

ما هى الشّجره الملعونه فى القرآن؟ لقد اختلفت التفاسير فى معنى هذه الآيه فبين من قال ان الشّجره هذه هى شجره الزقوم أو اليهود و لكن من بين الأقوال تفسيرا أرتضيه،و قد وردت فيه روايات كثيره و من كافه المذاهب الاسلاميه و قبل بيان هذا التفسير و رواياته هناك فكره هامه علينا بيانها لا ريب ان رساله الإسلام هى أعظم و أكبر ظاهره شهدها كوكبنا

الارضـی،و لاـ ریب ان مـا جری علی هـذه الظاهره الکونیه الکبری من تغیرات هائله هی الاخری تتسم باهمیه کبری أیضا،و أهم تغییر جری علی هـذه الظاهره هو تغیر القیاده الاسـلامیه من الخلافه الراشـده الی ملک عضوض نزی علیه الامویون،و هـذا التغییر هو أکبر انحراف حـدث فی الامه الاسـلامیه و من الطبیعی و الإسـلام رساله غیبیه،ان لا یسـکت عن هذه الانحرافه الکبری،و هذا التغییر الخطیر فی رسـاله اللّه، و اللّه الّـذی یحب رسـالته و رسوله و الامه الاسـلامیه لم یترک الأـمر الا و قـد أشار الیه بطریقه أو بـأخری،و لم تکن هـذه الاشـاره واضـحه کـأن یذبـح الرسول صـلی الله علیه و آله قـاده بنی امیه جمیعـا،لاـن هـذا لیس من شأن الرسالات الإلهیه لان اللّه یریـد اختبار الناس و امتحانهم،و فی نفس الوقت لا یدع اللّه الأمر من دون حجه بیّنه بل یشـیر الی الحق و الباطل،ثم یترک المجال مفتوحا لاختیارهم الحق أو الباطل.

و التفسـیر المختار هو ان الرؤیا هی رؤیا الرسول صلی الله علیه و آله فی منامه ان قرده ینزون علی منبره و یتثاوبون علیه،و الرسول قال هـذا الکلام للناس و لکن من الّذی عقله؟ أهل الذکاء و الفطنه،و أهل التوسّم الایمانی هم فقط الذین عرفوا بان منبر الرسول صلی الله علیه و آله مرکز قیادته،و ان هناک فئات من الامه سوف تسـعی لهذا المرکز دون حق،هم بنو امیه اما الآخرون فقالوا ان طیف الرسول کطیفهم لا اثر له،و حقیقه الأمر انه یختلف تماما،و نبی اللّه إبراهیم أراد ان یذبح ابنه بسبب رؤیا.

« قَالَ یَا بُنَیَّ إِنِّی أَرَیٰ فِی الْمَنَامِ أَنِّی أَذْبَحُکَ »فقال له ابنه نبی اللّه إسـماعیل « قَالَ یَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِی إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِینَ »و هکذا کانت رؤیا الأنبیاء وحیا.

من هنا جاء فی الحدیث ان ذلک رؤیا راه النبی فی منامه،ان قرده تصعد منبره و تنزل فساءه ذلک و اغتّم به.

ص:۲۵۶

روی سـهل ابن سـعید عن أبیه قال: (ان النبی صلی الله علیه و آله رأی ذلک و قال انه صلی الله علیه و آله لم یستجمع بعد ذلک ضاحکا حتی مات).

و روی سـعید ابن یسار و هو المروی عن أبی جعفر و أبی عبـد اللّه (و قالوا علی هـذا التأویل ان الشّـجره الملعونه فی القرآن هی بنو امیه أخبره اللّه سبحانه و تعالی بتغلبهم علی مقامه و قتلهم ذریته).

و روی عن المنهال ابن عمر قال:دخلت علی علی ابن الحسـین علیهما السـلام فقلت له:کیف أصـبحت یا ابن رسول اللّه صلی الله علیه و آله .

قـال:(أصـبحنا و اللّه بمنزله بنی إسـرائیل من آل فرعـون،یـذبحون أبنـاءهم و یسـتحیون نسـاءهم و أصـبح خیر الـبریه بعـد رسول اللّه،یلعن علی المنابر،و أصبح من یحبنا منقوصا حقه بحبه إیانا).

و قیل للحسن البصری:یا أبا سعید قتل الحسین ابن علی.

فبکی حتی اختلج جنباه(ای تحرک کتفاه)ثم قال: وا ذلاه لامه قتل ابن دعیها ابن بنت نبیها.

[سوره الإسراء (۱۷): الآیات ۶۱ الی ۷۰]

اشاره

وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِیسَ قالَ أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِیناً (۶۱) قالَ أَ رَأَیْتَکَ هٰذَا الَّذِی کَرَّمْتَ عَلَیَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلیٰ یَوْمِ الْقِیامَهِ لَأَحْتَنِکَنَّ ذُرِّیَّتَهُ إِلاّ قَلِیلاً (۶۲) قالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُکُمْ جَزاءً مَوْفُوراً (۶۳) وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِکَ وَ أَجْلِبْ عَلَیْهِمْ بِخَیْلِکَ وَ رَجِلِکَ وَ شارِکْهُمْ فِی الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ وَ عِدْهُمْ وَ ما یَعِدُهُمُ الشَّیْطانُ إِلاّ غُرُوراً (۶۴) إِنَّ عِبادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطانٌ وَ کَفیٰ بِرَبِّکَ وَکِیلاً (۶۵) رَبُّکُمُ الَّذِی یُزْجِی لَکُمُ الْفُلْکَ فِی الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ کانَ بِکُمْ رَحِیماً (۶۶) وَ إِذا مَسَّکُمُ الضُّرُّ فِی الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاّ إِیّاهُ فَلَمّا نَجّاکُمْ إِلَی الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ کانَ الْإِنْسانُ کَفُوراً (۶۷) أَ فَأَمِنْتُمْ أَنْ یَخْسِفَ بِکُمْ جانِبَ الْبَرِّ أَوْ یُرْسِلَ عَلَیْکُمْ حاصِباً ثُمَّ لا تَجِدُوا لَکُمْ وَکِیلاً (۶۸) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ یُعِیدَکُمْ فِیهِ تارَهً أُخْریٰ فَیُرْسِلَ عَلَیْکُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّیحِ فَیُغْرِقَکُمْ بِما کَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَکُمْ عَلَیْنا بِهِ تَبِیعاً (۶۹) وَ لَقَدْ کَرَّمْنا بَنِی آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلیٰ کَثِیرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِیلاً (۷۰)

اللغه

۶۶[اجلب]:الاجلاب السوق،یجلبه من السائق و الجلب شده الصوت.

۶۶[یزجی]:الإزجاء سوق الشّیء حالا بعد حال.

ص:۲۵۸

۶۹[قاصفا]:القاصف الكاسر بشده قصفه.

ص:۲۵۹

الإنسان بين كرامه اللّه و غرور الشّيطان

هدى من الآيات:

لماذا يتمرد البشر عن مسئولياته،و ما هو جزاء المتمردين،و ما هو جذر الشّرك باللّه؟ لنعد الى قصه الخلق الاول:فمن عرف البدايه هدى الى العاقبه،نتذكر قول اللّه للملائكه اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس استكبر و علا بغير حق فقال انا نار(اسجد لمن خلقت طينا)فلما لعنه اللّه،قال:سترى كيف أضل ذريه هذا الّذى كرمته علىّ ان اخرتنى الى يوم القيامه،الا قليلا منهم و أنذره اللّه و من تبعه ان جزاءهم جهنم جزاء وافيا.

و بالرغم من ان الشّيطان سوف يستفزهم بالتضليل.

و يرهبهم بجيشه،و يتداخل معهم فيشاركهم فى الأموال و الأولاد و يحذرهم

ص:۲۶۰

بوعود كاذبه،فان عباد اللّه سوف يتحدونه بعون اللّه،و بالتوكل عليه و كفى باللّه وكيلا.و اللّه يملك كل شىء و من يعرفه و يتوكل عليه فهو حسبه.

فهو الّذى يزجى السفن فى اعالى البحار لمصلحه البشر،رحمه بهم اما إذا أحسوا بالضراء فى البحر و غاب عنهم آلهتهم الّتى كانوا يشركون بهم فان يد اللّه تنجيهم من ورطتهم بالرغم من انهم يعرضون عنه إذا وصلوا الى الشّاطئ آمنين،و يقابلون رحمه اللّه،بالكفران بدل الشّكر،دون ان يتذكروا ان اللّه قادر على ان يخسف بهم جانب البر،أو يرسل عليهم ريحا تقذفهم بالحجاره،فلا يجدون وكيلا يدافع عنهم، أو يخشوا العوده الى البحر فتحيط بهم عواصف تغرقهم بكفرهم و لا أحد يطالب بثأرهم.

لقد كرم اللّه بنى آدم،و اسجد لهم الملائكه و حملهم فى البر و البحر،و رزقهم من الطيبات و فضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا و وعدهم بالنصر فى مواجهه الشّيطان الّذى يقف لهم بالمرصاد!

بينات من الآيات:

إبليس يتحدى سلطان الحق:

[۶۱] وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أشرنا فى سوره البقره ان سجود الملائكه يرمز الى اخضاع الطبيعه للإنسان، و عللنا ذلك:ان كل طبيعه فى الكون لها ملك موكل بها،فهناك ملك للمطر،و هناك ملك للريح،و آخر للبحار و ملائكه للنهار و ملائكه لليل و..و..و المطلوب من الإنسان هو ان يخضع نفسه و قوى الشّر فى الطبيعه.

قالَ أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً

يبـدو ان إبليس كـان عنصـريا لأـنه حيث زعم أن العنصـر النـارى أفضـل من العنصـر الترابى،و لـم يعلم بـان العنصـر الترابى ليس بشىء،لو لا تكريم اللّه له بتلك القدسيه التى نفخها اللّه فيه،منحه العقل و الاراده.

[۶۲] قَالَ أَ رَأَيْتَكَ هٰذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَيَّ قالوا:معنى هـذه الكلمه اخبرنى،و لعل معنى الكلمه هل ظننت انك تغلبنى و فيها نبره التحـدى و التمرد و كان أسـلوب اللعين بعيـدا جدا عن مقام رب العالمين إذ كان أسلوبه أسـلوب تحد على من كرم اللّه و كأنه كان يقول:سـتعلم ما افعل بهـذا الّـذِى كرمته علىّ و امرتنى بالسـجود له!! لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰامَهِ اى امهلتنى حتى يوم القيامه لترى ماذا اعمل!! لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاّ قَلِيلاً ما هى غايه إبليس؟ هدف إبليس ان يحتنك بنى آدم،و الاحتناك،كما قال المفسـرون له معنيان:

الاول:الأخذ من العنق اى سوف اقود بنى آدم سوق البهائم.

ثانيـا:الاستئصـال اى لأسـتولين عليهم بالكامل قالوا:احتنك فلان ما عنـد فلان من مال اسـتقصاه و اخـذه بالكليه و احتنك الجراد الزرع،اكله بالكليه(الا قليلا)ممن يتمرد علىّ و يتبع عقله و هـذا قول الشـيطان،و يبـدو من هذا الحوار ان إبليس يقول:انا أقوى من آدم،أنت كرمته علىّ بيد انى سوف ادخله النار.

ص:۲۶۲

[۶۳]قَالَ اذْهَبْ أعطيتك الفرصه و المهله.

فَمَنْ تَبِعَـكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزٰاؤُكُمْ جَزٰاءً مَوْفُوراً ان اللّه خلق الجن و الانس ليعبـدوه و كرم بنى آدم و اهله لعبادته،اما إذا خرج عن حدّه و وقع فى خط الشيطان،آنئذ يسحب اللّه الكرامه منه و يدخله جهنم هو و جنود إبليس أجمعين. و هكذا إبليس من أشد الأعداء خطوره على ولد آدم

جاء فى الدعاء (الهى أشكو إليك عدوا يضلنى،و شيطانا يغوينى،قد ملأ بالوسواس صدرى و أحاطت هواجسه بقلبى،يعاضد لى الهوى و يزيّن لى حبّ الـدنيا و يحول بينى و بين الطاعه و الزلفى) الا ـ ان اللّه سبحانه و تعالى زود الإنسان بالإراده و العقل و أعطاه مزايا عده كيف؟تعالوا نستمع الى هذا الحوار.

لما اعطى اللّه إبليس ما أعطاه من القوه قال آدم:(يا رب قد سلطت إبليس على ولـدى و أجريته منهم مجرى الـدم فى العروق،و أعطيته ما أعطيته،فما لى و لولدى؟ قال:(لك و لولدك السيئه بواحده،و الحسنه بعشر أمثالها).

قال:يا رب زدنى.

قال:التوبه مبسوطه حتى تبلغ النفس الحلقوم.

قال:يا رب زدنى.

قال:اغفر و لا ابالى.

هكذا يمكر إبليس:

و خطوره الشيطان انه يستخدم أمكر الخطط من أجل إغواء بنى آدم و لو لا يقظه

أبن آدم،و عزمه الراسخ للتخلص منه،فان إبليس يصرعه بواحده من خططه العديده.

و كم يكون عظيما ذلك الإنسان الّذى يتحدى كل خطط الشيطان و يصل الى الجنه بعد تجاوز المواقع و العقبات الشيطانيه العديده و يذكر السياق القرآنى بخمسه خطط:

التضليل الاعلامى و تخريب الاقتصاد و إفساد التربيه و الإرهاب و الترغيب.

الف:التضليل الأعلامى:

[۶۴] وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِکَ و الاستفزاز بمعنى الاستنهاض،يقال فزّت الدابه:اى قامت و تحركت..اى حرّك منهم من تريد و استنهض من شئت باعلامك المضلل.و يشمل الصوت الدعايه و الموسيقى و الغناء و كل أساليب الغوايه المنطوقه.

و يعتبر التضليل الاعلامى امضى اسلحه الشيطان،حيث نرى بدايه الخلق ان إبليس اغوى آدم و زوجته،و أخرجهما من الجنه،بالقسم الكاذب و على امتداد التاريخ استخدم الشياطين ابواقهم الدعائيه لمحاربه الحق،و كان حول الطغاه أبدا جيش من ادعياء الفكر والدين يؤيدون سلطانهم و يغوون عباد اللّه.

و لا تزال شبكات المستكبرين التضليليه تقوم بأسوأ دور فى مد سيطرتهم الشيطانيه على المستضعفين و هكذا ينبغى ان يكون الشعب على أعلى مستوى من الوعى حتى يقاوم هذا التضليل،و الا فان الجزارين سوف يقودونه الى المذبحه بهدوء بعد ان يخدعوه و يغروه.

ص:۲۶۴

باء/الإرهاب:

وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ الإرهاب وسيله شيطانيه يستنجد بها أعوان الشيطان متى تحرك الناس تجاه دينهم،أو بدأوا بممارسه حقهم فى التفكير،أو بدأوا يستخدمون عقولهم..(خيلك) هم الخياله أو بمعنى آخرهم القوه المحموله للشيطان و(رجلك)اشاره الى جيش المشاه.

جيم/إفساد الاقتصاد:

وَ شارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ و هذا هو الأسلوب الثالث الّذى يعتمده الشيطان و هو إفساد النظام الاقتصادى و حين يكون الاقتصاد فاسدا بسيطره الرأسمال الكافر فان من الصعب جدا عباده اللّه،لان الشيطان يقطع رزق المؤمنين بعد سيطره اجهزته على المال.

دال/إفساد التربيه:

اما المشاركه فى الأولاد فتعنى التربيه الفاسده للطفل،فالشيطان يشارك الأب فى تربيه ابنائه فمنذ نعومه اظفارهم يأخذهم ليزرقهم فكره،ليكونوا حمله لرسالته.

و المعنى العميق لهذه الآيه:ان الإنسان لو ترك و فطرته،لاستفاد من حياته، و لكن الشيطان يدخل مع الإنسان فى كل شيء و يصير معه شريكا،فيمتص جهوده،فلا يستفيد الإنسان من حياته لحياته الاخرى،بل تكون حكرا للشيطان.

هاء/الترغيب:

وَ عِدْهُمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاّ غُرُوراً

ص:۲۶۵

و هذه هی النقطه الاخیره التی یعتمد علیها الشیطان و زبانیته و هی أسلوب الترغیب،و لخطوره هذه النقطه سفهها اللّه سبحانه و تعالی،لان الإنسان تغریه رنّه الدینار حتی یعمی بصره فیصبح لا یری الحق الا بلج.

الغرور هو التغریر،قال:الراغب فی مفرداته:الغرور هو کل ما یغر الإنسان من جاه و شهوه و شیطان،و قد فسر بالشیطان إذ هو أخبث الغاوین.

عباده اللّه عصمه و هدایه:

[۶۵] إِنَّ عِبٰادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطٰانٌ ان عباده اللّه سبحانه و تعالی،و الاتصال به عصمه للإنسان لئلا یقع فی حبائل الشیطان ان عباده اللّه هدی فی البصیره،و قوه فی الاراده،و غوث فی الکربه و الذین یکفرون باللّه و لا یتمسکون بحبله فان الشیطان یضلهم بغروره و یرهبهم بجیشه، و یشارکهم فی الأموال و الأولاد.

و هکذا لا یمکن لأحد ان یتخلص من برائن الشیطان،من دون الاعتصام بحبل اللّه المتین.

و کما ان امضی اسلحه إبلیس الاستفزاز بالصوت،فان أعظم حصن للمؤمن هو الّذی یقیه تضلیل الناس.

و ذلک ببصائر الوحی و ضیاء العقل،و هکذا تکون الصلاه و الصیام و سائر العبادات وسیله للتفکر السلیم و مقاومه عوامل الانحراف الفکریه.و یفسر هذه الآیه قوله سبحانه و تعالی فی سوره النحل:

فَإِذٰا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّیْطٰانِ الرَّجِیمِ، إِنَّهُ لَیْسَ لَهُ سُلْطٰانٌ عَلَی

اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ* إِنَّمَا سُلْطٰانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (النحل ۹۸/۱۰۰) (السلطان)هو القدره.

وَ كَفىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً من الطبيعى جدا ان اراده الشيطان لا تستطيع ان تقف امام مشيئه اللّه،لان وعد اللّه هو الحق و ان يعد الشيطان الا غرورا،و قد وعد اللّه عباده بأنه وكيلهم فى صرف الشيطان عنهم،و تقطيع مصائده و هدم مكائده.

ان مقاومه أسباب الانحراف فى النفس تسير جنبا الى جنب مع التيار العام للخلق و الفطره و الّذى تمثله سنن اللّه و قوانين الطبيعه.اما الانحراف فهو السير ضد هذا التيار،فلذلك فان الانحراف يحمل فى جوفه عوامل انهياره،حتى لو تذرع بالاساليب الملتويه من إرهاب أو إغراء.

[۶۶] رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ هذه مقارنه بين غرور الشيطان و نعم اللّه، فاذا كان الشيطان يرمى الى تلك المقاصد التى ذكرها اللّه،فان اللّه سبحانه و تعالى ينقذ الإنسان من براثن الشيطان و يساعده على تسخير الطبيعه حيث يزجى السفن فى البحر لمصلحه البشر.

و الإزجاء:هو الدفع و التحريك،و لا يتم الإزجاء الا بخلق عوامل مؤثره تساعد على هذا الإزجاء سواء بالريح التى تحرّك المياه و تحدث الأمواج أو بالقمر الّذى يصنع المد و الجزر،أو بخلق العوامل التى تساعد على تحريك السفن فوق سطح المياه.

لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كٰانَ بِكُمْ رَحِيماً

فلم تزل السفن أفضل وسيله للتجاره،و نقل فضل اللّه المتمثل فى ألوان البضائع من بلد الى بلد و بالرغم من تقدم الوسائل الاخرى للنقل البرى،كالطائرات و السيارات و القطار،فان نسبه نقل البضائع عبر البحار أعظم من غيرها بما لا قياس.

و بالاضافه الى ذلک فان البحار ستضل أفضل و أعظم مصدر للطعام البشرى الطيب.

[۶۷]أسلوب القرآن الحكيم يعتمد على إبلاغ الحقيقه الى غور الفكر،و عمق القلب،بان يرفع الحجب التى بينه و بينها حتى يشاهد بذاته الحقائق.فهذا هو العلم الحق انه كشف و شهود و اتصال مباشر بين القلب و الحقيقه(عبر جسر المعرفه).و هنا يذكرنا الرب سبحانه:بذاته عبر منهاج وجدانى يعتمد على رفع الحجب و شهود الواقع.و لعل الحديث التالى يبلور فى نظرنا هذا الأسلوب.

جاء رجل الى الامام الصادق عليه السلام و قال له:يا ابن رسول اللّه دلنى على اللّه ما هو؟ فقد أكثر على المجادلون و حيرونى.

فقال له:يا عبد اللّه هل ركبت سفينه قط؟قال:نعم قال:فهل كسر بک حيث لا سفينه تنجيک و لا سباحه تغنيک؟قال:نعم.

قال:هل تعلق قلبک هنا لک ان شيئا من الأشياء قادر على ان يخلصک من ورطتک؟قال:نعم قال:الصادق عليه السلام :فذلک الشيء هو اللّه القادر على الإنجاء حيث لا منجى،و على الاغاثه حيث لا مغيث. (۱)

[۶۷] وَ إِذٰا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاّٰ إِيّٰاهُ فى لحظات الخطر يتذكر العبد ربه،و يتعلق قلب الإنسان باللّه و ليس بذاته التى يعبدها أو بالطاغوت الّذى يخضع له.

ص:۲۶۸

۱- ۱) بحار الأنوار ج ۳ ص ۴۱

و هكـذا يسـتدل بهـا اللّه على ذاته،فلاـ أحـد منـا يخلو من لحظـات الحرج و الشـده، حيث تحيط بنا الاخطار و نعرف بفطرتنا ان أولئك الآلهه المزيفه،التى تعبـد من دون اللّه لا تغنى عنا شـيئا فتتصل القلوب برب الأرباب،و تبدأ بالمناجاه الحاره،و يفتح الرب أمامنا أبواب رحمته و تستقبلنا بشائر فضله و تنقذنا يدعونه و غوثه.

فَلَمّا نَجّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْـتُمْ وَ كانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً فبدل ان يزداد شـكرا تراه يزداد طغيانا و كفرا بنعمه اللّه،(و كفورا)صيغه تدلّ على الاستمرار.

[٦٨] أَ فَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ الْبَرِّ اين تهرب من قـدره اللّه؟!صـحيح انه نجـاك من هـذا البحر الغـاضب،لكن من الّـذى يضـمن لـك ان لا تخسف بك الأرض،أو ينفجر عليك بركان منها،و هـذه الآيه اشاره الى إمكان حـدوث التغيرات الجيولوجيه فى اى لحظه.

أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً الحاصب الريح المحّمله بالحصى و ذرأت الرمل.

عند ما كانت قوافل العرب تسـير فى الصحارى التى تتحرك رمالها كانت الرياح تسوق كثبان الرمل فتبتلع القوافل بما فيها و بمن معها،و لعلهم كانوا يسمونها بالحاصب.

هذه طبيعه الإنسان بدل ان يشكر ربه على النعم اولا و على خلاصه من البلاء ثانيا بدل ذلك يكفر.

ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً

ص:٢٦٩

سبق و ان ذكر اللّه سبحانه بأنه وكيل عن المؤمنين فى دفع الشيطان عنهم، و لكن من هو وكيل الكافرين فى دفع الموت و الضرر هذه الآيه تشير الى ضروره الرجوع الى اللّه لأنه القوى،و لا قوه أعلى من قوته.

عند ما ذكر اللّه أساليب الشيطان صغرها و بيّن ان عباد اللّه أقوى منها بفضل اللّه فاذا كان الشيطان يستطيع إغواء اتباعه فان اللّه قادر على إهلاكهم رأسا بان يغرقهم فى اليم،أو يخسف بهم الأرض،أو يرسل عليهم ريحا لا تبقى و لا تذر.

بعد البلاء أما العذاب أو الرحمه:

[۶۹] أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاٰ تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنٰا بِهِ تَبِيعاً اى يعيدكم فى البحر،فيرسل عليكم القاصف(القاصف)هى:الأعاصير البحريه الهائله،هذه الآيه تشير الى غباء الإنسان،فانى له ان يهرب من عذاب اللّه؟!فحتى لو اسكرته الفرصه و اذهله تتابع النعم عن شكر ربه،فهل ينفعه ذلك؟! اللّه قادر على ان ينسيك ما أصابك،و هذا ليس من صالحك،إذا قد تلدغ من الجحر الّذى لدغت منه فى المره السابقه!انما عليك ان تتذكر ما أصابك من البلاء ليذكرك باللّه سبحانه و تعالى حينها لن تلدغ من جحر مرتين.

ان اللّه سبحانه و تعالى عند ما يبتلى امه فانما يبتليهم بما كسبت أيديهم و يهدف إنقاذهم من السيئات التى كانت سبب البلاء كما ان الألم علامه المرض فكذلك البلاء علامه الذنب فاذا كفروا و تمادوا فى الغى فان اللّه عند ما يبتلى امه فان ذلك مؤشر إنذار لهم بأنهم مذنبون،و ان اللّه لا ينجى من هذا البلاء الا عند خلوص النيه،

و الخلاصه هی:ان اللّه سبحانه و تعالی یبتلی الإنسان بالبلاء لیعمق روح الایمان فیه، و لکنه قد یکفر إذا نجی منه و قد البلاء یتحول الی عذاب.

قال اللّه سبحانه و تعالی لعیسی علیه السلام :«یا عیسی!لا یغرنک المتمرد علیّ بالعصیان،یأکل من رزقی،و یعبد غیری،ثم یدعونی عند الکرب فأجیبه،ثم یرجع الی ما کان علیه،فعلیّ یتمرد؟أم لسخطی یتعرض؟فبی لآخذنّه اخذه لیس له منجی و لا دونی ملجأ. » إذا البلاء میزان العبد فقد یهتدی به فیرحمه اللّه،و قد یطغی فیحول اللّه البلاء الی عذاب،لقد رفع اللّه فوق بنی إسرائیل الطور و هددهم بأنه سوف یسقطه علیهم، و لکنهم أخلصوا نیتهم فتاب اللّه علیهم،و عند ما عادوا الی غیهم عاد اللّه علیهم العذاب،إذا علینا ان نعرف أبدا ان البلاء جرس إنذار،فنصحح انحرافنا و نتجه الی اللّه قبل ان یصبح عذابا شاملا.

[۷۰] وَ لَقَدْ کَرَّمْنا بَنِی آدَمَ بالعقل و الاراده و باستواء الخلقه،و قدره الجسم علی الحرکه باستقامه و وجود اجهزه دقیقه له تساعده علی التحکّم فی الطبیعه.و هکذا کرمهم بالهدی و بأنّ الأنبیاء و الصدیقین منهم حیث أنزل لهم رسالاته.و کرمهم بتسخیر الطبیعه لهم، و توطئه ظهور الأشیاء لهم.

وَ حَمَلْناهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حملهم فی البر:فالأرض جعلها صلبه یستطیعون التنقل علیها و سخر لهم الخیل و البغال و الحمیر لیرکبوها.و سخر لهم سائر وسائل الانتقال فی البر بفضله کما حملهم فی البحر فوق السفن التی تمر المحیطات.

وَ رَزَقْنٰاهُمْ مِنَ الطَّيِّبٰاتِ وَ فَضَّلْنٰاهُمْ عَلىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنٰا تَفْضِيلاً الطيبات:الرزق الحلال و كل ما فى الأرض حلال الا ما استثنى،و تفضـل اللّه على الإنسان ليس لـذاته و انما ليتحمل به مسـئوليه أكبر،لان لكل شـىء زكاه فزكاه المال بـذله،و زكاه العلم نشـره و كذلك فان زكاه التفضيل ان تتحمل مسئوليتک بحجم هذا التفضيل.

[سوره الإسراء (۱۷): الآیات ۷۱ الی ۸۱]

اشاره

یَوْمَ نَدْعُوا کُلَّ أُنٰاسٍ بِإِمٰامِهِمْ فَمَنْ أُوتِیَ کِتٰابَهُ بِیَمِینِهِ فَأُولٰئِکَ یَقْرَؤُنَ کِتٰابَهُمْ وَ لاٰ یُظْلَمُونَ فَتِیلاً (۷۱) وَ مَنْ کٰانَ فِی هٰذِهِ أَعْمیٰ
فَهُوَ فِی اَلْآخِرَهِ أَعْمیٰ وَ أَضَلُّ سَبِیلاً (۷۲) وَ إِنْ کٰادُوا لَیَفْتِنُونَکَ عَنِ اَلَّذِی أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ لِتَفْتَرِیَ عَلَیْنٰا غَیْرَهُ وَ إِذاً لاَتَّخَذُوکَ خَلِیلاً
(۷۳) وَ لَوْ لاٰ أَنْ ثَبَّتْنٰاکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَیْهِمْ شَیْئاً قَلِیلاً (۷۴) إِذاً لَأَذَقْنٰاکَ ضِعْفَ اَلْحَیٰاهِ وَ ضِعْفَ اَلْمَمٰاتِ ثُمَّ لاٰ تَجِدُ لَکَ عَلَیْنٰا
نَصِیراً (۷۵) وَ إِنْ کٰادُوا لَیَسْتَفِزُّونَکَ مِنَ اَلْأَرْضِ لِیُخْرِجُوکَ مِنْهٰا وَ إِذاً لاٰ یَلْبَثُونَ خِلاٰفَکَ إِلاّٰ قَلِیلاً (۷۶) سُنَّهَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنٰا قَبْلَکَ
مِنْ رُسُلِنٰا وَ لاٰ تَجِدُ لِسُنَّتِنٰا تَحْوِیلاً (۷۷) أَقِمِ اَلصَّلاٰهَ لِدُلُوکِ اَلشَّمْسِ إِلیٰ غَسَقِ اَللَّیْلِ وَ قُرْآنَ اَلْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ اَلْفَجْرِ کٰانَ مَشْهُوداً
(۷۸) وَ مِنَ اَللَّیْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نٰافِلَهً لَکَ عَسیٰ أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقٰاماً مَحْمُوداً (۷۹) وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِی مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِی
مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اِجْعَلْ لِی مِنْ لَدُنْکَ سُلْطٰاناً نَصِیراً (۸۰) وَ قُلْ جٰاءَ اَلْحَقُّ وَ زَهَقَ اَلْبٰاطِلُ إِنَّ اَلْبٰاطِلَ کٰانَ زَهُوقاً (۸۱)

اللغه

۷۳[لیفتنونک]:یزلونک و یصرفونک.

۷۴[ترکن]:تمیل.

۷۶[خلافک]:بعدک.

ص:۲۷۳

كيف نواجه خطط إبليس؟

هدى من الآيات:

فی درس مضـی بین القرآن الکریم مکر الشـیطان و کیده،و ها هو یبصرنا کیف نقاومه،و یثبّت افئده المؤمنین بالحدیث عن سنه اللّه التی اتبعها النبیون فانتصروا.

عنـد ما یـدعو اللّه کل أناس بإمامهم.فهل تریـد ان یکون إمامک الشـیطان؟ و عند ما تتطایر الکتب.فهل تحب ان تسـتلم کتابک بالشـمال؟ هنـا لـک من یؤتی کتـابه بیمینه،و یعطون البصـیره،یقرءون کتابهم دون ان ینقص من أجرهم شـیء،فلا یظلمون بقـدر فتیل،بینما هنا لک من یؤتی کتابه بشـماله و هم عمی لا یهتـدون سبیلا.بلی انهم کانوا فی الـدنیا لا یبصـرون،فجزاؤهم ان یکونوا فی الآخره کذلک.

ان العاقبه الحسنی انما هی من نصیب أولئک الذین یقاومون خداع الشیاطین

ص:۲۷۵

الذين ضغطوا على رسول اللّه ليغيروا بعض ما اوحى اليه،و انئذ يتخذوه خليلا، و عصمه اللّه هى التى تحفظ البشر من السقوط فى شرك إبليس،و رسول اللّه معصوم عن الميل إليهم بأذن اللّه،و لو انه ركن إليهم شيئا قليلا لا ذاقه اللّه-إذا-ضعف الحياه و ضعف الممات،ثم لا ينصره اللّه شيئا.

هكذا يستقيم المؤمنون امام مكر إبليس و شياطينه،الهادف تضليلهم،اما عن قوتهم و ارهابهم فإنهم أرادوا ان يستفزوا رسول اللّه من أرضه،و يخرجوه منها،و لكنهم ان فعلوا أطبق عليهم العذاب.تلك سنه اللّه فى الماضين،و لا تجد لسنه اللّه تحويلا.

و لكى نقاوم ضغوط الشياطين علينا ان نقيم الصلاه لدلوك الشمس(وقت الظهيره و العصر)الى غسق الليل(المغرب و العشاء)و قرآن الفجر(صلاه الصبح) ان قراءه القرآن تشهده الملائكه،و ان نقوم الليل للتهجد نافله،ان ذلك وسيله التقرب الى الرب و لبلوغ المقام المحمود،و ان ندعو اللّه لكى يجعل مدخلنا مدخل صدق،و مخرجنا مخرج صدق،و ان يجعل لنا من لدنه سلطانا نصيرا،و ان نحيى الحق و نميت الباطل.

تلك كانت مناهج الرساله لتحدى خطط إبليس،و نلخصها فى خمسه بنود، اقامه الفرائض،و التهجد فى الليل،و الصدق فى جميع المواقف،و التوكل على اللّه، و أخيرا الثقه بنصره.و هذا هو محتوى رساله اللّه التى أوحاها الى عبده محمد بن عبد اللّه صلى اللّه عليه و آله.

و لان سوره الإسراء تبين حقائق الوحى الإلهى تحدثنا عنها فى أغلب دروسها، و ضمن بيان حقائق اخرى تتناسب معها كقضيه مكر إبليس الّذى يريد إغواء بنى آدم،فيوفر اللّه لهم حبل الخلاص برسالاته التى اوحى بها.

ص:٢٧۶

بینات من الآیات:

أمامه القرآن هدایه و فلاح:

[۷۱] یَوْمَ نَدْعُوا کُلَّ أُنٰاسٍ بِإِمٰامِهِمْ فی ذلک الیوم یدعو اللّه سبحانه کل امه بامامها،و الامام یعکس قیم أمته،و هو تجسید لکل فرد فی الامه،و هکذا یجب ان تنبع القیاده من صمیم الامه،و تعیش واقعها،و کل قیاده لا تنبع من صمیم الامه فانها لا تملک مبرر البقاء لأنها تتنافر طبیعیا مع کل فرد فی هذه الامه.و الامام هو القرآن الموحی به،و هو الّذی یجسد القرآن و یکون قرآنا ناطقا فالفکره الرسالیه هی القائده و انما یمثلها ذلک الامام الناطق بها،و یجب علی الإنسان ان یتبع الفکره قبل ان یتبع الشخص،و ان یعرف خط القائد قبل شخصه،فاذا أردت اتباع قیاده فلا بد ان تعرف خطها اولا.

جاء فی الحدیث عن القرآن:

من جعله امامه قاده الی الجنه،و من جعله خلفه ساقه الی النار.

و کیف یمکن ان تجعل القرآن إمامک،من دون ان تختار قیادته حسب موازینه.

فَمَنْ أُوتِیَ کِتٰابَهُ بِیَمِینِهِ فَأُولٰئِکَ یَقْرَؤُنَ کِتٰابَهُمْ وَ لاٰ یُظْلَمُونَ فَتِیلاً هؤلاء الذین اتبعوا القرآن یدعون بالقرآن،و بذلک الامام الّذی اتبعوه باسم القرآن و صاروا قرآنیین:أمّا و انهم صاروا قرآنیین،فان اللّه یعطیهم حقهم غیر منقوص،دون ان یظلمهم فتیلا،و الفتیل هو الخیط الدقیق فی شق نواه التمره،و لعل نهایه الآیه تدل علی ان الوهم الّذی یبثه الشیطان فی روح اتباعه بأن عمل الخیر لا جزاء له باطل.

ص:۲۷۷

و ليس معنى هذه الآيه ان اللّه يظلم من لا يؤتى كتابه بيمينه،بل اللّه عادل و لو يؤاخذ الناس بعدله لما نجى أحد من البشر،و لكن اللّه سبحانه لا يتعامل مع الناس الا بفضله،و

قد ورد فى الدعاء: «الهى عاملنا بفضلك،و لا تؤاخذنا بعدلك،فانه لا طاقه لنا بعدلك،و لا نجاه لنا دون فضلك »و اللّه سبحانه لا يظلم الناس،و لكن الناس أنفسهم يظلمون،فاذا عاقبهم اللّه فى الآخره فانما يعاملهم لقاء ظلمهم لأنفسهم.

[۷۲] وَ مَنْ كَانَ فِي هٰذِهِ أَعْمىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَهِ أَعْمىٰ وَ أَضَلُّ سَبِيلاً غيّر اللّه سبحانه مسار الحديث،فبدل ان يقول مثلا: « وَ أَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِشِمٰالِهِ.. »قال:« وَ مَنْ كَانَ فِي هٰذِهِ أَعْمىٰ.. »و لو انه قال مثل ذلك لما وضحت صفتهم الرئيسيه،و على كل حال فان هناك صفه مميزه جعلت بعض الناس أصحاب يمين و البعض الآخر أصحاب شمال،و ان ذكر هذه الصفه فى أحدهما يعنى وجود عكسها فى الآخر،فصفه أصحاب الشمال العمى،فاذا تكون صفه أصحاب اليمين الأبصار،و لعل العمى فى القرآن يرادف اللاوعى.

ان الوعى فى الحياه الدنيا هو ضمان السلامه فى الآخره،لان الواعى لا يعمل الا وفق تقدير و حكمه،فلذلك تقل نسبه اخطائه و معاصيه،و من لا يمتلك وعيا فى الحياه الدنيا يحجزه عن المعاصى فهو فى الآخره أعمى عن النظر الى رحمه اللّه،و كلمه «أضل»اسم تفضيل على وزن افعل اى أشد ضلالا.

ان اللّه وفر الفرصه للإنسان للهدايه،فان هو لم يتقبلها،و كفر باللّه،و تغافل عن دواعى الهدايه فى نفسه،فانه لن يكون أقل عميا فى الآخره عما هو عليه فى الدنيا،بل هو أضل سبيلا،ذلك لان«الجزاء من جنس العمل»فمن اطفأ شعله

ص:۲۷۸

الهدایه فی نفسه،و لم یهتد الی الصراط المستقیم،هکذا تکون عاقبته،و هکذا ینبغی ان یسعی البشر نحو الهدایه فی الدنیا حتی لا یحشر أعمی،و یبدو من الآیه ان الشیطان یسعی من أجل حجب بصیره البشر،و ذلک بتضلیله الّذی عبرت عنه الآیات السابقه ب« وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِکَ »و علی الإنسان ان یتحداه و لا یخضع لغروره،و ان یسعی نحو أسباب الهدایه،و یتجاوز العقبات التی وضعها إبلیس فی طریقه. ذلک لأنه مسئول عن إبقاء بصره سلیما.و لا یجوز له ان یسمح لأحد ان یجعله أعمی.

الرسول یتحدی الضغوط:

[۷۳]و کل إنسان مسئول عن بصیرته الا یحجبها الشیطان،و عن هداه الا ینحرف عنه تحت وطأه الضغوط،و هکذا کان الرسول یتحدی الضغوط التی یمارسها اتباع الشیطان لتغییر الرساله.

و التعبیر القرآنی بلیغ فی بیان مدی کثافه الضغوط التی یتعرض لها صاحب الهدایه،حتی انها تکاد تؤثر فی الرجل العظیم الّذی

یصفه الامام علی علیه السلام بقوله:

«صلّ علی الدلیل إلیک فی اللیل الألیل،و الماسک من أسبابک بحبل الشرف الأطول،و الناصع الحسب فی ذروه الکاهل الأعبل،و الثابت القدم علی زحالیفها فی الزمن الاول،و علی آله الأخیار » یقول ربنا:و هو یشیر الی تلک الضغوط:

وَ إِنْ کٰادُوا لَیَفْتِنُونَکَ عَنِ الَّذِی أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ یسعی الکافرون و المشرکون ان یفتنوا الرسول،و یبعدوه عما اوحی الیه

بالتشکیک،أو بالارهاب،أو بالضغوط الاجتماعیه،و النفسیه.

لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنٰا غَيْرَهُ لیس فقط یریـدون ان یبعـدوک عن رسالتک،بل یریـدون ان تسـخّر هـذه الرساله لصالحهم،لأنهم یفکرون لو انهم ابعـدوک عن دینـک،فانه من الممکن ان ترجع الیه، و لکن عنـد ما تفتری علی رسالتک،و تکـذب فیها آنئـذ سـتفهم هـذه الرسـاله بشـکل مشوّه،و بالتـالی سـتبتعد عن دینـک،و هـذا ما یفعله الاسـتعمار الیوم،حین یصـیغ الإسـلام کما یریـد،و یحرفه عن مساره،یحوله الی دین الطقوس و الشکلیات المجرده بعد ان یفرغه من جوهره،و یختار لذلک بعض ادعیاء الدین.

وَ إِذاً لاَتَّخَذُوكَ خَلِيلاً- إذا کیفت رسالتـک حسـبما یریـدون فـأنت إذا مخلص لهم و مـا جزاء المخلص لهم الا-ان ترفـع مرتبته عندهم،و هکذا یجب علی الداعیه ان لا یتنازل عن مبادئه فی ای ظرف من الظروف،و ان یضحی من أجل أداء رسالات ربه.

[۷۴] وَ لَوْ لاٰ أَنْ ثَبَّتْنٰاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً لولا اتصال الرسول صـلی الله علیه و آله بینبوع القوه،لکانت الضـغوط تجبره للتنازل عن رسالته،و حاشا الرسول ان یتنازل عن مبادئه،و ینقل الرواه ان سبب النزول هو:

ان المشـرکین جاؤوا الی الرسول و قالوا له:(کف عن شـتم آلهتنا،و تسفیه أحلامنا، و اطرد هؤلاء العبید و السقاط الذین رائحتهم الصنان(الصنان:نتن الإبط)حتی نجالسک و نسمع منک،فطمع الرسول فی إسلامهم،فنزلت هذه الآیه،و

جاء فی حدیث العیاش عن الصادق علیه السـلام انه سئل عن هذه الآیه فقال:لما کان یوم الفتح اخرج رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم أصناما من المسجد و کان منها صنم

ص:۲۸۰

على المروه، و طلبت اليه قريش ان يتركه و كان مسخا،فلم يتركه،ثم امر بكسره فنزلت الآيه (۱).

و لعل الآيه توحى بان الداعيه قد يهم لتغيير بعض بنود رسالته طمعا فى إدخال الناس فى الدين و هذا بدوره خطأ،و الروايتان تشهدان على هذا التفسير.

بالرغم من ان عصمه الرسول التى تدل عليها الآيه(۷۴)بصراحه تشهد على ان الرسول لم يعزم أبدا على تقديم تنازل للمشركين،و لعله استعرض ذلك فى ذهنه كأحد الخيارات المطروحه،الا انه سرعان ما نبذه بسبب عصمه اللّه له،و

روى عنه انه صلى اللّه عليه و آله قال بعد نزول الآيات«اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفه عين أبدا » ۲[۷۵] إِذاً لَأَذَقْنٰاکَ ضِعْفَ الْحَيٰاةِ وَ ضِعْفَ الْمَمٰاتِ اى لأذقناك ضعف العذاب فى الدنيا و الآخره،و نظرا لمقام الرسول و عظم مسئولياته فانه يحاسب بقدر تلك المسؤوليات فكلما ارتفعت مسئوليه الإنسان،كلما حوسب أكثر بعكس الذين لا يحملون مسئوليه كبيره،لان انحراف القياده يعنى انحراف قطاع كبير من الامه.

ثُمَّ لاٰ تَجِدُ لَکَ عَلَيْنٰا نَصِيراً هذه الآيه هى جواب على الآيات الاولى وَ إِنْ كٰادُوا لَيَفْتِنُونَکَ عَنِ الَّذِی أَوْحَيْنٰا إِلَيْکَ لِتَفْتَرِیَ عَلَيْنٰا غَيْرَهُ،وَ إِذاً لاَتَّخَذُوکَ خَلِيلاً اى لو انحرفت فقد تجد من ينصرك فى الدنيا،و لكن من الذى ينصرك من عذاب اللّه.

۱- ۱،۲) :تفسير الصافى ص ۲۰۸ ج ۳

[۷۶] وَ إِنْ کٰادُوا لَیَسْتَفِزُّونَکَ مِنَ اَلْأَرْضِ لِیُخْرِجُوکَ مِنْهٰا الإنسان الذی یحمل الرساله لا بد ان یضع فی اعتباره انه سوف یتعرض للضغوط الاجتماعیه،و المادیه،و من ضمن هذه الضغوط(الإخراج و التهجیر و المقاطعه الاجتماعیه و الإیذاء)و من یقرأ ما عانی رسول اللّه من الإیذاء لا یمتلک دموعه و خاصه عند ما فقد عمه و زوجته فی عام الأحزان،و لم یجد أحدا یمنع المشرکین عن أذاه، فاشتد ایذاؤهم له،و تولی ابو لهب سیاده قریش،و یزداد أذی له و هو عمه و أقرب الناس الیه،و إذا کان عمه هکذا فکیف یکون المشرکون؟! ثم بعد ما ضاقت علیه الأرض بما رحبت هاجر الی الطائف،و لقی من العنت مثلما لقی فی مکه،فاذا بصبیانها یدمون رجلی الرسول بالحجاره،و عند ما تأزمت الأمور أکثر بین الرسول و أهل مکه حاولوا إخراجه،و من ثم تآمروا علی قتله،فهاجر الی المدینه لیفتح بذلک صفحه جدیده أطلت علی التاریخ ببوارق الأمل.

«یستفزونک»ای یخرجونک و ینفرونک،و هذه ثانیه خطط إبلیس و شیاطینه حیث انهم حین یفشلون فی تغییر الرساله لتوافق مصالحهم،و لا أقل لکی لا تضرها رغم اغرائهم لصاحب الرسول بأنهم سوف یدخلون فی دینه لو فعل ذلک-أقول بعد فشلهم هذا یتوسلون بالارهاب،و یحاولون طرد صاحب الرساله- من أرضهم.

و نلاحظ ان القرآن أشار الی هاتین الخطتین فی الآیه(۶۳)حیث قال:

« وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِکَ وَ أَجْلِبْ عَلَیْهِمْ بِخَیْلِکَ وَ رَجِلِکَ ».

و کأن السیاق هنا یذکرنا بفشل إبلیس مع نبینا،و ان علینا الا ندعه ینجح معنا أیضا،أو لسنا اتباع ذلک الرسول؟! وَ إِذاً لاٰ یَلْبَثُونَ خِلاٰفَکَ إِلاّٰ قَلِیلاً

ای لن یستطیعوا ان یواجهوک بعد ما یخرجوک.لعل الآیه تشیر الی سنه إلهیه، قضاها الرب لعباده:ان رسل اللّه،و الذین هم یسیرون علی نهجهم،أوتاد الأرض، فمن دونهم تسیخ بأهلها،بهم یحفظ اللّه العصاه ان یدمرهم شر تدمیر،فاذا طغی الناس و اخرجوا هؤلاء من بلادهم فان العذاب یصبّ علیهم صبا.و لو لا ان نبینا صلی الله علیه و آله اختار الهجره الی المدینه لکان أهل مکه یتعرضون لعذاب شدید،بل انک تری انهم تعرضوا للقتل و الأسر،و فتح بلدهم لأنهم هموا بإخراج الرسول.

[۷۷] سُنَّهَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَکَ مِنْ رُسُلِنا وَ لاٰ تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِیلاً سنه اللّه لن تتغیر حتی یوم القیامه،فهذه من الحتمیات الالهیه،و التحویل هو تحویل الشیء الی غیره،و سنه اللّه المتمثله بنصر الرسل،سنه ابدیّه محتومه،کما ان الظروف الطبیعیه تحتمها،لان الکفر یسیر ضد التیار العام للطبیعه،بینما تنتصر رسالات اللّه،لأنها تتحرک باتجاه التیار الطبیعی للحیاه،کما انها تتوافق مع الفطره.

الصلاه:

[۷۸]کیف یقاوم المرء ضغوط الشیطان؟یجیب السیاق القرآنی عن هذا السؤال بعد ان بیّن خطط إبلیس فی إغواء بنی آدم،و سوقهم الی النار و یتلخص الجواب فی اقامه الصلوات المفروضه،و التهجد باللیل،و الصدق فی المدخل و المخرج، و التوکل علی اللّه،و الثقه بنصره،فهذه خمسه برامج یتحدی بها المؤمن مکر الشیطان و کیده.

[۷۸] أَقِمِ الصَّلاٰهَ لِدُلُوکِ الشَّمْسِ

دلوك الشمس اى زوالها،و سمى الدلوك دلوكا،لان الإنسان يدلك عينه عنده لشده شعاعها انئذ،و قال البعض ان الدلوك هو الميل،و سمى الزوال دلوكا لان الشمس تميل عنده الى جهه المغرب،كما ان المغرب سمى به أيضا لان الشمس تميل الى الغروب.

إِلىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ غسق-دلجه-ظلمه-بمعنى واحد و هو شده الظلام،و شموله،و لعله يتم عند منتصف الليل.

وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كٰانَ مَشْهُوداً قرآن الفجر هو صلاه الصبح،و صلاه الصبح مشهوده من قبل ملائكه الليل و ملائكه النهار،لذلك استحب استحبابا مؤكدا صلاه الفجر فى أول وقتها.

نلاحظ ان اللّه سبحانه حدد أوقات الصلاه بثلاث أوقات بدل ان تكون خمسه أوقات،نظرا لتقارب وقتى الظهر و العصر،و المغرب و العشاء.

[۷۹] وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نٰافِلَةً لَكَ نافله الليل هى الصلاه غير المكتوبه،و لو كتب على المؤمن غير الفرائض الخمس لكان المكتوب صلاه الليل لما فيها من الثواب،و مباهات اللّه ملائكته بمن يصليها.

التهجد:السهر لصلاه الليل،و أخذت الكلمه من الهجود و هو النوم،و كأن المتهجد يغالب نومه.

عَسىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقٰاماً مَحْمُوداً

هـذه فائده صـلاه الليل و المقام المحمود للرسول الشـفاعه،و للمؤمنين درجات الكمال،حيث جاءت الأحاديث تؤكد على صـلاه الليل،و توضح فوائدها،فهى تزيد فى الرزق،و تزيد فى العمر،و ترفع عذاب القبر و هى نور فى القبر،و نور يوم القيامه،و ترفع اسـم الإنسان،و تزيد فى بهاء وجهه، و تزرع الخشيه فى قلبه،و تحببه الى إخوانه و عشرات من الفوائد العظيمه.

شفاعه الرسول فى أمته:

عن الامـام الصـادق عليه السـلام : عن آيه« عَسىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقٰاماً مَحْمُوداً »سـأله رجل عن قول الرسول فى تفسـير هـذه الآيـه«انـا سـيد ولـد آدم و لاـ فخر»قـال عليـه السـلام «نعـم يأخـذ حلقـه مـن بـاب الجنـه فيفتحهـا،فيخر ساجـدا،فيقـول اللّه:ارفع رأسك..اشـفع تشـفّع،..اطلب تعطى فيرفع رأسه ثم يخر ساجدا،فيقول اللّه:ارفع رأسك..اشـفع تشـفّع..اطلب تعطى،ثم يرفع رأسه فيشفع فيشفّع،و يطلب فيعطى. »

و فى روايه اخرى عن الامـام الصـادق عليه السـلام رواهـا عنه الامـام الكـاظم عليه السـلام :يقوم الناس يوم القيامه مقـدار أربعين يومـا،و تـؤمر الشـمس فتنزل على رؤوس العبـاد، و ينجـم العرق،و تـؤمر الأـرض الاـ تسـتقبل مـن عرقهم شـيئا،فيـذهبون الى آدم فيشـفعونه،فيـدلهم على نـوح،يقـول:اذهبوا الى نوح،و يـدلهم نوح الى إبراهيم،و يـدلهم إبراهيم الى موسـى و يـدلهم موسـى الى عيسى،و يدلهم عيسى على محمد،فيقول:

عليكم بمحمـد خـاتم النـبيين،فيقول محمـد صـلى الله عليه و آله :أنالهـا،فينطلق حـتى يـأتى بـاب الجنه،فيـدق البـاب،و يقـال:من هـذا؟فيقول محمـد:افتحوا،فاذا فتح الباب، و اسـتقبل ربه،فخر ساجدا لا يرفع رأسه حتى يقول اللّه له: تكلم،فاسأل تعطى، و اشـفع تشـفّع،فيرفع رأسه فيستقبل ربه،فيخر ساجـدا،فيقـال له مثلهـا،فيرفع حتى انه ليشـفع من قـد حرّق بالنار،(و ما)أحـد من الناس يوم القيامه فى جميع الأمم أوجه

من محمد،و هو قول اللّه تعالى: عَسىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقٰاماً مَحْمُوداً .

و بـالرغم من ان الآيـات تخـاطب النـبى صـلى اللّه عليه و آله،و فسـرت فى أكثر النصوص المـأثوره عن علمـاء المسـلمين جميعا بالشـفاعه التى خص بهـا الرب حبيبه محمـدا صـلى اللّه عليه و آله-بـالرغم من ذلـك-الا ـان القرآن نزل على لغه«إيـاك اعنى و اسمعى يا جاره»حسب النصوص المأثوره.

و هكـذا نعرف انّ نـافله الليـل هى معراج المؤمن الى الكمـال،انهـا تطهر القلب عن عقـده و احقاده،و اهتماماته بصـغائر الأمور،و توسع الصـدر لاسـتقبال المسؤوليـات العظـام،و تشـحذ العزيمه لتحـدى العقبـات،و تنهض الإراده الخامله،و تعطى النفس قوه دفع ذاتيه،و كـل ذلـك بفضـل القرب الى الرب،و لعـل كلمه«عسـى»فى هـذه الآـيه كمـا لفظه لعل فى آيات اخرى تـذكرنا بان هـذه الحقـائق ليست مثـل الحقـائق الفيزيائيه التى تقضـى بحتميّه النتائـج بعـد الأسـباب،بل انها حقائق فوق ماديه تتبع مشـيئه اللّه،و اللّه سبحـانه لا ـ يتقبـل العمـل الا ـ بـالتقوى و الإخلاـص،و هو ينظر الى روح العمل قبل مظهره،فعلى الإنسان ان يسـتمر فى الاجتهاد،و يرجو رحمه اللّه،فعسـى ان يبلغه اللّه النتائج و بذلك يحرّض القرآن المؤمنين على المزيد من العمل و المزيد من التضرع الى اللّه ليبلغوا المقام المحمود بفضله.

نصره اللّه:

[۸۰] وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ الالتزام بالصـدق فى المواقف،فى كل مـدخل و مخرج منها هو أهم واجبـات الرسول و الرسـالى،و لاـن الإنسـان يحتمل ان يـدخل فيما يكرهه اللّه،أو يخرج عما يحبه اللّه،فهو بحاجه الى حاجز يمنعه عن الانحراف،و هـذا الحاجز انما هو من عنـد اللّه سـبحانه،و المراد من هذه الآيه:يا رب ادخلنى فى الأمور إدخالا صادقا،و اخرجنى

منها إخراجا صادقا.

وَ اجْعَلْ لِی مِنْ لَدُنْکَ سُلْطاناً نَصِیراً إذا التزم الإنسان بالواجبات الشرعیه،و جسد الشخصیه القرآنیه انئذ یصبح تحت ظلال رحمه اللّه فی الأرض،فیصبح سلطانا من قبل اللّه،بالطبع لیس سلطانا مادیا،بل سلطانا ربانیا رحمانیا،و یبعث اللّه من ینصره من المؤمنین و الملائکه.

إذا أردت ان تکون قائدا أصلح نفسک و کن مع اللّه،لأنه من کان مع اللّه کان اللّه معه.

جاء فی وصیه الامام الحسن علیه السلام لجناده:

«یا جناده من أراد عزا بلا عشیره،و هیبه بلا سلطان فلیخرج من ذل معصیه اللّه الی عز طاعته.» و لو عمل المسلمون بهذه الآیه الکریمه لاغنتهم عما فی ایدی أعدائهم، و هیأت لهم استقلالا اقتصادیا،و ثقافیا،و سیاسیا،کیف؟ لقد أودع اللّه فی الإنسان معادن لا تنفد و لا تحد،و سخر له الطبیعه بما أعطاه من علم و اراده و قوه.و من أعظم المواهب التی أتاها الرب للخلق الطموح،فکل واحد یتطلع الی العظمه،و یحب الکمال و هذا التطلع هو جناح المرء فی تحلیقه فی فضاء التقدم.الا ان الشیطان یغویه،و یوجه طموحه فی الاتجاه الخاطئ،انه یلوی مقود سیارته عن الشارع المعبد الذی یمهده الجهد الصادق باتجاه الصخور الوعره، و یهمس فی اذنه هذا هو طریق المجد،الکذب،الغش،السرقه،و انتهاب ثروات الآخرین،و استغلالهم،أو استجداء العون منهم،و هکذا یخدعه مرتین حین یسلب عنه عزیمته،و حین یخیل الیه ان الآخرین ینفعونه.

ص:۲۸۷

اما المؤمن فأنه يعلم ان قوه ساعده،و نفاذ بصيرته،و مضاء عزمه كل أولئك كفيل بتقدمه،و ان رزقه موجود فى الطبيعه،فى الأرض التى يزرعها،فى المعادن التى يستخرجها و يسخرها،و بالتالى فى التعامل الشريف مع الناس.

و هكذا يبنى بناءه على الصدق،فان دخل فى عمل،فى مشروع،فى حركه،فى شركه،دخل بنيه صادقه فلم يدخل ليستغل جهد الآخرين،و لا ليستريح من بذل الجهد،ثم لا يخرج الا بصدق فيكمل مسيرته حتى النهايه،و يتم عمله بأحسن وجه دون ان يخدعه الشيطان،فيدفعه لترك العمل.متى ما رأى فيه صعوبه.

و لعل صدق العمل فى المدخل و المخرج هو التحدى المناسب لخطه إبليس فى مشاركه الأموال و الأولاد،حيث قال اللّه سبحانه فى آيه مضت بينت مكر إبليس فى تضليل البشر قال:« وَ شٰارِكْهُمْ فِي الْأَمْوٰالِ وَ الْأَوْلاٰدِ وَ عِدْهُمْ وَ مٰا يَعِدُهُمُ الشَّيْطٰانُ إِلاّٰ غُرُوراً ».

إذ ان صدق المؤمن لا يدع مجالا لمشاركه إبليس الذى يهدف إفساد الاقتصاد و التربيه،و كيف يفسد اقتصاد قوم لا يأكلون الحرام،و لا يسرقون جهد بعضهم،و لا يتعاملون بغش،أو تطفيف،أو تغرير،أو كذب! و نستوحى من تواصل بدايه الآيه و خاتمتها ان الصدق فى الدخول و الخروج وسيله لنزول نصر اللّه،و بلوغ القوه(السلطان)و العزه(النصر).

و الصدق فى البدايه هو خلوص العمل،بينما الدعاء فى الخاتمه هو التوكل و هما العمل الصادق و التوكل على اللّه يتكاملان فلا توكل من دون عمل،و لا ينفع العمل من دون التوكل.

[۸۱] وَ قُلْ جٰاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبٰاطِلُ إِنَّ الْبٰاطِلَ كٰانَ زَهُوقاً

سبب ارتفاع الباطل هو خفوت نور الحق و تقوقعه،و متى ما وجد الحق غاب الباطل.

و هذه الآيه تعطى الثقه بالمستقبل و لعلها تعالج غرور الشيطان الذى أشير اليه، و قول ربنا سبحانه: وَ عِدْهُمْ وَ مٰا يَعِدُهُمُ الشَّيْطٰانُ إِلاّٰ غُرُوراً فبينما الشيطان يخدع الإنسان،و يمنيه بالمستقبل كذبا،فان اللّه سبحانه يعده صادقا،إذ انه يبشره بان العاقبه للمتقين،و ان الحق منتصر و ان الباطل كان زهوقا.

و هكذا يقاوم المؤمن كل مكر شيطانى بخطه رشيده،و عمل مبارك:

۱-يتحدى صوته المضلل ببصائر الوحى.

۲-خيله و رجله و بالتالى ارهابه بالصلاه و التهجد.

۳-۴-مشاركته فى الأموال و الأولاد بالصدق و التوكل.

۵-و عوده و غروره بالثقه بوعد اللّه و الأمل فى المستقبل.

عاذنا اللّه من شر الشيطان و كيده و مكره.

ص:۲۸۹

[سوره الإسراء (۱۷): الآیات ۸۲ الی ۹۳]

اشاره

وَ نُنَزِّلُ مِنَ اَلْقُرْآنِ مٰا هُوَ شِفٰاءٌ وَ رَحْمَهٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لاٰ يَزِيدُ اَلظّٰالِمِينَ إِلاّٰ خَسٰاراً (۸۲) وَ إِذٰا أَنْعَمْنٰا عَلَى اَلْإِنْسٰانِ أَعْرَضَ وَ نَأىٰ بِجٰانِبِهِ وَ إِذٰا مَسَّهُ اَلشَّرُّ كٰانَ يَؤُساً (۸۳) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شٰاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدىٰ سَبِيلاً (۸۴) وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ اَلرُّوحِ قُلِ اَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی وَ مٰا أُوتِيتُمْ مِنَ اَلْعِلْمِ إِلاّٰ قَلِيلاً (۸۵) وَ لَئِنْ شِئْنٰا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِی أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ ثُمَّ لاٰ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنٰا وَكِيلاً (۸۶) إِلاّٰ رَحْمَهً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كٰانَ عَلَيْكَ كَبِيراً (۸۷) قُلْ لَئِنِ اِجْتَمَعَتِ اَلْإِنْسُ وَ اَلْجِنُّ عَلىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا اَلْقُرْآنِ لاٰ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كٰانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (۸۸) وَ لَقَدْ صَرَّفْنٰا لِلنّٰاسِ فِی هٰذَا اَلْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبىٰ أَكْثَرُ اَلنّٰاسِ إِلاّٰ كُفُوراً (۸۹) وَ قٰالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى تَفْجُرَ لَنٰا مِنَ اَلْأَرْضِ يَنْبُوعاً (۹۰) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّهٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ اَلْأَنْهٰارَ خِلاٰلَهٰا تَفْجِيراً (۹۱) أَوْ تُسْقِطَ اَلسَّمٰاءَ كَمٰا زَعَمْتَ عَلَيْنٰا كِسَفاً أَوْ تَأْتِیَ بِاللّٰهِ وَ اَلْمَلاٰئِكَهِ قَبِيلاً (۹۲) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقىٰ فِی اَلسَّمٰاءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّٰى تُنَزِّلَ عَلَيْنٰا كِتٰاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحٰانَ رَبِّی هَلْ كُنْتُ إِلاّٰ بَشَراً رَسُولاً (۹۳)

اللغه

۸۸[ظهيرا]:الظهير المعين و أصله من الظهر.

ص:۲۹۰

۹۲[کسفا]:و هی جمع کسفه بمعنی القطعه.

[قبیلا]:مقابله و عیانا.

ص:۲۹۱

هدى من الآيات:

يبدو أن آيات هذا الدرس تتركز فى بيان الموضوع الرئيسى لسوره الإسراء،و هو الوحى،و تعالج الموقف السلبى الذى اتخذه الكفار من القرآن.

كلما نزلت آيه من القرآن كانت شفاء عن داء،و رحمه للمؤمنين،بينما الظالمون لا تزيدهم الا خسارا.لماذا؟ لان الإنسان يتكل على النعم،و يغتر بها،فاذا أنعم اللّه عليه بنعمه اعرض عن ربه و استكبر،فلما زالت النعمه عنه استبد به اليأس،و لعل هذا أعظم سبب للجحود و الكفر بالقرآن،كما يظهر من خاتمه هذا الدرس.

و كل إنسان يعمل حسب ما بنيت شخصيته عليه،و اللّه اعلم بمن هو أهدى سبيلا،و لعل هذا هو السبب الثانى الذى يجعل الكفار يخسرون نعمه القرآن،و لا

يستفيدون منه،لا شفاء و لا رحمه.

و الوحى نعمه من اللّه و ليس من الرسول نفسه و لو شاء اللّه لـذهب به دون أن يقدر أحد على المطالبه به،و انه لرحمه من اللّه،و فضـل عظيم،و لعـل زعمهم بـان الوحى من الرسول سـبب ثالث لكفرهم و هو معجز لأنه لو اجتمعت الانس و الجن على أن يأتوا بمثله لا يقدرون على ذلك حتى و لو تعاون بعضهم مع البعض الآخر.

و هو يحتوى على امثله الحيـاه التى لو ساروا عليها لاهتـدوا و لكن أكثر الناس يكفرون بهـذه النعمه،و تراهم يطالبون الرسول بأن يفجر لهم من الأرض ينبوعا حتى يؤمنوا به،أو تكون له جنه من نخيل و عنب فيفجر الأنهار خلالها تفجيرا.

و قـد يطـالبونه بالعـذاب كـأن يسـقط السـماء عليهم كسـفا،أو يـأتى بـاللّه و الملائكه قبيلا،أو يقولـون له لو كـان لـك بيت من زخرف،أو رقيت الى السـماء،و أنزلت معك كتابا نقرؤه لآمنّا بك و هم يغفلون عن حقيقه هامه هى ان الرسول بشر مثلهم يوحى اليه،و ان القرآن ليس منه انما هو من اللّه سبحانه.

بينات من الآيات:

شفاء القرآن:

[۸۲]القرآن شفاء و رحمه،شفاء يطهر القلب و البدن و المجتمع من الجراثيم، و رحمه تنمى فيها الخير و الفضيله.

وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مٰا هُوَ شِفٰاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ كل القرآن شـفاء الأمراض،و بعض القرآن شـفاء لـذلك المرض الذى جاء من أجل شفائه،و لان القرآن نزّل حسب الظروف تنزيلا فقد كانت آياته شفاء

ص:۲۹۳

للامراض التی نزلت لعلاجها،و لعل کلمه«من»تدل علی ذلک.

و السؤال هنا هو:کیف یکون القرآن شفاء و رحمه للمؤمنین؟ اختلف المفسرون حول معنی الشفاء و ابعاده،و لکن الشفاء المقصود به هنا هو:

شفاء عام لکل جوانب الحیاه.

القرآن شفاء القلب و المجتمع و البدن:

أولا:بین الإنسان و معرفه الحقائق حجب متراکمه من ضغوط الشهوه،و عقد النفس،و قیود المجتمع،و تخلص الإنسان من هذه الحجب لا یکون الا بإثاره دفائن عقله،و هزه ضمیره،و القرآن یقوم بهذا الدور،إذ انه کالصاعق الکهربائی الذی یهز ضمیر الإنسان و وجدانه من الصمیم،فیتحرک العقل من الداخل لیخترق حجب الجهل و الضلال،و الغرور هو أعظم حاجز بین الإنسان و الحقیقه،لذلک تصب هذه الآیات حمم الإنذار من خلال تصویر مشاهد یوم القیامه،و هلاک السابقین،لیقطع الاسترسال فی الغفله و أحلام الیقظه،و فی هذا السبیل یضع شرائع مفصله لتنمیه المواهب الخیره فی القلب بعد تطهیره من امراض الاستکبار،و الحسد،و الحقد، و العجب،و الغرور و..و..

إذ القرآن یعالج تفکیر الإنسان لئلا یقع فی الاخطاء المنهجیه لفهم الحقائق، و ذلک عبر تقدیمه للمنهج الصحیح.

ثانیا:و القرآن الحکیم شفاء للامراض الاجتماعیه حیث یعطینا برنامجا فی الاقتصاد،و السیاسه و التربیه،و الاسره لنحل به جمیع المشاکل،و لا یدع شارده أو وارده بلا حکم واضح.

ص:۲۹۴

ثالثا:و يقدم القرآن لنا نصائح توجيهيه للحفاظ على الجسد،فهو يؤكد على ضروره الطهاره و النظافه،و ضروره العمل،و رفع الكسل و التوانى،و ينظم للإنسان حياته الاجتماعيه،و الاقتصاديه،و غيرها ليجنبه الأمراض الروحيه و الجسديه.

و نحن عند أصابتنا باى مرض فى اى مجال نحتاج الى التسلح بالإراده و الحيويه، و حينما تخلص نيتك للّه،فانه سيمن عليك بشفائه من حيث تعرف أو لا تعرف.

و هكذا

جاء فى الحديث المأثور عن الامام الصادق عليه السلام «إنما الشفاء فى علم القرآن»لقوله:« وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مٰا هُوَ شِفٰاءٌ وَ رَحْمَةٌ »لأهله لا شك فيه و لا مريه،و اهله أئمه الهدى الذين قال اللّه« ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتٰابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا » (١).

و جاء فى حديث آخر،مأثور عن الامام الباقر عليه السلام :

«ما اشتكى أحد من المؤمنين شكايه قط،و قال:بإخلاص نيه و مسح موضع العله » «وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مٰا هُوَ شِفٰاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لاٰ يَزِيدُ الظّٰالِمِينَ إِلاّٰ خَسٰاراً» الا عوفى من تلك العله،أيه عله كانت،و مصداق ذلك فى الآيه حيث يقول: «شِفٰاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» (٢)

السعاده و أبعادها:

للسعاده جزءان الاول:(رفع النقمه)و هو الشفاء و(جلب النعمه)و هو الرحمه،و يعنى رفع الألم و الفقر و المرض،و منع حدوث الفتن و الحروب و ما شابه.

ص:۲۹۵

١- ١) تفسير الصافى ج ٣ ص ٢١٣

٢- ٢) المصدر

اما الجزء الثانى للسعاده فهو:السكينه و الاطمئنان ببلوغ الإنسان غاياته.

و هكذا كان القرآن شفاء و رحمه.

وَ لاٰ يَزِيدُ الظّٰالِمِينَ إِلاّٰ خَسٰاراً ان فى القرآن منهاجك الذى يصل بك الى اهدافك،و لكن لا يستفيد من هذا المنهج الا المؤمنون الذين يطبقون القرآن بوعى و استقامه و إخلاص،اما الظالمون الذين يغيرون معانى آيات القرآن حسب مصالحهم فان القرآن سيكون لهم شقاء فى الدنيا،و خساره فى الآخره،فهو لا يدع مناسبه الا ذمّ فيها هؤلاء الظالمين بائعى الحق،و عبده الشيطان و الهوى،و نتساءل:لماذا خصت الآيه الظالمين بالذكر و الجواب:

أولا:ان الظلم ظلام القلب،و حجاب و ظلمات يوم القيامه.

ثانيا:لان الظالم يفسق عن حدود اللّه،و يعبد شهواته فانه يفسر آيات القرآن حسب اهوائه،و بدل ان تدله آيات الذكر على صراط الجنه تهديه الى سواء الجحيم، لأنه هو الذى حرفها،و غير معانيها و يكون مثله كمثل الذى يغير علامات الطريق، فتضله عن الجاده،و لو لم يتبع هواه إذا لاهتدى الى الجاده.

[۸۳]كيف لا ينتفع الظالمون من القرآن الا خسارا؟ يبدو ان السياق يجيب عن ذلك فى الآيتين التاليتين،حيث ان الآيه الاولى تبين طبيعه الإنسان و التى لا تقضى استقبال النعم،و الانتفاع بها اما الآيه الثانيه فتوضح اثر العاده فى سلوك البشر و حيث ان ما تعود عليه الظالمون و هم سائر الناس غير المؤمنين من الذين انزل عليهم القرآن فلم يستجيبوا له أقول:ان سائر الناس قد جبلوا على الاعراض عند النعم،كما انهم يعملون على الشاكله التى ساروا عليها سابقا،

فلا يتركونها بسهوله الى القرآن،بلى المؤمنون وحدهم يتجاوزون هذه الحاله، و يرتفعون الى مستوى الايمان.

وَ إِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَ نَأى بِجانِبِهِ قالوا:بان معنى الآيه انه يعرض عن ذكر ربه عند النعمه،و يبطر بها و يتولى، فالآيه حسب قولهم نظير قوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً .

و لعل الأقرب الى السياق أن نقول:ان هذه الآيه تبين صفه اخرى للإنسان و هى الاستهانه بالنعم،و عدم الاستفاده منها،و عدم تقديرها حق قدرها،و الاعراض هنا عن النعم ذاتها و ليس عن اللّه،بلى ان الاعراض عن اللّه و عن نعمه ينبع من صفه واحده،ذلك لان من يعرض عن ربه و لا يشكر نعمه،و يزعم انما اوتى النعم بعلمه و جهوده،بل يرى ان النعم جزء من ذاته،و ان له طبيعه مميزه عن غيره بدليل انه خص دون غيره بالنعم فعنصره أفضل من سائر الناس.

أقول ان مثل هذا الفرد يستهين أيضا بالنعم و يعرض عنها،و بالتالى فان هاتين الصفتين تنتهيان الى طبيعه واحده.

و لان الإنسان يعرض عن النعمه،و يتعالى عليها،و يتولى بركنه،و ينأى بجانبه،فانه لا ينتفع بالقرآن الحكيم،و لا يكون القرآن بالنسبه اليه شفاء،و هذا أكبر ظلم ذاتىّ ان يترك المرء الاستفاده من أكبر النعم استهانه بها.

بلى يبذل المؤمن جهدا كبيرا حتى يستفيد من نعمه الوحى،لأنه يتواضع له، و يسمع و يطيع و يقنت للّه بخضوعه لكتابه،فيكون الكتاب شفاء له،و هكذا سائر النعم فى الحياه.

أو ليس العلم نعمه،و لكن من الذى ينتفع به،هل الذى يستهين به أو يتعالى عليه أم الذى يقدره و يكرم مقامه.

و حتى الثمره الناضـجه لا ينتفع بها الا من يقطفها و ينظفها ثم يطعمها،اما من يتولى عنها فهل يسـتفيد منها؟! وَ إِذٰا مَسَّهُ الشَّرُّ كٰانَ يَؤُساً لاـن الإنسان يرى النعم من ذاته فانه يرى اسـتمرارها،فيتكّل عليها،فاذا زالت تصـيبه الصـدمه و ينهار لأنه قـد سـقط متكأه و معتمده،و هكذا يستبد به اليأس.

أما المؤمن فيشافيه اللّه بالقرآن الذى يكمل هذا النقص من طبيعه الإنسان، و يجعله يعتمد على اللّه،و يلهمه الصبر و الأمل.

الشخصيه و نهج العمل:

[۸۴]و يختلف النـاس فى مـدى انتفـاعهم بـالوحى،و ينبع الاختلاـف من شخصـياتهم الـداخليه،الـتى تكون بالصـفات و العـادات المتباينه.

و بالرغم من ان اللّه قد وهب للإنسان من القدره و المعرفه ما يمكنه من صـياغه شخصـيته حسب ما يشاء،الا انه لو لم يفعل ذلك فسوف يقـاد بلجام شخصـيته، و سـتكون اعماله فى تجاه شخصـيته،حتى مواقفه من المعارف الالهيه سوف تتأثر بنوع شخصـيته،و صفاته،و عاداته،و ملكاته.

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شٰاكِلَتِهِ الشاكله مشتقه من كلمه(الشكل)و هو الجام الدابه،و الشكل لجام الدابه،

ص:۲۹۸

و یبـدو ان المعنی المنـاسب لهـذه الکلمه بالنظر الی أصل معناها اللغوی و سـیاق ذکرها هنا هو الطریقه و المـذهب،أو الطبیعه أو الخلقه،فیکون معنی الآـیه کـل شـخص یعمـل حسب طریقته و طبیعته،و بالتـالی فـان مظهر عمله ینبئ عن مخبر ضـمیره و نیته، و هکـذا تکون اعمـال النـاس تعبیرا عن طرائقهم،و مـذاهبهم،و طبـائعهم،و عـاداتهم، و علینا ان نکتشف من خلالها نیّاتهم،و نصـبغ أعمالهم بها.

من هنا جاء فی الحدیث المأثور

عن الامام الصادق علیه السلام :

«النیه أفضل من العمل.الا و ان النیه هی العمل».

ثم تلا« قُلْ کُلٌّ یَعْمَلُ عَلیٰ شٰاکِلَتِهِ . » و قـد تکون الأعمال متشابهه الا ان اختلاف النیات،و شخصـیات العاملین، و اهـداف العمل یجعلها متناقضه،فالصـلاه و الصیام و الحج قد یقوم بها المخلص فتکون معراجا و جنه و جهادا أکبر،و قد یقوم بها المرائی فتکون وبالا علی صاحبها.

و اللّه سبحانه و تعالی هو الحکم الذی یقضی بسلامه النیه أو الغلّ فیها.

فَرَبُّکُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُـوَ أَهْـدیٰ سَبِیلاً و إذا کنت تحب عملاـ أو تهـوی طریقه أو تعودت علی سـلوک و مـذهب فلاـ یعنی ان کل ذلک حق،بل مقیاس الحق و الباطل هو اللّه الـذی اوحی بالکتاب لیکون فرقانا،و یهـدینا الی سـبل السـلام،فلا تزک نفسک،و لا تجعلها مقیاس الحق و الباطل.

قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی :

[۸۵]من انزل القرآن من عند اللّه علی قلب الرسول؟و من یسدد الأنبیاء و یؤیدهم بإذن اللّه؟

أو ليس هو الروح الذى قال عنه ربنا سبحانه و تعالى:

«نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ» (/۱۹۳الشعراء) فما هو الروح و من أين يأتى و من يسوقه؟ وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى و هـذا الروح ملـك من ملائكه اللّه،مخلوق مـدبر،و هو الـذى ينزل فى ليله القـدر حيث يقول ربنا سبحانه.

«تَنَزَّلُ الْمَلاٰئِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهٰا» و هو الذى يسدد اللّه به الأنبياء و هو أعظم من جبرئيل و ميكائيل،و كذلك

جاء فى الأحاديث و أضاف بعضها:

«له سبعون الف وجه لكـل وجه سبعون الف لسان يسبح اللّه بجميع ذلك » (۱)و يرى بعض المفسـرين ان الروح هنـا هو روح الإنسان،و الكائنات الحيه،بيـد ان سياق الآيه يـدل على ان المراد منه هو روح القـدس،أو ليس الحديث لا يزال عن القرآن و هو الـذى نزل به الروح الأمين،بلى لا يمكننا ان نقول روح الإنسان،و جميع الأحياء بل حتى أرواح الملائكه تقتبس الحياه من ذلك الروح،و الروح واسطه بين الإنسـان و الحيـاه،و هنـاك العقل هو ظل من ظلال الروح،و العلم الانسانى جزء من علم الروح،ذلك الملك العظيم،و هكـذا اختلفت الأحـاديث المـأثوره عن مصـادر الوحى فى معنى الروح هنـا،فبينما نجـد بعضـها يؤكـد على انه الملك العظيم،يقول:

بعضها بأنه روح الإنسان،و الواقع انهما معا من مشكاه واحد،تعال نقرأ معا بعض تلك النصوص:

۱- ۱) راجع كتاب نور الثقلين ج ۳ ص(۲۱۹/۲۱۵)

-۱

یروی حمران عن أبی جعفر(الباقر)و أبی عبـد اللّه(الصادق)علیهما السـلام بعـد السؤال عن قوله یسألونک عن الروح.قالا:«ان اللّه تبارک و تعالی أحـد صـمد، و الصـمد الشـیء الـذی لیس له جوف،فانما الروح خلق من خلقه(له)بصـر و قوه و تأییـد یجعله فی قلوب المؤمنین و الرسل. » ۲-

و روی ابو بصیر عن أحدهما الباقر أو الصادق علیه السلام قال: سألته عن قوله:

« وَ یَسْـئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی »ما الروح؟ قال:«التی فی الـدواب و الناس»قلت:و ما هی؟قال:«هی من الملکوت، من القدره. » ۳-

و روی ابو بصـیر أیضـا قال :سألت أبا عبـد اللّه علیه السـلام عن قوله اللّه عز و جل « یَسْـئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی »قال:«خلق أعظم من جبرئیل و میکائیل،کان مع رسول اللّه،و هو مع الائمه و هو من الملکوت» (۱).

و هکـذا نجد الروح من الملکوت،سواء الذی یؤید اللّه به الرسول أو الذی یحیی به اللّه البشـر و الأحیاء،إلاّ ان اللّه یعطی منه لمن یشاء کیف یشاء بقدر ما یشاء،و هو اعلم بحقیقته لذلک قال ربنا:

وَ مٰا أُوتِیتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّٰ قَلِیلاً [۸۶] وَ لَئِنْ شِئْنٰا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِی أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ ثُمَّ لاٰ تَجِدُ لَکَ بِهِ عَلَیْنٰا وَکِیلاً ان القرآن لیس من صنع الرسول و لا غیره من البشر،انما اوحی الیه عن طریق

۱- ۱) المصدر

الروح،و الـدليل على ذلک:ان باسـتطاعه ربنا سـبحانه أخذ هذا الوحی من نبيه،و لا يسـتطيع النبی ان يفعل شـيئا،و هذا دليل على قدره اللّه.

[۸۷] إِلاّٰ رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ إِنَّ فَضْلَهُ کٰانَ عَلَيْکَ کَبِيراً و من رحمه اللّه بعباده تنزيله الوحی عبر الروح على رسوله،و هذه هی أکبر النعم على امه الرسول حيث يتبعون منهـاجه و يستضـيئون بقبسات هـديه،و العقل و العلم ظلال لتلک الروح و مثل هـذه الروح لا تقهر،و مثل هذا القرآن لا يهزم.

القرآن يتحدى:

[۸۸] قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لاٰ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کٰانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً لو قام جميع سکـان المعموره بالاجتمـاع مـن أجـل صـنع آيـه کآيـات القرآن لمـا اسـتطاعوا ذلـک،و القصـص التـاريخيه کـثيره فی هــذا المجال،فـذات مره اجتمع ثلاثه من کبار بلغاء العرب و زنادقتهم و فيهم ابن أبی العوجاء الملحد المعروف،و قرروا فی اجتماعهم تـأليف آيـات بضـاهون بهـا القرآن،و طـال بحثهم لمـده سـنه کـامله فما رجعوا الا بالخيبه و الخسـران،و ها هو القرآن بعـد أکثر من(۱۴۰۰)عام يتحدى الغرب و الشرق،فهل من منافس؟!کلا.

[۸۹] وَ لَقَدْ صَرَّفْنٰا لِلنّٰاسِ فِی هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ کُلِّ مَثَلٍ و من معاجز القرآن انه يحدثنا عن کل شـیء،و يضـرب لنا الامثله فی کل نـاحيه ،لـذلک کـان القرآن واقعی التشـريع،صـحيح المنهـج،فواضـعه علاّم الغيوب الـذی لاـ تخفی عليه خافيه فی السـماوات و الأرض.

فَأَبىٰ أَكْثَرُ النّاسِ إِلاّ كُفُوراً فبدل شكر النعم تراهم يكفرون بها،لماذا؟ لان منطلق الناس فی تقییم القرآن هو منطلق مادی بحت،و هم یظنون ان القرآن یجب ان یوزن بمقدار الذهب،و مکاییل الفضه،و مساحات العقار،و هذا هو نمط تفکیرهم المنحرف.

حوار العاجزین:

[۹۰] وَ قٰالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتّٰی تَفْجُرَ لَنٰا مِنَ الْأَرْضِ یَنْبُوعاً یبدأ المعارضون فی طرح افکارهم التبریریه،و شروطهم التعجیزیه فی محاوله یائسه للتنصل من مسئولیات الایمان بالرساله،فبدل أن یسألوا عن تطلعات الرساله و برامجها فی الحیاه یطلبون من الرسول ان یفجر لهم ینبوعا من الماء،و ما قیمه الینبوع امام منهج الحیاه،و تنظیم السلوک و المجتمع؟! [۹۱] أَوْ تَکُونَ لَکَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِیلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهٰارَ خِلاٰلَهٰا تَفْجِیراً و هنا تتجلی بوضوح مادیه النمط التفکیری للکفار،فهم یطالبون بالماء و النخیل و الجنات و الأنهار لتکون شواهد علی صدق الرساله،و لکن السؤال الذی یطرح علی أمثال هؤلاء هو:ماذا یعنی تفجر الینابیع بالنسبه للرساله؟و ما علاقه مبدأ الرساله و احقیتها بهذه المطالب المادیه؟و هل تصلح هذه لکی تکون شواهد صدق علی عصمه الرساله و عظمتها؟ [۹۲] أَوْ تُسْقِطَ السَّمٰاءَ کَمٰا زَعَمْتَ عَلَیْنٰا کِسَفاً أَوْ تَأْتِیَ بِاللّٰهِ

وَ الْمَلاٰئِکَهِ قَبِیلًا و یستمر السفه الفکری،و الخواء الثقافی النابع من المنطلقات المادیه للمجتمعات الکافره،فهم تاره یطلبون ینابیع الماء،و فی اخری یطالبون بالجنات و الأنهار،و یبلغ بهم السفه حدّا یطالبون بحضور اللّه و ملائکته عندهم لیتأکدوا من صدق الرساله(!!)انهم قوم لا یؤمنون الا بالمحسوس،و أما غیر ذلک فهم به کافرون،و القرآن یدعوهم لإثاره عقولهم،و التخلی عن هذه المنطلقات السخیفه فی تقییم الأفکار و ابعاد الحیاه.

[۹۳] أَوْ یَکُونَ لَکَ بَیْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقیٰ فِی السَّمٰاءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِیِّکَ حَتّٰی تُنَزِّلَ عَلَیْنٰا کِتٰاباً نَقْرَؤُهُ و من مقومات الرساله و الرسول عند أمثال هؤلاء:امتلاک الوسائل المعیشیه کالبیت الجمیل،و المکانه الاجتماعیه الرفیعه،و الکلمه النافذه،و ان یکون فوق البشر انطلاقا من نظرتهم المادیه القاصره،و هم یطلبون صعود الرسول للسماء،و أخذ رساله من اللّه مکتوبه فی ورقه.

ان کل رساله ان لم تکن مختومه بختم الواقع،و مدموغه بدمغه الحق الالهی هی باطله بلا جدال،و هذا هو المعیار الحق لتقییم الرسالات و لیست تلک المنطلقات الهزیله.

قُلْ سُبْحٰانَ رَبِّی هَلْ کُنْتُ إِلاّٰ بَشَراً رَسُولاً ان مشکله الناس هی وقوفهم عند نقطه بشریه الرسول،و اختلاط المقدمات بالنتائج فی شکل غیر صحیح فی تقییمهم للرساله مما یؤدی الی نشوء معاییر و مقاییس غیر سلیمه،فمصدر الرساله هو اللّه و الیه المرجع و المصیر،و ما الرسول الا بشیر و نذیر،

يبلغ رسالات اللّه،و امره و نواهيه،قد تم اختياره من البشر،و من مجتمعه بالذات لاعتبارات ذاتيه واقعيه،و اخرى نفسيه،و اجتماعيه و غيرها مما لا يلم به الا علم اللّه الواسع.

ص:۳۰۵

[سوره الإسراء (۱۷): الآيات ۹۴ الى ۱۰۴]

اشاره

وَ مٰا مَنَعَ اَلنّٰاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جٰاءَهُمُ اَلْهُدىٰ إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا أَ بَعَثَ اَللّٰهُ بَشَراً رَسُولاً (۹۴) قُلْ لَوْ كٰانَ فِي اَلْأَرْضِ مَلاٰئِكَةٌ يَمْشُونَ
مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنٰا عَلَيْهِمْ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مَلَكاً رَسُولاً (۹۵) قُلْ كَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ إِنَّهُ كٰانَ بِعِبٰادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (۹۶) وَ مَنْ يَهْدِ
اَللّٰهُ فَهُوَ اَلْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيٰاءَ مِنْ دُونِهِ وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَ بُكْماً وَ صُمًّا مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ
كُلَّمٰا خَبَتْ زِدْنٰاهُمْ سَعِيراً (۹۷) ذٰلِكَ جَزٰاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيٰاتِنٰا وَ قٰالُوا أَ إِذٰا كُنّٰا عِظٰاماً وَ رُفٰاتاً أَ إِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (۹۸)
أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اَللّٰهَ اَلَّذِي خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ قٰادِرٌ عَلىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاٰ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى اَلظّٰالِمُونَ إِلاّٰ
كُفُوراً (۹۹) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزٰائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ اَلْإِنْفٰاقِ وَ كٰانَ اَلْإِنْسٰانُ قَتُوراً (۱۰۰) وَ لَقَدْ آتَيْنٰا مُوسىٰ تِسْعَ
آيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرٰائِيلَ إِذْ جٰاءَهُمْ فَقٰالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يٰا مُوسىٰ مَسْحُوراً (۱۰۱) قٰالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مٰا أَنْزَلَ هٰؤُلاٰءِ إِلاّٰ
رَبُّ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ بَصٰائِرَ وَ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يٰا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً (۱۰۲) فَأَرٰادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ اَلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنٰاهُ وَ مَنْ مَعَهُ جَمِيعاً
(۱۰۳) وَ قُلْنٰا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرٰائِيلَ اُسْكُنُوا اَلْأَرْضَ فَإِذٰا جٰاءَ وَعْدُ اَلْآخِرَةِ جِئْنٰا بِكُمْ لَفِيفاً (۱۰۴)

اللغه

۹۷[خبت]:الخبو سكون النار عن الالتهاب.

ص:۳۰۶

۱۰۰[قتورا]:القتر التضییق و هی مبالغه فی البخل.

۱۰۲[مثبورا]:هالکا.

۱۰۴[لفیفا]:اللفیف الجماعات،و المعنی قد لفّ بعضکم فی بعض.

ص:۳۰۷

التكذيب أسبابه و نتائجه

هدى من الآيات:

ما الذى منع الناس عن الايمان برسالات اللّه؟يجيب القرآن عن هذا السؤال و يعالجه.

أولا:تساءلوا مستغربين و منكرين ابعث اللّه بشرا رسولا،و أجابهم الوحى بلى،أو ليس النبى ينبغى ان يكون من جنس من يرسل إليهم،فلو كان سكان الأرض ملائكه إذا كان رسولهم ملكا مثلهم.

ثانيا:ان اللّه هو الذى يشهد على صدق الرساله و كفى به شهيدا،و ان عليه الهدى،اما من يضلّله فلن تجد لهم أولياء لأنهم سيحشرون على وجوههم عميا، و صما،و بكما،و جزاؤهم جهنم لماذا؟لأنهم كفروا بآيات اللّه،و أنكروا البعث و النشور.

نستوحى من السياق ان معالجه الكفر بالرسالات تكون بالتذكره بالجزاء الموفور

الـذی ینتظر الکفار فی یوم القیامه و هکـذا نجـد القرآن یدفع هنا شـبهه الکفار حول البعث،و یتساءل أو لیس خالق السـماوات و الأرض قادر علی ان یخلق مثلهم.

و بعد ان یبیّن طبیعه الشح عند الإنسان(و لعلها سـبب من أسباب الکفر بالرسالات)یبین قصه موسی کیف واجه فرعون الذی قال: إِنِّی لَأَظُنُّکَ یا مُوسی مَسْحُوراً ،فأجابه ان الوحی بصائر،و قال له: «إِنِّی لَأَظُنُّکَ یا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً »و لخصت هـذه القصه کثیرا من حقائق سوره الإسـراء حیث أراد فرعون استفزاز موسی و قومه فاغرقه اللّه و من معه جمیعا،و أورث بنی إسرائیل أرضهم الی أجل محدود.

بینات من الآیات:

اشاره

من أهم الموانع التی تصد طائفه کبیره من الناس عن الایمان بالرسالات شـبهه عمیقه الجذور تقول:لماذا الرسل بشر،و لعلها تعود الی احساسین شاذین:

أ-استصـغار الإنسان نفسه مقارنه مع ما فی عالم الطبیعه من عجائب خلق اللّه،و لذلک یزعم ان اللّه سـبحانه و تعالی أعظم من ان یتصل بالإنسان بصوره مباشره أو یبعث من البشر رسولا! ب-عدم معرفه الوسیله التی یتم عبرها اتصال اللّه باهل الأرض،فهل ینزل من السماء ملک الی الأرض؟من هو اذن؟و کیف یکون؟ و قبل کل شیء لا بد ان نعرف:

ان التعجب نوع من الجهـل و انه سـیکون حجابا بین المرء و الحقیقه،و ان الکثیر من الناس یکـذبون بالحقائق لاسـتغرابهم منها،و عـدم احـاطه علمهم بابعادهـا،کمـا یقول ربنا «بَلْ کَذَّبُوا بِما لَمْ یُحِیطُوا بِعِلْمِهِ» کـذلک یؤکـد ربنا بان سـنه اللّه قضت بان یرسـل الرسل من نفس جنس المرسل إلیهم،و لو کان سکان الأرض ملائکه إذا

لبعث منهم رسولا إليهم.

[۹۴] وَ مٰا مَنَعَ النّٰاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جٰاءَهُمُ الْهُدىٰ إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا أَ بَعَثَ اللّٰهُ بَشَراً رَسُولاً ان الحجاب الذى حجب الناس عن الايمان برسالات اللّه هو عدم تصديقهم بهذه الحقيقه:ان يبعث اللّه بشرا رسولا،و كأن الرساله مرتبه عاليه لا يمكن ان يصل إليها بشر أو كأن اتصال الغيب بالشهود محال.

[۹۵] قُلْ لَوْ كٰانَ فِي الْأَرْضِ مَلاٰئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنٰا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمٰاءِ مَلَكاً رَسُولاً لو كان سكان الأرض ملائكه لبعثنا إليهم رسولا منهم و من جنسهم،و هكذا فان الرسول،اى رسول هو من نفس القوم الذى بعث إليهم قال ربنا سبحانه:

«رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ» «بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ» «وَ إِلىٰ عٰادٍ أَخٰاهُمْ هُوداً» «كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ قٰالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صٰالِحٌ أَ لاٰ تَتَّقُونَ».

و هناك تفسير آخر لهذه الآيه يقول:ان ربنا سبحانه و تعالى يذكر بان من طبيعه الإنسان حاجته للتذكير،لأن مادته ترابيه تجذبه نحو الشهوات،كما ان فيه و مضه روحيه ترفعه نحو القيم لذلك فهو بحاجه الى عامل خارجى يقوى شعوره بالومضه الروحيه حتى يعلوا،فكانت هذه حاجته الى الرساله:و لو خلق اللّه الملائكه كما خلق الإنسان من طبيعه ترابيه تقوم بالفساد كما قالت الملائكه «أَ تَجْعَلُ فِيهٰا مَنْ يُفْسِدُ فِيهٰا» إذا لبعث اللّه إليهم رسولا ملكا منهم،و هذا التفسير يتبناه العلامه الطباطبائى رحمه اللّه عليه،و يستدل على ذلك بكلمه «يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ» دلاله على جاذبيه الأرض للإنسان التى تسبغ على حركته فوق الأرض طمأنينه و توازنا و لولاها لصعد فى الهواء،أو لاضطرب فى مشيه و حركته.

ص:۳۱۰

شهاده اللّه:

[۹۶] قُلْ كَفى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً تلك كانت شبهات تحول بين تصديق الناس للرسالات،و لكن صدق الرسالات يتجلى عبر عده مظاهر جعلها اللّه شواهد على صدق الرساله،و كفى باللّه شهيدا.

أولا:لقد أودع اللّه فى عقل الإنسان مجموعه قيم و تعاليم ترشده الى الحق، و الرسالات السماويه حين تأتى للبشريه تدعو الإنسان الى ذات القيم و التعاليم و هكذا يطمئن الإنسان الى صدق تعاليم الرساله و قيمها،لانطباقها على القيم و التعاليم التى يحملها فى نفسه،و فى ذلك

يقول رسول اللّه صلى الله عليه و آله :

«ان لكل حق حقيقه،و على كل صواب نورا. » و

ذات مره جاء رجل الى النبى صلى الله عليه و آله و قال:يا رسول اللّه انى أعيش فى الصحراء و لا أملك من يهدينى و لا أستطيع ان آتى إليك باستمرار فعظنى فأمره رسول اللّه صلى الله عليه و آله ان يدنو منه حتى إذا وصل بمحاذاته وضع النبى الأكرم صلى الله عليه و آله يده على قلب الرجل و قال:«ما أمرك به هذا فأفعله،و ما نهاك عنه فانته »و هذه شهاده باننا لو تجردنا من الضغوط و الأهواء و العادات و الأفكار المسبقه،لرأينا بوضوح انطباق تعاليم القرآن مع التعاليم التى تكنّها عقولنا و فطرتنا.

ثانيا:رغم كل الصعوبات و العراقيل التى وضعها أعداء الرساله و لا يزالون نجد ان الإسلام قد اجتاح الأرض كلها،و لو لا تأييد اللّه سبحانه للمسلمين فى حروب بدر و حنين و الأحزاب و غيرها إذا لاندحر الإسلام و المسلمين منذ البدايه،و لو

لا نصرته لعباده فى حطين و عين جالوت لانطفأت شمعه الإسلام،و لو لا تأييده للمؤمنين فى إيران على الشاه لما انتعش الأمل بتحقيق وعد اللّه« هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدیٰ وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ »و استمرار التأييد الغيبى لدينه دليل على صدق النبى و صدق رسالته،و ما أكثر الشواهد الغيبيه،و الألطاف الخفيه و الظاهره التى أنعم اللّه بها على عباده المؤمنين فى جهادهم.

ثالثا:عظم درجه رسول اللّه صلى الله عليه و آله و منزلته الخصيصه عند اللّه فقد جرب بعض أصحابه كيف كان يشفع لهم عند اللّه فى تحقيق مسائلهم،فيستجيب اللّه لهم،بل لا تزال الشفاعه الى يومنا هذا،فاللّه يستجيب لكل مؤمن إذا توسل اليه بجاه رسوله،

و قد جاء فى الحديث كتاب(فيض القدير)فيما روى الطبرانى فى الأوسط عن على عليه السلام موقوفا قال:

«كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد و آل محمد. » و هناك الكثير من الشواهد التى يوجزها اللّه سبحانه بقوله: «کَفیٰ بِاللّٰهِ شَهِیداً».

هذا و قد ذهب البعض فى تفسيره لهذه الآيه «قُلْ کَفیٰ بِاللّٰهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ» بأنها قطع للجدل و الصراع بين الرسول صلى الله عليه و آله و قومه حينما غضب عليهم لعنادهم،فقال: «کَفیٰ بِاللّٰهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ» و هذا تفسير بعيد،بل هذه شهاده من اللّه على صدق الرساله كما فعل اللّه لأنبيائه السابقين عليهم السلام، حيث حول نيران نمرود الى برد و سلام على إبراهيم،و كانت حجه على صدق إبراهيم،و إغراق فرعون،و نصر موسى عليهم السلام،و أحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام و كثير من الحجج التى حدثنا عنها القرآن من هذا القبيل معاجز عاجله أو آجله تشهد

على صدق الرسالات.

[۹۷] وَ مَنْ يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِهِ ثم يبين القرآن ان اللّه هو الهادى الذى يهدى العباد الى الرساله و الايمان بها، و سبق ان أوضحنا ان الهدايه مرحله متقدمه من التكامل البشرى،لان الإنسان لن يبلغ مرحله الهدايه الا بعد رحله شاقه،و لن يصل إليها الضال الذى حجبته المعاصى عن رؤيه الحق و أولئك لا ينفعهم أحد من أوليائهم شيئا.

وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَهِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَ بُكْماً وَ صُمًّا لأنهم لم يستفيدوا من نعم الحواس و العقل،لذلك سوف يسلبهم اللّه تلك النعم يوم القيامه،و هذا جزاء من عطل وظيفه عينيه و أذنيه و لسانه.

مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً كلما ضعفت نار جهنم باعتبارها ماده،يزودها اللّه سبحانه بالوقود لتزداد سعيرا-و العياذ باللّه-فالعذاب دائم و النار تتجدد،و لا منقذ لنا من عذابها سوى أخلاق الايمان،و محض الطاعه،و انتهاز الفرص و اختلاس لحظات العمر،لنقضيها فى عباده اللّه،و أمامنا فرصه عند كل منعطف فى مسيرتنا.فرمضان ربيع المؤمنين، و الحج معراج الصالحين،فيجب ان لا نفوّت تلك الفرص،

و الحديث الشريف يقول:

«ان من لم يغفر له فى شهر رمضان فلا يغفر له الا إذا أدرك عرفات » فلننقذ أنفسنا من نار جهنم التى لا بد من ورودها كما قال: «وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا» فمن استطاع إنقاذ نفسه،و تدرع ضد جهنم

بلباس التقوی فقد فاز.

[۹۸] ذٰلِکَ جَزٰاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ کَفَرُوا بِآیٰاتِنٰا فعذاب جهنم الدائم جزاء من یکفر بآیات اللّه،لا شفقه و لا عطف علیهم لأنهم کفروا،ان حجب العصبیه و حب الذات و اتباع الشهوات تغطی قلوبهم و من دون التخویف الذی یوقظ القلب،و ینشط فیه العقل و الاراده لاـ یمکن اختراق تلک الحجب المتراکمه،و ای تخویف اعمق أثرا من تخویفهم بعذاب جهنم،هکذا یعالج الکتاب امراض القلب،و یوفر للإنسان أفضل فرصه للخلاص من حجب قلبه.

البعث من جدید:

وَ قٰالُوا أَ إِذٰا کُنّٰا عِظٰاماً وَ رُفٰاتاً أَ إِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِیداً و کأنما هذا الاشکال سینقذهم!ان اللّه قادر علی البعث،و سیرون العذاب بعد حین،و حاله الاستغراب و التعجب التی حالت بینهم و بین الایمان بالآخره لن تفیدهم.

[۹۹] أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنَّ اللّٰهَ الَّذِی خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ قٰادِرٌ عَلیٰ أَنْ یَخْلُقَ مِثْلَهُمْ أو لاـ تکفی الطبیعه بکل روعتها و بهائها و ما بها من جبال،و ودیان،و بحار، و أنهار،و منظومات،و مجرات شهاده علی قدره اللّه سبحانه و..و..؟!و هل خالق کل هذا یعجزه خلق الإنسان من العدم،و ما دام الفرد قد خلق لا من شیء فهل یعجزه ان یعید خلقه مره اخری؟! وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاٰ رَیْبَ فِیهِ

للإنسان أجل لا ريب فى ذلك،و أموره جميعا بيد اللّه،بقاؤه،حياته،موته، و حياته من جديد و إذا أخر اللّه سبحانه عذابهم فانما رحمه بهم،و تنفيذا لأجل مقدر سلفا،و لعلهم يرجعون،و لكنهم بدل ان يشكروا نعمه اللّه و ينتفعوا بهذه الفرصه الاخيره التى منحت لهم تراهم يكفرون باللّه،و يكفرون بنعمه الأجل،بل يتخذون من تأخير الأجل دليلا على عدم العقاب،أ فليس ذلك منتهى الكفران بالنعمه؟! بلى،و السؤال لماذا هذا الكفران؟و الجواب:لأنهم ظلموا أنفسهم.و ظلموا الناس، و تجاوزوا حقوق اللّه و حقوق الناس.

فَأَبَى الظّالِمُونَ إِلاّ كُفُوراً كلما ازدادت الجرائم حجبت القلوب عن الايمان فيكفرون،و هذه فكره طالما تكررت فى القرآن الكريم،و هناك تجربه شخصيه يمكن لاى شخص ان يلاحظها فى نفسه فعند ما يدفع الشيطان الإنسان الى ارتكاب معصيه ما تجد قلبه معرضا عن ذكر اللّه،و خلال صلاته يكون مشغول البال،اما حينما يكون القلب نظيفا فانك تجده متصلا بنور اللّه سبحانه حتى فى غير الصلاه.

[١٠٠] قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَهِ رَبِّى إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَهَ الْإِنْفاقِ وَ كانَ الْإِنْسانُ قَتُوراً الحاجز الآخر الذى يحجز الإنسان عن الايمان هو(البخل)فالإنسان مجبول على الشح سواء كان غنيا أو فقيرا،فلو كان يملك خزائن اللّه،و خزائن رحمته التى وسعت كل شيء لقبض يده خشيه الإنفاق.

لقد تكررت فى سوره الإسراء المباركه مثل هذه الآيه التى تذكرنا بطبائع الإنسان كقوله سبحانه: «وَ كانَ الْإِنْسانُ عَجُولاً» و قوله «وَ كانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً»

ص:٣١٥

(۶۷)و قوله: «وَ إِذٰا أَنْعَمْنٰا عَلَى الْإِنْسٰانِ أَعْرَضَ وَ نَأىٰ بِجٰانِبِهِ وَ إِذٰا مَسَّهُ الشَّرُّ كٰانَ يَؤُساً» (۸۳)و لعل السبب يكمن فى ان هذه السوره تبين فوائد الوحى و من أعظم فوائده:شفاء البشر من طبائعه الضعيفه و المنحرفه،و من هنا ذكرت السوره ببعض هذه الطباع.

[۱۰۱] وَ لَقَدْ آتَيْنٰا مُوسىٰ تِسْعَ آيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ فَسْئَلْ بَنِى إِسْرٰائِيلَ إِذْ جٰاءَهُمْ لقد كذبوه لأنهم نظروا اليه بمثل نظرتهم الى نبيكم،فقد كان راعيا،ذا ملابس بسيطه و و حين قال:انى رسول رب العالمين إليكم اتهمه فرعون بالجنون.

فَقٰالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يٰا مُوسىٰ مَسْحُوراً يبدو انه زعم ان موسى قد ابتلى بالسحر لأنه كان شائعا فى مجتمعه،و لان عواقب هذه الدعوه كانت تضر موسى،و لا يقدم على مثلها عاقل.

هكذا كان يزعم فرعون ذلك الجبار الكافر بجبار السماوات و الأرض سبحانه.

و الواقع ان تحدى أنبياء اللّه لسلطات عصرهم و فساد مجتمعهم كان عظيما و شاملا و جذريا،الى درجه كانوا يتّهمون بالجنون لو لا ان كل تصرفاتهم و أقوالهم كانت تفيض بالحكمه و المعرفه،فلو لم يكونوا متصلين بالغيب،و واثقين من نصر اللّه لهم،و مخلصين لقضيتهم فهل كان تحديهم غير الجنون،إذا ذات التحدى كان أعظم شهاده على صدق رسالاتهم،و لعل القرآن ينقل لنا تهم الطغاه للأنبياء بالجنون لنعرف هذه الحقيقه.

و لم يكن موسى مسحورا بل كان رسولا،و علامه رسالته تحديه لسلطه فرعون، و ارهابه و تضليله لذلك قال:

[۱۰۲]قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مٰا أَنْزَلَ هٰؤُلاٰءِ إِلاّٰ رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ بَصٰائِرَ وَ إِنِّی لَأَظُنُّکَ يٰا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً انک هالک یا فرعون فأنت تعلم ان الحق معی،الا ان فرعون ما کان یعلم عن نبوه موسی علم ایمان،و انما کان یعلم علم حجه،بمعنی ان الحجه ثبتت عنده،و لکن لم یؤمن،و تلک الآیات العظام لا تجری علی ید إنسان غیر نبی لذلک قال ربنا«لقد علمت»یا فرعون ان الآیات التسع و هی:خروج الید بیضاء من غیر سوء و العصا-و السنون-و نقص الثمرات-و الطوفان-و الجراد-و القمل و الضفادع-و الدم انما هی من عند اللّه و لم تجر علی ید إنسان عادی.

و قرء«و لقد علمت»بالضم یعنی موسی هو الذی علم کما یؤید ذلک حدیث

یروی عن الامام علی علیه السلام یقول:فیما معناه:

«کلا لم یعلم فرعون ان اللّه بعث موسی بتلک الرساله،انما موسی هو الذی علم فهو واثق من امره.» و القرآن جعل الکتب السماویه بصائر تساعد الناس علی رؤیه الحقائق،و لما کذب فرعون بتلک الحقائق کلها بصّره موسی علیه السلام بخاتمته «وَ إِنِّی لَأَظُنُّکَ يٰا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً» ! [۱۰۳]حینئذ ثارت ثائره فرعون.

فَأَرٰادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ حیث أراد ان یزعج موسی علیه السلام بطرده مع بنی إسرائیل،و نفیهم من البلاد الا ان اللّه سبحانه و تعالی وقف له بالمرصاد.

فَأَغْرَقْنٰاهُ وَ مَنْ مَعَهُ جَمِيعاً [۱۰۴]و هذا أحد معانی شهاده اللّه علی صدق رسالات الأنبیاء،فقد أخذ اللّه سبحانه و تعالی فرعون و ملأه،و نبذهم فی الیم فابتلعهم الماء کما یبتلع النهر الحصاه.

وَ قُلْنٰا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِی إِسْرٰائِیلَ اسْکُنُوا الْأَرْضَ فَإِذٰا جٰاءَ وَعْدُ الْآخِرَهِ جِئْنٰا بِکُمْ لَفِیفاً قالوا فی معنی اللفیف انه بمعنی متلاحم بحیث یلف بعضه ببعض،فلا یمیز البعض عن الآخر لشده اندکاکهم ببعضهم.

و هکذا ذهب فرعون و بقی منه عبره للعالمین!

ص:۳۱۸

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ١٠٥ الى ١١١]

اشاره

وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنٰاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ وَ مٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (١٠٥) وَ قُرْآناً فَرَقْنٰاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى اَلنّٰاسِ عَلىٰ مُكْثٍ وَ نَزَّلْنٰاهُ تَنْزِيلاً (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاٰ تُؤْمِنُوا إِنَّ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذٰا يُتْلىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقٰانِ سُجَّداً (١٠٧) وَ يَقُولُونَ سُبْحٰانَ رَبِّنٰا إِنْ كٰانَ وَعْدُ رَبِّنٰا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقٰانِ يَبْكُونَ وَ يَزِيدُهُمْ خُشُوعاً (١٠٩) قُلِ اُدْعُوا اَللّٰهَ أَوِ اُدْعُوا اَلرَّحْمٰنَ أَيًّا مٰا تَدْعُوا فَلَهُ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنىٰ وَ لاٰ تَجْهَرْ بِصَلاٰتِكَ وَ لاٰ تُخٰافِتْ بِهٰا وَ اِبْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلاً (١١٠) وَ قُلِ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي اَلْمُلْكِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ اَلذُّلِّ وَ كَبِّرْهُ تَكْبِيراً (١١١)

اللغه

١٠۶[مكث]:مهل و تأن.

ص:٣١٩

و بالحق أنزلناه و بالحق نزل

هدى من الآيات:

هذا هو الكتاب،و تلك هى رسالات اللّه التى فيه،انه الحق الذى أنزله اللّه و سوف يحفظه،و اما الرسول فان هو الا مبشر و نذير،و انما نزله على دفعات،لأنه أبلغ أثرا حيث يستوعبه الناس و ان للقرآن فئه من الناس يؤمنون به ايمانا ايمانا،فهم يخرون للأذقان ساجدين كلما تليت عليهم آياته،و يسبحون اللّه و يثقون بوعده، و يسجدون له و يبكون و يزيدهم القرآن خشوعا.

ان هؤلاء الذين يصوغهم الوحى مثل حىّ للقرآن و شهاده مبينه على صدقه،و على انه من اللّه أو ليس القرآن يهدى الناس المؤمنين الى ربهم و يأمرهم بدعائه و بأسمائه الحسنى،يأمرهم بالصلاه دون الجهر من القول و يختم القرآن سوره الإسراء المباركه بحمد اللّه،كما بدأها بتسبيحه،ذلك اللّه الواحد الأحد،الذى لم يتخذ ولدا و لم يكن له شريك فى الملك،و لم يكن له ولى من الذل.

التسبيح و الحمد و التكبير هو نسب اللّه و صله العبد به سبحانه و تعالى.

بينات من الآيات:

اشاره

[۱۰۵]ما هو محتوى الرسالات؟انه الحق الذى انزل اللّه به القرآن،و انه الذى الحق بقى القرآن عليه دون ان تمد اليه يد التحريف،و لكن ما هو الحق؟ ۱-وجود الكون و الإنسان حق.

۲-قوانين الطبيعه،تلك السنن الالهيه التى أجراها اللّه فى كل شىء حق.

۳-عقل البشر الذى أودعه اللّه قلب كل إنسان و به يستوعب واقعيات الأشياء حق.

و القرآن حقيقه واقعه و قد نزل ليعكس الحقائق و يهدى الى السنن و يثير العقول كمحتواه حق لا ريب فيه.

وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنٰاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ لقد قدر اللّه ان ينزله بالحق (وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنٰاهُ) ،و تحقق هذا التقدير(و بالحق نزل)و ان محتواه حق (وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنٰاهُ) و ثمراته حق(و بالحق نزل)و ان الحق الذى أنزله اللّه به (وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنٰاهُ) سوف يستمر(و بالحق نزل).أو لم يقل ربنا: «إِنّٰا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنّٰا لَهُ لَحٰافِظُونَ» ،فلم و لن يقدر أحد على تغييره،هكذا ينبغى ان تفهم هاتان الكلمتان.

قال بعض المفسرين:ان نزول القرآن كان مصاحبا للحق،كما ان الحق كان مصاحبا للقرآن،و نتساءل ما هو معنى الباء فى قوله بالحق؟

الباء:حرف جر للاستعانه فان قلت:اكتب بالقلم،ای استعن بالقلم فی الكتابه و هذا المعنی یصح فی الآیه،إذ ان الحق محتوی القرآن و جوهره بل ان كل آیه فیه دلیل حق،لان القرآن جاء لاحقاق الحق كله.

قال تعالی: وَ یُرِیدُ اللّٰهُ أَنْ یُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمٰاتِهِ وَ یَقْطَعَ دٰابِرَ الْكٰافِرِینَ (۷/الأنفال) وَ مٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ مُبَشِّراً وَ نَذِیراً الرسول بالنسبه الی من أرسل إلیهم لا یعدو ان یكون مبشرا لهم بالخیر ان هم آمنوا،و نذیرا لهم بالعذاب ان هم كفروا و لم یكن الرسول كفیلا أو وكیلا علیهم و لم یؤت صلاحیه تغییر القرآن،و قد عصمه اللّٰه من ان یغیر فیه شیئا.

[۱۰۶] وَ قُرْآناً فَرَقْنٰاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النّٰاسِ عَلیٰ مُكْثٍ للقرآن عده أسماء فمره یقال:انه كتاب لأنه یكتب،و مره یقال:انه فرقان لأنه یفرق بین الحق و الباطل،و مره یقال:انه ذكر لأنه یذكر،و هكذا یسمی القرآن قرآنا لأنه یقرأ،و هكذا تختلف المسمیات.و المسمی واحد و لعل ذلك من أجل الا یعتقد الإنسان ان أهمیه القرآن تكمن فی كتابته أو فی قراءته،و لكن أهمیه القرآن تكمن فی جوهره.و ما هذه الأسماء الا تلخیص لاهداف القرآن و اشاره إلیها.

(فرقناه)ای فصلناه و فرقناه«علی مكث»:ای بتأن و تؤده،بین فتره و اخری حتی یستوعبه الناس.

وَ نَزَّلْنٰاهُ تَنْزِیلاً فی الآیتین السابقتین قال اللّٰه كلمه واحده باختلاف بسیط،فقال مره:أنزلناه،

و مرّه نزّلنـاه،فما هو الفرق بين الكلمتين؟ الفرق هو ان كلمه(أنزلناه)اى أنزلناه جمله واحـده و(نزّلناه)اى على اقساط و هـذا يؤكد ما قيل:ان القرآن نزل مرتين على قلب الرسول صـلى الله عليه و آله مره فى ليله القدر، و المره الاخرى خلال ثلاث و عشرين سنه حسب المناسبات و الظروف لكى تترسخ آياته و تعاليمه فى ضمير المؤمنين و فى واقع الحياه الاجتماعيه.

[۱۰۸-۱۰۷]ان النفس العالمه لا تستطيع ان تصبر امام النور الباهر المنبعث من القرآن،و يخرّ صاحبها سجودا.

و لكن من هم الذين أوتوا العلم؟ الذين أوتوا العلم هم أحد اثنين:

۱-امـا أولئـك الـذين أعطـاهم اللّه العلم من أهـل الكتـاب عن طريق الرسالات الالهيه السابقه،و عنـد ما سـمعوا الآيات القرآنيه استوعبوها و رأوا ان هذه الآيات مصدقه لما أوتوه،بل هى أعظم فسجدوا للحق و خضعوا له.

۲-و امـا ان يكونوا من العرب الـذين غمرت نفوسـهم بزخـات العلم،فكـانوا غير أولئك الجهّال الـذين يبحثون عن الأمور التافهه لذلك فهم عند ما يستمعون الى صوت الحق،و يرون النور الباهر يؤمنون به،و يستجيبون لندائه.

كان اويس القرنى يعيش فى الصحراء عيشه العز و الشرف،فعند ما سمع بالرسول و بقرآنه،آمن به و بقرآنه من دون ان يراه فصار بذلك من المقربين الى رسول اللّه صلى الله عليه و آله ،و أسلم و أحسن إسلامه فكان يقضى نهاره بالصوم و ليله بالعباده، و مثل أو يس أبو ذر و المقداد و كثيرون آخرون.

قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاٰ تُؤْمِنُوا لا يهمنا ان تؤمنوا أو لا تؤمنوا،فلسنا محتاجين الى ايمانكم،إذا كان اللّه يريد ان يضلكم،فهناك من يؤمن بالقرآن ايمانا عميقا،و هم أهل المعرفه.

إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ أى أوتوا العلم من قبل نزول القرآن.

إِذٰا يُتْلىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقٰانِ سُجَّداً الخرور:هو الوقوع السريع.

خرّوا بسرعه على وجوههم،و لعلهم نسوا أنفسهم امام القرآن و وقعوا على أذقانهم و لم يقعوا على جباههم،لأنهم وقعوا من دون اختيار،فوقعوا على أذقانهم ثم سجدوا بوجوههم.

وَ يَقُولُونَ سُبْحٰانَ رَبِّنٰا إِنْ كٰانَ وَعْدُ رَبِّنٰا لَمَفْعُولاً يبدو من هذه الآيه انهم كانوا يتوقعون شيئا و قد تحقق فى القرآن أو انهم عبروا-بهذه الكلمه-عن غايه ايمانهم،و منتهى يقينهم حيث نزهوا اللّه عن خلف الوعد، و أكدوا ان وعده فى الكتاب بنصر المؤمنين فى الدنيا،و حسن جزائهم فى الآخره حق.

و سيتحقق اكيدا.و هذا أحد معانى الحق الذى جاء فى الآيه السابقه «وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنٰاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ».

ان مخففه بمعنى «إِنْ كٰانَ وَعْدُ رَبِّنٰا لَمَفْعُولاً» .

[۱۰۹] وَ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقٰانِ يَبْكُونَ وَ يَزِيدُهُمْ خُشُوعاً

يبدو ان للإنسان امام الحالات الغريبه،حالتين متدرجتين:

الاولى:الانصعاق و الدهشه.

الثانيه:الانبهار الواعى.

و لعل الآيه التاليه تشير الى هاتين الحالتين حيث يقول سبحانه: «اللّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِیَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللّهِ ذلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ» (الزمر/٢٣) فى البدء يرتجف الإنسان و يصعق،ثم يستوعب الصعقه و هكذا المؤمنون فهم يخرّون أولا لقوه النور،و ما يلبثون ان يتعودوا على قوه النور،فيخرون خشوعا للّه سبحانه.

توحيد اللّه:

[١١٠] قُلِ ادْعُوا اللّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى كتب العلامه الطباطبائى فى تفسير الميزان بحثا مطولا فى هذه الآيه فقال ما محتواه:ان البوذيين و المجوس و غيرهم من اتباع الأديان،و من تأسى بهم يعتقدون ان للّه مظهرا و جوهرا،و ان مظهر اللّه يختلف عن جوهره،فمظهره هى أسماؤه و هى منفصله عن جوهره،أو بمعنى آخر منفصله عن ذاته،و يعتقدون بان اللّه أجل من ان يسمى بهذه الأسماء،و أسماؤه انما هى الملائكه،فكل ملك من الملائكه يحمل صفه من صفات اللّه،فأحد الملائكه يمثل العلم،و آخر يمثل العزه،و آخر يمثل القدره،فهم يعبدون الملائكه و يجسمونها بتجسيمات مختلفه،و بالتالى فهم لا يعبدونها الا

لتقربهم الی اللّه زلفی،فصنعوا للّه ثلاثمائه و ستین إلها،کل إله یختلف عن الآخر، فجمال اللّه یختلف عن عمله و علمه یختلف عن جلاله،و جلاله یختلف عن قدرته و هکذا..

هذه هی الوثنیه،أما عقیده التوحید فترفض ذلک و تری ان أسماء اللّه تشیر الی الحق الواحد فاللّه رحیم عزیز،و بید ان العزه و الرحمه تشیر ان الی ذات واحد،و هکذا جبار و کریم،و رؤف..إلخ،و هذه الأسماء مجرد آیات تشیر الیه سبحانه فعند ما نقول:سمیع بصیر،فهو سمیع بصیر بدون آله سمع أو بصر،و قد قال الشاعر:

عباراتنا شتی و حسنک واحد و کل الی ذلک الجمال یشیر

قال کفار قریش عن الرسول صلی الله علیه و آله مره:انظروا الی هذا الصابئی یأمرنا ان نعبد إلها واحدا و هو یعبد الهین،یقول:اللّه،الرحمن،فجاءت الآیه لتقول:سواء قلت اللّه أو الرحمن أو الرحیم أو الواحد أو القهار فان ذلک یدل علی شیء واحد،و ان الأسماء الحسنی کلها للّه و هی لیست بعیده عنه-فهی صفات له،و هی غیر ذاته.

جاء فی الحدیث عند سؤال هشام بن الحکم الامام الصادق علیه السلام عن اشتقاق کلمه(اللّه)فقال له:«یا هشام!اللّه»مشتق من«اله»و«إله»یقتضی مألوها،و الاسم غیر المسمی فمن عبد الاسم دون المعنی فقد کفر و لم یعبد شیئا، و من عبد الاسم و المعنی فقد کفر و عبد اثنین،و من عبد المعنی دون الاسم فذلک التوحید،أ فهمت یا هشام؟قال:فقلت:زدنی فقال:«ان اللّه تبارک و تعالی تسعه و تسعین اسما،فلو کان الاسم هو المسمی لکان کل اسم منها إلها،و لکن اللّه معنی یدل علیه هذه الأسماء،و کلها غیره،یا هشام!الخبز اسم للمأکول،و الماء اسم للمشروب،و الثوب أسم للملبوس،و النار اسم للمحروق،أ فهمت یا هشام فهما تدفع به و تناضل أعداءنا،و المتخذین مع اللّه عز و جل غیره؟»قلت:نعم

قال:فقال«نفعك اللّه به و ثبتك قال هشام:فو اللّه ما قهرنى أحد فى علم التوحيد حتى قمت مقامى هذا » (1)وَ لاٰ تَجْهَرْ بِصَلاٰتِكَ وَ لاٰ تُخٰافِتْ بِهٰا وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلاً

جاء فى الحديث المأثور عن الامام الصادق عليه السلام :

«الجهر بها رفع الصوت،و التخافت بها ما لم تسمع نفسک،و اقرأ بين ذلك » (2)و لعل الآيه تشير الى فكره هامه هى انه لا ينبغى الصراخ فى الصلاه لان الصراخ ليس من آداب الدعاء و لا يجوز الإخفات الى درجه بعيده صحيح ان اللّه بعيد عنك بعلوه و جلاله الا انه قريب منك بلطفه و علمه،و كما

جاء فى الدعاء (الذى بعد فلا يرى،و قرب فشهد النجوى) و لذلك شرع فى الصلوات الإخفات فى الصلاه النهاريه،و الجهر فى الصلاه الليليه.

اللّه يتجلى فى كتابه:

[111]لم تحر البشريه فى مسأله كحيرتها فى الرب،لان عقل الإنسان محدود فبالرغم من ان اللّه علمه الأسماء كلها،قصر عن معرفه كنه وجود اللّه سبحانه،إذ أن علمه و عقله،و كل وجوده أقل من ان يحيط برب السماوات و الأرض،فكيف يحيط بكنهه و هو لم يحط بنفسه علما.بل الاحاطه بكنه الطبيعه من حوله الا أن اللّه سبحانه ما ترک الإنسان سادرا فى حياته تلك،فقد عرفه نفسه و تجلى له مرتين:مره فى آفاق العالم و مره فى نفسه عبر الذكر الحكيم.و آيات الذكر تذكرنا بآيات الطبيعه.

ص:327

1- 1) البحار ج 4-ص 158

2- 2) نور الثقلين ج 3 ص 234

فنحن اذن أحوج ما نكون الى القرآن لكى نعرف ربنا،و نعرف أسماءه الحسنى.و ان معرفه اللّه سبحانه أعظم فائده يستفيدها الإنسان من خلال قراءته للقرآن،لو قرأها من دون حجاب بينه و بينها،و هى بالتالى أعظم شهاده على صدق رسالات الربّ.

جاء فى الحديث المأثور:

«إنّ اللّه تجلى فى كتابه لعباده و لكن الناس لا يبصرون.» فهذا القرآن أنزل اللّه فيه ما لو نزل على جبل لفته فتا،فقال: «لَوْ أَنْزَلْنا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خٰاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ*وَ تِلْكَ الْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (۲۲/الحشر) هذا هو حال الجبل الأصم من عبر القرآن و دروسه فكيف بالإنسان.

وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً الحمد للّه على انه لم يتخذ ولدا،لعل أحد معانى هذه الكلمه انه سبحانه لم يفضل عنصرا على عنصر و لا جوهرا على جوهر الا بالتقوى،مما اعطى للجميع فرصه التعالى اليه،و الكمال بفضله.و الآيه تفضح ما يعتقده الوثنيون من ان اللّه أولادا هم الملائكه.

جاء فى الحديث:

«الحمد للّه الذى لم يلد فيورث و لم يولد فيشارك.» و حيث نفى الولد،نفى الشرك لان من لم يلد صمد الا جزاء،فكيف يكون مولودا و من لم يكن مولودا لا يكون شبيها بشىء،فلا كفو له و لأنه لا شريک له لا

ولی له من الذی ینصره لأنه غنی بدأته فکیف یستعین بغیره..

وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ شَرِیکٌ فِی الْمُلْکِ وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ وَلِیٌّ مِنَ الـذُّلِّ قیل ان هـذه الآیه جاءت ردا علی الیهود و النصاری حین قالوا:اتخذ اللّه ولدا، و علی مشـرکی العرب حیث قالوا:لبیک لا شـریک لک الا شریکا هو لک،و علی الصابئین و المجوس حین قالوا:لو لا أولیاء اللّه لذل اللّه. (۱)

و قد جاء فی الدعاء المأثور: (الحمد للّه الذی لم یتخذ ولدا فیکون موروثا، و لم یکن له شریک فی الملک فیضاده فیما ابتدع،و لا ولی من الذل فیرفده فیما صنع). (۲)

لم یکن عند اللّه شریک فیضاده أو یساعده،لأنه لو کان له شریک یضاده لتزعزع النظام،و لو کان له شریک یساعده فالأول قوی و الآخر ضعیف فما هی حاجتنا الی الضعیف.

فی الحدیث المأثور عن هشام بن الحکم فی حدیث الزندیق الذی أتی أبا عبد اللّه علیه السـلام و کان من قول أبی عبد اللّه علیه السـلام «لا یخلوا قولک انهما اثنان من ان یکونا قدیمین قویین،أو یکونا ضـعیفین أو یکون أحدهما قویا و الآخر ضعیفا،فان کانا قویین فلم لاـ یـدفع کـل منهمـا صاحبه و ینفرد بالتـدبیر،و ان زعمت ان أحـدهما قوی و الآخر ضـعیف،ثبت انه واحـد کما تقول للعجز الظاهر فی الثانی فان قلت:

انهمـا اثنـان لم یخل من ان یکونا متفقین من کل جهه أو متفرقین من کل جهه فلما رأینا الخلق منتظما و الفلک جاریا،و التـدبیر واحدا،و اللیل و النهار و الشمس و القمر،دل صحه الأمر و التدبیر و ائتلاف الأمر علی ان المدبر واحد ثم یلزمک ان

ص:۳۲۹

۱- ۱) مجمع البیان

۲- ۲) دعاء عرفه للإمام الحسین علیه السلام مفاتیح الجنان

ادعيت اثنين فرجه ما بينهما حتى يكونا اثنين،فصارت الفرجه ثالثا بينهما قديما معهما فيلزماک ثلاثه فان ادعيت ثلاثه لزمک ما قلت فی الاثنين،حتى يكون بينهم فرجه فيكونوا خمسه ثم يتناهى فی العدد الى مالا نهايه له فی الكثره. » (۱)ان ما يتوهمه المتوهمون هو مخلوق لهم،مردود عليهم،فاللّه لا يوصف بتمثيل و لا يشبه بنظير فبدل ان يفكروا فی ذات اللّه يجب عليهم ان يتفكروا فی خلقه الذی يقودهم اليه.

وَ كَبِّرْهُ تَكْبِيراً ليس من الصحيح ان نقول ان اللّه أكبر من كل شیء،فهل هناک شیء يحتمل ان يكون أكبر منه!؟و انما نقول هذا الشیء أكبر من هذا الشیء لوجود تقارن بينهما،و لكن الأصح ان اللّه أكبر من ان يوصف،لا ان تقول اللّه أكبر من الشمس فهناک إذ ليست هنا لک مقارنه بينهما،كيف تضع الحقير المخلوق بجانب الخالق الكبير؟!و لكن يمكنک ان تقول:ان الشمس أكبر من القمر.

جاء فی الحديث عن أبی عبد اللّه عليه السلام قال لجميع بن عمير:

«ای شیء اللّه أكبر»؟ فقلت:اللّه أكبر من كل شیء،فقال:«و كان ثم شیء فيكون أكبر منه»؟ فقلت:فما هو؟قال:«أكبر من ان يوصف» (۲)و جاء فی حديث آخر:عن أبی عبد اللّه عليه السلام قال رجل عنده:اللّه أكبر فقال:اللّه أكبر من ای شیء؟فقال من كل شیء،فقال:حددته فقال الرجل:كيف أقول؟قال:قل اللّه أكبر من ان يوصف ۳

۱- ۱) نور الثقلين ج ۳ ص ۲۳۸

۲- ۲،۳) نور الثقلين ص ۲۳۹ ج ۳

سوره الكهف

اشاره

ص: ۳۳۱

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

فضل السوره

عن الامام الحسين عليه السلام قال:

«من قرأ سوره الكهف فى كل ليله جمعه لم يمت إلا ـ شهيدا،و يبعثه اللّه من الشهداء،و وقف يوم القيامه مع الشهداء» نور الثقلين،ص ۲۴۵،ج ۳

عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله قال:

«من قرأ عشر آيات من سوره الكهف حفظا لم تضره فتنه الدجال،و من قرأ السوره كلها دخل الجنه» م البيان،ص ۴۴۷،ج ۳

الاسم:

معلوم ان اسم(الكهف)أخذ من قصه تاريخيه وقعت بعد مبعث عيسى بن مريم(عليه السلام)و كانت شائعه بين أهل الكتاب،بل فى أوساط الجزيره العربيه،و لأهميه القصه سميت السوره بالكهف الذى هو رمز حمايه اللّه للإنسان من الأخطار إذا التجأ إليه.

ص:۳۳۳

الإطار العام

تمهيد:

نور الشـمس يغمر الأرض فيضىء الأشياء و الأشخاص،و يظهر الألوان،ثم يقف دوره عند هذا الحد ليبدأ دور العين بعمليه الرؤيه و الملاحظه،و كذلك القرآن يؤدى دوره عند ما ينشر الهدايه و يبيّن الحقائق،و بعد ذلك يبدأ عمل القلب و البصيره فى ادراك هـذه الحقـائق و استيعابهـا،و إذا اقفـل الإنسان بصـيرته و قلبه فأنه لن ينتفع بهـدى القرآن و لن يعرف الحقائق،تماما كمن يغمض عينيه فأنه لا يرى الأشياء رغم سطوع نور الشمس عليها و وضوحها.

و هكـذا فـأن القرآن لاـ يلغى دور العقـل و التفكر،لكن العقـل من المتعـذر عليه ان يكشف الحقيقه بـدون القرآن،كـالعين الـتى يستحيل ان ترى الأشياء بدون الضوء، و هكذا التفكر لا يلغى دور القرآن،كما ان العين لا تلغى دور الضوء.

ص:٣٣٥

و بناء على ذلك فلا يجوز للإنسان أن يقول:ما دام القرآن موجودا فلا حاجه لأن اعقل و أتفكر و اتبصر،و الا كان مثله كمثل من يترك النظر و الملاحظه و يضع حجابا على عينيه انطلاقا من ان النور موجود،و الأرض مضاءه،و الألوان ظاهره،ان وضوح الأشياء و اضاءتها يساعد على الرؤيه،و ليس هو الرؤيه بذاتها.

مفردات قرآنيه:

و لذلك نرى القرآن يصف نفسه بالنور و الذكر و البصيره و الهدى،فنجد كلمه النور فى آيات مثل:

١- «نُورٌ عَلىٰ نُورٍ يَهْدِى اللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشٰاءُ» ٢- «إِنّٰا أَرْسَلْنٰاكَ شٰاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً* وَ دٰاعِياً إِلَى اللّٰهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرٰاجاً مُنِيراً» ٣- «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» و كلمه الذكر ترد فى القرآن بصيغ مختلفه مثل:

١- «إِنّٰا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنّٰا لَهُ لَحٰافِظُونَ» ٢- «وَ يُبَيِّنُ آيٰاتِهِ لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» ٣- «إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كٰانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ» ۴- «كَلاّٰ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ»

ص:٣٣۶

و هی تعنی ان عقل الإنسان یعرف الحقیقه و لکنه ینساها،و کذلک قلبه یشعر بها و لکنه یغفل عنها،فیحتاج الإنسان الی من یذکره و یلفت انتباهه إلیها.

و کلمه البصیره تعبر عن الحقیقه البینه التی یبصر بها الشیء علی ما هو به علیها فی المجمع.

مجمع البیان ج ۴ ص ۳۴۵ «قَدْ جٰاءَکُمْ بَصٰائِرُ مِنْ رَبِّکُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ» و مجموع البصائر التی تفضل اللّه سبحانه بها علی عباده تمثل الهدی و هو نور القلب و العقل.

۱- «فَإِمّٰا یَأْتِیَنَّکُمْ مِنِّی هُدیً فَمَنْ تَبِعَ هُدٰایَ فَلاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ» ۲- «وَ نَزَّلْنٰا عَلَیْکَ الْکِتٰابَ تِبْیٰاناً لِکُلِّ شَیْءٍ وَ هُدیً وَ رَحْمَهً وَ بُشْریٰ لِلْمُسْلِمِینَ» و هذه الصفات لو تدبرنا فیها قلیلا لرأینا انها تعنی الحقیقه التی تساعد العقل علی التفکر،و القلب علی التدبر،و لیس ما یلغیها و یحل محلها.

اتجاه خاطئ:

و إذا تثبتت الفکره و توضحت،فلا بدّ ان ندین الاتجاه الخاطئ فی التفسیر سابقا و هو:تحویل القرآن الی شیء بدیل عن التفکیر أو العقل،بینما القرآن هو طریق الفکر و العقل،و الذی یجعل القرآن بدیلا عن الفکر هو کمن یرید ان یجعل النظاره بدیلا عن العین،أو النور بدیلا عن الرؤیه،أو کالذی یجعل الأرقام فی الریاضیات

بديلا عن الحقائق التى وراءها.

التفسير و التدبر:

اشاره

و لعل هذا هو الفرق جليّا بين كلمتى:التفسير و التدبّر و هكذا الفرق بين كلمتى التفسير و التأويل.

فالتفسير هو:شرح و توضيح الآيات القرآنيه ذاتها فيما يرتبط بالقرآن ذاته، حروفه و كلماته و جمله و آياته،و سياق المجموعه التوجيهيه فى القرآن و ارتباط السور مع بعضها.

بينما التدبّر شىء آخر،و هو ما دعا القرآن الى ان يكون وسيله لمعرفه التأويل أو النهايات و النتائج الواقعه لآياته،و الكلمه مشتقه من(الدبر)و هو مؤخره الشىء، و هذا يوحى بأن التدبّر هو عدم الوقوف عند ظواهر المعانى و الحوادث،بل محاوله معرفه ما ورائها.

قال الطبرسى(قدس اللّه روحه)التدبر:النظر فى عواقب الأمور.

مجمع البيان ج ۳ ص ۸۱ و عاقبه الأمر:هى ما يؤول اليه الأمر،و هو تأويله.

قال اللّه سبحانه و تعالى: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ» (/۵۳الأعراف).

و قال فى قصه يوسف: «قالَ لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلاّ نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ» (/۳۷يوسف)

ص:۳۳۸

فتأويل الإنذار ما تحقق ما انذر به واقعا و تأويل الرؤيا تحولها الى حقيقه واقعه، و يبدو ان التدبر هو البحث عن التأويل.

و لهذه الكلمه عدّه أبعاد:

البعد الأول:

هو التفكير منذ البدايه في آخر الأمر و مآله،فالقرآن عند ما يقول الظلم ظلمات و عاقبته خزى في الدنيا و عذاب في الآخره،فلا نتوقف عند ذلك،و انما نأخذ هذه المعلومه شمعه و نذهب الى الواقع الخارجى،نذهب الى الحياه و نفتش عن ظلم ثم نجعل تلك الشمعه عند ذلك الظلم الذى يأخذ مجراه عمليا،و نتحرك معه الى ان نرى نتيجته النهائيه.

و عند ما يحدثنا القرآن عن قوم عاد و كيف انهم بطشوا بطش الجبارين،و بالتالى انتهى مصيرهم الى الدمار،فعلينا ان لا نقرأ ذلك قصه و نستغنى بها عن التفكير، و انما نحمل تلك القصه مصباحا و هاجا بأيدينا،ثم نبحث في الحضاره الماديه،و عن طريق هذا المصباح نعرف مصيرها في المستقبل و الى اين تنتهى عاقبتها.

البعد الثانى:

ينبع من ذات كلمه(التدبر)و هى من الصيغ التى تنطوى على الاشاره الى بذل المجهود في الأمر،و الذى يستخدم الإنسان فيه طاقاته،فكلمه تصرّف غير كلمه صرف إذ الأولى تعنى السيطره على الشيء،و محاوله صرفه بقوه أو بجهد،كذلك التحدّث يعنى استخدام الجهد في الحديث،و هكذا فأن التدبر يعنى بذل الجهد في التفكير للوصول الى نهايات الأمور،و هنا نصل مره اخرى الى ذات الحقيقه و هى ان القرآن ليس بديلا عن جهد الإنسان.

ص:۳۳۹

البعد الثالث:

هو ان كلمه التدبر مرتبطه بالواقع الخارجی،فبینما التفسیر یرتبط بذات الآیات حیث نكتشف معنی الآیه الكریمه عن طریق تفسیر الآیات ببعضها،و معرفه معانی المفردات من المراجع اللغویه،و ربط الجمل ببعضها،و الاستفاده من السیاق، و استخراج معنی الكلمه من مقارنتها بمفردات مماثله جاءت فی آیات اخری من القرآن الحكیم،و تفسیر الآیات بالروایات و الأحادیث الشریفه و بالاستفاده من العلم الحدیث.

فإننا فی التدبر أو التأویل،و بعد انتهاء عملیه التفسیر،و معرفه الآیه معرفه ذاتیه،فإننا نحمل الآیه القرآنیه الی الواقع الخارجی،و نبحث عن انطباقها علی الناس و الأشیاء و الأحداث المتغیره.

فإذا جاء فی القرآن كلمات مثل:الذین آمنوا،الذین كفروا،المنافقون، المستكبرون،المستضعفون...فینبغی علینا ان نحاول تحدیدهم و تشخیصهم واقعیا، و لا نكتفی بمعرفه معانی هذه الكلمات و مدلولاتها اللغویه فقط.

و إذا قرأنا عن مجتمعات مثل:عاد،ثمود،قوم لوط،أصحاب الایكه،أصحاب موسی علیه السلام أصحاب محمد صلی الله علیه و آله فیجب ان نبحث عمن یمثلهم فی واقعنا الحاضر الذی نعیشه،فمن الذی یتبع علیا و الحسین(علیهما السلام)الیوم؟و من الذی یمثل دور معاویه و یزید؟و هكذا.

فالتدبر هو:البحث عمن یمثل دور القصص و الآیات القرآنیه فی الواقع الخارجی،و بالتالی معرفه معانی الأشیاء عملیا و محاوله تحسسها و الاقتراب منها.

و التدبر بحاجه الی جهد فكری و آخر جسدی،فلا یمكننا ان نتدبر و نحن نغلق

الأبواب علی أنفسنا و ننفصل عن الواقع،و إذا أردنا ان نتدبر فعلینا ان ندخل فی حیاه المجتمع و نعرف خصائصه و ممیزاته،و ندرس طبیعته،ثم بعد ذلک نرجع الی القرآن و نسأله:ماذا نسمّی مجتمعا هذه میزاته و خصائصه،و تلک سلبیاته و ایجابیاته؟ هل هو مجتمع لوط أو شعیب أو ثمود أو غیرهم؟و المطلوب من الإنسان فی دراسته للقرآن التفسیر ثم التدبر و التأویل بمعناها المذکور آنفا.

التدبر و المسلمون فی العصر الحاضر:

لقد توقف المسلمون الیوم عند القرآن،کان القرآن منطلقا فجلسوا عند المنطلق، و کان مطارا یجب ان یقلعوا بواسطته فمکثوا فی المطار،و کان مصباحا یضیء العالم فاکتفوا بجعله زینه،و کفّوا عن الاستضاءه بنوره فی دروب الحیاه المظلمه.

انهم الغوا دور افکارهم و عقولهم،و بذلک الغی التدبر من القرآن،فسدّ باب عظیم من أبوابه التی أمرنا اللّه بدخولها،اننا لا نجد فی القرآن الحکیم آیه تشیر الی التفسیر بینما توجد عدّه آیات حول ضروره التدبّر.

۱- «أَ فَلاٰ یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلیٰ قُلُوبٍ أَقْفٰالُهٰا» ۲- «کِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ إِلَیْکَ مُبٰارَکٌ لِیَدَّبَّرُوا آیٰاتِهِ وَ لِیَتَذَکَّرَ أُولُوا الْأَلْبٰابِ» و عشرات الآیات تأمرنا بالتفکر،و السیر،و الحرکه،و التذکر،و کلما یحرک طاقات الإنسان نفسه.

و هنا یکمن سر الغموض فی فهم القرآن لدی أغلب المسلمین لأن عملیه التأویل و التفسیر متکاملتان و التفسیر إذا دعّم بالتأویل و التطبیق فأنه یصبح أکثر وضوحا و یمکن اکتشاف خفایاه بصوره أفضل.

زينه الحياه و الهدى:

ان القرآن الحكيم يتابع فى سوره الكهف سلسلتين من القضايا:

الأولى:عن زينه الحياه الدنيا،و موقف الإسلام منها.

و الثانيه:عن القضايا التى تتصل بالهدى و العلم و المعرفه.

و لا ريب ان بين هاتين السلسلتين علاقات هامه،إذ ان الإنسان الذى يتسلح بالهدى و العلم يتخذ موقفا ايجابيا و متساميا من زينه الحياه الدنيا،اما ذلك الذى يفقد هذا السلاح،فأن موقفه من زينه الحياه الدنيا و متاعها الزائل هو موقف الأتباع المطلق و الاستسلام التام.

و الواقع ان هذا من مظاهر اعجاز القرآن،و بلوغه فى البلاغه المنتهى،حيث ان آياته الكريمه تتبع عده خطوط متوازيه و متناسبه تتظافر على توجيه القلب البشرى الى قضيه جوهريه واحده،الا ان السلسله الاولى كما يبدو هى المحور فى آيات هذه السوره حيث تتحدث سوره الكهف عن الرؤيه الاسلاميه الى زينه الحياه،و كيف ينبغى على الإنسان ان يتحرر من ضغوط زينه الحياه و حب الدنيا و ينظر الى الحياه نظره موضوعيه قوامها معرفه عاقبه الحياه،و العلاقه الوثيقه بين زينه الحياه الدنيا و التمتع بها و بين عمل الإنسان.

فنجد فى هذه السوره قصه أصحاب الكهف و الرقيم الذين تحرروا من حب الجاه الذى كانوا فيه،و استطاعت إرادتهم الساميه ان تقلع بهم من قاع الحياه الماديه الى سماء الحقيقه و القيم،و نجد فى هذه السوره أيضا قصه معاكسه لذلك،و هى قصه صاحب الجنه التى دخلها و زعم انه خالد فيها،و كلما نصحه الناصح الأمين و قال:

ان هذه الجنه انما هى بأذن اللّه،و لو لا ان تقول ما شاء اللّه حين تدخل جنتك،فإنها

سوف لا تنفعك و لكنه لم يقبل هذه النصيحه، و دخل جنته و هو ظالم لنفسه و قال:

ما أظن ان تبيد هذه أبدا،الى ان انتهت حياته و جنته جميعا الى الفساد و التلف.

و هناك مثلا عن واقع ذى القرنين لأولئك الـذى بلغوا جاها عظيما و ملكا كبيرا، و لكنهم رفضوا الخضوع لضغوط الجاه و زينه الملك.

و تعطينـا السوره الكريمه فى اطارهـا العـام نظره شـموليه الى موقف الإسـلام من زينه الحياه الـدنيا،اما القسم الأول منها فأنه يلقى نظره عـامه على موضوعـات السوره كعاده القرآن فى بـدايات السور التى تتميز بحسن المسـتهل،حيث انها تلقى الضوء على اطار السوره و مجمل الموضوعات التى تبحثها.

حيث تذكر آيات هذا الدرس(١-٨)بأن القرآن كتاب هدايه،و ان الهدايه هى طريق الإنسان المستقيم الى نعم اللّه.

و تحدثت كذلك عن الحوافز التى تدفع الإنسان الى الالتزام بهدى اللّه و منها الإنذار و التبشير.

و أشارت الى أخطار الشـرك بنسـبه الولـد الى اللّه سـبحانه و تعالى عما يشـركون ثم أشارت الى ان على الرسول أو القائد الذى يقوم مقامه،واجب التبليغ و بيان الحقائق،و ليس له ان يقتل نفسه غما و كمدا،إذا لم يستجب الناس لهدى اللّه.

و أخيرا بيّنت الرؤيه الاسـلاميه لزينه الحيـاه الـدنيا و متاعهـا،بأنهـا مـاده للإبتلاء و الامتحـان الإلـهى بالنسـبه للبشـر و انهـا بالتالى زائله،لأن الأرض سوف تصبح صعيدا جرزا.

ثم تحـدثت الآيات من(٩-١۶)عن وجوب ملاحظه الإنسـان لسـنن اللّه فى الكون،فيسـلم لحكم اللّه مهمـا كـانت الحوادث التى يشاهدها أو يسمعها بالغه

الغرابه عنـده و جديـده عليه و الثوره على الظلم هى احـدى سـنن اللّه فى الحياه،لأن اللّه يأمر بالعدل و هو قائم بالقسط.كما بينت الآيات أسـلوب الثوره و هو:ان يستجيب الإنسان لإلهام فطرته،و يفجر الثوره على كل ألوان الظلم ابتداء من نفسه،و يعتزل مجتمع الشرك و الجاهليه،ثم يأتيه تأييد اللّه الذى يهديه الى الوسائل الماديه و المعنويه للانتصار.

ثم تحدثت الآيات من(١٧-٢٠)عن الألطاف الإلهيه و النفحات الربانيه التى يتعرض لها الـذين يقومون للّه و باسم اللّه،الى الحد الـذى قـد يوقف اللّه سـبحانه معه بعض السـنن الطبيعيه أو يغيّرهـا لمصـلحتهم،ثم أشارت الى سـلاح هام يعطيه اللّه لأوليائه و هو سلاح الرعب،و تعرضت الآيات لذكر بعض الصـفات الأخلاقيه الثوريه،كما بيّنت ان أول مرحله من مراحل العلم بالنسبه للإنسان هو الاعتراف بالجهل،ثم اقتباس العلم من منبعه الحقيقى و هو:اللّه العليم الحكيم.

ثم تـابعت الآيات من(٢١-٢٦)عن دور حـادثه أهـل الكهف كواحـده من الظواهر الـتى تبيّن للنـاس صـدق وعـد اللّه و ترفع من نفوسـهم كل ريب حول قضـيه الساعه و المبعث،ثم أشارت بطريقه ايحائيه الى موقف القرآن من زياره قبور الأولياء و الصالحين ثم بينت ان الإسـلام يؤيـد المنهـج العلمى القائم على الحقائق لا على الرجم بالغيب و الجـدليات العميقه،و ان القرآن يـدعوا الى المرونه و التكيف السليم مع الحياه و يرفض البرامج الجامده و الأفكار المتحجره.

و تحـدثت الآيات من(٢٧-٣١)عن الضـمانات الوقـائيه للإنسـان تجـاه ضـغوط زينه الحيـاه،و هى تلاوه القرآن و الاتصال الـدائم بـاللّه،و الانتمـاء الى التجمع الإيمـانى القـائم على أسـاس المبـادئ الرساليه،لا الاعتبارات الماديه،و أخيرا التحلى بروح التحـدى و الاسـتعداد للصـراع،ثم بيّنت المقياس الذى يتبعه الإنسان لمعرفه القياده الصالحه،ثم عرضت صورا مجسمه للجنه و للنار فيها عبره لمن اعتبر.

و بيّنت الآيات من(۳۲-۴۴)موقف الإنسان من النعمه و المنعم،و ان من مكر اللّه بالجاحدين ان يملى لهم فيوسع النعمه عليهم،و من ثم يؤدى اغترارهم بها الى إنزال العقوبه الصارمه بهم،ثم بيّنت مراحل التدهور العقيدى و من ثم السلوكى عند الإنسان الكفور،الذى يستند على معادله خاطئه و هى ان العطاء فى الدنيا دليل رضى اللّه،بينما هو فى الواقع امتحان للعباد،كما بيّنت ان الخضوع للثروه و الأثرياء فيصبح بمنزله الشرك باللّه،و ان الولايه الحقيقيه على العباد للّه الصمد فقط،لا لغيره من المخلوقات التى يطرأ عليها التغيير و الزوال.

و صورت لنا الآيات من(۴۵-۴۹)الحياه من واقع قصه الطبيعه،و دعت الى الاهتمام بزينه الآخره و هى الباقيات الصالحات،ثم بيّنت دور العمل الصالح فى بناء الحضاره،و دعت الى شمول النظره المستقبليه،و امتدادها الى ما بعد هذه الحياه الزائله.

ثم عرضت لنا مشهدا من مشاهد يوم القيامه يبين لنا ان كل شىء فى هذه الحياه يتحرك و لا يثبت على حال،حتى الجبال الراسيات،اذن فلا مسوّغ للاعتماد على زينه الدنيا لأنها هى الأخرى تتحرك و تزول،و حمّلت الإنسان مسئوليه اعماله كامله امام ربه،تلك الأعمال التى سيراها مسجله بالكامل و مجسمه امامه،ان خيرا فخير،و ان شرا فشر.

ثم جاءت الآيات من(۵۰-۵۶)لتبين موقف الإنسان من أصحاب الزينه، و هم المستكبرون فى الأرض و عن طريق الصور التاريخيه و المستقبليه،يحث القرآن على إيجاد فاصل بين المؤمنين و بينهم،فلا يتبعونهم و لا يتخذون منهم عضدا،لأنهم أعداء أولا،و جاهلون مضلون ثانيا.

ثم تحدثت عن دور التصور الذهنى فى معرفه الحقائق الغيبيه،و بينت ان جدل

الإنسان لا حدود له،مهما كانت الحقائق القرآنيه كثيره امامه،ثم أكدت على ان الإنسان ليس مجبرا على الهدايه،و ان الاستهزاء هو اخطر حجاب بين عقل الإنسان و بين الهدايه.و من أشد ظلما لنفسه و للناس و للحقائق ممن أودع اللّه قلبه فطره الأيمان ثم ذكرّه عبر رسالاته بآيات ربه فأعرض عنها و نسى ذنوبه فجعل اللّه على قلبه ستارا،و منع عنه الفقه و جعل فى اذنه وقرا فاذا به لا يهتدى أبدا.

و لأن اللّه غفور ذو رحمه،فهو لا يعاجل الكافرين بالعذاب إلا أن لهم موعدا لا يحيدون عنه،و شاهد ذلك تاريخ القرى التى أهلكت فى الموعد المحدد لهلاكها-(۵۹/۵۷)-.

و يستمر السياق القرآنى(۶۰-۶۴)يحدثنا عن قصه موسى مع العالم،و من خلالها يبين لنا صفات العالم و المتعلم،و أهميه العلم، كما يشير الى وجود خلفيات هامه للتقديرات الإلهيه،و الأحكام الشرعيه.

فلقد عقد موسى العزم على الرحيل الى مجمع البحرين و أنبأ فتاه و مرافقه بأنه حتى لو مضت حقب من الزمان فلن ينثنى عن عزمه هذا،و عند ما بلغا مجمع البحرين نسيا حوتهما الذى سرب فى الماء و عند ما تركا الموقع طلب من صاحبه الغداء،الا أنه أخبره بقصه الحوت التى كان قد نسيها و قال:ان الشيطان هو الذى أنساه و حين عرف موسى بقصه الحوت علم بأن موقع قرب الحوت فى البحر هو بالذات ميعاده مع العالم فعادا أو رجعا اليه.

عند الموقع وجد موسى العالم الذى أتاه ربه الرحمه و العلم،و حين سأله موسى عما إذا كان مستعدا لتعليم رشدا مما علمه اللّه،أخبره انه لن يصبر على ذلك الرشد لأنه لم يحط بذلك خبرا،و أصر موسى و وعده بالطاعه إنشاء ربه.

کـان موسـی نبیـا،و عارفـا بأحکـام الرساله الظاهره،و من خلال تعلمه لخلفیات الأحکام کان ینتفض مسـتنکرا لأنه لم یعلم حکم الشریعه.

فلما خرق العالم السـفینه اسـتعظم الأمر،اما حینما قتل غلاما فقد استنکر ذلک بقوه،و هکذا عند ما بنی جدارا لقوم لا یستحقون و لم یطالبهم بأجر.

و فی کل مره یذکره العالم بوعده و یعتذر منه موسی،حتی افترقا- (۶۵-۷۸)-.

لقد أخبره ان السفینه کانت لمساکین و انه سیقرر الملک مصادره السفن الصالحه فقط فأردت أن أعیبها لمصلحتهم.

اما الغلام فقد کان یخشی علی أبویه الکفر فأراد اللّه تبدیله بمن هو ازکی و أقرب رحما.

اما الجدار فقد کان تحته کنز لیتیمین،فأراد اللّه سبحانه و تعالی حصولهما علی الکنز کرامه لأبیهما الذی کان صالحا-(۷۹-۸۲)-
.

و فی اطار الحـدیث عن زینه الحیاه الـدنیا فی سوره الکهف تناول السـیاق أهم زینه منها و هی السـلطه و ضـرب لنا عن واقع ذی القرنین مثلا،کیف مکّن اللّه به فی الأرض و أتاه من کل شـیء سـببا و وسـیله اما هو فقـد مضـی علی طریق الأسـباب الی أهدافه النبیله،فبلغ مغرب الشـمس و سـار فی أهلهـا بالعـدل،و مضـی قـدما فی اتباع الأسـباب حتی بلغ مطلع الشـمس حیث وجـد الناس یعیشون حیاه بـدائیه،و حتی انهم لا یجـدون ما یسترهم عنها،و مضـی فی طریق الأسـباب فوجد منطقه جبلیه،کان أهلها یحتاجون الی سـدّ یحفظهم من غـارات یـأجوج و مـأجوج المفسـدین،فبـادر الی بنـاء السـدّ دون ان یطـالبهم بأجر،بل شـکر ربه علی نعمه السلطه.

انما یسخر طاقاتهم البشریه و مواردهم فی بناء الروم،فجعل زبر الحدید علی بعضها و أمرهم بأن ینفخوا فی النار التی اججوها حولها فلما تحولت الی نار و التحمت ببعضها افرغ علیها لباسا مصنوعا من النحاس المذاب،فأصبح سدا مرتفعا و منیعا، فلا استطاعوا عبوره و لا اختراقه.

و شکر ذو القرنین ربه علی هذه السلطه بدل ان یفرض علی الشعب حمده و شکره،و کما یفعله الملوک عاده.

و أنبأهم بأن السدّ لا یقاوم امر الرب،فإذا جاء الوعد الموعود فأن اللّه سیجعله دکاء و إذا بالناس یموج بعضهم ببعض و ینفخ فی الصور،و یجمع اللّه الناس علی صعید واحد جمیعا.

لیعرض علی أولئک العمیان الذین لم یبصروا آیات اللّه،و لم یسمعوا نصیحه المصلحین،یعرض علیهم جهنم لکفرهم باللّه.

و هکذا ضرب اللّه لنا مثلا،للمؤمن الذی تجاوز السلطه فملکها و لم تملکه و استفاد منها لأهدافه،و لم تستفد منه لها-(۸۳-۱۰۱)-.

و فی الدرس الأخیر من هذه السوره نجد أهم العبر القرآنیه المبثوثه فیها،و فی قصصها العجیبه،و من أبرزها ضروره توحید العبودیه للّه،و الا یتخذ العباد أولیاء من دون اللّه،و یبیّن القرآن ان الأخسرین أعمالا هم الذین ضل سعیهم فی الحیاه الدنیا و هم یحسبون انهم یحسنون عملا،بلی أولئک هم الکافرون بآیات اللّه،الذی لا یأبه بهم ربهم یوم القیامه بالرغم من مظاهر الزینه و القوه عندهم فی الدنیا لأنهم استهانوا بالآیات و الرسل،بینما الذین آمنوا و عملوا الصالحات فأن لهم جنات الفردوس نزلا،یخلدون فیها و لا یبحثون لها عن بدیل.

ص:۳۴۸

تلك السوره من كلمات اللّه و كلمات اللّه كثيره حتى لو كان البحر مدادا لكتابتها لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات اللّه.

و خلاصه كلمات اللّه توحيد اللّه،و الاعتقاد بأن الرسول بشر اوحى اليه،و ان من يرجو لقاء اللّه فعليه ان يعمل عملا صالحا،خالصا لوجه اللّه،و لا يشرك بربه أحدا.

ص:۳۴۹

سوره الكهف

[سوره الكهف (١٨): الآيات ١ الى ٨]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذِي أَنْزَلَ عَلىٰ عَبْدِهِ اَلْكِتٰابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً (١) قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَ يُبَشِّرَ
اَلْمُؤْمِنِينَ اَلَّذِينَ يَعْمَلُونَ اَلصّٰالِحٰاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً (٢) مٰاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً (٣) وَ يُنْذِرَ اَلَّذِينَ قٰالُوا اِتَّخَذَ اَللّٰهُ وَلَداً (٤) مٰا لَهُمْ بِهِ مِنْ
عِلْمٍ وَ لاٰ لِآبٰائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوٰاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاّٰ كَذِباً (٥) فَلَعَلَّكَ بٰاخِعٌ نَفْسَكَ عَلىٰ آثٰارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا
اَلْحَدِيثِ أَسَفاً (٦) إِنّٰا جَعَلْنٰا مٰا عَلَى اَلْأَرْضِ زِينَةً لَهٰا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٧) وَ إِنّٰا لَجٰاعِلُونَ مٰا عَلَيْهٰا صَعِيداً جُرُزاً (٨)

اللغه

١[عوجا]:اختلافا.

٢[قيما]:مستقيما معتدلا.

٣[باخع]:القاتل المهلك.

ص:٣٥٠

٨[صعيدا]:الصعيد ظهر الأرض أو الطريق الذى لا نبات فيه.

[جرزا]:الأرض التى لا تنبت كأنها تأكل النبته أكلا.

لنبلوهم أيّهم أحسن عملا

هدى من الآيات:

يحب البشر مصدر النعم.و يحمد أصحابها.بيد أن النعم من اللّه جميعا.فله الحمد كلّه.و أعظم نعمه و أفخم منّه الهدى الذى أنزله فى كتاب لا ـ عوج فيه يقوم به نظام حياه البشر،و يرتفع على صرحه بناء سعادته.و هو ينذر بأسا شديدا من لدن الرب و يبشر المؤمنين الصالحين بأجر حسن خالدين فيه.

هكذا بدأت سوره الكهف ببيان نعمه الهدايه التى تكتمل بها نعم اللّه و هى تنذر الذين أشركوا باللّه.و زعموا بأن له ولدا.أنها كلمه كبيره خرجت من أفواههم.

و كذب مبين(بلى أو ليس الشرك جذر الضلاله و الانحراف)و بالرغم من ذلك فعلى الرسول الاّ يهلك نفسه أسفا عليهم لأنهم لا ـ يؤمنون بالكتاب(انما يمتحنهم اللّه بزينه الأرض) و لقد جعل اللّه ما على الأرض زينه،و لكنها غير دائمه إذ يجعله اللّه بعدئذ صعيدا جرزا.

و هكذا لخصت آيات هذا الدرس دروس القرآن فى سوره الكهف.و بيّنت

ضروره التسلیم لکتاب اللّه،حیث تتم نعم اللّه،و ذلک عبر توحید اللّه.و عدم الانبهار بزینه الحیاه الدنیا.

بیّنات من الآیات:

اشاره

[۱]تبـدأ السوره بعـد« بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیمِ »تبـدأ بحمـد اللّه،و یترکز الحمد علی نعمه الهدایه،فنحن نحمد اللّه مره علی نعمه العیـن،نعمـه الیـد،نعمه العلم،نعمه الحرکه،نعمه الأکـل و الشـرب،نعمه المسـکن و الملبس،و لکن هـذه النعم تصـبح ضـئیله علی عظمتها فی مقابل نعمه الهدایه،إذ لو لا الهدایه لم تنفع نعمه اخری مهما کانت کبیره.الهدایه هی صبغه نعم اللّه سبحانه و تعالی و الطریق إلیهـا،فلو کـان هنـاک طعـام و شـراب و کنت محتاجا إلیهما و لکنک لم تعرف الطریق إلیهما، فهل یکونان بالنسـبه لک نعمه؟کلا..فالهدایه هی طریق الإنسان للاستفاده من النعم و التمتع بها.

و هـدایه اللّه تتکامـل فی کتـاب إلهی یوحیه الی عبـد من عباده یصـطفیه رسولا و یأمره بتبلیغ الرساله لبنی جنسه من البشـر،و فی الآیه اشاره واضـحه الی أن الهـدایه لا تکون أبـدا بمعزل عن الکتاب أی الرساله الإلهیه،و لا عن الرسول الـذی هو رجل من أهل الأرض.

سنن القرآن و سنن الطبیعه:

کتاب اللّه کتاب قویم یربط الإنسان ربطا مباشـرا بأهـدافه،و سائر النعم المتواجـده و المتوافره فی الکون،لـذلک یؤکد القرآن فی هذه السوره علی هذه الصفه فی الرساله.

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی أَنْزَلَ عَلیٰ عَبْدِهِ الْکِتٰابَ وَ لَمْ یَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً فکتاب اللّه یعطی البرامج الصـحیحه،و المناهج السـلیمه التی توصـل الإنسان الی

اهدافه المنشوده،عبر طریق مستقیم لا اعوجاج فیه و لا نتوءات،و بدیهی انه یکون أقرب الطرق و أسرعها.

و نجد هذا الاتجاه أیضا فی الطبیعه التی تجری سننها و قوانینها علی أساس التوصل الی الهدف من اقصر السبل و أسرعها،فمثلا الضوء و الصوت و الحراره و موجات المذیاع،تتحرک عبر أقرب و أفضل الخطوط،و عند ما تتعارض القوی فأن الطاقه المغناطیسیه أو الکهربائیه أو الطاقه الحرکیه للأجرام السماویه فی مداراتها الفلکیه تختار اقصر الخطوط المنحنیه فی الانتقال و هکذا فأن الطبیعه لا تحب التراخی و التباطئ فی أداء الأعمال و لا الالتواء فی المسیر الی الهدف و هکذا السبل القرآنیه، و هذا التطابق بین السنن القرآنیه و السنن الکونیه دلیل علی وحدانیه الخالق و رحمانیته،و ان له الحمد فی الأولی و الآخره.

الکتاب القیّم:

[۲] قَیِّماً لِیُنْذِرَ بَأْساً شَدِیداً مِنْ لَدُنْهُ وَ یُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِینَ الَّذِینَ یَعْمَلُونَ الصّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً کتاب اللّه کتاب متکامل و حکیم،فهو یجعل الأمور فی مواقعها و یعطی کل شیء حقه،بنسبه حاجته إلیه دون زیاده أو نقصان.

و ربما تشیر کلمه«قیما»الی هذه الفکره،و هی ان کل نظره و کل حکم شرعی و بالتالی کل وصیه و موعظه فیه إنما هی بقدر الحاجه،و بنسبه الواقع الخارجی، و بموازین دقیقه.

فمثلا حین یقول القرآن أن الزوج یرث نصف مال زوجته بعد موتها ان لم تخلف ولدا وراءها،فلا یعنی ذلک الا ان هذه الحصه تتطابق مع حکمه الحیاه و مع واقعیات الاقتصاد الأسری،مع حاجه الزوج و طبیعه العلاقه التی تربط الزوج

بالزوجه،أی ان هذا الحکم متطابق تماما مع کل الظروف المحیطه به دون زیاده أو نقصان.

و هناک تفسیر آخر لهذه الکلمه و هی ان القرآن لیس فقط رشیدا و حکیما و متکاملا فی ذاته،و انما هو أیضا یعطی التکامل و الحکمه للحیاه،و یقیمها علی أساس منظم و متین دون ای خلل أو ثغره،کما قال ربّنا سبحانه: «فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ الْقَیِّمِ» و قیمومه الکتاب.و الدین الإلهی،نابعه من قیمومه الرب سبحانه حیث یقول تعالی: اَللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاّ هُوَ الْحَیُّ الْقَیُّومُ فکل شیء یقوم به الرب فی عالم التکوین.و کل شیء یصلح بکتابه فی عالم التشریع.

و لأن الکتاب قیّم فهو یحفظ رسالات اللّه جمیعا.لأنه مهیمن علیها.و یحفظه اللّه من التحریف.و یحفظ به امه الإسلام.

أهداف الکتاب و حوافز الهدایه:

و هکذا فأن الکتاب حینما یرید ان یستفید الناس من الهدایه فأنه یثیر فیهم الحوافز النفسیه الملائمه التی تدفعهم الی الأخذ بها و العمل بمقتضاها.و من حوافزه:

الإنذار:

و هو الأبلغ أثرا فالإنسان بطبیعته یخشی الضرر أکثر مما یتوقع المنفعه فلو قیل لک إذا لم تقم بالعمل الفلانی فلن تحصل علی ملیون دینار،فأنک تهتم و تجتهد کثیرا لأن تتجنب ذلک الضرر.

و هکذا فأن من طبیعه البشر الهروب من الضرر،أکثر من البحث عن المکاسب و المنافع،لذلک فان الإنذار یلعب دورا اساسیا فی حیاه الإنسان.و الکتاب نذیر حق

ص:۳۵۵

بعذاب شديد ينزل من لدن الرب القوى العزيز.

الحافز الثانى:

و هو حافز التبشير،حيث يعد اللّه الإنسان حينما يهتدى بالكتاب،و يعمل وفق برامجه بالأجر الحسن و النعم الإضافيه،التى هى أعظم من تلك التى بيد الإنسان، حيث يمكث فيها مخلدا.

و هنا نجد إثاره لإحساس هام فى البشر و هو حب الخلود و الخشيه من زوال النعم، و يستفيد الكتاب من هذا الأحساس و تلك الخشيه ليدفع الإنسان الى تقبل الهدايه الإلهيه التى تضمن له ان يظل ماكثا فى نعم اللّه أبدا.

لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ هناك فرق بين البأس و الضر،إذ الضر قد يأتى من الطبيعه،أو بسبب المرض،أو ما أشبه،بيد ان البأس لا يأتى الا من جهه عاقله،و الكتاب ينذر الإنسان ببأس من عند اللّه،اى ان اللّه هو الذى يقدر و يمكر فيعذب،و هذا أبلغ فى الموعظه.لأن الخطر الذى يأتى من الطبيعه ربما يتمكن الإنسان من تجنبه بطريقه ما،و لكن سهم العذاب الذى يوجهه اللّه إليك لا يخطئ هدفه أبدا،لماذا؟لان اراده العليم القدير الذى خلق الكون و خلقك و خلق كل شىء هى النافذه حتما،فأين المفر من عذاب اللّه و أين المهرب؟و كما

جاء فى الدعاء: «و لا يمكن الفرار من حكومتك. »

العلاقه الوثيقه:

وَ يُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً هنا يسعى القرآن فى آياته الكريمه المره بعد الأخرى،و بتأكيد شديد و بأساليب

مختلفه من أجل ان يعمق الشعور عند الإنسان بأن هناك علاقه وثيقه بين عمله و بين حياته الحاليه و المستقبليه،و لكن الإنسان يريد ان يفهم كل شيء الا هذه الحقيقه، فهو يحاول ان يحصل على نعم اللّه دون ان يطيعه فى بذل الجهد المناسب و العمل الصالح و التعبير ب «يَعْمَلُونَ الصّالِحاتِ» يدل على الاستمراريه.

أى انهم لا- يزالون يعملون الصالحات و هذا هو المهم.حيث لا ينفع عمل صالح ما فى وقت معين.بل ينبغى ان تكون نيه العمل سليمه.و يكون سلوك الفرد سليما.

حتى تكون كل اعماله صالحه.

[۳] مٰاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً أين ذلك الأجر الحسن؟هل هو فى الدنيا أم فى الآخره؟أهو فى البرزخ أم يوم القيامه الذى يمتد خمسين الف سنه أم فى الجنه؟ القرآن لا يحدد و هذا يعنى الإطلاق،اى ان هذا الأجر أجر دائم يبدأ من الحياه الدنيا و يمتد عبر كل المراحل القادمه و حتى دخول جنات عدن.

و فى ذلك تطمين و بشاره للمؤمنين بأنهم ما داموا يعملون الصالحات،فلا داعى لأن يخافوا من الموت،بل انهم باندفاعهم الى الجهاد فى سبيل اللّه و إعلاء كلمته فأن الموت لا يكون بالنسبه لهم خساره أو انقطاعا للنعم،و انما هو مجرد انتقال من مرحله نعمها محدوده،الى مراحل اخرى نعمها أدوم و أعظم.

ألوان الشرك:

[۴] وَ يُنْذِرَ الَّذِينَ قٰالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَداً و أخطر ذنب يرتكبه الإنسان هو ان يخرج عن التوحيد الخالص،و يجعل للّه

شركاء فی وحدانيته، كأن يزعم جاهلا أن للّه ولدا سبحانه و تعالی عن ذلک،و هو الكامل المنزه عن كل نقص،و هو الغنی غير المحتاج الی الولد و غيره.

و قد تتخذ نسبه الولد الی اللّه تعالی صوره رمزيه غير صريحه،و هی ان يشرک الإنسان فی حكم اللّه و سلطته و ملكوته أحدا غير اللّه،فردا كان أم مؤسسه و تنظيما، و يعتقد أنه امتداد لسلطه و حاكميه اللّه.

و من المؤسف ان تنتشر هذه الخطيئه بين عدد كبير من المسلمين،و لكن بصوره خفيه دون ان يشعروا بها،حيث انهم يتبعون علماء السوء و يقلدون من يدعون الفقه و الاجتهاد و ليسوا كذلک،فهؤلاء يضلون من يتبعهم و يقتدی بهم،و بالتالی يحرفونهم عن خط التوحيد الی منزلق الشرک.

و لهذا فأن المسلم عند ما يريد ان يقلّد فی أمور دينه فعليه ان يتأكد من ان مقلّده انه عالم مجتهد و متق يدعو الی اللّه و باذنه،حتی تكون اعماله خالصه للّه،و يكون مسلما موحدا بحق.

[۵] مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَ لاَ لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً هؤلاء الذين يجعلون أبناء للّه و أندادا له،سواء كان ذلک صراحه أو ضمنا انهم يرتكبون خطيئه كبيره،و هم يعلمون فی أنفسهم يقينا أنما يقولونه و يدعونه هو الكذب بعينه،و لكنهم يسوغون ذلک عبر التبريرات الباطله،بهدف تحقيق المنافع و المصالح العاجله حسب تصورهم و تقديرهم.

ما علی الرسول إلا البلاغ:

[۶]العاقل يتعجب،كيف يترک أولئک البشر الطريق الصحيح و يتبعون طريقا

ص:۳۵۸

ملتويا ليهلكوا أنفسهم.

و كلما قوى إيمان الإنسان،و ارتفعت درجه حبه للآخرين و إحساسه تجاههم بالعطف و الحنان،كلما اشتد حزنه و غمه على هذا الانحراف،لذلك تجد رسل اللّه(صلوات اللّه عليهم)حينما يواجهون هذا الانحراف الكبير فأنهم يكادون أن يهلكوا أنفسهم لإصلاحه،فيؤكد القرآن هنا انه لا ينبغى للرسول أو المصلح عموما، أن يهلك نفسه فى سبيل هدايه الناس.

إن هذه حكمه من اللّه إذ خلق الناس ليمتحنهم،و ما على الرسول الا ان يقوم بدور الإنذار و التبشير.

فَلَعَلَّكَ بٰاخِعٌ نَفْسَكَ عَلىٰ آثٰارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً «زينه الأرض فتنه البشر» [٧] إِنّٰا جَعَلْنٰا مٰا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهٰا كل ذلك لهدف و حكمه.

لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً- إنما جعلنا ذلك لكى نبلو الإنسان و نختبره،حتى يتبين الذين يعملون الصالحات من الذين يرتكبون السيئات.

[٨]و لكن لا تغرك زينه الحياه فإنها لا تدوم،إنها أيام قليله و سنوات معدوده و تنتهى.

وَ إِنّٰا لَجٰاعِلُونَ مٰا عَلَيْهٰا صَعِيداً جُرُزاً

تصور مـدينه جميله تزخر بالحياه فيها أشـجار و حـدائق،و شوارع و بيوت،و رياش و امتعه،و وسائل..إلخ،و إذا بصاعقه قاصـفه،أو زلزال رهيب،أو حرب مـدمره تحول تلـك المـدينه الجميله الى صـعيد أملس و ارض جرداء،ففى فتره قليله لا تتعـدى (۱۶/۱)من الثانيه الواحده تحولت مدينه(هيروشيما)ثم مدينه(نجازاكى)ربما فيهما من المصانع و العمارات و المنشآت،الى ما يشبه الرماد.

على الإنسان ان يعتبر،يمكن ان ينجـذب الى زينه الحياه،و لكن ليس ذلك الانجـذاب المطلق،الـذى يفقـد معه قيمه و طريقه انما ينجذب الى الحياه فى حدود حاجته إليها،و فى نطاق احتفاظه بقدرته و سـيطرته على نفسه و على الحياه،فيصبح هو مالك الحياه لا مملوكا لمتاعها،و لا ننسى ذلك

الحديث الكريم المروى عن الأمام على عليه السلام الذى يقول فيه:

«ليس الزهد الا تملك شيئا،و انما الزهد الا يملكك شيء. »

ص:۳۶۰

[سوره الکهف (۱۸): الآیات ۹ الی ۱۶]

اشاره

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحٰابَ اَلْكَهْفِ وَ اَلرَّقِيمِ كٰانُوا مِنْ آيٰاتِنٰا عَجَباً (۹) إِذْ أَوَى اَلْفِتْيَةُ إِلَى اَلْكَهْفِ فَقٰالُوا رَبَّنٰا آتِنٰا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَ هَيِّئْ لَنٰا مِنْ أَمْرِنٰا رَشَداً (۱۰) فَضَرَبْنٰا عَلَى آذٰانِهِمْ فِي اَلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً (۱۱) ثُمَّ بَعَثْنٰاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ اَلْحِزْبَيْنِ أَحْصىٰ لِمٰا لَبِثُوا أَمَداً (۱۲) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنٰاهُمْ هُدىً (۱۳) وَ رَبَطْنٰا عَلىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قٰامُوا فَقٰالُوا رَبُّنٰا رَبُّ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلٰهاً لَقَدْ قُلْنٰا إِذاً شَطَطاً (۱۴) هٰؤُلاٰءِ قَوْمُنَا اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لاٰ يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطٰانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اِفْتَرىٰ عَلَى اَللّٰهِ كَذِباً (۱۵) وَ إِذِ اِعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَ مٰا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اَللّٰهَ فَأْوُوا إِلَى اَلْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً (۱۶)

اللغه

۹[الکهف]:الغار المتسع فی الجبل.

[الرقیم]:اللوح المکتوب فیه قصتهم.

۱۴[ربطنا]:شددنا و قوینا.

[شططا]:الخروج عن الحد بالغلو فیه و أصله مجاوزه الحد.

ص:۳۶۱

۱۶[مرفقا]:الیسر و اللطف.

ص:۳۶۲

أصحاب الكهف:

اشاره

السنه التی تجری

هدی من الآیات:

فی قصه أصحاب الکهف و الرقیم دروس و عبر فی بیان ضروره مقاومه الإنسان لجاذبیه الشهوات الدنیویه،و إثبات قدرته علی ذلک عن طریق الإراده الذاتیه أولا، ثم التوکل علی اللّه ثانیا.

و تبدأ هذه المجموعه من الآیات ببیان الإطار العام لهذه القصه،ثم تفصل الحدیث حولها تفصیلا.

بینات من الآیات:

قصه أصحاب الکهف و الرقیم:

[۹]ان قیام هؤلاء للّه و ثورتهم ضد الطغیان و تحریرهم لأنفسهم من ضغط المجتمع الفاسد،و بالتالی نصره اللّه لهم بطریقه غیبیّه،لا یشکل شذوذا فی سنن اللّه فی الحیاه،و لا تثیر عجبا،لأننا نراها و نلمس آثارها فی کل لحظه و فی کل شیء،

ص:۳۶۳

و هی تدل علی وجود حکمه فی تدبیر الکون و قوّه قاهره تجری تلک الحکمه.

فآثار القدره و الحکمه الإلهیّه واضحه،و أصحاب الکهف و الرقیم کانوا مجموعه بشر یعیشون مجمل هذه المعادله الکونیّه الحکیمه،اذن لا تعجب إذا جاءت ید الغیب و انتشلتهم من وهدتهم و حررتهم من اغلالهم.

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحٰابَ الْکَهْفِ وَ الرَّقِیمِ کٰانُوا مِنْ آیٰاتِنٰا عَجَباً

یقول المؤرخون: انه حین قتل یزید بن معاویه.سبط رسول اللّه أبا عبد اللّه الحسین(علیه السلام).و طاف برأسه البلاد کان الرأس یتلو من فوق القناه هذه الآیه الکریمه. أو تدری لماذا هذه الآیه بالذات؟لعلّه لبیان تلک المعادله الکونیه و لکی لا یتعجب الناس کیف ان الرأس الشریف یتلو القرآن.

و هکذا فأن ذلک الرأس المبارک یشیر الی ان الکون یجری ضمن معادله حکیمه من ابعادها نصره المظلوم إذ ان نصره المظلوم هی ضمن تلک المعادله التی أجراها ربنا سبحانه و تعالی فی کل ابعاد الکون.

و معنی هذه الآیه هو:هل تحسب ایها الإنسان ان ما جری لهؤلاء هو شیء عجیب؟کلا..

هناک آیات و حقائق تعودنا علی رؤیتها،و هناک حقائق لم نرها،فأنت إذا دخلت مدینه لأول مره قد تتعجب من لغه و عادات أهلها،و بناء بیوتها و جسورها، و نظام الشوارع و السیر فیها..إلخ،و لکن إذا بقیت فیها لمده سنه فکل شیء یغدو عندک آنئذ عادیّا.

و المجتمع یبادل بعضه بعضا التعاون و العمل،و الأحساس و الفکر، فیبدو لنا ذلک الشیء طبیعیّا جدّا لأن هذه السنن حیاتیّه،حیث جعل اللّه الناس یحتاج

ص:۳۶۴

بعضهم الى بعض،و هذه سنه إلهيه عظيمه و عجيبه،و لكننا لطول الألف بها نراها عاديه لا تثير فينا الاستغراب.

و الشمس كل يوم تطلع من هنا و تغرب من هناك،و تجرى بدقه و نظام،هذه سنه عجيبه و لكننا تعودنا عليها حتى أصبحنا لا نهتم كثيرا لهذا الأمر،اما إذا حدث كسوف كلى للشمس مثلا،فأن الناس يظهرون اهتماما بالغا لهذا الحدث و يهرع العلماء الى مراصدهم و اجهزتهم العلميه لدراسه هذه الظاهره.

و أن يحكم نظام طاغوتى فى بلد ما و يخضع الناس له راضين بالواقع المنحرف، هذا شيء ألفناه لكثره حدوثه و انتشاره حتى أصبحنا نعده شيئا طبيعيا،و لكن ان تتفجر ثوره الهيه و يقوم الثوار المجاهدون بإسقاط ذلك النظام الفاسد ليقيموا نظام الحق و العدل و الحريه،فذلك يعد شيئا غريبا و ينظر الناس اليه على انه معجزه عجيبه بينما هو فى الواقع سنه الهيه كسائر السنن التى نألفها.

و ربما تشير هذه الآيه الى ان الإنسان عند ما يرى حوادث و وقائع جديده عليه أو يسمع بها لأول مره فلا يحق له ان ينكرها،و يكذب بها،لمجرد انه لم يألفها و لم يتعود عليها،فعدم العلم بالشيء لا يعنى العلم بعدمه،و انما على الإنسان ان يتأمل فى سنن اللّه فى الخليقه،و ينظر الى عظمته و حكمته و قدرته، و يؤمن بكل ما يصدر عن اللّه عز و جل من قول و فعل.

و القرآن يذكر لنا:ان الملائكه عند ما بشروا إبراهيم عليه السلام بهلاك قوم لوط كانت امرأته قائمه،فضحكت فبشروها بإسحاق و من وراء إسحاق يعقوب فقالت: يَا وَيْلَتَىٰ أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هٰذَا بَعْلِي شَيْخاً؟إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ. قالوا:أ تعجبين من امر اللّه؟ و التعجب الذى ينهى عنه القرآن هو ذلك الذى يؤدى الى الاستنكار و عدم

التصدیق،اما التعجب بمعنی الانبهار بعظمه اللّه و قدرته التی تتمثل فی بدیع خلقه و إتقان صنعه،الذی یؤدی الی سمو الأیمان و کمال التصدیق فشیء حسن،إذ ان کل خلق اللّه یثیر العجب لدی التأمل و التفکر.

« أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحٰابَ الْکَهْفِ وَ الرَّقِیمِ کٰانُوا مِنْ آیٰاتِنٰا عَجَباً »؟! الکهف هو الفجوه فی الصخور الجبلیه،و الرقیم هی الکتابه-حسب أقرب التفاسیر-و تختلف التفاسیر هل ان أصحاب الکهف هم أصحاب الرقیم؟أم ان أولئک طائفه اخری؟ و یشیر حدیث شریف الی انهم کانوا طائفه اخری،و لکن بعض المفسرین یذکرون ان کلمه الرقیم تدل علی الکتابه التی نقشها قوم أصحاب الکهف علی باب الصخره،و لذلک سموا بأصحاب الرقیم.

حریه الإنسان تتحدی:

و مما یثیر العجب فی قصه أصحاب الکهف،قدره هؤلاء الفتیه من البشر علی الأفلات من أغلال الطاغوت،و قیود الثقافه الفاسده،من دون رساله و لا رسول.

فنحن نعرف ان اللّه یبعث رسولا الی قوم یعظهم فیؤمن به جماعه و یکفر آخرون، و لکن ان ینبعث ضمیر نقی فی مجموعه فتیه یعیشون تحت رکام الخرافات و فی ظل الظروف الفاسده فیثوروا و یتحرروا!!ان هذه قضیه تبدو غریبه و تثیر العجب، و لکن لدی التأمل الدقیق یتبین ان فطره الإنسان مهیأه لتمییز الانحراف من الاستقامه،و ان قدره اللّه و نصرته تعین الإنسان الذی یستجیب لنداء فطرته.

فکما ان اللّه یبعث رسولا،و ینزل علیه الملائکه و الکتاب،و یؤیده بروح منه، کذلک إذا استجبت ایها الإنسان لنداء فطرتک و اتبعت الحقیقه بعد ان عرفتها،فأن اللّه یزیدک هدی و یأخذ بیدک،و هذه هی حکمه بیان قصه أصحاب الکهف

حسبما يبدو،فلا تقل انک لست برسول و لم ينزل عليک وحى،ففيک من الفطره الإلهيه ما لو اتبعتها أعانک اللّه على ظروفک.

[۱۰] إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً لقد التجأوا الى الكهف حيث لم يجدوا فى الأرض ملجأ،و لم يكن هناک من يسمع كلامهم،أو يستجيب لهم فيعينهم،فأضطروا الى تلك الوسيله التى لم يكن امامهم غيرها.

و الإنسان عند ما تضطره الظروف للالتجاء الى كهف داخل جبل فى منطقه معزوله قفراء،فأن ذلك يعنى انه منقطع من كل أسباب القوه و الأمن،و مفتقد لكل نصير و معين،و هذا هو ما يحدث للذين يريدون ان يتحرروا من الأغلال،و يثوروا على الأوضاع المنحرفه.

و حينما لم يجد فتيه الكهف أحدا فى الأرض ينصرهم التجأوا الى رب السماء سبحانه،و دعوا اللّه أن يعطيهم أمرين:

الأول:الرحمه اى الخير و التقدم،و كل ما فى الحياه من أسباب السعاده و الفلاح.

الثاني:ان يهديهم الى الطريق السوى صحيح ان فطرتهم أوضحت لهم ان طريق قومهم خاطئ،و لكنهم لم يكونوا يعرفون الطريق البديل.و قوله تعالى:

«وَ هَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً ».يدل على ذلک.

خرق السنن الطبيعيه:

[۱۱] فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً

ان الضـرب على الأذان اشاره لطيفه الى ان أهم علامه للنوم عند الإنسان هى ثقل اذنه،و انقطاع سـمعه،و اما إغماض العين،فليس كافيا لأن يدل على النوم،إذ قد يغمض الإنسان عينيه و هو مستيقظ،و لكنه لا يمكن ان يقطع سمعه و هو كذلک.

هـذا من جهه و من جهه ثـانيه باسـتطاعه البشـر ان ينـام يومـا أو يومين بـدون أكـل أو شـرب،بينمـا نجـد هؤلاـء قـد نـاموا سـنين عديده،حتى انتهى العهد الفاسد،و هكذا كانوا يبدون فى مظهر الأموات،و لذلک يقول القرآن:

[۱۲] ثُمَّ بَعَثْنٰاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصىٰ لِمٰا لَبِثُوا أَمَداً فشبه ايقاظهم ببعث الموتى،بسبب طول فتره مكوثهم نياما،و لكن لماذا بعثهم اللّه يـا ترى؟ ذلـک لکى يرى النـاس أنه قوىّ قـدير،و ان حزب اللّه هو الغـالب،إذ أن هنـاک حزبـان فقط فى ساحه الحياه مهمـا اختلفت العنـاوين و الأسـماء،حزب المسـتكبرين الراضـين بحكم الظلم و الجور،و الآخر هو حزب اللّه الثائرين على الظلم و الجور.

و حزب اللّه لا يملكون الا أنفسـهم فى البدايه،حتى انهم يضـطرون للالتجاء الى الكهف،أو كما فى عصـرنا الى العمل السـرى أو الهجره من البلاد،و هذا دليل انقطاعهم عن الوسائل الماديه.

حينما نقارن بين أصحاب الكهف و بين الحكومه الطاغوتيه آنذاک،حيث كان الملک و أعوانه يملكون القوه و الهيبه و السلطان و كل الوسائل الماديه،نجد ان كفه أصحاب الحق هى الراجحه بالرغم من ذلک لأن الطواغيت كانوا يسيرون على طريق الخطأ،و لم يسـتطيعوا ان يحموا ما كانوا يملكون بينما نجـد أولئک الـذين لم يكونوا يملكون شـيئا الا أنفسـهم و إرادتهم،حموها بالإيواء الى الكهف اولا،و من ثم

كسبوا الجوله فى ساحه الصراع.

اما التفسير الظاهر للأحصاء فى الآيه فهو معرفه عدد السنين التى مكثوها فى الكهف.و على هذا التفسير يكون المراد من الحزبين هما الفريقان الذين اختلفوا فى عدد السنين التى قضوها فى النوم كما تشير الأحاديث التاليه.

هذا هو الموجز لقصه أصحاب الكهف أما التفصيل فتتعرض له الآيات القادمه..

[١٣] نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْکَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ القرآن يقص الأنباء بالحق فهو أولا:يذكر الأنباء صحيحه،و ثانيا:يهدف من ورائها اهدافا سليمه،اى عند ما تورد الآيات القرآنيه قصه فإنها تستهدف من ورائها تكوين حكمه صحيحه فى ذهن الإنسان،و اقامه حكم الحق فى العالم،و ثالثا:ان مجريات القصه تتطابق مع السنن الحق فى الحياه و هذه الأبعاد الثلاثه موجوده فى كل قصه من قصص القرآن.

إِنَّهُمْ فِتْيَهٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنَاهُمْ هُدىً ان هؤلاء الفتيه بشر و لم يكونوا رسلا،و لكنهم آمنوا بربهم و تحرروا من ضغط الجاهليه فأيدهم اللّه،و كذلك كل إنسان فى العالم يملك اراده التحرر،و عند ما يضعها موضع التنفيذ فأن هدى اللّه يأتيه و يؤيده.

و فى الأحاديث إنّ هؤلاء لم يكونوا كلّهم شبابا و لكن القرآن سماهم فتيه،لأن الفتى أقدر على التغيير و الثوره،و على ان يبدل مسيرته و منهاجه،و القرآن يتحدث عن هذه الثوره فى الآيه التاليه،و يبدو ان كلمه الفتى تشير إلى من يملك الفتوه و هى الرجوله و البطوله و الشجاعه

قال ابو عبد اللّه الصادق(عليه السلام)لرجل «ما الفتى

عندكم؟فقال له:الشاب،فقال:لا،الفتى:المؤمن،إن أصحاب الكهف كانوا شيوخا فسماهم اللّه فتيه بأيمانهم » (۱)[۱۴] وَ رَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ إِذْ قامُوا اى ثاروا و انتفضوا،و لكن لماذا يقول و ربطنا على قلوبهم؟ ذلك لأن الإنسان الذى يريد أن يتحرر من ربقه الطاغوت يرى-فى بدايه أمره-القضيه غامضه،ثم يتقدّم قليلا فتتضح معالمها أمامه،و لكنه لا يملك القدره الكافيه على الصمود و المقاومه،فهنا يزيده اللّه اراده و عزيمه،و يربط على قلبه حتى لا يتردد،و يستمر فى ثورته متحررا من الخوف.

ان بدايه القيام أن تنطلق أنت،و لكن بعد ذلك تجرى حلقات النهضه بطريقه متتابعه و بتأييد الهى،اى ان اللّه سبحانه و تعالى يتولى أمرها فيزيد الثائرين وضوحا فى الرؤيه،و يقوى معنوياتهم،و يوفر للثوره أسباب النجاح سواء بطريقه عاديه أو غير عاديه.

فَقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ هذه الكلمات الثوريه الشديده القاصفه كالرعد لا تصدر عاده الا عن رسول، و لكنها صدرت عن هؤلاء بتأييد اللّه،اى بعد ان ربط على قلوبهم.

ثم يعلنون انهم عازمون على المضى فى الثوره و عدم النكوص..

لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلهاً

ص:۳۷۰

۱- ۱) نور الثقلين ج ۳ ص ۲۴۵

و کلمه«لن»تدل علی الأبدیّه،أی مستحیل علینا أن نرجع الی واقعنا الفاسد،ثم یذکرون سبب ذلک:

لَقَدْ قُلْنٰا إِذاً شَطَطاً أی ان عودتنا الی افکارنا و أقوالنا السابقه هی ضلال و انحراف و شذوذ.

الجذریه:

لقد ثاروا ثوره جذریه،و هذه من سمات الثوره الرسالیه،فمنذ البدایه قالوا:لن ندعوا من دونه إلها أی لن نخضع لهذا الطاغوت و لا لطاغوت آخر یأتی مکانه،و لن نقبل ان یطاح بفئه حاکمه ظالمه لتستولی علی الحکم فئه أظلم منها و لکن باسم آخر و شعارات اخری،أو یذهب ملک فینصبوا ابنه مکانه و یظل النظام الفاسد کما هو.

فکلمه«إلها»تشیر الی عدم التخصیص بالملک الذی کان یحکم فی زمانهم،بل الی کل من یتصف بادعاء الندیه للّه سبحانه و هکذا کانت رؤیتهم صافیه.لأن اللّه سبحانه أیدهم و ربط علی قلوبهم.

و لذلک

جاء فی الحدیث المأثور عن أبی جعفر الباقر(علیه السلام)انه قال: «اما علمت إن أصحاب الکهف کانوا صیارفه یعنی صیارفه الکلام.و لم یعن صیارفه الدراهم » (1) [15]لقد قطعوا آیّه علاقه لهم بالماضی و سفهوه،و لم یکتفوا بذلک و انما أخذوا یسفهون الآخرین.

هٰؤُلاٰءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً

ص:371

1- 1) المصدر

فاستنكروا موقف قومهم الذين اتخذوا السلاطين و الرؤساء آلهه من دون اللّه.

لَوْ لاٰ يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطٰانٍ بَيِّنٍ إذا أراد الإنسان ان يسلك طريقا ما أو رجلا قائدا فليفعل،و لكن ان يأتی بحجه قاطعه و دليل قوی،و هكذا خطأ أصحاب الكهف منهج الكفار فی اختيار الإله بطريقه غير عقلانيه،و لم يخطئوا النتيجه فقط،و انما بدأوا بالسبب الجذر للانحراف،و هذه من أقوی و اعمق الثورات الثقافيه و السياسيه فی العالم،فهی لا تنظر الی النتائج الظاهره و الفساد القائم فقط،و إنما تبحث عن السبيل الذی سلكه الناس حتی وصلوا الی ذلك الفساد،أو طريقه التفكير التی أدت بهم الی هذه النتيجه.

سياسه الطاغوت:

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً هذه الآيه و آيات اخری شبيهه تشير الی ان الطغاه يؤطرون عملهم بأطار القدسيه،و يحاولون تضليل الناس و إيهامهم بأن ذلك هو من قبل اللّه سبحانه و تعالی،و يربطون أنفسهم بطريقه ما باللّه و بالمبادئ الساميه.

حتی ان هتلر الذی جلب الدمار للعالم كان يعتبر نفسه المنقذ الذی أرسله اللّه لأنقاذ البشريه،و الصليب المعقوف انما هو اشاره الی انه يمثل اللّه فی الأرض،و فی هذه الآيه يقول أصحاب الكهف:ان قومهم افتروا على اللّه الكذب،فقالوا:ان اللّه هو الذی أمرنا بأن نعبد تلك الألهه و هو بریء مما يدعون.

تأييد اللّه:

و أخيرا وصل أصحاب الكهف الی نتيجه و قرروا ان يعتزلوا قومهم فی البدايه ثم

ص:۳۷۲

يلتجئوا الى الكهف و يطلبون رحمه اللّه لينصرهم فى حركتهم الثوريه.

[۱۶] وَ إِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَ مٰا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّٰهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ من الذى قال لهؤلاء الفتيه إنهم إذا اعتزلوا الناس،و التجأوا الى الكهف،فأن اللّه سبحانه سينصرهم؟هل كان هناك رسول يبلغهم؟ كلا..و انما كان ذلك من إلهام الفطره،انه حينما يكون عمله اللّه العزيز فأن اللّه يؤيّده و ينصره.

التأييد الإلهى:

وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً اى ان اللّه سبحانه يهىء لكم الوسائل لتطبيق برامجكم.صحيح ان الوسائل منقطعه و الطرق مسدوده أمامكم الآن، و لكن اعتزلوا الكفار و المشركين،و التجؤوا الى الكهف و انتظروا رحمه اللّه فهى آتيه لا ريب،و انه سوف يهىء لكم السبل الملائمه ماديه و معنويه.

و هكذا نستوحى من هذه الآيه الكريمه أسلوبا للثوره و هو:اعتزال الطغاه و عدم اتباعهم،و انتظار رحمه اللّه،فلا نكون مستعجلين للحصول على النتيجه،و انما علينا بالصبر و انتظار الفرج.و كانت الثورات الإلهيه تبدأ هكذا عاده:يعتزل شخص أو مجموعه اشخاص،ثم يلحق بهم الآخرون،و تأتيهم الأموال و السلاح و الرجال من حيث لم يحتسبوا،و فى ذات الوقت يبدأ الحكم الطاغوتى بالضعف مع الزمن،و تظهر فيه الثغرات فتتهيأ الظروف لتفجر الثوره و من ثم انتصارها.

[سوره الكهف (۱۸): الآيات ۱۷ الى ۲۰]

اشاره

وَ تَرَى اَلشَّمْسَ إِذٰا طَلَعَتْ تَزٰاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذٰاتَ اَلْيَمِينِ وَ إِذٰا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذٰاتَ اَلشِّمٰالِ وَ هُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذٰلِكَ مِنْ آيٰاتِ اَللّٰهِ مَنْ يَهْدِ اَللّٰهُ فَهُوَ اَلْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً (۱۷) وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقٰاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ وَ نُقَلِّبُهُمْ ذٰاتَ اَلْيَمِينِ وَ ذٰاتَ اَلشِّمٰالِ وَ كَلْبُهُمْ بٰاسِطٌ ذِرٰاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرٰاراً وَ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً (۱۸) وَ كَذٰلِكَ بَعَثْنٰاهُمْ لِيَتَسٰاءَلُوا بَيْنَهُمْ قٰالَ قٰائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قٰالُوا لَبِثْنٰا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قٰالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمٰا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهِ إِلَى اَلْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهٰا أَزْكىٰ طَعٰاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَ لْيَتَلَطَّفْ وَ لاٰ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً (۱۹) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَ لَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً (۲۰)

اللغه

۱۸[بالوصيد]:الوصيد من أوصدت الباب أى أغلقته و جمعه و صائد.

ص:۳۷۴

وَ لْيَتَلَطَّفْ وَ لاٰ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً

هدى من الآيات:

و هذه المجموعه من الآيات الكريمه تبيّن لنا جانبا من قصه أصحاب الكهف، التى تشهد على هذه الحقيقه أن الإنسان قادر على أن يقلع من أرض الشهوات و الضغوط،و يحلق فى سماء القيم بقوّه إرادته و بنصره اللّه سبحانه و تعالى.

ان لطف اللّه بالإنسان لطف دائم و قديم و شامل،و لكنه بحاجه الى تحرك من قبل الإنسان نفسه،فلو تحرك الإنسان الى ربّه خطوه فسوف يتقدم اليه ربه فراسخ و أميالا.

ان فتيه الكهف حينما تركوا قومهم، و التجأوا الى الكهف طلبا لرحمه اللّه سبحانه و تعالى،فأن اللّه وسع عليهم الكهف،و ابعد عنهم الشمس حتى لا تحرقهم أشعتها،فكانت تشرق عن يمين كهفهم و تغرب عن شماله،بحيث تمنحهم الأشعه اللازمه للحياه دون أن تؤذيهم.

و من ناحيه أخرى فقد جعل اللّه نومهم بحيث،كانوا يتقلبون بسبب خفه نومهم، و هذا بدوره من رحمه اللّه سبحانه و تعالى،لأن بقاءهم على حاله واحده كان سيضر بأجسامهم كما أنه يخرق ثيابهم.

أما كلبهم فقد كان يربض أمام باب كهفهم باسطا ذراعيه،كما يفعل عاده عند ما يجلس للمراقبه،و الذى يمر عليهم يحسب أن هؤلاء مجموعه من الناس،جاؤوا الى هذا المكان للقيلوله،ثم الذهاب الى عملهم،لأن نومهم خفيف،و الكلب موجود،و هم يتقلبون ذات اليمين و ذات الشمال بالرغم من استيلاء النوم عليهم.

فقد حماهم اللّه سبحانه و تعالى من الأعداء بسبب الرعب،فالحيوانات كانت تخاف من الكلب،أما الناس فكانوا يرتعبون لأنهم إذ اطّلعوا على هذا الكهف و قد نام فيه هؤلاء،يرون و كأن ابطالا يربضون فيه فيولّون عنهم فرارا،و يمتلئون منهم رعبا.

لقد أبقاهم اللّه اجيالا و قرونا على هذه الحاله،حتى تشابهت حالتهم مع حاله الموتى،لأن اللّه لما أيقظهم عبر عن ذلك بالبعث.

جلس هؤلاء من النوم،و بعد أن انهوا تساؤلهم عن مدّه نومهم،و حيث بلغ أقصى تقدير لهم أنهم ناموا يوما أو بعض يوم شعروا بالجوع،و كان أحدهم يملك نقودا و كانت عباره عن سكه فضّيه دفعها الى وزير الملك،فتنكر بأن لبس ملابس الراعى و أخذ تلك النقود،و ذهب الى المدينه ليجد أمامه المفاجأه،فقد لاحظ أن المدينه تغيّرت و أن الأوضاع تبدلت.

كما ان النقود التى كان يحملها كشفت حقيقته و حقيقه جماعته،لأن حاشيه الملك و أعوانه لما افتقدوا هؤلاء كان بعضهم وزراء و اداريين كبار،بحثوا عنهم فى كل مكان فلم يجدوهم،فنشر ذلك الخبر كحادثه مهمه و كتب ذلك فى تاريخهم،

و كـانت الأجيـال تحفـظ هـذه القصه الغريبه و تتناقلهـا،الى أن جاء هـذا الوزير متنكرا بلباس الراعى،و معه تلك النقود المنقوش عليها صوره الملك فى ذلك العصر،فعرف الناس أنهم هم الذين يذكرهم التاريخ المدوّن لديهم.

بيّنات من الآيات:

اشاره

[١٧] وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذٰا طَلَعَتْ تَزٰاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ربّما يريـد السـياق ربط ثلاث حقائق ببعضـها فى هذه الآيه،و ليكوّن فى أذهاننا صوره ذات ثلاثه أبعاد:

البعـد الأـول:يرينـا آيه الشـمس،و كيف أن اللّه سـبحانه أجراهـا فى مسـيرها دون أن تتخطى المـدار المرسوم لها،و التزامها بنظام معيّن،و هذه لفته نظر الى السنن الكونيه التى يجريها اللّه بقدرته و حكمته.

البعد الثانى:إذا كيّف الإنسان نفسه مع هذه السـنن يسـتفيد منها،فالشمس التى تطلع و تغرب فى مسيره محدده إذا تعرض الإنسان الى وهجهـا بصوره مباشـره فسوف يتـأثر،و إذا ابتعـد عنها فسوف يتأذى،و إذا كان فى وضع معيّن فأنه يسـتفيد منها،و هكـذا فأن تكيّف الإنسان مع الشمس بصوره معتدله ينفعه.

البعـد الثالث:أن تكيّف الإنسان مع سـنن الكون لا يمكن الا بهـدايه اللّه سـبحانه،لأنه هو الـذى يحيط علما بهـذه السـنن،و يعرّف الإنسان بها.

و من خلاـل التـدبّر فى الآـيه يظهر لنا مـدى لطف العلاقه بين كلماتها،يقول القرآن: «وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذٰا طَلَعَتْ تَزٰاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذٰاتَ الْيَمِينِ» أى أن الشمس حينما تطلع فإنها تبتعد عنهم.

تزاور:تبتعد و تنحرف.و قال البعض ان ماده الحكمه نابعه من الزياره و تتناسب مع شروق الشمس كأن الشمس عاقله و مريده و هی ليست كذلك،و لكن الذی قدر للشمس حركتها حكيم و قادر و هو اللّه سبحانه و تعالی.

وَ إِذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ أی تعبر عنهم و تتركهم،و كلمه تقرضهم تتناسب و مغيب الشمس.

وَ هُمْ فِی فَجْوَهٍ مِنْهُ أی كان مكانهم متسعا و يعيشون فيه براحه تامه،و يقال أن باب الكهف كان علی الشمال،فكانت الشمس تطلع عن يمينه و تغرب عن شماله،و هذه هی مواصفات غرفه النوم الصحّيه،أن تكون واسعه،و لا تشرق عليها الشمس مباشره، و لكن قريبا منها، ذات اليمين و ذات الشمال.

ذٰلِكَ مِنْ آيٰاتِ اللّٰهِ و هنا ترتبط قصه الهدايه بقصه الشمس،و حركتها حيث أنها من آيات اللّه التی تشير الی حكمته و قدرته الواسعه.كما ان بقاء هذه الفئه فی الكهف هذه السنين من آيات اللّه.

مَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ما دامت هذه من آيات اللّه و حكمته،و تدل علی أن اللّه هو الذی جعل الأمور بسنن ثابته دقيقه،فعلينا أن نهتدی بهدی اللّه،و نلتمس المعرفه منه سبحانه.

وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً

ص:۳۷۹

أی یرشده الی طریق الحق،اللّه هو ولیّ الإنسان الذی یرشده،و یبیّن له المناهج الصحیحه فی الحیاه،و الذی یرید أن یتبع برامج اللّه و مناهجه هو المهتدی، و من یعرض عن ذلک فلیس هناک اله آخر یهدیه من دونه.

[۱۸] وَ تَحْسَبُهُمْ أَیْقٰاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ یمرّ علیهم الرجل فیراهم و کأنهم فی حاله الاستیقاظ،و هذا یدل علی أن نومهم کان خفیفا و لم یکن مستولیا علی کل حواسهم و أعضائهم،بحیث لم یمکن للناظر أن یکشف لأول و هله انهم نائمون،و لعله بسبب عیونهم المفتحه،و تقلبهم.

وَ نُقَلِّبُهُمْ ذٰاتَ الْیَمِینِ وَ ذٰاتَ الشِّمٰالِ و هذا التقلیب یسبب راحه الجسد،کما یسبب عدم تمزق الثیاب و تخرقها.

وَ کَلْبُهُمْ بٰاسِطٌ ذِرٰاعَیْهِ بِالْوَصِیدِ الکلب أیضا یربض علی باب الکهف،و کأنه یتربص بکل من تسوّل له نفسه من إنسان أو حیوان متوحش أن یدخل الکهف و یؤذی أصحابه.

لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَیْهِمْ لَوَلَّیْتَ مِنْهُمْ فِرٰاراً و من جهه ثانیه فأن مظهرهم کان ینم عن قوتهم و بطولتهم الخارقه،و یوهم الناظرین بأنهم مستیقضون و لیسوا نائمین،کان یبعث علی الخوف و من ثم الفرار.

وَ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً و هذا للدلاله علی أن منظرهم و مخبرهم کانا یبعثان علی الرعب،إذ أن من یراهم یخاف و عند ما یهرب و یبتعد فأن قلبه یمتلئ رعبا و من ثم لا یمکن أن یفکر

بالرجوع ثانیه،و هذه حمایه الهیه لهم من خطر الأعداء،ففی الأحوال العادیّه قد یخاف المرء من شیء و یهرب منه ثم بعد ما یهدأ و یترویّ فأنه لا یجد مبررا للخوف و من ثم یتمکن من العوده لذلک الشیء ثانیه.أما بالنسبه الی هؤلاء فانّ أسباب الرعب تبقی عند من یراهم حتی بعد ان یترکهم.

[۱۹]لقد ناموا هذه الفتره الطویله،و لکنهم بعد ذلک بعثوا من قبل اللّه سبحانه و تعالی لکی یسأل بعضهم بعضا.

وَ کَذٰلِکَ بَعَثْنٰاهُمْ لِیَتَسٰاءَلُوا بَیْنَهُمْ هنا نتوقف قلیلا لنطرح هذا السؤال:ما هی العلاقه بین بعثهم و ایقاظهم من الرقاد و بین سؤال بعضهم بعضا؟ ربما تکون العلاقه بین بعثهم و تساؤلهم،أن الإنسان حینما یکون نائما فأنه یکون غافلا عمّا حوله،و حینما یستیقظ فأنه یفهم و یعلم و ینشط فکره،و أول شیء یأتی الی الإنسان بعد الیقظه هو عقله حتی قبل ان تسمع أذنه،أو تری عینه،و تتحرک یده،فأن عقله یتحرک و عند ما یتحرک العقل فأنه یبحث عن معلومه جدیده.

و هذه الحاله توجد عند الإنسان حینما یبعث فی یوم القیامه،حیث یتساءل الناس بینهم یومئذ:کم لبثنا فی قبورنا؟ فبعضهم یقول:یوما،و بعضهم یقول:ساعه من نهار،المهم أنهم یطرحون هذا السؤال بینهم و یناقشونه،و هناک علاقه وثیقه بین قصه أصحاب الکهف و العبره منها،و بین قصه الإنسان فی رحلته الطویله من الحیاه الی الموت،و من الموت الی الحیاه سنذکرها مستقبلا إنشاء اللّه.

ص:۳۸۱

قٰالَ قٰائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قٰالُوا لَبِثْنٰا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فی البـدایه قالوا:یوما و کانوا یعتقدون انهم ناموا یوما کاملا،ثم بعد ما حددوا مسیر الشمس و فکروا جیدا،توصلوا الی انهم لم یناموا هذا المقدار فاستدرکوا قائلین:أو بعض یوم.

قٰالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمٰا لَبِثْتُمْ بعدئـذ أخذوا یفکرون أکثر و برزت امامهم عده تساؤلات..فربما کانت هناک شـجره امام الکهف فلم یجـدوها،أو شاهـدوا هنـا صـخره لـم تکـن مـن قبـل،و بلاـ شـک فـأن بعض التطـورات و التغیرات حـدثت فی الـبیئه المحیطه بالکهف،فتراجعوا عن قولهم،و علموا بأن هناک حقیقه مجهوله لا تزال غامضه علیهم،و هی طول مده نومهم، لذلک سـکتوا عن هذا الأمر و قالوا:ربکم أعلم کم لبثتم؟و کیف لبثتم؟

الطریق الی العلم:

و قبل ان ننتقل الی المجموعه الثانیه من الآیات،لا بأس ان نتـدبر قلیلا فی هـذه الآیه،ان رحله الإنسان من الشک الی الیقین،و من الجهل الی العلم،و من الغرور الی التبصر،تشـبه الی حد بعید رحله الإنسان من النوم الی الیقظه،فالنوم و سبات الجسم یشبه سبات العقل و العلم أی الجهل،فکما ان اللّه سبحانه هو الذی ینقل الجسم من حاله النوم و السکون الی حاله الیقظه و الحرکه،فهو أیضا الـذی ینقل العقل من حاله الجهل و الرکود الفکری الی العلم و النشاط الفکری الخلاق،فعلی الإنسان اولا:ان یهتدی الی جهله و هـذه بـدایه مسـیره العلم،فیقول:اننی لا اعلم، و لکن ذلک لا یعنی ان العلم غیر موجود،فاللّه یعلم،و لأن اللّه یعلم و أنا لا أعلم فلا بدّ أن أتحرک نحو اللّه حتی اقتبس من نور علمه.

و کلمه لبثتم تشمل عده تساؤلات:کیف لبثتم؟کم لبثتم؟ما هی مجریات الأمور و تطورات الأحداث التی أحاطت بکم فی هذه الفتره؟ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فی حصول الإنسان علی العلم علیه الا یصبح متجردا عن الواقعیات،فأجتهد فی تحصیل العلم الذی ینفعک،و لا تبحث فی أمور بیزنطیه جدلیه،فالقرآن یقول:أن هؤلاء جلسوا و خططوا و فکروا و قالوا:حسنا کم بقینا علی حالنا؟و کیف بقینا؟ تلک قضیه جانبیه،أما القضیه الأهم فهی الجوع،فلنتحرک الی ما یفیدنا و نفکر فی ما ینفعنا.

بورقکم:هو السکه الفضیه.

فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ان الإنسان المؤمن یبحث عن ازکی الطعام،زکاه مادیه و معنویه،فلا یبحث عن طعام یضره،کما لا یبحث عن طعام حرام،بل یراعی النواحی الصحیه و الشرعیه.

ثم یشیر القرآن الی مسأله عدم الإسراف فی الأکل،فلا ینبغی أن یأکل الإنسان بقدر میزانیته بل بقدر حاجته فقط،لذلک قالوا: «فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ» ای بمقدار ما تأکلونه و لیس أکثر من ذلک.

وَ لْيَتَلَطَّفْ ای لیکن تصرف الذی یذهب لیبحث عن الطعام و یشتریه مهذبا،و حرکاته لطیفه فو قد یشتری الإنسان طعاما بقدر حاجته،و لکن بعد العراک و الخشونه مع الناس،و لکن القرآن ینهی ایحائیا عن ذلک فیقول: «وَ لْيَتَلَطَّفْ» و هذا من آداب

المعامله.

وَ لاٰ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً و ذلك حتى لا يحس الأعداء بهم،و هذا يفيد بأن الذى يعمل عملا سريا عليه ان يتكتم على عمله،و أن يعمل بطريقه ذكيه بحيث لا يشعر أحدا بأن عنده عملا سرى،و لا يكفى أن يكتم عنهم نوع عمله فحسب بل حتى يكتم شخصه،و ذلك حتى لا يدفعه فضوله الى البحث و اكتشاف اسرار ذلك العمل،و هذا منتهى السريه و الكتمان المطلوب فى العمل الثورى الناجح.

[۲۰] إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَ لَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً اما يقتلونكم رجما و هو من أشد أنواع القتل و اما يضغطون عليكم فيسببون ارتدادكم عن ايمانكم و فى ذلك ابتعادكم النهائى عن الفلاح و السعاده،و هذا يعنى ان على الإنسان الا يعرض نفسه و بمحض إرادته لتلك الضغوط التى يخشى على نفسه منها،و لا يقول أحد انا لا يهمنى السجن أو التعذيب لأنى رجل صامد،فربما تكون الآن صامدا،و لكن غدا إذا صبّ عليك العذاب صبا فى سجون الطواغيت فقد تفقد ذلك الصمود و تنهار،و بانهيارك ينهار دينك،لذلك فأن أصحاب الكهف اتبعوا شروط التقيه و السريه من أجل الا تتسبب ضغوط الأعداء عليهم فى عودتهم عن دينهم الى دين الملك آنذاك،و بالتالى يحرمون من الفلاح و السعاده.و الواقع انهم كانوا-لفتره طويله-يعبدون اللّه فى السر.و أعطاهم اللّه أفضل الجزاء على ذلك

جاء فى الحديث الشريف المأثور عن أبى عبد اللّه الصادق(عليه السلام): «إن أصحاب الكهف أسرّوا الأيمان و أظهروا الكفر،و كانوا على جهار الكفر أعظم اجرا منهم على الأسرار بالأيمان » (۱).

۱- ۱) نور الثقلين ج ۳/ص ۲۴۴

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٢١ الى ٢٦]

اشاره

وَ كَذٰلِكَ أَعْثَرْنٰا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اَللّٰهِ حَقٌّ وَ أَنَّ اَلسّٰاعَةَ لاٰ رَيْبَ فِيهٰا إِذْ يَتَنٰازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقٰالُوا اِبْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيٰاناً رَبُّهُمْ
أَعْلَمُ بِهِمْ قٰالَ اَلَّذِينَ غَلَبُوا عَلىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلاٰثَةٌ رٰابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سٰادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ
رَجْماً بِالْغَيْبِ وَ يَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثٰامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مٰا يَعْلَمُهُمْ إِلاّٰ قَلِيلٌ فَلاٰ تُمٰارِ فِيهِمْ إِلاّٰ مِرٰاءً ظٰاهِراً وَ لاٰ تَسْتَفْتِ
فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً (٢٢) وَ لاٰ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فٰاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً (٢٣) إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ وَ اُذْكُرْ رَبَّكَ إِذٰا نَسِيتَ وَ قُلْ عَسىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ
رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هٰذٰا رَشَداً (٢٤) وَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَ اِزْدَادُوا تِسْعاً (٢٥) قُلِ اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ اَلسَّمٰاوٰاتِ
وَ اَلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَ أَسْمِعْ مٰا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاٰ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً (٢٦)

اللغه

٢١[أعثرنا]:عثر على الشيء اطلع عليه.

٢٢[رجما بالغيب]:ظنا من غير دليل.

[تمار]:من المراء و هو الجدال.

ص:٣٨٥

وَ أَنَّ السّٰاعَهَ لاٰ رَيْبَ فِيهٰا

هدى من الآيات:

كنّا مع أصحاب الكهف و قد بعثوا بأحدهم الى المدينه ليجلب لهم الطعام بما يكفيهم رزقا،و ذهب الرجل بعد(٣٠٩)سنه و قد دارت الدنيا و تغيّرت الأحوال و تبدلت الملوك،و جاء بسكه قديمه فعرفها الناس و تيقنوا أن هذا واحد من الذين خرجوا من ديارهم،و أسسوا نواه الحركه التوحيديه،تلك الحركه التى كانت فى ذلك اليوم و بعد السنين الطويله حاكمه على البلاد،ثم ماذا حدث بعد ذلك؟..و هل عاد هؤلاء الى كهفهم مره أخرى و ناموا فى رقده طويله لا يستيقظون منها الا يوم القيامه أو يوم الحشر الأصغر؟القرآن لا يجيب على ذلك و اللّه وحده العالم.

بيّنات من الآيات:

اشاره

[٢١]يذكرنا القرآن بحقيقه يجب أن نعتبر بها من خلال قصه أصحاب الكهف، و هى حقيقه البعث و النشور التى يلخصها

الحديث القائل: «كما تنامون تموتون و كما تستيقظون تبعثون »،و إذا فكر الإنسان بأنه قادر على مقاومه الموت فليبدأ ذلك

بمقاومه النوم،و إذا أراد الإنسان ان يعرف كيف يبعث بعد ان يموت فليفكر كيف يستيقظ بعد ان ينام،و إذا أراد الإنسان آيه تدل على ذلك فلينظر الى الحياه كلها، فالحياه جميعا موت و بعث.

البعث فى الحياه ليس شيئا بدعا،فكل شىء فى الحياه له بعث،و فى الإنسان نفسه دليل على البعث،كيف كان نطفه فى صلب أبيه،ثم فى رحم أمه،ثم ولد طفلا رضيعا،ثم نما فأصبح رجلا ضخما قويا أو ليس ذلك بعث؟ و هذه الأرض تراها مره فينزل اللّه سبحانه عليها ماء من السماء،فإذا بها تهتز و تخضر،ثم لا تلبث هذه الخضره أن تموت و تصبح هشيما تذروها الرياح.هذه قصه الحياه كلها.أو يكون صعبا على خالق هذه الحياه أن يحيى الناس بعد موتهم؟! هذا مع العلم بأن عقولنا القاصره الصغيره تعتقد بأن الإحياء بعد الموت أسهل عند اللّه من الإحياء بعد العدم،و هذه المعادله خاطئه بالنسبه الى قدره اللّه عزّ و جل، لأن قدره اللّه لا متناهيه،و هو لا يبذل مجهودا و لا يتعب حتى يكون عنده شىء أسهل من شىء آخر،و لكن بحسب مفاهيمنا و خبراتنا الحياتيه أن إعاده صنع شىء أيسر من ابتداء صنعه و اختراعه،فكيف نؤمن بأن الحياه لم تكن ثم كانت و لا نؤمن انها بعد اندثارها ستعود ثانيه؟ لذلك علينا ان نستفيد،من قصه أصحاب الكهف،هذه العبره.

وَ كَذٰلِكَ أَعْثَرْنٰا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ وَ أَنَّ السّٰاعَةَ لاٰ رَيْبَ فِيهٰا نستطيع ان نستخلص من هذه الآيه ثلاثه أمور:

أولا:صدق وعد اللّه لعباده المؤمنين الصالحين بالنصر،حيث نصر أصحاب

الکهف حین حماهم من بطش الطغاه،و نصر رساله أصحاب الکهف حین أباد أولئک الطغاه و حکم الصالحین فی البلاد،و جعلهم خلفاء و أئمه.

ثانیا:أراد اللّه سبحانه أن یعرّف الإنسان أن الأمور بیده،و أنه قادر علی ان یفعل ما یشاء من الأمور التی یتصور الإنسان انها مستحیله،و هی کذلک فعلا حسب قدره المخلوق المحدوده،أما حسب قدره اللّه المطلقه فهی سهله و میسوره،و ذلک مثل قضیه البعث و الأحیاء.

ثالثا:ان العلم و الجهل،و الهدی و الضلال،انما هو من قبل اللّه سبحانه و تعالی، فخلال هذه الفتره الطویله فتش الناس عن أصحاب الکهف الذین کانوا موجودین فی منطقه قریبه جدا منهم،بدلیل أن ذلک الرجل الذی بعثوا به لیشتری الطعام نزل من الکهف و توجه إلی المدینه من فوره،الا أنهم لم یجدوا لهم أثرا،و لکن اللّه اعثر علیهم عند ما أراد أن یعلموا بالأمر،فالعلم و أسباب العلم من اللّه سبحانه.

و السؤال ما هی العلاقه بین أن یکون وعد اللّه حقا،و ان تکون الساعه لا ریب فیها؟ الجواب:ان الساعه تدخل ضمن و عود اللّه،فقد وعد بها الصالحین و توعّد بها المجرمین،و نحن نستطیع أن نبصر ذلک من خلال مجریات الأمور فی الحیاه،و من خلال تدبرنا فی احداث التاریخ،و ان اللّه حینما یعد فأنه یفی بوعده فی الدنیا، و حینما وعد ان ینصر الصالحین فعل،و حینما وعد ان یستخلف المستضعفین فعل، و حینما وعد ان یعین المتوکلین علیه فعل،و اللّه سبحانه صادق الوعد،و ما دام کذلک فأنه یوم القیامه أیضا یفی بوعده.

زیاره القبور:

وقف هؤلاء علی باب الکهف،و وجد ان أولئک الذین کانوا الی ساعه قریبه

احیاء،قد ماتوا حینما شاء اللّه ان یموتوا،فالحیاه و الموت بید اللّه،فوقفوا مدهوشین:

کیف بقی هؤلاء احیاء هذه الفتره الطویله؟و کیف ماتوا فجأه؟ إِذْ یَتَنٰازَعُونَ بَیْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقٰالُوا ابْنُوا عَلَیْهِمْ بُنْیٰاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ماذا نفعل بهم؟کیف نمجدهم؟کیف نبقی ذکرهم حیا فی النفوس؟ قٰالَ الَّذِینَ غَلَبُوا عَلیٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَیْهِمْ مَسْجِداً اتخذ الملک و حاشیته و الذین کانوا غالبین علی امر الناس،قرارا ببناء مسجد علی مقابر تلک الطلائع الثائره.

و نتوقف هنا قلیلا لندخل فی حوار مع بعض المفسرین،فالمؤمن یجب ان یظل ذکره حیا فی النفوس لأنه قدوه حسنه،و القرآن الحکیم یبین دائما قصص الأنبیاء و یمدحهم من أجل ان یجعل منهم قدوات حسنه للأجیال،و من آثار المؤمن قبره، لذلک یستحب شرعا أن یزور المؤمن المقابر.

ان أفضل عمل نقوم به عند مقابر المؤمنین هو ان نتعبّد للّه سبحانه و تعالی هناک، و ان نقرأ القرآن و نتذکر الموت،و یعظ أحدنا الآخر،و نجدد ذکری هؤلاء و نبیّن رسالتهم التی عملوا لها و ماتوا من أجلها و نصلّی للّه،أو لیس من الأفضل أن نصلی للّه رکعات و نبعث بثوابها الی أرواحهم؟ و حینما نرید ان نجعل بیننا و بین الأموات من المؤمنین و الشهداء رابطه،أو لیست أعمال الخیر و البر،و الصلاه،و الدعاء،و تلاوه القرآن و ما أشبه خیر رابطه؟! بلی من هنا یذکرنا القرآن فی هذه الآیه: «الَّذِینَ غَلَبُوا عَلیٰ أَمْرِهِمْ» (و یبدو أنهم کانوا من المؤمنین)قالوا:لنتخذن علیهم مسجدا نتعبّد فیه للّه،و نتذکر القیامه، و نتذاکر سیرتهم،و القرآن یوحی لنا بأن هذا العمل عمل مشروع،بدلیل انه ذکره

و لم يستنكره أو ينهى عنه..كيف ذلك؟ اقرأوا القرآن و تدبروا فيه،لتعلموا ان هذا الكتاب الذى أرسله ربّ حكيم لا يتكلم الا بميزان دقيق،و هو لا يذكر لنا قصه تاريخيه و لا عملا قام به الأولون الا لأحد أمرين:أما لكى ينهى عنه أو لكى يأمر به،فإذا لم ينه عنه فهو يأمر به.

و هذا ردّ حاسم على البعض الذين يفتون بأن زياره قبور الأنبياء و الأئمه المعصومين عليهم السلام و الصالحين،و الصلاه و التعبّد فى مقاماتهم الشريفه،بدعه و ضلاله و حرام،و نحن نتساءل:من الذى قال أنه كذلك؟ ان القرآن فى هذه الآيه بالذات يبيّن لنا ان هذا العمل كان جيدا و مشروعا، و القرآن جاء ليطبق لا-لكى يناقش فى آياته حسب الأهواء،أو حتى حسب الأحاديث غير المعروف صحتها و وثاقه سندها،ثم ان الحديث مهما كان موثق السند،فأنه لا ينسخ القرآن،و الحديث الذى يتضارب مع القرآن لا بد ان نضرب به عرض الحائط!

المنهج العلمى لا الرجم بالغيب:

[۲۲] سَيَقُولُونَ ثَلاٰثَةٌ رٰابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سٰادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ اى ان الذى يتكلم دون ان يستند الى معلومات و حقائق ثابته،فمثله كمن يقذف حجرا فى الظلام الدامس،لا يعرف أحد اين يقع؟ وَ يَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثٰامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ لقد جاءت الآيه بكلمه رجما بالغيب قبل ان تقول سبعه و ثامنهم كلبهم،مما

یوحی بأن هذه الفکره لیست رجما بالغیب.

قُلْ رَبِّی أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مٰا یَعْلَمُهُمْ إِلاّ قَلِیلٌ فَلاٰ تُمٰارِ فِیهِمْ إِلاّٰ مِرٰاءً ظٰاهِراً هنا تنتقل الآیات من الحدیث عن البعث و عن وعد اللّه سبحانه،الی الحدیث عن قضیه اخری و تلک هی قضیه العلم،و ماذا یجب علی الإنسان أن یقول و یعتقد؟ ان علیه ألا یرجم بالغیب و الاّ یغتر بمعلوماته لأن علمه مهما بلغ فهو قلیل، و الذی عنده علم،علیه الا یضع علمه للمراء و الجدال،بل یمر علی المسائل الجدلیه العقیمه مسرعا ما أمکن،أی یؤمن بالحقیقه و یبیّن حجتها ثم یذهب،لأن المراء یفسد العلم،و یجعل فکر الإنسان متجها الی وسائل الاستعلاء علی الآخرین،و لیس الی الحقیقه،و بالتالی یصبح فکرا مستعلیا مستکبرا لا یستوعب الحقائق،و العلم هو ابن التواضع،و المعرفه بنت الخلق السمح،کما ان الاستکبار حجاب العلم، و الاستعلاء یهدم المعرفه.

وَ لاٰ تَسْتَفْتِ فِیهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً لو فرضنا أن جاهلا یرید ان یستفتی،فهل یبحث عن کل جاهل مغرور یجمع رکام الخرافات علی ظهره و یستفتیه فی أمور دینه و دنیاه؟کلا..

و ربما تدل هذه الآیه علی ما قلناه آنفا،و هو ان القرآن لاٰ ینسخ بالحدیث،و علینا الاّ نحجب انظارنا عن القرآن بحجب التاریخ،حیث نجعله منظارا ننظر من خلاله الی القرآن ان علینا ان ننظر الی القرآن و کأنه أنزل علینا هذه اللحظه،و الاّ نجعل آیات القرآن مدفونه فی أضلع التاریخ قبل ۱۴۰۰ عام،و کأن هذه الآیه نزلت لفلان،و الآیه تلک نزلت لفلان،و الآیه تلک نزلت لفلان،و ان الحادثه الفلانیه هی

التی استنزلت القرآن فی بدر أو أحد أو غیرهما،لقد انزل اللّه القرآن،لکل زمان و مکان و إنسان،فعلینا ان نقرأه بهذه الطریقه،و لعل هذه الآیه تشیر الی هذه الحقیقه،و انه ما دام القرآن قائم بیننا،فلم نذهب الی التوراه و الإنجیل،و الأفکار الموجوده فی الکتب المنحرفه و الأساطیر المبثوثه عند الناس،و نستفتی من یعرفها و یحملها؟

الحیاه بین تدبیر الرب و تقدیر العبد:

[۲۳] وَ لاٰ تَقُولَنَّ لِشَیْءٍ إِنِّی فٰاعِلٌ ذٰلِکَ غَداً [۲۴] إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اللّٰهُ وَ اذْکُرْ رَبَّکَ إِذٰا نَسِیتَ وَ قُلْ عَسیٰ أَنْ یَهْدِیَنِ رَبِّی لِأَقْرَبَ مِنْ هٰذٰا رَشَداً لأول وهله تبدو هاتان الآیتان غیر مترابطتین مع بعضهما،و لکن لنتدبر فیهما قلیلا..

لما کانت الحیاه تتطور باستمرار،کانت رسالات اللّه قد وضعت حسابات دقیقه لمتغیرات الزمان،و تطورات الأحداث،فیجب علی الإنسان ان یضع الرساله التی أنزلت علیه نصب عینیه فی کل تصرفاته و اعماله،و لا یترکها لأن فلانا قال کذا،أو أن السابقین عملوا هکذا.

و القرآن الحکیم یأمرنا بهذا فی الآیه الأولی،أما فی الآیه الثانیه فأنه یوجهنا الی موضوع دقیق،فیقول:ان علی الإنسان الا یضع لنفسه برنامجا طویل المدی دون ان یحسب حساب متطورات الزمان فی برنامجه،فاللّه سبحانه لا یأمر بشیء جامد،و انما یأمر بأتباع القیم التی تطبق فی کل وقت بصوره معینه.

لیس لک ان تقول غدا سأعمل العمل الفلانی،لأنه قد یأتی الغد و تتطور

الأحـداث فيه،و يكون الواجب عليـك عملاـ آخر يختلف عمـا عزمت عليه،فعليـك ان ترتبط باللّه و رسالته التى أنزلت عليك،و التى يفهمهـا عقلـك ارتباطـا وثيقـا مباشـرا، و لاـ ترتبـط بخطه معينه أو بتاريـخ معين،أو بأفكار سابقه،أو بكتب مكتوبه،أو ببرامج جامده،و هذا هو منتهى(التقدميه)فى القرآن ان صح التعبير.

أما ربط العمل بالمشيئه فله معنيان:

الأـول:المعنى الظـاهر و المعروف،و هو ان مواهبى و امكاناتى كإنسان، و امكانات الطبيعه و فرص العمل،كلها متصـله بإراده اللّه سبحانه،فان له ان يوفقنى غدا لعمل أو لا يوفقنى،و هذا الاستثناء بالمشيئه هو المعنى المألوف.

و من هنا

يقول الأمام على عليه السـلام : «عرفت اللّه بفسخ العزائم و نقض الهمم »اى انى عزمت على شـىء فجاء القضاء و فسخ عزيمتى،و هممت بشىء فجاء القدر و نقض همتى.

الثانى:ان اللّه إذا أمرنى غـدا بهـذا العمل فسوف أعمله،و إذا نهانى فسوف اتركه،فعملى و عـدم عملى غـدا مرتبط بما يأمر به اللّه غـدا و ليس اليوم،فقد يكون أفضل عمل اليوم هو الصـلاه و التعبد فى المسـجد، و لكن غدا قد يكون أفضل عمل هو الاشتراك فى التظـاهرات،و بعـد غـد أفضـل عمـل هـو العمـل المسـلح،و بعـده أفضـل عمـل ان اجلس على أريكـه الحكـم و ادير شـؤون الناس،فعلىّ دائما ان أضع خططى حسب ما يأمر به اللّه و ليس حسب مشيئتى و رغبتى،و اجعل هواى باسـتمرار موافقا لما يريـده اللّه سبحانه.

جاء رجل الى الامام الصادق عليه السلام فقال له الأمام:«كيف أصبحت؟فقال:

أصـبحت و اللّه و المرض خير لى من الصـحه،و الفقر خير لى من الغنى،و الـذل خير لى من العزه..إلخ.فقال الأمام:اما نحن فلسـنا كذلك.قال:فكيف أنتم؟قال:

نحن إذا أحب اللّه ان يمرضـنا،فالمرض أحب إلينا من الصـحه،و إذا أحب ان يرزقنا الصـحه فالصـحه أحب،فالفقر أحب مع رضا اللّه و الغنى أحب مع رضـا اللّه،و ان كان الـذل فى سبيل اللّه فهو محبوب،و إذا كان العز فى سبيل اللّه فهو المحبوب. » هـذه هى أهم صـفه للمؤمن و هى:أن يكون راضـيا برضا اللّه،و ان يعمل بما يأمر به اللّه و إذا وصلت الى هذه الدرجه فأحمد اللّه أنک قد بلغت مستوى رفيعا من الايمان،و الا فاسع للوصول الى هذا المستوى.

و لا بأس أن أضع برنامج للمستقبل،و لكن على شرط أن أستثنى فيه و أقول:

إنشاء اللّه،بحيث إذا تغيرت الظروف و تغير امر اللّه بالنسبه لهذا البرنامج،فانى سوف أغيره تبعا لذلک التغيير.

فى بعض الأوقات يـدخل الإنسان الى حزب باعتباره وسـيلته الى اللّه سـبحانه، و لكن شـيئا فشـيئا يتحول الحزب الى اله يعبـد من دون اللّه،و فى اخرى يتبع الإنسان أحـدا على أساس انه رجل مؤمن عالـم،و يجعله سـببا بينه و بين اللّه يبتغى بـذلک مرضاه ربه،و لكن شـيئا فشـيئا يتحول هـذا الرجل الى صـنم يعبد من دون اللّه، و كذلک فى بعض الأوقات يضع الإنسان لنفسه برنامجا ليطبقه امتثالا لأمر اللّه، و لكن شيئا فشيئا يتحول البرنامج فى حياته الى برنامج ضلاله وجبت.

حينمـا تتبع أحـدا و ظن نفسـک على أن تتبعه من أجل اللّه،و كـذلک حينما تنمى الى جماعه فاجعل انتماءک الى اللّه أقوى من انتمائک إليهم،و اطلب دائما من اللّه ان يرشـدک الى أتباع العالم الأفضل،و البرنامـج الأكمل،و الجماعه الأكثر ايمانا و تقوى، و كن دائما أمام زمانک،و لا تسمح لنفسک أن تصبح قطعه متحفيه مرتبطه بالتاريخ، أو حتى بما قبل التاريخ.

ص:٣٩٥

[۲۵] وَ لَبِثُوا فِی كَهْفِهِمْ ثَلاٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً كيف لبثوا هذه المده؟و بايه حاله و بتدبير ايه قوه؟ [۲۶] قُلِ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا لَبِثُوا لا تبحث حول هذا الموضوع،فاللّه اعلم كيف و متى و انّى لبثوا! لَهُ غَيْبُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَ أَسْمِعْ ابصر و اسمع و ما أشبه صيغ لغويه تفيد المبالغه و التعجب،اى أعظم اللّه بما يراه بصرك أو تسمعه أذنك إذ كل شىء تراه أو تسمعه فهو ايه للّه سبحانه.

مٰا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاٰ يُشْرِكُ فِی حُكْمِهِ أَحَداً ليس للّه شركاء من آلهه الثقافه و الحكم أو كهنه المعابد،انه الواحد الأحد و لا يشرك فى حكمه أحدا،لذلك على الإنسان ان يتصل مباشره باللّه سبحانه،و لا يجعل بينه و بين اللّه واسطه الا إذا امر اللّه بها و فى حدود ذلك لا أكثر.

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٢٧ الى ٣١]

اشاره

وَ اُتْلُ مٰا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتٰابِ رَبِّكَ لاٰ مُبَدِّلَ لِكَلِمٰاتِهِ وَ لَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (٢٧) وَ اِصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ اَلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
بِالْغَدٰاةِ وَ اَلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لاٰ تَعْدُ عَيْنٰاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ اَلْحَيٰاةِ اَلدُّنْيٰا وَ لاٰ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنٰا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنٰا وَ اِتَّبَعَ هَوٰاهُ وَ كٰانَ
أَمْرُهُ فُرُطاً (٢٨) وَ قُلِ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شٰاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شٰاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنّٰا أَعْتَدْنٰا لِلظّٰالِمِينَ نٰاراً أَحٰاطَ بِهِمْ سُرٰادِقُهٰا وَ إِنْ يَسْتَغِيثُوا
يُغٰاثُوا بِمٰاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي اَلْوُجُوهَ بِئْسَ اَلشَّرٰابُ وَ سٰاءَتْ مُرْتَفَقاً (٢٩) إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ إِنّٰا لاٰ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ
أَحْسَنَ عَمَلاً (٣٠) أُولٰئِكَ لَهُمْ جَنّٰاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ اَلْأَنْهٰارُ يُحَلَّوْنَ فِيهٰا مِنْ أَسٰاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ يَلْبَسُونَ ثِيٰاباً خُضْراً مِنْ
سُنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهٰا عَلَى اَلْأَرٰائِكِ نِعْمَ اَلثَّوٰابُ وَ حَسُنَتْ مُرْتَفَقاً (٣١)

اللغه

٢٧[ملتحدا]:ملجأ تعدل إليه.

٢٨[لا تعد]:من عدى يعدو بمعنى تجاوز.

[فرطا]:سرفا و افراطا.

٢٩[سرادقها]:السرادق هو الفسطاط المحيط بما فيه- و يقال السرادق ثوب يدار حول الفسطاط-و شبّه به لهب النار لأنه مخروطى الشكل يحيط بما حوله.

ص:٣٩٧

[كالمهل]:كل شىء أذيب كالنحاس و الرصاص...

[مرتفقا]:متكأ،أو مقرا.

۳۱[الأرائك]:جمع أريكه و هى السرير.

ص:۳۹۸

زينه الحياه و ضمانات الاستقامه

من الإطار العام:

إن من مظاهر اعجاز القرآن الحكيم،ان آياته الكريمه تتبع عده خطوط متوازيه و متناسبه،تتظافر على توجيه فكر الإنسان الى قضيه جوهريه معينه.فالسوره الواحده من القرآن تتحدث عن عده أمور تبدو متباعده،و لكنها آخر الأمر تصل الى هدف واحد،أو عده أهداف محدده و مترابطه.

و فى سوره الكهف،و كما اكدنا على ذلك فى بدايتها،نجد ان الموضوع الرئيسى فيها هو علاقه الإنسان بالحياه الدنيا،و موقفه من زينه الأرض و متاع الغرور و هى أشياء زائله،إذ أن يد القدره المطلقه و هى يد اللّه سوف تمسح زينه الحياه،و تدع الأرض صعيدا جرزا فى لحظه واحده.

و لذلك فأن على الإنسان الا يربط علاقته بهذه الزينه ربطا متينا،بل تكون العلاقه المتينه مع اللّه رب هذه الحياه و رب هذه الأرض،و تكون علاقته بزينه الحياه علاقه فوقيه يتملكها دون ان تتملكه.

ص:۳۹۹

فی قصه أصحاب الكهف كانت العبره الرئیسیه هی:إقلاع هؤلاء من ارض الزینه،و تحلیقهم فی سماء القیم،و قدرتهم علی تجاوز ضغط السلطه الطاغیه، و القرآن یحدثنا عن صوره اخری متقابله و معاكسه لصوره أصحاب الكهف،و هی صوره ذلك الرجل الذی اخلد الی الأرض و اتبع هواه،و تملكته زینه السلطه،و لم تنفعه نصیحه صاحبه.

هدی من الآیات:

لقد كان أصحاب الكهف مثلا لفرار البشر من جاذبیه الماده و زینه الحیاه الدنیا.و السؤال كیف نصبح أمثالهم،الجواب بما یلی:

أولا:العمل بالضمانات الوقائیه التی تخلص الإنسان من ضغوط زینه الحیاه، و كیف یمكن للإنسان ان یسوّر نفسه بقلاع تحفظه و تمنعه من تلك الضغوط.

و أولها:تلاوه القرآن و الارتباط المباشر بآیاته الكریمه،تلك الآیات التی لا تتبدل بالرغم من تبدل الحیاه و تطورها،و هذا هو المهم،إذ حینما تتعلق بزینه الحیاه فأنك سوف تتعلق بشیء یزول و لا یبقی،انه حبل ینقطع و جدار ینقض إذا،لا بد أن تتعلق بحبل متین و تعتمد علی جدار راسخ،و هو كتاب اللّه.

ثانیا:ان یكون انتماؤك الی التجمع الایمانی،و حینما تنتمی الی مثل هذا التجمع و تختار الأفراد علی أساس القیم الرسالیه،فسوف تحصن نفسك بسور آخر من أسوار الحمایه ضد ضغط الزینه.

ثالثا:التحدی و الاستعداد للصراع،و هذا یعنی استعداد الإنسان للصراع مع العدو و مواجهته،و هو سور آخر یحتمی به الإنسان من مغریات زینه الحیاه و متاعها الزائل.

بعد أن يبين السياق هذه الأسوار الثلاثه،يؤكد على بعض القيم المساعده على توجيه الإنسان فى هذا الاتجاه،و يبيّن:ان كل عمل يعمله الإنسان يحفظ له سواء كان صغيرا أو كبيرا،و سواء كان الإنسان منتميا الى الأيمان انتماء راسخا أو لم يكن كذلك.

ان العمل لا يضيع عند اللّه فى أى شكل كان،و بأى صوره ظهر،و اللّه يعوض الإنسان عن زينه الحياه الدنيا بالزينه الباقيه فى الحياه الآخره،تلك الحياه التى هى الحيوان عند اللّه المقتدر العزيز.

بيّنات من الآيات:

بين الثوابت و المتغيرات:

[۲۷] وَ اتْلُ مٰا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتٰابِ رَبِّكَ القرآن مصباح و نور،و على الإنسان ان يتلوه و ان يتبصر و يتعقل،و بالتالى فلا يمكن الاكتفاء بالنور عن الرؤيه،لأن الإنسان الذى يغمض عينيه سوف لن يرى شيئا،حتى و لو كانت الشمس فى كبد السماء.

و ربما يكون المقصود بالتلاوه هو التدرج،و أن يبحث الإنسان عن الشىء دفعه دفعه،و فكره فكره،و هذه قاعده منطقيه معروفه اليوم و هى:إذا أردت أن تعرف شيئا فقسمه الى أجزاء صغيره،حتى تستطيع ان تسيطر عليه و تفهمه.

لاٰ مُبَدِّلَ لِكَلِمٰاتِهِ و هذا يبين لنا أن هناك خطا ثابتا فى الحياه و خطا آخر متطورا،و الخط الثابت هو كلمات اللّه،و هو الذى يجب ان يتعلق به الإنسان،اما الخط المتغير فهو زينه الحياه

الدنیا،الذی یجب ان یسیطر علیه الإنسان.

وَ لَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً إذا أردت أن تعتمد علی شیء فلن تجد من دون اللّه من تعتمد علیه و تلتجئ الیه،فکل شیء ینهار،و لکن توکلک علی اللّه سبحانه و تعالی سوف یبقی،و هذا هو السور الذی یحمی کیانک.

الانتماء،شروطه و مقوّماته:

و بعد أن تهیأ نفسک فی البدایه،و تنتهی من تکوین شخصیتک،فأن علیک ان تبحث عن رفاق المسیره.

[۲۸] وَ اصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰاهِ وَ الْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ حینما ترید ان تنتمی الی جماعه فأن هناک عقبات فی طریق انتمائک و یجب ان تتجاوز هذه العقبات و ان تصبر نفسک علیها،فلکل انتماء ضریبه و علیک ان تدفعها و السؤال:من الذین تنتمی إلیهم؟ أنتم العابدون للّه لیلا و نهارا،و لکن الانتماء الی خطهم صعب و بحاجه الی صبر:

«وَ اصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰاهِ وَ الْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ» ابحث عن هؤلاء و أنتم إلیهم،و تجاوز العقبات،وضح من أجل انتمائک إلیهم، و لا تبحث حینها عن فوائد و مصالح خاصه،بل وطّن نفسک علی العطاء،و ان حسن

الانتماء ليس فى أن تحمّل افراد التجمع مؤنتك بل فى ان تحمل معهم اعباءهم، لذلك أكد القرآن هنا على كلمه الصبر.

وَ لاٰ تَعْدُ عَيْنٰاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَهَ الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا قد يتأثر الإنسان باهتزاز فى رؤيته الى الآخرين،و الى التجمع الذى يجب ان يتعلق به و يتفاعل معه،و ذلك الاهتزاز يأتى نتيجه ضغوط زينه الحياه الدنيا،قد يرى الإنسان مؤمنا عجوزا أعمى ان دفعه دفعه يسيره سقط و مات،يرى الى جانبه ذلك الكافر و لكن البطل القرشى ذا المال و النسب،فيعدّ هذا أحسن من ذلك، و يكون شأنه كشأن ذلك الرجل المسلم من أصحاب رسول اللّه مع ابن(أم كلثوم)، حيث اعرض عنه برغم ايمانه لأنه أعمى و فقير،و اقبل على من يمتلكون زينه الحياه و يفتقرون الى زينه القلوب(التقوى).فجاءت الآيات من سوره عبس تنذره و توعده.

اجعل نظرك معلقا على هؤلاء المؤمنين و اهتمامك موجها إليهم،و لا تسمح بتسرب الإزدواجيه فى الولاء الى نفسك،فتريد ان تنتمى الى جماعه رساليه،و فى نفس الوقت تنتمى الى أصحاب الحياه و الثروه،حتى إذا ما أحرز هؤلاء تقدما كنت معهم،و إذا حصل أولئك على مكاسب انثنيت إليهم،ليكن ولاؤك خالصا و لا تكن انتهازيا!!

من صفات القائد:

وَ لاٰ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنٰا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنٰا هذا التجمع بحاجه الى قياده،فمن هو القائد؟و ما هى صفاته؟ القرآن يقول:ان أهم صفه للقائد هى الروح الإيمانيه المتصله بذكر اللّه،فلا

ص:۴۰۳

تطع ذلک القائد الـذی لا یتبع مناهـج اللّه،و قلبه فارغ من التقوی،بالرغم من ان اعماله قد تکون فی طریق التقوی،کأن یصـلی و یصوم أو یبنی مسجدا و ما شابه، الاّ ان قلبه فارغ من ذکر اللّه.کلا إذ کل یعمل علی شاکلته،(أی علی نیته)و نیه الإنسان هی التی تصـبغ حیاته،و هـدف الإنسان هو الـذی یحـدد مسـیرته،فکثیرون یبنون المساجـد و المدارس و ینفذون المشاریع الخیریه..إلخ،و لکن بعـد أن یصـلوا الی دفه الحکم یتخـذون مـال اللّه دولاـ و عبـاده خولاـ!! فهل یجوز أن نتبع مثل هؤلاء؟ القرآن یقول:کلا..و یعطینـا مقیاسا نمیّز به من یصـح اتباعهم،و ذلک المقیاس هو القلب،فأن وجـدت قلب إنسان مضاء بـذکر اللّه فلک ان تتبعه،و الا فلا یغرّک مظهره.

وَ اتَّبَعَ هَوٰاهُ وَ کٰانَ أَمْرُهُ فُرُطاً إذا أردت ان تعرف هـذا الإنسـان یتّبع هواه،أو یتبع الرسـاله،فأنظر الی تصـرفاته،فالـذی یتبع الرساله تکون تصـرفاته و سـلوکیاته ثابته مسـتقیمه،و تسـتوحی هداها من برامج اللّه القویمه.اما تصرفات ذلک الذی یتبع هواه فهی تتغیّر حسب الهوی،و یکون امره فرطا ای غیر منظم،و هذا هو السور الثانی.و الخط الثانی للدفاع ضد غرور الشهوات.

و أما السور الثالث فهو:

[۲۹] وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکُمْ فَمَنْ شٰاءَ فَلْیُؤْمِنْ وَ مَنْ شٰاءَ فَلْیَکْفُرْ حینما تقرأ القرآن و تسـتلهم منه،و تنتمی الی التجمع الرسالی،آنئذ تحدّ المستکبرین و ادخل معهم فی المواجهه و الصراع،و لکن کیف یمکن تطبیق هذه الآیه

و الدنيا تمتلئ بالقوى الجاهليه؟ اللّه يقول:

إِنّا أَعْتَدْنا لِلظّالِمِينَ ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها سرادق النار فى جهنم أشبه بالمعتقلات التى تحيط بها أسوارا عديده،بحيث يستحيل على المعتقلين ان يتخطوها و يفلتوا منها،و دركات جهنم محيطه بأهلها و مغلقه عليهم،فأين المفر؟ وَ إِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ان أهم شىء يحتاجه الإنسان الملتهب بالنار هو الماء،و لكنه عند ما يطلب الماء فأنه يؤتى به شديد السخونه كالرصاص المذاب يشوى الوجوه.

و الإنسان حينما يشرب شيئا ساخنا يحترق فمه و جوفه،و لكن المهل لشده حرارته فأنه يشوى جلد وجه الإنسان قبل ان يشرع فى شربه،فما ذا يمكن ان يحصل للبطن و الأمعاء عند ما يستقر بها ذلك السائل الحارق؟ بِئْسَ الشَّرابُ وَ ساءَتْ مُرْتَفَقاً ليست جيده تلك الضيافه التى يضيّف اللّه بها عباده الظالمين،فى نار جهنم التى«ساءت مرتفقا»،و لكن اللّه ذكرهم فأرسل إليهم الرسل مبشرين و منذرين، و انزل القرآن فلم يستمعوا له و لم ينصاعوا للحق،و اختاروا لأنفسهم هذا المصير الأسود.

[۳۰] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ إِنّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً

ص:۴۰۵

و فی المقابل لا یضیّع اللّه أجر المحسنین،و انظروا الی التعبیر القرآنی حیث یقول:

«إِنّا لا نُضِیعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً» و لم یقل انا لا نضیع أجرهم و لعل معناه ان الأجر لا یضیع أنی کان و من أی إنسان کان،فالعمل الصالح إذا کان منک ایها المؤمن فأن اللّه لا یضیعه،فأما ان یعطیک جزاءه فی الدنیا و اما فی الآخره، و کذلک إذا کان من الکافر.فسوف لا یضیعه اللّه أیضا،فأما یعطیه جزاءه فی الدنیا أو یخفف عذابه فی الآخره.

و لقد قلنا سابقا:ان العمل الصالح تسبقه النیه الصالحه،حیث ان النیه الصالحه هی التی تعطی للعمل صبغه الصلاح،و بدونها یفقد العمل هذه الصبغه مهما کان ظاهره سلیما و صالحا.

[۳۱] أُولٰئِکَ لَهُمْ جَنّاتُ عَدْنٍ ای جنات باقیه دائمه بعکس الدنیا التی تزول.

تَجْرِی مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهٰارُ بعکس ذلک الشراب الذی یشوی الوجوه.

یُحَلَّوْنَ فِیهٰا مِنْ أَسٰاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ تماما بعکس تلک الضیافه السیئه.

وَ یَلْبَسُونَ ثِیٰاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ السندس و الإستبرق أنواع من الأقمشه الحریریه الفاخره.

مُتَّکِئِینَ فِیهٰا عَلَی الْأَرٰائِکِ

اى هم فى راحه و هدوء لا يجدون ما يجده الإنسان فى الحياه من تعب و نصب، و لا يحملون هموم العمل و الاسترزاق.

نِعْمَ الثَّوابُ وَ حَسُنَتْ مُرْتَفَقاً

جاء فى حديث عن الأمام على عليه السلام يذكرّ فيه بدعائم الأيمان يقول: «من تذكّر الجنه سلا عن الشهوات. »فإذا رأيت قصرا لظالم بناه بهدم بيوت الآخرين،فلا تسمح للشيطان ان يدفعك الى أنت تظلم الناس و تبنى قصرا مثله،و لكن قل إنشاء اللّه جعل لى قصرا فى الجنه أفضل منه.

و إذا حدثتك النفس الأماره باللجوء الى الكسل،و الراحه،و ترك الأعمال و الواجبات المطلوبه منك،فتحامل على نفسك و قل:إنشاء اللّه ارتاح على آرائك وثيره فى الجنه.

و إذا لمست رغبه عندك فى أن تتمحور حول أصحاب الجاه و الثروه،فأسبق الزمن بمخيلتك،و انظر الى نفسك و أنت فى الجنه بجوار الأنبياء و الأئمه و المؤمنين الصالحين،الذين هم أمراء الآخره و ملوكها و وجهاؤها،و بين الإنسان و الجنه خطوه واحده لا أكثر و هى الموت،و بين غمضه عين و انتباهتها تجد نفسك انتقلت من الدنيا الى الآخره.اذن ليفكر الإنسان بالحياه الأخرويه القادمه،و يتسلى عن الشهوات،و بمجرد ان يفكر الإنسان بالموت و القبر و الحساب،فأن نفسه تنصرف تلقائيا عن الشهوات،

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله : «اذكروا هادم اللذات »أى الموت، فلنكن معا من الذاكرين.

ص:۴۰۷

[سوره الكهف (۱۸): الآيات ۳۲ الى ۴۴]

اشاره

وَ اِضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنابٍ وَ حَفَفْناهُما بِنَخْلٍ وَ جَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً (۳۲) كِلْتَا اَلْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها وَ
لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَ فَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً (۳۳) وَ كانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقالَ لِصاحِبِهِ وَ هُوَ يُحاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مالاً وَ أَعَزُّ نَفَراً (۳۴) وَ دَخَلَ
جَنَّتَهُ وَ هُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هٰذِهِ أَبَداً (۳۵) وَ ما أَظُنُّ اَلسّاعَةَ قائِمَةً وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْها مُنْقَلَباً
(۳۶) قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَ هُوَ يُحاوِرُهُ أَ كَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوّاكَ رَجُلاً (۳۷) لٰكِنَّا هُوَ اَللّٰهُ رَبِّي وَ لا
أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً (۳۸) وَ لَوْ لا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ ما شاءَ اَللّٰهُ لا قُوَّةَ إِلاّ بِاللّٰهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مالاً وَ وَلَداً (۳۹) فَعَسىٰ
رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَ يُرْسِلَ عَلَيْها حُسْباناً مِنَ اَلسَّماءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً (۴۰) أَوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً
(۴۱) وَ أُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلىٰ ما أَنْفَقَ فِيها وَ هِيَ خاوِيَةٌ عَلىٰ عُرُوشِها وَ يَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً (۴۲) وَ
لَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَ ما كانَ مُنْتَصِراً (۴۳) هُنالِكَ اَلْوَلايَةُ لِلّٰهِ اَلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَواباً وَ خَيْرٌ عُقْباً (۴۴)

ص:۴۰۸

اللغه

۴۰[حسبانا]:عذابا كالصواعق و الآفات.

[زلقا]:الأرض الملساء و المستويه التى لا نبات فيها.

۴۱[غورا]:غائرا ذاهبا فى باطن الأرض.

ص:۴۰۹

الإنسان بين تأليه الماده و عباده اللّه

هدى من الآيات:

سبق و ان تحدثنا عن الإطار العام لسوره الكهف،و الذى يبين لنا نوعين من العلاقه بين الإنسان و الطبيعه هما:

أولا:علاقه السيطره و التسخير للطبيعه.

ثانيا:علاقه الانبهار بما فيها من زينه.

و فى هـذه المجموعه من الآيات يضـرب القرآن مثلا من تلك العلاقه التى تربط الكفار بالـدنيا،فيعتمـدون عليها و يحسـبون انها خالـده لهم،و لكنهـا لا تلبث أن تنتهى،و إذ ذاك يكتشـفون ان العلاقه الصـحيحه ينبغى ان تكون بينهم و بين ربهم، و ان الولايه الحق هى للّه لا للمال و الثروه،و لا للجاه و السلطه.

ص:۴۱۰

بيّنات من الآيات:

بين الشكر و الكفر:

[۳۲]رجل أعطاه اللّه جنتين،و توفرت له كل أسباب الزينه فبطر بها،و بدل أن يشكر ربه اغتر بما أعطاه من ثروه و نعمه،و بدل أن يعتزّ بمن أعطاه هذه النعمه، اعتز بالنعمه ذاتها،فی حين ان من اعطى النعمه خالد دائم و النعمه منقطعه زائله، و هو أولى بالشكر و العباده منها.

و حينما جادله صاحبه فی هذا الأمر جدالا حسنا،و حاول ان يذكره و ان ينذره و يحذره من عاقبه بطره و غروره،أخذته العزه بالإثم،فكان مصيره ان خسر جنتيه و لم تبق له الا أرضا جرداء خاويه على عروشها،قد غار ماؤها و احترق زرعها و أصبحت صعيدا جرزا.

و هكذا فقد استولت على الرجل كآبه فجرت قلبه،و ندم ندما شديدا على اغتراره بالنعمه،و اعتزازه بالولد و العشيره الذين لم ينفعوه شيئا فی محنته.

اما ذلک الرجل الفقير بماله و عشيرته،و الغنی بإيمانه بربه و توكله عليه،فقد أخذ يردد هناك:هنا لک الولايه للّه الحق.

و فی حديثه عن الجنتين،و عن علاقه ذلک المشرک بهما،يبين لنا القرآن بعض ضروب و عوامل الغنى التی وفرها لنفسه و لكنها لم تغنه عن اللّه شيئا، فأصبح يقلب كفيه و ليس فيهما الا الحسره.

وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ اولا:يجسد أحد الرجلين الأيمان المتسامی عن زينه الحياه الدنيا،بينما يستبد

بالآخر حب الدنيا،و يشغله متاعها الزائل.

ثانيا:امتلاك الرجل لأكثر من جنه،يشير الى بعض الأساليب الاقتصاديه التى يلجأ إليها الرأسماليون لضمان تدفق الأرباح عليهم،فإذا خسرت جنه هنا فإن الجنه الأخرى و التى تكون فى مكان آخر ستعوّض النقص و تعدل الميزانيه.

مِنْ أَعْنٰابٍ وَ حَفَفْنٰاهُمٰا بِنَخْلٍ وَ جَعَلْنٰا بَيْنَهُمٰا زَرْعاً و هذه طريقه يلجأ إليها المزارعون،فيحيطون بساتينهم بأشجار مقاومه للرياح و الأعاصير كالنخيل،و يزرعون الأعناب فى الوسط،و الأرض المتبقيه بين هذه و تلك يزرعونها بالخضراوات المختلفه.

[٣٣] كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهٰا شاء اللّه سبحانه ان يملى لذاك الرجل فأفاض عليه الخير فيضا،و أذن للجنتين ان تدرأ المحاصيل الوفيره،و هكذا إذا أراد اللّه بعبد سوء لسوء نيته فأنه يوسع عليه النعم فى بعض الأحيان،ليستدرجه و يبتلى ما فى داخل نفسه من سوء و فساد.

وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَ فَجَّرْنٰا خِلاٰلَهُمٰا نَهَراً لقد اعطى اللّه لذلك الإنسان تلك الجنان،فأعطت صاحبها كل ما يتأمله منها من ثمار طيبه،و لم تظلمه و لكنه ظلم نفسه،فواجه إحسان الخالق اليه بالإساءه الى نفسه،عبر غروره و استكباره،و اعراضه عن شكر ربه المنعم المتفضل.

دركات الهبوط:

[٣۴] وَ كٰانَ لَهُ ثَمَرٌ الملاك و الفلاحون و من لهم ارتباط بالأرض و الزراعه،يعلمون ان لحظه الحصاد

لحظه سعيده فى حياتهم،تبعث فى أنفسهم الغرور،لأنهم بعد صبر و انتظار طويل يرون الثمار و هى وفيره و زاهيه،فيختالون و كأنها ثمره جهدهم،و ينسون ان اللّه هو الذى زرعها و أينعها فى هذه اللحظه.

فَقٰالَ لِصٰاحِبِهِ وَ هُوَ يُحٰاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مٰالاً وَ أَعَزُّ نَفَراً أخذ يتعالى على الآخرين،اعتمادا على أشياء وقتيه زائله،و ليس فى الآيات دلاله على أن هذا الرجل كان له أنصار،و لعل غروره دفعه الى الاعتقاد بأنه ما دام يملك شيئا من المال فكأنه يملك الناس أيضا،لذلك قال:- «وَ أَعَزُّ نَفَراً» .

[۳۵] وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ وَ هُوَ ظٰالِمٌ لِنَفْسِهِ ان ظلمه لنفسه هو فى اغتراره بزينه الدنيا الذى جره للتعالى على الآخرين، و اعتقاده انه ما دام يملك المال فهو يملك الرجال.

قٰالَ مٰا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هٰذِهِ أَبَداً هذه هى العلاقه الخاطئه بين الإنسان و الطبيعه،و هى علاقه الاعتماد عليها و الركون إليها و كأن الطبيعه خالده له.

[۳۶] وَ مٰا أَظُنُّ السّٰاعَةَ قٰائِمَةً فى البدايه اغترّ بنفسه و قال: أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مٰالاً وَ أَعَزُّ نَفَراً ،ثم ظلم نفسه باعتقاده أن الجنه خالده له،ثم أنكر المعاد،و وصل الى نهايه دركات الهبوط حينما اعتقد بأن اللّه،و الدين،و الرساله،و كل القيم انما هى فى جيبه.

ان الإنسان يظل صالحا للهدايه ما بقيت فى نفسه جذوه الأيمان،و ما دام يعتقد ان عمله قد يكون خاطئا و لا يرضى اللّه عنه،أما حينما يعتقد بأن اللّه والدين تابعان

له،و يأخذ يبرر اعماله ببعض الأفكار الخاطئه،فآنئذ لا تترجى له الهدايه،فأنه يتحول من إنسان الى ما هو أحط من الحيوان.و ذلك حين يقول:

وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلىٰ رَبِّی لَأَجِدَنَّ خَیْراً مِنْهٰا مُنْقَلَباً اعتقد صاحب الجنتين انه ما دام اللّه قد أعطاه تلك الجنتين و فيهما نخل و أعناب و زرع،و أفاض عليه الخير فى الدنيا، اذن ففى الآخره سوف يعطيه أكثر، و ذلك استنادا الى معادله خاطئه و هى:ان العطاء فى الدنيا دليل رشاد و هدايه و فى هذه بالضبط هلاك الإنسان و خسارته الأكيده،إذ ان بسط اللّه للرزق و تقديره له، انما هو لامتحان العباد و ليس للتكريم أو الإهانه.

کیف نجبر ضعف الذات؟

[۳۷] قٰالَ لَهُ صٰاحِبُهُ وَ هُوَ یُحٰاوِرُهُ أَ کَفَرْتَ بِالَّذِی خَلَقَکَ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَهٍ ثُمَّ سَوّٰاکَ رَجُلاً هل وصل بک الحال أن تکفر باللّه؟و أنت تعلم علم اليقين کيف انه خلقک أطوارا فقدّرک،و انک لا تستطيع ان تعتمد على نفسک و قدراتک،فکيف تعتمد على الجنه الخارجيه التى هى نتيجه قدراتک و مکسب طاقاتک؟ لقد کنت ترابا،ثم أصبحت نطفه،ثم استويت رجلا،اى انک کائن تطرأ عليه التغيرات و لست على حال ثابته،و أنت معرض لکل الاحتمالات و الأخطار، فمثلک ينبغى ان يعتمد على رکن ثابت شديد لا يطرأ عليه التغير،و لا تجوز عليه الاحتمالات و هو اللّه،لا أن تعتمد على أشياء متحوله و متغيره کذاتک،لا تغنى عنک شيئا إذا هجمت عليک نوائب الزمان.

ان القرآن يعالج طبيعه الإنسان بعمق،لأن منزّل القرآن هو اللّه الذى خلق هذا

الإنسـان،و الخوف متوغـل فی اعمـاق الإنسان الـذی یری ان کل شـیء فی الکون و الحیاه، و حتی ذاته فی تغیّر مسـتمر و حرکه دائبه،و لا شـیء یثبت علی حاله،فهو فی قلق مما سیحدث له فی المستقبل،لذلک یحاول ان یعتمد علی شیء یطمئن الیه، و لکن بدل ان یدفعه هذا الخوف الی الاعتماد علی اللّه و التوکل علیه،و المزید من الالتصاق بمناهجه،فأنه کثیرا ما یلجأ الی الاستناد الی متاع الحیاه الزائل،و التکاثر فی الأموال،و لذلک ینبه القرآن الإنسان انه عند ما یخاف من تغیرات الحیاه و تقلبات الزمان فان هذا شعور سلیم،و لکن علیه الا یوجه هذا الشعور نحو المال لأنه یزول، بل یوجهه نحو الاعتماد علی شیء یبقی.

[۳۸] لٰکِنَّا هُوَ اللّٰهُ رَبِّی أی اننی لا أزال علی دینی.

ان کثیرا من الفقراء و المحرومین حینما یجدون امامهم أغنیاء یرکعون لهم، و یخضـعون لسلطان ثرواتهم،و بذلک یدفعونهم الی مزیـد من الاسـتغلال و الاسـتکبار، و القرآن یرفض ذلـک عـبر هـذه القصه و کـأنه یقول:ایهـا الفقراء علیکم ان تعتزوا بأیمـانکم باللّه،لأنه هو القادر علی أن یغنیکم کما اغنی هؤلاء.

وَ لاٰ أُشْرِکُ بِرَبِّی أَحَداً و یبدو ان السیاق هنا یسمی الخضوع للغنی شرکا و اتخاذا لإله غیر اللّه.

[۳۹] وَ لَوْ لاٰ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَکَ قُلْتَ مٰا شٰاءَ اللّٰهُ فی البـدایه اتخـذ الفقیر موقف الـدفاع، و حصّن نفسه من الخضوع للغنی،و لکنه الآن أخـذ زمان المبادره محاولا إصـلاح الغنی،و هـذا هو الـدور المطلوب من الفقراء، فقال له:لا بـد ان تدرک ان ما حدث انما کان بمشیئه اللّه و اذنه،و حسب قضائه

و قدره،لا حسب أرادتك و علمك.فلما ذا لا تقول:

لا قُوَّةَ إِلّا بِاللّهِ ثم انك الآن لا تستطيع ان تستفيد من هذه الثمار إلا بعون اللّه،و هكذا فأن الخير الذى حصلت عليه سابقا كان من اللّه،و الخير الذى تأمله فى المستقبل هو أيضا من اللّه،و هذا هو الإطار الذى يجب ان نتعامل به مع الطبيعه و الثروه و الغنى.

إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مالاً وَ وَلَداً ان غرورك و استعلاءك قد يدفعك الى خساره كل شىء،و آنذاك سأكون انا الذى تنظر اليّ باحتقار أفضل حالا منك،لأن القناعه كنز لا يفنى.

ثم انى آمل فضل اللّه بشكرى،و أنت تعرض نفسك لسخط اللّه بكفرك.

[۴۰] فَعَسى رَبِّی أَنْ یُؤْتِیَنِ خَیْراً مِنْ جَنَّتِکَ وَ یُرْسِلَ عَلَیْها حُسْباناً مِنَ السَّماءِ فَتُصْبِحَ صَعِیداً زَلَقاً هذا هو الفرق،فالفقير كان يتمسك بأهداب الأمل و يرجو رحمه اللّه،بينما الغنى كان يعتز بالغرور،و هذه عبره كبيره لك ايها الإنسان:ففى اى لحظه من لحظات حياتك سواء كنت غنيا أم فقيرا-أنظر نظره بعيده-فالغنى قد يتحول فقرا فلا تبطر،و كذلك الفقر قد يكون طريقا للغنى فلا تيأس،هذه هى تعاليم الرساله.

العقاب الإلهى:

يقول المفسرون:ان كلمه الحسبان تدل على الرمايه المحسوبه التى يقوم بها الرماه فى وقت واحد و الكلمه مأخوذه من لفظه الحساب،ثم اختلفوا:هل الحسبان عذاب من السماء،أم سيل فى الأرض،أم زلزال،أم ماذا؟

و أتصور ان الحسبان هو العذاب المحسوب و المخطط له،و فى هذه الحاله بالذات كان سيلا،و قد يعنى ذلك ان الكلمه تدل على سيل من السماء حول الجنتين.

صعيدا زلقا:اى أرضا جرداء غير قابله للزراعه مره اخرى.

[۴۱] أَوْ يُصْبِحَ مٰاؤُهٰا غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً أى يتسرب ماء النهر الذى يروى المزروعات الى باطن الأرض،بحيث لا يمكن الوصول اليه و الاستفاده منه.

ماذا حدث بعد ذلك تفصيليا لا نعلمه،و ما نعرفه ان هذا الرجل جاء الى باب بستانه فإذا بثمره الذى اغتر به،و الذى كان حصيله جهود مكثفه طوال سنين قد احيط به.

[۴۲] وَ أُحِيطَ بِثَمَرِهِ أى جاء عذاب و أصاب الثمار و أتلفها،ثم دمّر كل النباتات و الأشياء الموجوده.

فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلىٰ مٰا أَنْفَقَ فِيهٰا من عمر و من مال..

وَ هِيَ خٰاوِيَةٌ عَلىٰ عُرُوشِهٰا اى تهاوى بناؤها و وقع على بعضه.

وَ يَقُولُ يٰا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً

ص:۴۱۷

ای لم أشرک بربی شیئا،فأرکن للغنی،و اغتر بالثروه،و اعتقد بأن المال یضمن البقاء و الخلود.و القرآن یقول:«أحدا»و لا یقول:«شیئا»ربما للإشاره الی ان الإنسان الذی یعبد الغنی و الثروه الیوم سیعبد من یملکها غدا،و هو بالتالی یسیر فی خط الشرک.

[۴۳] وَ لَمْ تَکُنْ لَهُ فِئَهٌ یَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ لعله کان لهذا الرجل عصبه اعتقد بأنهم قادرون علی دفع عذاب اللّه عنه،فهو لم یکن واحدا،انما کان ضمن مجموعه من الأثریاء نسمیهم بطبقه الرأسمالیین و المستکبرین،و عبادته لم تکن للمال فقط،و انما لتلک الطبقه أیضا.

و لکننا رأینا ان تلک الطبقه تخلت عنه و ترکته حینما جاءه عذاب اللّه،لأنهم یریدون المرء ما دام ثریا مثلهم،أما إذا أصیب بنکبه و أصبح فقیرا فلا شأن لهم به.

وَ مٰا کٰانَ مُنْتَصِراً و حتی لو أرادوا ان ینصروه فأنهم لن یستطیعوا ذلک.

[۴۴] هُنٰالِکَ الْوَلاٰیَهُ لِلّٰهِ الْحَقِّ إذا أردت ان تعبد أحدا،و تعتمد علی رکن،فأعلم بأن اللّه هو ولیک و قائدک و إلهک فأعبده و اعتمد علیه.

هُوَ خَیْرٌ ثَوٰاباً وَ خَیْرٌ عُقْباً فهو الذی یعطیک الثواب الآن،و یؤملک به فی المستقبل.

ص:۴۱۸

[سوره الكهف (١٨): الآيات ۴۵ الى ۴۹]

اشاره

وَ اِضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ اَلْحَياةِ اَلدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ اَلسَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ اَلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ اَلرِّياحُ وَ كانَ اَللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً (۴۵) اَلْمالُ وَ اَلْبَنُونَ زِينَةُ اَلْحَياةِ اَلدُّنْيا وَ اَلْباقِياتُ اَلصّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَ خَيْرٌ أَمَلاً (۴۶) وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ اَلْجِبالَ وَ تَرَى اَلْأَرْضَ بارِزَةً وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً (۴۷) وَ عُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً (۴۸) وَ وُضِعَ اَلْكِتابُ فَتَرَى اَلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمّا فِيهِ وَ يَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا اَلْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلاّ أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً (۴۹)

اللغه

۴۵[هشيما]:الهشيم ما يكسر و يحطم من يابس النبات.

۴۹[مشفقين]:خائفين من وقوع مكروه.

ص:۴۱۹

و وجدوا ما عملوا حاضرا

هدی من الآیات:

ان سوره الکهف تبین العلاقه بین الإنسان و بین الدنیا و زینتها الزائله.

و قد ضربت لنا فی آیات سابقه مثلا فی قصه الرجلین اللذین کان لأحدهما جنتان من نخیل و أعناب و زروع،فاغتر بهما و اعتمد علیهما،و کانت عاقبته ان خسر الدنیا و الآخره.

و یلخص القرآن فی هذه الآیات العبره من هذه القصه،فیبین ان مثل الحیاه الدنیا و ما فیها من زینه،کمثل الربیع الذی لا یلبث ان ینقضی،و انما لا تنقضی الباقیات الصالحات.

و یصور القرآن لنا مشهدا من مشاهد یوم القیامه،حیث لا یستطیع الإنسان أن یمسک بیده شیئا الا ما قدّم من عمل،فان کان ما عمل صالحا،فهو خیر ثوابا و خیر

أملاـو الا فجزاؤه جهنم و لا يظلم ربک أحدا.و هکذا يحدد لنا نظره(مسئوله)الی زينه الحياه و ان المراد من تطوراتها هو فتنه البشر و ابتلاؤه ليعلم مدی مسئوليته.

و المثل الذی يضربه القرآن عن الحياه الدنيا و زينتها،مستوحی من دوره الربيع،حيث ينزل الماء من السماء فاذا بالنباتات المختلفه تخرج من الأرض، و تجعل الإنسان يزعم بأنها باقيه و دائمه،و إذا بأيام الربيع تنقضی و يأتی الصيف فتحرق الشمس اللاهبه کل تلک النباتات،و تحولها الی هشيم متفتت تذروه الرياح.

فما الذی يبقی بعد کلّ هذه الدوره؟ الشیء الوحيد الباقی هو قدره اللّه التی تغيّر و لا تتغيّر،تلک القدره التی کانت و لا تزال و لن تزول،و کما تتغيّر الطبيعه.بفعل تقدير الرب الحکيم.فان الدنيا کلّها تنقلب فی کف القدره الإلهيه،و تعود کما بدأت،و تقوم الساعه و يسيّر اللّه الجبال علی عظمتها،و تبرز الأرض بلا زينه و لا نتوءات.و يحشر اللّه الناس جميعا دون استثناء،و يقف الناس مصطفين امام رب العزه،و يقرر النداء الإلهی واقعهم الضعيف انهم عادوا کما خلقهم اللّه لا يملکون ایّ شیء.و ان هذه هی الساعه التی کفروا بها.و إذا بکتاب أعمالهم موضوع أمامهم يشفق منه المجرمون و يزعمون لأنفسهم الويل لأنّ الکتاب لم يغادر صغيره من أفعالهم و لا کبيره الا أحصاها.

هکذا تتجلی مسئوليه البشر و التی هی الغايه من زينه الحياه الدنيا.

بينات من الآيات:

مثل الدنيا:

[۴۵] وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا كَمٰاءٍ أَنْزَلْنٰاهُ مِنَ السَّمٰاءِ

الماء أنزله اللّه،فبدل ان نعتمد نحن على الماء،و نبنى حضارتنا و قيمنا الفكريه عليه كما فعل الفراعنه،ينبغى أن نعتمد على رب الماء و المهيمن عليه و على كل شيء و نبنى حضاره الهيه ساميه.

فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبٰاتُ الْأَرْضِ اى اختلط نبات الأرض بعضه مع بعض بواسطه الماء،و الماء هو الذى جعل هذه النباتات التى كانت بذورا تحت التراب تنمو و تختلط بقدره اللّه،و الإنسان يرى و كأن النباتات قائمه بذاتها،و لا يعلم بأن قسما كبيرا منها يشكله الماء،الذى جاء من السماء،و سوف يغور فى الأرض أو يعود الى السماء ثانيه عن طريق التبخر.و هنا لون آخر من ألوان الغرور و هو:اعتقاد الإنسان بان هذه الاعشاب نباتات،بينما هى فى الواقع مياه قد تشكلت بهذا الشكل،و إذا ذهبت تلك المياه فان تلك الاعشاب تتحول الى هشيم تذروه الرياح،لا تقف على سوقها،و لا تثبت فى مكانها.

فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيٰاحُ بعد ان كانت النباتات تبدو ثابته مستقره و مختلطه،بعضها يدعم بعضا،تحولت الى هشيم متفتت تنقله الرياح من مكان الى مكان.

وَ كٰانَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً و قدره اللّه هى التى تحرك هذه الدوره التى تشبه سائر دورات الحياه،و عند ما تنظر بمقياس تاريخى الى بعض الدورات التاريخيه،فانك ترى حضاره جاءت و نشأت و جرت عليها الأجيال،ثم اضمحلت و بادت و انتهت،و الشيء الوحيد الذى بقى لنا منها هو سنه اللّه و دلائل قدرته،و كلمه«كان»تدل على الماضى أو على

الاستمرار،فاذا دلت على الماضى فذلك يعنى ان الشىء الذى سبق كل هذه الحياه انما هو قدره اللّه،اذن فهى التى ستبقى لأنها كانت و لم تكن الحياه،و سوف تكون بعد ان تنتهى الحياه.

الباقيات الصالحات:

[۴۶] اَلْمٰالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا لأنها أشياء تشبه تلك النباتات التى تختلط و تلتف ببعضها،و هى زينه يجب ان يستفيد الإنسان منها على هذا الأساس لا أكثر،اما إذا أراد ان يعتمد عليها اعتمادا كليا فسوف يسقط.

و الورده الجميله الجذابه ذات العبق الطيب انما هى زينه،و لا يمكن ان تستند عليها لأنها تقع و لو فعلت ذلك فستقع معها.

و المال و البنون هكذا،فبقدر ما تتعب و تحصل على المال و تبنى بيتا تستفيد منه، أو تحصل على بنين يسر قلبك لمرآهم،و ترتاح نفسيا بهم،بهذا المقدار سائغ لك،أما أن تغترّ بالمال و البنين فهذا خطأ كبير،لأن هذا المال ليس باق و حتى إذا بقى فأنت لا تبقى له،و البنون لا يبقون لك أو لا تبقى معهم،و ينتهى دورهم بانتهاء دور الزينه.فما الذى يبقى لك؟ عملك هو الذى يبقى.و ما تدخره لنفسك من الصالحات هو الذى يدوم،و هو الذى يشكل زينه الحياه الآخره.

وَ الْبٰاقِيٰاتُ الصّٰالِحٰاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوٰاباً وَ خَيْرٌ أَمَلاً فبدل أن تدخر جهدك فى الأموال و تكدّسها على بعضها ثم تذهب فى لحظه

واحده،أو تتعب نفسک و ترهقها من أجل الأولاد ثم فجأه یقلبون علیک ظهر المحن و یترکونک وحدک،بدل کل ذلک اعتمد علی اللّه بالأعمال الصالحه.

ما هی الأعمال الصالحه؟ أن تجلس فی البیت و تذکر ربک و تسبحه؟و تصلی الفرائض الخمس بنوافلها؟ أم تزکی و تخمس؟أم تجاهد؟أم تبنی مصنعا و تعبّد شارعا من أجل اللّه و فی خیر المجتمع؟ کل ذلک عند ما یکون خالصا لوجه اللّه،فهو من الباقیات الصالحات،و هی تنقسم الی نوعین:

النوع الاول:ما یری الإنسان جزاءه علیه فی الآخره فقط،و ان کان یعود بالفوائد المعنویه فی الدنیا کالصلاه،و التسبیح،و الذکر و غیرها.

النوع الثانی:ما یری الإنسان جزاءه فی الدنیا أیضا کما لو بنی حضارته،ذلک لأن الحضارات هی المکاسب البشریه الباقیه،فما تأکله و تشربه لیس حضاره،أما الذی تبنیه فهو جزء من الحضاره،و الذی تعرفه قد لا یکون من الحضاره،و لکن الذی تقوله أو تکتبه من العلوم فهو من المکاسب الحضاریه،و بتعبیر آخر من المدّخرات الحضاریه للمستقبل.

و الحضاره انما تبدأ،و تنمو،و تبقی عن طریق أولئک الذین یفکرون فی المستقبل فیدّخرون الأعمال الصالحه للمستقبل،یعبّدون الطرق،و یعمّرون المدن،و یبنون المصانع.و..و..التی تبقی.

و الامه التی تستهلک أکثر مما تنتج،و تهدم أکثر مما تبنی،و تفسد أکثر مما

تصلح،فانها لا حضاره لها و مصيرها الى الاندثار.

أما المجتمع الذى يعمل فيعطى لما يبقى أكثر مما يعطى لما يفنى،و ينتج أكثر مما يستهلك،و بالتالى يصلح أكثر مما يفسد،فانه مجتمع يبنى الحضاره و يحميها.

و نظره القرآن للمستقبل تنقسم الى شقين:

نظره الى المستقبل فى الحياه الدنيا،و نظره الى المستقبل فى الآخره،و

الحديث الشريف يقول: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا،و اعمل لأخراك كأنك تموت غدا ».مشيرا الى هذا المفهوم،و هو:ضروره العمل للمستقبل بشقيه الدنيوى و الأخروى.

و يشدد الإسلام على هذا الموضوع أكثر حينما

يقول رسول اللّه صلى الله عليه و آله : «إذا قامت الساعه و بيد أحدكم فسيل فليغرسها »،اى إذا كان بيدك شتله،و رأيت أشراط الساعه قد ظهرت و قامت القيامه،فلا تتوقف عن عملك،بل اغرس تلك الشتله،و ذلك تأكيده على ضروره العمل للمستقبل.

صور من القيامه:

لكى تتعادل نظره الإنسان فلا يغتر بالحياه الدنيا،لا لكى تتعادل نظره الإنسان فلا يغتر بالحياه الدنيا لا بدّ أن يذكّر بالآخره.و بمدى حاجته هنا لك للباقيات الصالحات.و هكذا يذكّرنا الرب هنا بذلك اليوم الرهيب.بلى ذلك اليوم الذى تعود الدنيا كما بدأت و تنتهى هذه الدوره الحياتيه على الأرض التى تشبه دوره الربيع.

الم يقل ربنا «مَثَلُ الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا» بلى ذلك كان المثل و هذه هى الحقيقه،و ان قدره اللّه التى قلبت الطبيعه عبر فصول العام هى التى تقلبها عبر دوره الوجود.

و لو نظرنا الى الوجود من خلال هذه البصيره القرآنيه إذا لهانت زينه الدنيا فى

أعيننـا،و لتحمّلنـا مسـئوليتنا،و أخـذنا من هـذا المعبر السـريع لـذلك المنزل البـاقى،أ ليس كـذلك؟دعنـا نعيش لحظات فى عمق المستقبل الحق.فى يوم النشور الرهيب.

و ينتقل بنا السـياق ليصور لنا مشـهدا من مشاهـد القيامه،حيث تنتهى جاذبيه الأرض-كما يبـدو لى-و تصـبح كالعهن المنفوش و تنبث بثا و تسيّر تسييرا.يقول تعالى:

[۴۷] وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبٰالَ هذه الجبال على عظمتها و ضخامتها تتحرك،و إذا تحركت الجبال و لم تثبت فى مكانها فهل أستطيع أنا أن اثبت فى مكانى؟ كلا..كـذلك زينه الحياه الـدنيا،فلا يمكنك أن تعتمـد على شـىء و تركن إليه، لان هـذا الشـىء غير ثابت للأبد.

وَ تَرَى الْأَرْضَ بٰارِزَةً لا شىء يستقر على الأرض،لا بناء و لا شجر و لا تلال،فتصبح بٰارِزَةً.

وَ حَشَرْنٰاهُمْ فَلَمْ نُغٰادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً فلا ينسى اللّه أحدا لان قبره فى مكان بعيد،أو لأنه مات منذ زمن طويل،أو لأنه لم يسجل اسمه فى القائمه،لا شىء من ذلك أبدا،فكل الناس بلا استثناء يقفون على أرض المحشر التى تكون بارزه،مكشوفين لا شىء يسترهم.

[۴۸] وَ عُرِضُوا عَلىٰ رَبِّكَ صَفًّا

ثم تأتی مرحله الاصطفاف بین یدی اللّه عز و جل،فی صفوف لا یعلم مداها، الا اللّه حیث یتواجد آنذاک کل الناس الذین خلقهم اللّه منذ ملایین السنین و الی یوم القیامه.

لَقَدْ جِئْتُمُونٰا کَمٰا خَلَقْنٰاکُمْ أَوَّلَ مَرَّهٍ أین الأموال؟و أین البنون و العشیره؟و أین الألقاب و المناصب؟لا شیء بقی من ذلک الیوم.

بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَکُمْ مَوْعِداً کنتم تتصوّرون ان یوم القیامه لن یأتی و قد أتی الیوم،فأین أنتم منه؟

قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله عن الناس یوم المحشر: «یحشرون حفاه عراه غرلا-(و الغرل هم الغلف)فقالت عائشه حین سمعت ذلک:و اسوأتاه!أ ینظر بعضهم الی سوأه بعض من الرجال و النساء؟!فقال صلی الله علیه و آله :لکل امرء منهم یومئذ شأن یغنیه و یشغل بعضهم عن بعض. » فابصارهم تکون شاخصه الی الأهوال و الاحداث الرهیبه التی تأخذ مجراها فی ذلک الوقت،و یکون تفکیرهم منصبا علی مصیرهم.

[۴۹] وَ وُضِعَ الْکِتٰابُ فَتَرَی الْمُجْرِمِینَ مُشْفِقِینَ مِمّٰا فِیهِ و یتعجبون:کیف رصدت کل التفصیلات الدقیقه،المادیه و المعنویه فیها فیرتجفون خوفا،لان کل جرائمهم مکتوبه،و هم مسئولون عنها.

وَ یَقُولُونَ یٰا وَیْلَتَنٰا

أی الویل و الثبور علینا.

مٰا لِهٰذَا الْکِتٰابِ لاٰ یُغٰادِرُ صَغِیرَةً وَ لاٰ کَبِیرَةً إِلاّٰ أَحْصٰاهٰا کل سیئه أو خصله أو حاله نفسیه مسجله فی الکتاب،و حتی النوایا القلبیه و الأفکار الذهنیه تظهر واضحه امامهم.

وَ وَجَدُوا مٰا عَمِلُوا حٰاضِراً امامهم،و لیس اسم العمل وحده الذی یسجل،بل و یصبح العمل مجسما یرونه و یحسونه،فالطیب منه یتحول الی صور طیبه یوم القیامه،بینما یتحول السیء الی صور مرعبه کالعقارب،و الحیات،و النیران،و الأغلال،و الظلمات..و..و..لا بظلم من اللّه-حاشاه-فهو لم یخلق الناس لیعذبهم بل لیرحمهم،و انما یحصد الإنسان ما یزرعه فی الدنیا،إن خیرا فخیر و إن شرا فشر.

وَ لاٰ یَظْلِمُ رَبُّکَ أَحَداً

ص:۴۲۸

[سوره الكهف (١٨): الآيات ۵٠ الى ۵۶]

اشاره

وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اُسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ كانَ مِنَ اَلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً (۵٠) ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ اَلْمُضِلِّينَ عَضُداً (۵١) وَ يَوْمَ يَقُولُ نادُوا شُرَكائِيَ اَلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً (۵٢) وَ رَأَى اَلْمُجْرِمُونَ اَلنّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها وَ لَمْ يَجِدُوا عَنْها مَصْرِفاً (۵٣) وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هٰذَا اَلْقُرْآنِ لِلنّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ كانَ اَلْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً (۵۴) وَ ما مَنَعَ اَلنّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ اَلْهُدىٰ وَ يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ اَلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ اَلْعَذابُ قُبُلاً (۵۵) وَ ما نُرْسِلُ اَلْمُرْسَلِينَ إِلاّ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ يُجادِلُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ اَلْحَقَّ وَ اِتَّخَذُوا آياتِي وَ ما أُنْذِرُوا هُزُواً (۵۶)

اللغه

۵١[عضدا]:معينا.

۵٢[موبقا]:كل شيء حال بين شيئين.

۵٣[مواقعوها]:المواقعه ملابسه الشيء بشده.

[مصرفا]:مكانا ينصرفون إليه.

ص:۴٢٩

۵۶[يدحضوا]:الإدحاض هو الذهاب بالشىء الى الهلاك.

ص:۴۳۰

ولایه اللّه أم ولایه الشیطان؟

هدی من الآیات:

فی سیاق بیان القرآن الحکیم لزینه الحیاه الـدنیا و موقف الإنسان منها،ذلک الموقف المتسامی الـذی یجعله یمتلک هـذه الزینه بدل ان تمتلکه،یعالج القرآن أخبث صـفه تجعل الإنسان یتکاثر فی الأموال و الأولاد و هی التعالی و التکبّر،و یذکرنا الرب بعاقبه إبلیس أو من تمرد علی ربّه و استعلی،و یأمرنا بمقاومته،کما یبین،-فی هذا الإطار-موقف المؤمن من طائفه المستکبرین.

یبیّن طبیعه هؤلاء لیوجد حاجزا نفسیّا بین المؤمن و بینهم،فیضرب فی الأعماق التاریخیه حینا،و یصوّر المستقبل البعید حینا آخر.

اما من التاریخ فیضـرب اللّه لنا مثلا من واقع،إبلیس الذی اسـتکبر و رفض أن یسـجد لآدم بعد أن سـجدت له الملائکه جمیعا،و کان إبلیس من الجن.الذین هم أقل رتبه و أدنی درجه من الملائکه.

و یوحی القرآن من هذا المثل بهذه الفکره،و یتساءل السیاق مستنکرا:کیف تعبدون إبلیس المستکبر المتمرد علی سلطان اللّه أو تعبدوا ذریته و هو لکم عدو مبین؟ من المستقبل یبین اللّه لنا کیف أن المجرمین حینما یرون النار،و یتصورون أنفسهم و هم ملامسون لها،فأن فرائصهم ترتعد خوفا و شفقه علی أنفسهم،و لکن أنّی لهم الهروب من النار؟! و بین هذا المستقبل و ذلک التاریخ،علی الإنسان ان یحدد موقفه من الثروه و السلطه و أصحابهما المستکبرین و هم ذریه إبلیس،و سبب الفساد فی الأرض.

بیّنات من الآیات:

لمن الولایه؟!

[۵۰] وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِیسَ کانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ لقد کان إبلیس من الجن،و کانت الملائکه ارفع منهم درجه،و قد أمر إبلیس کما الملائکه بالسجود لآدم،و لکنه خرج عن الطاعه،و الفسوق هو:الخروج عن الحدود،و ربما یکون الخروج أحیانا من مکان ضیق الی آخر رحیب،أو من مکان غیر مناسب الی آخر مناسب و لکن عند ما یکون الخروج من الحدود المرسومه للشیء، مثل أن یخرج الإنسان من الحمی،أو إذا خرجت الفاکهه من قشرها فأن ذلک یسمی فسقا،لأن هذا الخروج خروج غیر مناسب،و هو یؤدی الی نتائج سلبیه.

یقول القرآن الحکیم ان خروج إبلیس عن الطاعه کان فسقا أی کان سببا لفساده و هلاکه.

ص:۴۳۲

أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيٰاءَ مِنْ دُونِي وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ أى هل من الصحيح أن تتخذوا إبليس وليا من دون اللّه،بينما ولى الإنسان هو صديقه الذى يحبه،بينما إبليس قد تمرد على اللّه و استنكف عن طاعته،فكيف لا يستكبر على الناس و هو عدوّ لهم؟! بِئْسَ لِلظّٰالِمِينَ بَدَلاً انه بديل سيء لمن يتخذه وليّا من دون اللّه،و لكن من الذى يتخذ إبليس وليا؟ انهم الظالمون،فعمل الإنسان يؤثر على عقله و عقيدته،فظلمه للآخرين و من ثم ظلمه لنفسه ينعكس على عقيدته،و لا يبتعد الإنسان عن الشيطان الا إذا كان مؤمنا،لذلك فأن القرآن غيّر توجيه الكلام فلم يقل:بئس لكم بدلا،و انما قال:

«بِئْسَ لِلظّٰالِمِينَ بَدَلاً» .

[٥١] مٰا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لاٰ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ان هؤلاء لا يعلمون ما فى السماوات و الأرض،و بالتالى لا يصلحون للقياده، و الولى القائد هو:الذى يعرف ماذا فى السماوات حتى يمكنه أن يقود الناس بالطرق الصحيحه،و ربما تعنى الآيه الكريمه من تعبير السماوات و الأرض التشريعات المعنويه و الطرق الماديه للحياه،و هؤلاء لا علم لهم بها لأنهم لم يشهدوا الخلق ليعرفوا ما يناسبهم من تشريعات،و ليس هناك مصدر آخر للمعرفه غير اللّه.

بينما اللّه سبحانه و تعالى لم يكن فقط شاهدا على الخلق،و انما كان خالقا بالتالى فهو أعلم بما فى السماوات و الأرض و أولى بأن يتبع هداه،أن هؤلاء لا يعلمون و لا يعرفون حتى أنفسهم،و الذى لا يستطيع أن يقود نفسه الى الخير و الهدى، فهل يمكنه ان يقود الآخرين؟!

و من جهه أخرى:لا يتصور الناس بأن الإنسان الضال يمكن ان تنفعهم قدرته و قوته شيئا.كلا..لأن الضلاله تسبب فساد القوه و القدره مهما كانت كبيره و هائله،و يذكرنا القرآن بهذه الحقيقه فيقول:

وَ مٰا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً الذى يضلك لا يمكنك ان تتخذه عضدا لك،و نلاحظ هنا ان القرآن قد وصف المضلين و هم جمع بكلمه«عضدا»و هى مفرد،و لم يقل:اعضادا،لأنه يريد ان ينفى الموضوع تماما.

و ذلك أبلغ لأن الإنسان قد لا يتخذ مجموعه أعضاد،و انما يأخذ عضدا واحدا، و نفى المجموع ليس ينفى الفرد الواحد.بينما نفيها حيث تنفى حتى الواحد فانه يعنى المجموع أيضا ليس موجود.

حرام أن يتخذ الإنسان فى حياته الدنيا رجلا ضالا عضدا يستعين به،و بهذه الدرجه من العنف ينفى القرآن مسأله الاستعانه بالظالمين و التعاون معهم فى أى حقل من الحقول.

و جعلنا بينهم موبقا:

[۵۲] وَ يَوْمَ يَقُولُ نٰادُوا شُرَكٰائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فى يوم القيامه يأتى اللّه بالناس الذين اتخذوا الشيطان و ذريته قاده و يقول:

سأدعكم الآن لفتره تنادون أولئك القاده الذين كنتم تستعينون بهم فى الدنيا، فيقفون و يصيحون حتى تبحّ أصواتهم و لكن دون جدوى.

فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ جَعَلْنٰا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً

بين الشركاء و المشركين هوه سحيقه و مهلكه،يسميها القرآن بالموبق و هى:

الفجوه العميقه الفاصله بين شيئين،و لكن لماذا هذه الفجوه؟ بالرغم من أن هؤلاء و أولئك فى كثير من الأحيان يسلكون سبيلا واحدا، و مصيرهم جميعا الى النار؟لعلّ هذه الهوه العميقه ترمز الى الهوه التى يجب أن تكون بين الإنسان و الشركاء.

[۵۳] وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النّ ارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُو اقِعُوهَا تأملوا هذ المشهد:الكفار لم يظنوا أو تصوروا أنهم سيقعون فى النار،و انما تصوروا لمسهم للنار و احتكاكهم بها فقط.

وَ لَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً و جرى بنا ان نتصور نحن هذه الحاله أيضا،فنحن لم نر تلك النار اللاهبه الشديده،و لكننا نستطيع أن نتصور أنفسنا واقفين على نار قعرها عميق،و حرّها شديد،و عذابها غليظ،و نتخيّل تلك النيران المحرقه و هى تلامس أجسادنا دون أن نجد مهربا منها،لنتصور هذه الحاله،فأن التصور يقرب الحقيقه الى ذهن الإنسان و يقوم بدور الوسيط بينه و بين الحقائق البعيده،و بالتالى فهو يربى الإنسان و ينمّى تقواه.

ان الطالب الذى يتصور قاعه الامتحانات فى آخر السنه الدراسيه،يتحصن ضد السقوط عند ما يدخلها ليؤدى الامتحان عمليا،و هكذا الفرد الذى تتاح له فرصه الجريمه،و لكنه حين يتصور قاعه المحكمه انه يبتعد عن الجريمه،كذلك نحن إذا تصورنا تلك النيران فى جهنم سنمتنع عن المعاصى و الفساد.

ذلك هو التاريخ البعيد،و هذا هو المستقبل القادم،و بينهما ينثنى السياق

ص:۴۳۵

القرآنی لیذکرنا و یقول:ایها الناس تلک کانت قصص ماضیکم،و تلک حوادث مستقبلکم،فانتبهوا لحاضرکم.

کیف نتخلص من طبیعه الجدال؟

[۵۴] وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِی هٰذَا الْقُرْآنِ لِلنّٰاسِ مِنْ کُلِّ مَثَلٍ کل تجسید للحقیقه یسمی مثلا،و القرآن یجسد الحقائق المجرده فی امثله تاریخیه مضت أو حوادث مستقبلیه تقع،لکن لماذا،لکی یقرب هذه الحقائق المجرده الی أذهان الناس و قلوبهم،و لکن الإنسان مهما أوتی من أمثال،و صرفت له من قصص و حوادث،تراه یجادل فیها.

وَ کٰانَ الْإِنْسٰانُ أَکْثَرَ شَیْءٍ جَدَلاً الإنسان یبحث عن أی وسیله یتهرب بها عن حفظ أمانه العقل،و ثقل مسئولیاته انه یبحث عن مخرج من الهدایه للصعوبه القصوی التی یعانیها فی رحلته الشاقه من ارض الطبیعه الی قمه الکمال،و ما دامت طبیعته الجدل،فأن علیه أن یعمل جاهدا لکی یقاوم هذه الطبیعه،و یعرف بأنه لو ترک نفسه و شأنها فإنها نزاعه للهوی و أماره بالسوء،تدعوه الی الجدل و الابتعاد عن الحقیقه و الهبوط الی حضیض الشهوات.

ان علیک ایها الإنسان ان تقاوم،العلم بحاجه الی جهاد،و الهدی بحاجه الی سعی،و الکمال بحاجه الی مقاومه مستمره لنوازع الهوی حتی تکتمل.

و لعلّنا لو تعمقنا قلیلا-فی کلمه الجدل نصل الی معرفه طبیعه الإنسان التی هی مخلوقه من مجموعه متناقضه من الأهواء،و النزعات،و التطلعات و ما أشبه،فالإنسان

دائما فی حاله صراع و تجاذب داخلی،ففی نفسک توجد مجموعه جواذب مختلفه کل یجذبک الی جهه،عنصر یجذبک الی طاعه الآباء،و آخر یدعوک الی الغلو فی حب الأبناء،و ثالث یدعوک الی الذوبان فی تیارات و هکذا،و کل هذه العناصر لها تأثیر علی عقلک و تفکیرک و لا یمکنک الکمال الا إذا قطعت کل حبال الطبیعه.

لذلک جاء فی الأحادیث أنه یوجد فی قلب کل إنسان ۳۳ ملکا و ۳۳ شیطانا، و هؤلاء الملائکه أحدهم یمثل الصبر،و الثانی یمثل الیقین،و الثالث یمثل التقوی..

إلخ و أولئک الشیاطین أحدهم یمثل الغیبه،و الثانی یمثل التهمه،و الثالث یمثل الفجور..إلخ..و الملائکه و الشیاطین جمیعا و ما یمثلونه فی حاله جدال مستمر فی داخل الإنسان.

بعض المفسرین قالوا:أن کلمه«أکثر شیء»إنما هی علی سبیل المبالغه، و الواقع انه لا مبالغه هناک،فلا یوجد شیء فی الطبیعه أکثر جدلا من مخ الإنسان، و لنفترض ان شلالات الماء فی(نیاجارا)تحدث جدلا لأنها تنزل و تصطرع مع المیاه التی تصطدم بها،و لکن هذا الجدل أکثر أم جدل الفکره؟و التیارات المتعارضه فی بعض البحار،و الریاح المختلفه،و الزوابع العاصفه أکثر جدلا أم القلب،الذی تنعکس علیه کل تناقضات الوجود؟! و إذا بحثت فلن تجد تناقضا قائما فی الدنیا أکثر من ذلک الموجود فی فکرک،لأن عقلک یحتوی علی کل تناقضات الدنیا،مادیات و معنویات،حق و باطل،خیر و شر،ففکر الإنسان انعکاس لکل تناقضات الکون،لذلک فهو أکثر شیء تناقضا و جدلا.

[۵۵]و من أنواع التناقض و الجدل عند الإنسان هو ذلک الموجود بین الواقع و الحقیقه،فللواقع ضغطه و جاذبیته،و للحقیقه صحتها و عاقبتها.

ان اللّه يبعث بالهدى للناس،و يأمرهم ان يصححوا حياتهم وفق هذا الهدى و يصلحوا ماضيهم،و لكن هؤلاء ينتظرون حتى يأتيهم العذاب،فأما أن يأخذهم بغته،و اما يأتيهم فيروه أمامهم مباشره،فهم ينتظرون الواقع،و لا ينظرون الى الحقيقه،و يقول القرآن:

وَ مٰا مَنَعَ النّٰاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جٰاءَهُمُ الْهُدىٰ وَ يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ان يؤمنوا بالهدى،و ان يصلحوا حياتهم الماضيه وفق ذلك الهدى.

إِلاّٰ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ اى العذاب المحيط بهم.

أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذٰابُ قُبُلاً اى يرون العذاب امامهم مباشره.

[۵۶]اذن لماذا ينزل ربنا العذاب على الناس حتى يهتدوا؟ لأن المطلوب هو ان يهتدى الناس بعقولهم و إراداتهم،و دور رسالات اللّه هو دور التبشير و الإنذار،و ليس دور الجبر و الحسم.

وَ مٰا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاّٰ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ يُجٰادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبٰاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ يريد الكفار ان يهدموا كيان الحق بسلاح الباطل،و لما كانوا لا يقدرون على ذلك،فأنهم يتخذون سلاحا آخر هو سلاح الاستهزاء،و هو اخطر سلاح يستخدمه الإنسان فى مقاومه الحقيقه.

ص:۴۳۸

وَ اتَّخَذُوا آیَاتِی وَ مَا أَنْذِرُوا هُزُواً تکمن خطوره هذا السـلاح فی ناحیتین:فمن جهه حینما یستهزئ الإنسان بالحقیقه،فأنه لا یمکنه ان یهتدی بها أبدا.

و من جهه ثانیه حینما یستهزئ بها،فلا یمکن لأحد أن یضرب له مثلا،أو یأتی له بدلیل علی تلک الحقیقه لکی یقنعه بها.

ص:۴۳۹

[سوره الكهف (١٨): الآيات ۵٧ الى ۶۴]

اشاره

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَ نَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَ إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى اَلْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً (۵٧) وَ رَبُّكَ اَلْغَفُورُ ذُو اَلرَّحْمَهِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ اَلْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً (۵٨) وَ تِلْكَ اَلْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً (۵٩) وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ اَلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً (۶٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي اَلْبَحْرِ سَرَباً (۶١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً (۶٢) قَالَ أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى اَلصَّخْرَهِ فَإِنِّي نَسِيتُ اَلْحُوتَ وَ مَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ اَلشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَ اِتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي اَلْبَحْرِ عَجَباً (۶٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً (۶۴)

اللغه

۶٠[لا أبرح]:لا أزال.

[حقبا]:الحقب الدهر و الزمان و جمعه أحقاب.

ص:۴۴٠

۶۴[قصصا]:یتبعانه،و منه اقتصاص الأثر.

ص:۴۴۱

من حقائق الهدی و المعرفه

هدی من الآیات:

فی هذا الدرس یذکرنا القرآن الکریم بثلاث حقائق تتصل بقضیه الهدی و المعرفه:

الحقیقه الاولی:ان اکتساب العلم و المعرفه و بالتالی الاهتداء مسئولیه الإنسان التی تتعلق بمصالحه العاجله و الآجله،فمن یرفض الاهتداء،و لا یتحمل مسئولیته فی الوصول الی المعرفه فانه یظلم نفسه،و یکون مثله کمن یفقأ عینه،أو یسدّ أذنه،أو یبلّد أحاسیسه،فیقطع علی نفسه ذلک الجسر الذی یربط ذاته بالطبیعه فما ذا عساه أن یفعل بعد ذلک؟و ما هو مبرر وجوده فی الحیاه؟ الحقیقه الثانیه:ان الإنسان إذا رأی ان بامکانه البقاء فتره من الوقت فی حاله الضلاله دون أن یصاب بأذی،فلیعلم ان هذه مهله منحها اللّه له رحمه به لعله یرجع عن ضلالته و یهتدی.

و الا ففی اللحظه التی تعمی فیها عین الإنسان،و تصمّ اذنه،و یتوقف عقله

فانه يجب أن يموت و ينتهى،لأنه سوف يصطدم بالطبيعه و حقائقها الراسخه الصلبه فيتحطم شرّ تحطيم،و بالتالى فان الضلاله جريمه عقوبتها معجله فى الواقع،و لكن اللّه يؤجل هذه العقوبه، و هذا من فضله الواسع و حلمه الكبير.و لعله سيتدرجه الى مصيره الأسود استدراجا.

الحقيقه الثالثه:ان هذا التأجيل ليس الى فتره غير محدوده،و انما لموعد يوم معلوم عند اللّه سبحانه و تعالى،و إذا جاء فانه لن يتأخر،و هذا بدوره قضيه هامه لو تحسس البشر بها لاستطاع أن يقاوم جهالته،و تعاليه على الحقائق.

و لكى يوضح القرآن الكريم هذه الحقائق أكثر،فانه يضرب لنا مثلا من واقع موسى عليه السلام و اجتهاده فى البحث عن العلم و المعرفه.

و فى هذه المجموعه من الآيات،يذكرنا القرآن بان الإنسان فى حالات التعب، و الارهاق،و انشغال ذهنه بقضايا ثانويه قد ينسى أمورا مهمه.

لقد قام موسى مع مرافقه بسفره طويله مضنيه مليئه بالصعوبات،فأصابهم تعب شديد من وعثاء السفر،مما جعلهم ينسون غذاءهم الذى أحضروه معهم،فالنسيان اذن من الشيطان،و تجاوز هذا النسيان لا يكون الا عن طريق التذكر المستمر للّه سبحانه و تعالى،و هناك سبب آخر من أسباب الجهل و هو:اعراض الإنسان عن آيات اللّه و انصرافه عنها.

بينات من الآيات:

آثار الظلم:

[۵۷] وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا فآيات اللّه واضحه و منتشره فى كل مكان،الا ان الإنسان بحاجه الى من يذكره

بها،و لكن عند ما يذكر و تتلى عليه الآيات فيتركها،و لا يهتدى بها،فانه يكون أظلم الظالمين.

وَ نَسِيَ مٰا قَدَّمَتْ يَدٰاهُ لقد نسى حقيقه رئيسيه و هى:أنه إنسان غير عالم و لا فاضل،بل هو جاهل و متورّط فى الجرائم،إنسان ظلم نفسه بارتكاب الخطايا و الذنوب،فوقفت حاجزا بينه و بين الهدايه،لذلك ينبغى عليه أن يتسلح بالإراده و العزم،و ان يتجاوز هذا الحاجز بدل أن يغفل و ينسى ما قدمت يداه.

من هنا نعلم بأن الوصول الى الهدايه بحاجه الى تجاوز الصعوبات،و حسب التعبير القرآنى أننا بحاجه إلى(اقتحام العقبه)و من لا يقتحم العقبه،و يتسلح بالعزيمه الكافيه لتجاوز الحواجز،فلن يهتدى أبدا.

إِنّٰا جَعَلْنٰا عَلىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ هناك حجب موجوده على قلوب هؤلاء،فما هى تلك الحجب؟ انها الذنوب و المعاصى التى يرتكبونها،و يصرّون عليها،فتتراكم على قلوبهم بصوره حجب سميكه،تحول دون نفوذ الحقائق إليها.فيجعل اللّه على قلوبهم أكنّه.

وَ فِي آذٰانِهِمْ وَقْراً أى انا جعلنا أذانهم تشكو من صعوبه السمع،و الوقر هو:الشىء الثقيل، و الإنسان عند ما لا تسمع أذنه يحس و كأن ثقلا قد وضع فيها.

وَ إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً ما دامت الأكنه موجوده على قلوبهم،و الوقر فى آذانهم،و ما داموا قد نسوا

ماضیهم الحافل بالجرائم و الذنوب،فلم یحاولوا أن یستعرضوا و یتأملوا خطورتها،و لم یتسلحوا بالإراده الکافیه لمقاومتها،فمن المستحیل علیهم أن یجدوا طریقهم الی الهدایه.

و إذا کانت الضلاله ظلما،فلما ذا لا یعجل اللّه علیها العقاب؟ یقول القرآن:تلک رحمه من اللّه،و فرصه ثمینه لمحاوله الرجوع الی الهدایه،فلا یغتر الإنسان بهذه الفرصه فانها قصیره و محدوده.

[۵۸] وَ رَبُّکَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَهِ لَوْ یُؤاخِذُهُمْ بِما کَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ یَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً-لیس باستطاعتهم أن یجدوا مهربا یؤولون الیه،کما یحدث عاده علی مستوی البشر حینما ترید السلطات أن تلقی القبض علی شخص فان هذا الشخص یأخذ بالتفتیش عن مکان یختفی فیه،أو عن شخص له نفوذ لکی یتوسط له عند السلطه، اما عند اللّه فلا یوجد شیء من ذلک أبدا،فسلطته واسعه قویه قادره،و لا مهرب منها أبدا.

و الموئل هو:المکان أو الزمان الذی یحجب العقاب عن الإنسان.

[۵۹] وَ تِلْکَ الْقُری أَهْلَکْناهُمْ لَمّا ظَلَمُوا وَ جَعَلْنا لِمَهْلِکِهِمْ مَوْعِداً و هلاکهم کان له موعد محدد،و لما جاء ذلک الموعد انتهت الفرصه الممنوحه لهم،و لم یکن باستطاعتهم أن یکتسبوا لحظه اضافیه.

لماذا النسيان؟

[۶۰]ان نسیان الإنسان لماضیه و ما قدمت یداه،أحد الأسباب الرئیسیه لجهله و عدم هدایته،و القرآن یضرب مثلا علی ذلک من قصه موسی علیه السلام حیث انه کلف- فیما یبدو-بالبحث عن شخص عالم یرشده و عزم موسی علیه السلام علی السفر الی حیث یوجد العالم عند التقاء البحرین-و لعلهما خلیج العقبه و خلیج السویس المتفرعان من البحر الأحمر-و عند ما بلغه و آوی هو و فتاه الی صخره تسرب حوتهما فی البحر و لعل الآیه:

وَ إِذْ قٰالَ مُوسیٰ لِفَتٰاهُ لاٰ أَبْرَحُ حَتّٰی أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَیْنِ أَوْ أَمْضِیَ حُقُباً أی أننی مصمم أن أصل الی مجمع البحرین أو أمضی سنین عدیده بالرغم من کل الصعوبات المحتمله،و الفتی هو یوشع بن نون أقرب بنی إسرائیل الی موسی علیه السلام و وصیه،و لعل التعبیر ب(الفتی)عنه کان لمعانی السموّ الروحی و الکمال الرسالی الذی کان یتمتع به،و بالذات فی اتباعه لقیادته الإلهیه،و تفانیه فی خدمه الرسول علیه السلام.

[۶۱] فَلَمّٰا بَلَغٰا مَجْمَعَ بَیْنِهِمٰا أی المکان الذی یجتمع فیه البحران.

نَسِیٰا حُوتَهُمٰا فَاتَّخَذَ سَبِیلَهُ فِی الْبَحْرِ سَرَباً لقد تحرک الحوت بحاله السرب،و السارب هو الذی یسیر الی الأسفل و لعل بالحوت کان رمق من الحیاه فلما دخل الماء استعاد حیاته و تسرب فیه أو کان هناک ماء الحیاه.

ص:۴۴۶

[۶۲] فَلَمّا جاوَزا أی انتقلا الی الشاطئ الآخر.

قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِینا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً أی کان سفرهما متعبا للغایه و شعرا بالجوع،و الغداء هو طعام الغدو و هو أول النهار.

من عوامل النسیان:

[۶۳] قالَ أَ رَأَیْتَ إِذْ أَوَیْنا إِلَی الصَّخْرَهِ أی أتذکر حینما جلسنا عند الصخره التی کانت فی طریقنا لنستریح قلیلا.

فَإِنِّی نَسِیتُ الْحُوتَ وضعته هناک و لم أجلبه معی،و لکی یبرر هذا الواقع الذی فعله النسیان قال:

وَ ما أَنْسانِیهُ إِلاَّ الشَّیْطانُ أَنْ أَذْکُرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِیلَهُ فِی الْبَحْرِ عَجَباً لقد نسی الفتی قصه الحوت ان یبینها لموسی علیه السلام،و کیف أتخذ سبیله فی البحر سربا.

[۶۴]و یبدو أن علامه موسی لمعرفه مکان العالم.کانت هی بالذات حیاه الحوت.و انطلاقه فی البحر سربا،و هکذا قال موسی علیه السلام:

قالَ ذلِکَ ما کُنّا نَبْغِ

ص:۴۴۷

أی ذلک المکان هو بغیتنا و هدف رحلتنا.

فَارْتَدّٰا عَلیٰ آثٰارِهِمٰا قَصَصاً ای عادا علی ذات الطریق و هما یبحثان عن الآثار.

و قبل ان نتابع قصه موسی مع العالم فی الدرس القادم دعنا نتدبر فی موضوع النسیان الذی یتکرر فی هذه الآیات.

فی آیه سبقت بین القرآن قضیه مهمه فقال:« وَ لاٰ تَقُولَنَّ لِشَیْءٍ إِنِّی فٰاعِلٌ ذٰلِکَ غَداً إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اللّٰهُ وَ اذْکُرْ رَبَّکَ إِذٰا نَسِیتَ وَ قُلْ عَسیٰ أَنْ یَهْدِیَنِ رَبِّی لِأَقْرَبَ مِنْ هٰذٰا رَشَداً »و فی هذه الآیات نجد قوله تعالی و ما انسانیه الا الشیطان و هاتان الآیتان صریحتان فی ان الشیطان ینسی،و اللّه یذکّر،فما معنی هذه الفکره؟ ان فکر الإنسان یشبه مصباحا کامل الضیاء،لیس بحاجه للوقود و لکن هناک حواجز هی التی تسد منافذ هذا الضیاء،فما هی تلک الحواجز؟ أنها مجموعه عوامل مادیه تقوم علی أساس اهتمام الإنسان بزینه الحیاه الدنیا و متاعها،و قد یکون فتی موسی علیه السلام و هما یمشیان علی البحر قد انشغل بزینه البحر،أو ببعض الأشیاء العجیبه التی رآها فی الطریق،المهم أن انجذاب الإنسان الی الطبیعه و خضوعه لها هو من أسباب النسیان،و الحیاه ملیئه بالجواذب و الشهوات التی یدعمها الشیطان،و لکن ذکر اللّه یطرد هذه الشهوات،و یعین علی ضغط الجواذب و یزکّی النفس من العقد التی یکرسها الشیطان،و ذکر اللّه بالتالی هو عدو النسیان،لأنه یحطم تلک الحواجز التی تغلف قلب الإنسان.

و حینما تتذکر اللّه و قدرته و هیمنته علی الکون،یعود إلیک توازنک و تعود الی نفسک تلک الاراده المفقوده،و تعود الی عقلک معرفتک بأنک أقوی من الطبیعه،

ص:۴۴۸

و أسمی من زینه الحیاه الدنیا فلا یجب ان تستسلم لها.

و هکـذا فان القرآن الحکیم یحدثنا فی سوره الکهف عن زینه الحیاه الدنیا من جهه،و ضـروره التسامی علیها من جهه ثانیه و من أبعاد التسامی و فوائده فی ذات الوقت هو:التذکر و عدم النسـیان،لأن الإنسان المستسـلم لحیاه الدنیا و زینتها یفقد فکره،بل یفقد حتی الحیاه نفسها،فحب الشیء یعمی و یصم.

ص:۴۴۹

[سوره الكهف (۱۸): الآيات ۶۵ الى ۷۸]

اشاره

فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَهً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً (۶۵) قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُکَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً (۶۶) قالَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (۶۷) وَ کَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً (۶۸) قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اَللّٰهُ صابِراً وَ لا أَعْصِي لَکَ أَمْراً (۶۹) قالَ فَإِنِ اِتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتّى أُحْدِثَ لَکَ مِنْهُ ذِکْراً (۷۰) فَانْطَلَقا حَتّى إِذا رَکِبا فِي اَلسَّفِينَهِ خَرَقَها قالَ أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً (۷۱) قالَ أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (۷۲) قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ وَ لا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً (۷۳) فَانْطَلَقا حَتّى إِذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ قالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَکِيَّهً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُکْراً (۷۴) قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (۷۵) قالَ إِنْ سَأَلْتُکَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً (۷۶) فَانْطَلَقا حَتّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَهٍ اِسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ قالَ لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً (۷۷) قالَ هٰذا فِراقُ بَيْنِي وَ بَيْنِکَ سَأُنَبِّئُکَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً (۷۸)

اللغه

ص:۴۵۰

۷۷[ینقض]:یسقط.

ص:۴۵۱

إنک لن تستطيع معی صبرا

هدی من الآيات:

من مظاهر اعجاز القرآن الحكيم،ان آياته تتحدث عن أشياء عديده فی وقت واحد،فالآيه الواحده مثال لقدره اللّه فی الكون،و لعلم اللّه بالأمور،و هی تبين مختلف الابعاد للحقيقه الواحده،أو مختلف الحقائق للحياه.

و سوره الكهف إذ تحدثنا عن علاقه الإنسان بالحياه،فانها تحدثنا أيضا عن علم الإنسان،و قد يبدو هذان الأمران فی هذه السوره غير منسجمين أو حتی مختلفين،بينما الحقيقه هی ان علاقه الإنسان بزينه الحياه الدنيا و موقفه السليم منها،ينشأ عن علم الإنسان بحقيقه الدنيا،فلو عرف الإنسان ظاهرا من الحياه فقط استبد به الغرور،و زعم بأن هذا الظاهر الذی يراه هو الحقيقه،بينما لو تعمق قليلا و وصل الی جوهر الحياه الدنيا لعرف مدی تبدلها و تغيّرها،و ان مخبرها غير ظاهرها،و لذلک

جاء فی الحديث: «الدنيا تغرّ و تضرّ و تمرّ. »

و جاء أيضا: «كل ما فی الدنيا ان تسمعه خير من أن تراه. »

ص:۴۵۲

و هكـذا الحـديث عن الدنيا يسـتتبع العلم و الهدى،لان هدى الإنسان و معرفته للحقائق معرفه عميقه و شامله يدعوه الى أن يتخذ موقفا سليما من زينه الحياه الدنيا،و ليس موقف الغرور و التسليم المطلق.

و فى قصه موسـى عليه السـلام مع ذلك العبد الصالح الذى جاء فى الأحاديث أنه الخضر عليه السلام يكتشف لنا جانب من هذه الحقيقه.

فموسـى عليه السلام كان نبيا،و كان عارفا بالأحكام الشرعيه الظاهره،الا أنه بحث عمن هو أعلم منه ليتعلم منه الخلفيات،أو حكم الأحكام العامه و الخاصه.

و خلال تلقيه الـدروس كان ينتفض أمام بعض الحوادث التى يراها و لا يتحملها، فعنـد ما ركبا فى السـفينه أخذ الخضـر معولا و ثقب به جدارها،فاذا بالماء يتدفق الى داخلها،و عند ما صادفا شابا فى طريقهما حمل عليه الخضر فقتله،و فى نهايه المطاف وصلا الى بلـده وجـد فيها الخضـر بناء متداعيا،فبذل مجهودا كبيرا فى ترميمه،و لم يطلب مقابل ذلك من القوم أجرا برغم ما بدر منهم من سوء اسـتقبال و اعراض عن الضـيافه،و كان وقع هـذه الحوادث على موسـى من الشده بحيث كان الزمام يفلت منه كل مره،و ينسى شرط الصبر الذى التزم به.

أن انتفاضه موسـى امام الأعمال التى قام بها ذلك العبد الصالح،لدليل على ان الإنسان لا يحتمل مجرد احتمال ان وراء علمه هذا مساحـات مجهوله أخرى لم يبلغهـا و لم يتوصـل إليها،ان مجرد هـذا الاحتمال يجعل الإنسان رزينا،حليما، هادئا،لا يتأثر بالمظاهر فقط،و انما ينظر الى العمق أيضا.

بينات من الآيات:

بين العلم و الرحمه:

[۶۵] فَوَجَدٰا عَبْداً مِنْ عِبٰادِنٰا آتَيْنٰاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنٰا وَ عَلَّمْنٰاهُ

مِنْ لَدُنّٰا عِلْماً هذا العبد بالاضافه الى العلم الذى حصل عليه كان قد حصل على الرحمه، فهل هناك علاقه بين العلم و الرحمه؟أم ان ربنا سبحانه و تعالى قد أعطى العبد خصلتين من عنده الرحمه و العلم؟ بتدبر بسيط فى مفهوم كلمتى العلم و الرحمه نتوصل الى:ان العلم عاده ما يكون وليد الرحمه،و جوهر الرحمه هو لين القلب الذى هو صفه مقابله لصفه أخرى و هى قسوه القلب،و قسوه القلب تسبب عدم نفوذ حقائق الحياه اليه فينشأ الجهل، و لين القلب على العكس من ذلك يسبب العلم،لذلك نستطيع أن نقول ان للرحمه الفضل الاول،و هو الشىء الذى أعطاه اللّه للخضر عليه السلام و كان سببا لعلمه و قد استند البعض الى هذه الكلمه و قالوا:ان خضرا كان نبيا و النبوه رحمه إلهيه،بينما رأى آخرون:ان سعه صدر خضر و قدرته على احتمال اعتراضات تلميذه موسى هى تلك الرحمه التى أعطاها اللّه إياه.

و فى الآيه اشاره واضحه الى أن العلم من اللّه سبحانه و تعالى،و انه نور يقذفه فى قلب من يشاء،و ليس العلم بكثره الدراسه و التعليم كما يزعمون.

الصبر وزير العقل:

[۶۶]قٰالَ لَهُ مُوسىٰ هَلْ أَتَّبِعُکَ عَلىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّٰا عُلِّمْتَ رُشْداً لقد عرف موسى عليه السلام ان الحصول على العلم لا يمكن ان يتم بدون مجهود، لذلك عرض اتباعه للعالم و هو يمارس اعماله اليوميه،و من خلال العمل و القرارات و المواقف فى الأحداث المختلفه للحياه يتعلم الحكمه،و العلم الذى يجب أن يبحث عنه الإنسان ليس علما مطلقا،بل ذلك العلم الذى يعطيه الرشد

و البصیره فی سلوکه و عمله،و هـذا هو العلم العملی،فکما أننا نحتاج الی العمل العلمی، کذلک نحن نحتاج الی العلم العملی،و ذلک بأن نتعلم ما ینفعنا.

أما خضر(علیه السلام)فقد أعطانا منهجا آخر للتعلم و قال:أن أول و أهم صفه لاکتساب العلم هو الصبر،و لـذلک کان الصبر وزیرا للعقل کما جاء فی الأحادیث المأثوره.

[۶۷] قٰالَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِیعَ مَعِیَ صَبْراً و هذه هی مشکله الإنسان،فهو بحاجه الی الصبر لکی یتعلم العلم،و الصبر بدوره بحاجه الی العلم لکی یطمئن الإنسان،فان«الجاهل جزع».

و هنا نودّ ان نـذکّر بـأن اجتیاز حاجز الجهل من قبل الإنسان عملیه صعبه، و لا یمکن للإنسان أن یجتاز هـذا الحاجز و هو خائر العزم،ذلک لأن الحصول علی العلم بحاجه الی اجتیاز الحاجز النفسی بالاضافه الی المساعی العملیه فنری ان موسی علیه السلام برغم أنه یقوم بسفره طویله طلبا للعلم،و یلاقی أنواع المشقه،و ینسی غداءه،و یصحب معه فتاه و ما أشبه و هو نبی یقود أمه،و برغم کل هذه الأعمال الجسدیه،فانه یحتاج أیضا الی جهود نفسیه کبیره تعتبر من وظیفه القلب أو بتعبیر آخر تعتبر رحله القلب،و یشیر إلیها القرآن الحکیم فی هذه الآیات.

[۶۸] وَ کَیْفَ تَصْبِرُ عَلیٰ مٰا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً من المعلوم ان خضر العالم لم ینسی القدره الحقیقه لموسی علی الصبر، فموسی علیه السلام من الناحیه الحقیقیه و الفعلیه کانت عنده القدره علی الصبر،و لکن العالم بخبرته یدرک ان الناس الجاهلین بأمر لا یصبرون علی صعوبات العلم به، فالعلم یسبب لهم صدمه،و لأنه یسبب لهم ذلک فهم قد یکفرون به.

[۶۹] قالَ سَتَجِدُنِی إِنْ شاءَ اللّهُ صابِراً وَ لا أَعْصِی لَکَ أَمْراً و قد أعطی موسی تعهدا بالصبر و الاتباع،فمثل العالم کمثل الشجره المثمره التی تهتز فتعطیک من ثمارها،و العالم یجب أن یبرمج منهاج تعلیمک و لست أنت.

لقد ربط موسی علیه السلام صبره بالمشیئه الإلهیه و قال:« سَتَجِدُنِی إِنْ شاءَ اللّهُ صابِراً »لأنه عرف ان من الصعب علی الإنسان فی هذه المواقف،أن یصبر علی الصدمات التی یتلقاها بسبب معرفه الواقع المجهول.

[۷۰] قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِی فَلا تَسْئَلْنِی عَنْ شَیْءٍ حَتّی أُحْدِثَ لَکَ مِنْهُ ذِکْراً ان العالم(علیه السلام)عند ما اشترط علی موسی هذا الشرط،فانه کان یشیر الی أن علی العلماء أن یضبطوا أمرهم مع المتعلم منذ البدایه،علی أساس أن العالم هو الذی یحدد المنهج:

أولا:یخرق سفینه:

[۷۱] فَانْطَلَقا حَتّی إِذا رَکِبا فِی السَّفِینَهِ خَرَقَها هنا انفعل موسی علیه السلام بأخلاقه الرسالیه التی کان یمارسها مع مجتمعه الاسرائیلی،ذلک المجتمع المائع الذی کان یستخدم معهم الشده،بعکس الرسول محمد صلی الله علیه و آله الذی کان یعیش فی مجتمع خشن غلیظ،فتسلح بالرأفه و اللین،لذلک أ نفعل موسی و صاح غاضبا:

قالَ أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها

و هو هنـا لم يسـأل حتى لمـاذا خرقتهـا،بـل أنكر الموضوع رأسا،و لم يسـكت على ذلك و انما أعطى للعمل صـبغه و هى أنه لم يخرقها الاّ ليغرق أهلها.و كان هذا هو الهدف الوحيد المتوقع من وراء هذا العمل و قال:

لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً أى قمت بعمل عظيم،و هذا خطأ آخر يدل على الجهل بالموضوع،و هنا قال خضر عليه السلام :

[۷۲] قٰالَ أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً [۷۳]فـذكره بكل هدوء أعصاب بالاتفاق الذى كان بينهما،فانطفأت ثوره موسـى فورا و ذهب غضـبه،و اعتذر عما بدر منه،فقال لا تؤاخذنى بما يعسر على تحمله،فمن الصعب على الإنسان أن يصبر على شيء لا يعرف عمقه و عاقبته، لذلك طلب موسى من ذلك العالم أن لا يؤاخذه بما نسى.

قٰالَ لاٰ تُؤٰاخِذْنِي بِمٰا نَسِيتُ هناک أمران ضروريان للتعليم هما:

أولا:على العالم أن يكون واقعيا فيعرف ان الآخرين بشـر،و يتعرضون للنسيان لكون المعارف التى تعطى لهم أكبر من مستواهم،و عاده ما ينسى الذهن الشيء الغريب عنه.

ثانيا:ان هؤلاء لا يتحملون كسب العلوم بطريقه الصدفه،انما يحتاج العالم أن يجعل برنامجا متدرجا للتعليم.و لذلك قال موسى:

وَ لاٰ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً

الإرهاق هو أطباق الشيء على الشيء.و كأن العسر يطبق على الشخص من جميع جوانبه.

ثانيا:يقتل غلاما:

[۷۴] فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً فى المره السابقه قال عمل عظيم و لم يقل جريمه،و لكنه فى هذه المره قال:

«لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً» و مره اخرى قال الخضر عليه السلام و بأعصاب هادئه:

[۷۵] قَالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً فتذكر موسى مره أخرى الشرط،و أحس بأنه خالفه للمره الثانيه،و لأنه كان صادق العزيمه فى اراده التّعلم فقد طلب فرصه أخيره.

[۷۶] قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً و هذا أيضا درس للعالم،فالتلميذ يجب أن يعطى من جهده للاستفاده مما تعلمه،و الاستفاده ليس فى سبيل نفسه،و انما فى سبيل تعليمه و تنميته و تربيته، و التلميذ الحقيقى هو الذى يأخذ الى جنب المعرفه الصفات النفسيه الفاضله، فيتعلم،و يتدرب،و ينمى صفاته الحسنه،و يزكى نفسه،أما أن يتعلم دون أن يتدرب،أو يزكى نفسه،أو يربيها على التضحيه و الفداء،فهذا تلميذ غير نافع.

ثالثا:و يبنى جدارا:

[۷۷] فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ

يُضَيِّفُوهُمٰا فَوَجَدٰا فِيهٰا جِدٰاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقٰامَهُ قٰالَ لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً و هنا رأى العالم عليه السلام ان هذه هى نهايه المطاف،و ان موسى عليه السلام لن يستطيع ان يصبر أكثر من ذلك فقال:

[٧٨] قٰالَ هٰذٰا فِرٰاقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مٰا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً ان ظواهر الأمور لا تكشف دائما عن حقائقها،لذلك على الإنسان أن يتسلح بالصبر،و الرؤيه البعيده الشامله،لكى يعرف الحياه معرفه عميقه،و آنئذ يتخذ منها موقفا سليما.

ص:۴۵۹

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٧٩ الی ٨٢]

اشاره

أَمَّا اَلسَّفِينَهُ فَكٰانَتْ لِمَسٰاكِينَ يَعْمَلُونَ فِی اَلْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهٰا وَ كٰانَ وَرٰاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَهٍ غَصْباً (٧٩) وَ أَمَّا اَلْغُلاٰمُ فَكٰانَ أَبَوٰاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينٰا أَنْ يُرْهِقَهُمٰا طُغْيٰاناً وَ كُفْراً (٨٠) فَأَرَدْنٰا أَنْ يُبْدِلَهُمٰا رَبُّهُمٰا خَيْراً مِنْهُ زَكٰاهً وَ أَقْرَبَ رُحْماً (٨١) وَ أَمَّا اَلْجِدٰارُ فَكٰانَ لِغُلاٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِی اَلْمَدِينَهِ وَ كٰانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمٰا وَ كٰانَ أَبُوهُمٰا صٰالِحاً فَأَرٰادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغٰا أَشُدَّهُمٰا وَ يَسْتَخْرِجٰا كَنزَهُمٰا رَحْمَهً مِنْ رَبِّكَ وَ مٰا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِی ذٰلِكَ تَأْوِيلُ مٰا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً (٨٢)

اللغه

٧٩[أعيبها]:أحدث فيها عيبا.

ص:۴۶۰

ذٰلِکَ تَأْوِیلُ مٰا لَمْ تَسْطِعْ عَلَیْهِ صَبْراً

هدی من الآیات:

کنا مع خضر و هو یعلم موسی علما عملیا،و یدر به علی فهم الحیاه،و تحمل مصاعبها،و تدبّر عواقب أحداثها،و رأینا کیف أن موسی کان لیتفجر غضبا کلما رأی عملا یتنافی مع مظاهر الشریعه،الی ان قال خضر لموسی: «هٰذٰا فِرٰاقُ بَیْنِی وَ بَیْنِکَ» و لکنی سأفسّر لک-قبل الفراق-تلک القضایا التی کانت غامضه علیک،و أخذ یفسرها الواحده تلو الاخری.

یتبین لنا من ذلک ان بعض الأحکام التی یأمر اللّه بها أنبیاءه الکرام مختلفه عن الأحکام العامه التی یأمر بها الناس العادیین،فلقد کانت السفینه ذات ملکیه خاصه،و احترام الملکیه واجب،الا ان علم خضر المستمد من اللّه بوجود ملک یأخذ کل سفینه صالحه غصبا،ان ذلک العلم دفعه و بأمر من اللّه الی خرق السفینه،لکی تبقی بید أصحابها المساکین إذ کان الملک لا یأخذ السفن المعیبه.

و کذلک یجب احترام النفس،و لکن احترام النفس محدود بعدم وقوع ضررها

ص:۴۶۱

على الآخرين،أما إذا كانت النفس ضاره،فان اللّه سبحانه و تعالى يأذن لولى الأمر من قبله بإعدامها،و إنقاذ المجتمع من شرها، كما قدّر لخضر بأن يقتل الغلام لكى لا يصبح ضارا بالآخرين،و كذلك مسأله الجدار،و هذا هو ظاهر ما نستفيده من الآيات الكريمه،و هناك عمق آخر سوف نتدبر فيه و نذكره.

بينات من الآيات:

لماذا خرق السفينه؟

[۷۹] أَمَّا السَّفِينَهُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ان السفينه كانت لمساكين،و من عاده الملوك و رؤساء الدول قديما و حديثا أن يأمروا بمصادره وسائل النقل كلما واجهت دولهم حربا،لان الحرب بحاجه الى وسائل النقل كالسفن و الجمال قديما،و السيارات و الباخرات و الطائرات حديثا، فهى اما تصادرها مصادره تامه،و أما أن تسخرها للأعمال الحربيه فتره الحرب، و هذه السفينه أيضا كانت من ضمن السفن المعرضه للمصادره لو لا أن خرقها لتصبح معيبه،و بذلك لا تشملها أحكام المصادره التى كانت مقصوره على مصادره السفن الصالحه فقط.

وَ كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَهٍ غَصْباً الآيه لم تقل ان ذلك الملك كان يأخذ السفن الصالحه فقط،لكن الكلمه السابقه تدل على هذه المعنى،و هذا من بلاغه القرآن.

لماذا قتل الغلام؟

[۸۰] وَ أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا

ص:۴۶۲

طُغْیاناً وَ کُفْراً ان السبب فی قتل الغلام من دون سابق إنذار هو:ان هذا الغلام کان سیسبب لأبویه المؤمنین الصالحین الطغیان و الکفر،لأنهما،من فرط حبهما لهذا الغلام کانا سیتبعان أهواءه،فی حین أنه کان قد تربی علی الدلال و الفساد الخلقی،لذلک کان خضر یخشی علی أبویه المؤمنین أن یطغیا بسببه،و لذلک قتله،لأنه وجود ضار.

[۸۱] فَأَرَدْنا أَنْ یُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَیْراً مِنْهُ زَکاةً وَ أَقْرَبَ رُحْماً لقد کان خضر یسعی من أجل ان یبدل اللّه هذا الغلام بمولود أفضل زکاه،أی نموّه یکون نموا زاکیا بدل ذلک النمو الطاغی،فهناک نمو زاک و نمو طاغ،النمو الزاکی هو:نمو طاهر خال من السلبیات،أما النمو الفاسد فهو:نمو خبیث ملیء بالسلبیات.

و کذلک فرق بین صله الرحم و بین الکفر بسبب الرحم فالعلاقه التی تربط بین الأب و أبنه إذا کانت علاقه بعیده عن الایمان باللّه سبحانه و تعالی و شکره،فان هذه العلاقه هی علاقه الکفر و تناقص الشکر للّه سبحانه،بینما إذا کانت العلاقه هی علاقه الشفقه التی هی امتداد لعلاقه الإنسان باللّه،کأن أقول:انی أحب أبنی و أساعده لأنه نعمه من اللّه سبحانه،فهنا تکون العلاقه امتدادیه،و آنئذ تصبح هذه العلاقه علاقه الرحم،و التی یعبر عنها القرآن فیقول: «وَ أَقْرَبَ رُحْماً» و الکلمتان الأخیرتان جاء بهما القرآن لتتقابل مع الکلمتین الأولیتین،فالزکاه و الرحم فی مقابل الطغیان و الکفر.

بین المصلحه العامه و الخاصه:

الأحکام الشرعیه عموما لیست محصوره بمصلحه الإفراد،و انما هی متجهه الی المصلحه العامه و المصلحه العامه هی:مصلحه الإفراد مجتمعین،بینما المصلحه الخاصه

هی:مصلحه الإفراد منفصلین،و من الطبیعی ان تتفوق مصلحه الإفراد مجتمعین علی مصلحه الإفراد منفصلین،و بصوره خاصه عند التعارض،فمثلا مصلحه ملیون إنسان أهم من مصلحه خمسه أفراد.

و عند ما نقول المصلحه العامه فنحن نقصد بها مصلحه البشر،و لیس من المعقول ان یترک الإسلام مصلحه البشر ککل من أجل مصلحه أفراد قلائل.

ان الثقافه الرأسمالیه التی تؤکد علی المصلحه الفردیه هذا التأکید المبالغ فیه، انما هی ثقافه استغلالیه یبرر بها المنحرفون الجشعون استثمارهم للآخرین، و سیطرتهم اللامشروعه علیهم،و أنهم ینادون بالملکیه و بالمصلحه الفردیه،و أی مصلحه للفرد فی مقابل مصلحه المجموع؟و أی حرمه و حریه لفرد فی مقابل حرمه و حریه الناس ککل؟و ماذا تعنی هذه الکلمه؟و هل هی مصلحه أم مضره؟ أننا نشک فی أن تکون هذه الکلمه صادقه(المصالح الفردیه)بل الأصح ان تسمی بالمضار الفردیه،فالخیر و الشر لا یقاسان بالفرد،بل یقاسان بالمجموع،الخیر هو ما ینفع الناس،و الشر ما یضر الناس،فاذا نفعنی شیء و ضرّ الآخرین فهو شرّ، و مفهوم الکلمه منذ البدایه مفهوم شامل جماعی،و لا ریب أن کل شر فی العالم ینفع شخصا ما،فهل یتبدل مفهوم الشر لأنه ینفع شخصا واحدا أو مجموعه صغیره من أبناء المجتمع الانسانی؟! و ربما تکون الآیات الکریمه داله علی هذه الحقیقه و هی:ان المصلحه حقا و المنفعه صدقا انما هما بالقیاس الی المجموع،و أن الأحکام الشرعیه لا ـ تعطی صفات مطلقه لبعض المفاهیم،فالملکیه الفردیه لیست سدّا أمام الإسلام،و کذلک حرمه الإفراد علما بانی لا أنفی اهتمام الإسلام بالملکیه،و لکنه محدود بمصالح الآخرین، و عند ما یبدأ الضرر بالآخرین فان حرمه الملکیه تنتهی.

فی العلاقه مع النعم:

ان نظره الإسلام للحیاه الدنیا و زینتها هی:ان کثیرا من أشیاء الحیاه الدنیا تبدو أمام الإنسان مفیده،و لکنها عند اللّه غیر مفیده لما یعلم من مستقبلها،فان یشرب الإنسان الخمر،و یجلس علی مائده القمار،و یأکل من أموال الیتامی،قد تبدو مفیده و لذیذه له حالیا،و لکنها تحمل فی طیاتها عواقب سیئه جدا،و العکس کذلک صحیح،فأیهما أفضل الإنسان السالم أم الإنسان المریض؟ قد یکون الإنسان المریض أفضل فی بعض الأحیان،لان الإنسان السالم فی دوله الإرهاب یضعونه فی السجن،أما المریض فیترکونه آمنا فی بیته،و فی بعض الأوقات تکون نظرتنا الی الحیاه،غیر حکیمه فلا نری المستقبل فنحبّ ما یضرنا، و نکره ما ینفعنا.کلا.. یجب ان نرضی برضا اللّه و نسلم لقضائه فاذا أعطانا ربنا شیئا لیس بذلک الکمال المطلوب،فمن الخطأ ان نصر علی الحصول علیه،فباصرارنا قد یأتینا اللّه به و لکن یکون فی ذلک ضرر لنا.

فمن جمله سنن اللّه فی هلاک الأقوام فتح أبواب الرحمه علیهم،فاذا فتح أبواب الرحمه کلها علی أمه فان ذلک تدبیر لهلاکها،و کذلک بالنسبه للإنسان،فاذا رأیت النعم تنهال علیک من کل مکان فالزم الحذر،و کن یقضا،لان هذه النعم قد تکون استدراجا و ان اللّه یرید ان یجرب أرادتک و قدرتک علی المقاومه،و یرید أن یعطیک رزقک مره واحده حتی لا یکون لک نصیب فی الآخره،علی الإنسان ان یکون معتدلا و حکیما فی تصرفاته مع زینه الحیاه الدنیا،و لا یبالغ فیها و لا یطالب ربه ان یعطیه کلها مره واحده.

من جهه اخری فان علاقه الإنسان بنعم الحیاه یجب أن تکون علاقه الشکر و لیست الکفر،و علاقه الزکاه و لیس الطغیان.

ان علاقه الشكر هی:علاقه المحافظه على العوامل و الأسباب التی أدت الى النعمه فاذا قمت بثوره و نجحت فيها،و وصلت الى السلطه،ففكر فی الذی دفعك الى السلطه من العناصر البشريه و العوامل المعنويه،و إذا عرفتهما فحافظ عليهما، فاذا حافظت عليهما فأنت شاكر لنعم اللّه تعالى،أما إذا لم تحافظ عليهما فأنت كافر،و الذی لا يحافظ على الأسباب و العوامل التی أدت الى حصوله على النعمه تتركه النعمه و ربما بلا رجعه،أما علاقه الكفر فهی الإهمال لتلك العوامل.كذلك علاقه الزكاه،فقد جاءت فی القرآن بمعنى:الإنفاق و فی اللغه تأتی بمعنى:التطهير و النمو،و ذلك لأن كل إنفاق و كل عطاء انما هو بمعنى النمو فالإنسان لا تنمو عضلاته الا عند ما يستخدمها فی العمل،و لا ينمو عقله الا عند ما يستخدمه فی التفكير،و لا تنمو قدرات لسانه الا عند ما يستخدمه فی النطق و الكلام،و هكذا فان كل شیء فی الحياه يزكو و ينمو عن طريق العطاء و الإنفاق،و العكس صحيح،فاذا ادّخر الإنسان جهوده فسوف تكون هذه الجهود سببا للطغيان،و الطغيان يكون سببا للهلاك و الانتهاء.

هكذا يعطينا القرآن الحكيم-فيما يبدو-درسا فی العلاقه مع زينه الحياه الدنيا،و قد سبق و ان قلنا ان سوره الكهف دروس و عبر تصحح علاقتنا مع الحياه الدنيا و ما فيها من زينه،و أموال،و أولاد..إلخ.

لماذا بنى الجدار؟

[٨٢] وَ أَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِی الْمَدِينَهِ وَ كانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَ كانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَ يَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَهً مِنْ رَبِّكَ فلو انهدم الجدار و جاء أهل المدينه و أرادوا أن يبنوا مكانه شيئا،لاكتشفوا ذلك

الکنز الـذی کـان عبـاره من دراهم و دنانیر،أو کما جاء فی الأحادیث:ان هـذا الکنز کان کتبا خاصه بالیتیمین،حیث کتب أبوهما فیهما مختلف الأشیاء،و احتفظ بها تحت الجدار فأراد اللّه أن یبلغا سن الرشد و یستخرجا کنزهما و یستفیدا منه،فقد

روی القمی عـن الصـادق علیـه السـلام «کـان ذلـک الکنز لوحـا مـن ذهـب فیـه مکتـوب بسم اللّه لاـ إله إلاـ اللّه محمـد رسـول اللّـه،عجبـت لمـن یعلـم ان المـوت حـق کیـف یفرح،عجبـت لمـن یـؤمن بالقــدر کیـف یحزن،عجبـت لمـن یـذکر النـار کیف یضحک،عجبت لمن یری الدنیا و تصرف أهلها حالا بعد حال کیف یطمئن إلیها » (۱).

ان هذه الآیه و الآیه السابقه تدلان علی فکره هامه و هی:ان اللّه سبحانه و تعالی یکرم الإنسان لأجل أبویه و انه إذا عمل الإنسان عملاـ صالحـا فـان اللّه یکرمه لیس فی ذاته فقـط و انما فی أبنائه أیضا،و ان کثیرا من حکم الحوادث فی الحیاه التی تقع دون أن نعرف طبیعتها مرتبطه لیس بالشـخص ذاته،و انما مرتبطه بشخص آخر،فلربما أکرم اللّه مریم الصدیقه،و أنشأها،و ربّاها منذ نعومه أظفارها تلک التربیه الزکیه بسـبب والـدتها التی نذرت ما فی بطنها محررا،و أکرم عیسـی بسـبب أمه مریم الصدیقه،و ربما أکرم اللّه سبحانه کثیرا من الرجال المصلحین الذین تری فیهم منذ طفولتهم آیات الشجاعه و الذکاء من أجل آبائهم أو أمهاتهم

جاء فی الحدیث عن العیاشـی عن الصادق علیه السلام: «ان اللّه لیحفظ ولد المؤمن الی الف سنه،و ان الغلامین کان بینهما و بین أبویهمـا سـبعمائه سـنه،و قـال:ان اللّه لیصـلح بصـلاح الرجل المؤمن ولـده و ولـد ولـده و یحفظه فی دویرته و دویرات حوله فلا یزالون فی حفظ اللّه لکرامته علی اللّه » (۲).

۱- ۱) تفسیر الصافی ج ۳ ص ۲۵۷

۲- ۲) المصدر

و هذا التكريم يشجع على العمل،فحتى لو فكرت أنک لن تحصل على النتيجه فی حياتک،و لكن الخير حتما آتيک ان كنت لم تزل حيا،و الا فسوف يأتی من بعدک أبنائک.

كما ان العكس صحيح أيضا حيث:ان اللّه سبحانه و تعالى قد يكتب هلاک إنسان يعلم انه لو بقی حيا لأضر بالآخرين،و قد قدّر هلاک ذلک الغلام لكی لا بسبب طغيانا و كفرا لوالديه،فاذا رأيت شيئا لا تفهمه فلا تنكره،فلربما كانت هناک حكمه خفيه من هذه الحكم.

وَ مٰا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِی ذٰلِکَ تَأْوِيلُ مٰا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً و فی نهايه هذه القصه القصيره نذكركم مره أخرى بأن السعی وراء العلم و الخبره يجب أن يكون هدف الإنسان المؤمن أبدا،و الخبره هی علم الممارسه الحيه لحوادث الحياه،و هذه الخبره هی من حكم اللّه فی الحياه،أو بتعبير آخر هی التی تجعل الإنسان أكثر إيمانا و فهما لحكم اللّه فی الحياه،و بالتالی أقرب الى الأحكام الشرعيه.

[سوره الکهف (۱۸): الآیات ۸۳ الی ۹۵]

اشاره

وَ یَسْئَلُونَکَ عَنْ ذِی اَلْقَرْنَیْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَیْکُمْ مِنْهُ ذِکْراً (۸۳) إِنّٰا مَکَّنّٰا لَهُ فِی اَلْأَرْضِ وَ آتَیْنٰاهُ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ سَبَباً (۸۴) فَأَتْبَعَ سَبَباً
(۸۵) حَتّٰی إِذٰا بَلَغَ مَغْرِبَ اَلشَّمْسِ وَجَدَهٰا تَغْرُبُ فِی عَیْنٍ حَمِئَةٍ وَ وَجَدَ عِنْدَهٰا قَوْماً قُلْنٰا یٰا ذَا اَلْقَرْنَیْنِ إِمّٰا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمّٰا أَنْ تَتَّخِذَ
فِیهِمْ حُسْناً (۸۶) قٰالَ أَمّٰا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ یُرَدُّ إِلیٰ رَبِّهِ فَیُعَذِّبُهُ عَذٰاباً نُکْراً (۸۷) وَ أَمّٰا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً فَلَهُ جَزٰاءً
اَلْحُسْنیٰ وَ سَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنٰا یُسْراً (۸۸) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (۸۹) حَتّٰی إِذٰا بَلَغَ مَطْلِعَ اَلشَّمْسِ وَجَدَهٰا تَطْلُعُ عَلیٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ
دُونِهٰا سِتْراً (۹۰) کَذٰلِکَ وَ قَدْ أَحَطْنٰا بِمٰا لَدَیْهِ خُبْراً (۹۱) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (۹۲) حَتّٰی إِذٰا بَلَغَ بَیْنَ اَلسَّدَّیْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمٰا قَوْماً لاٰ
یَکٰادُونَ یَفْقَهُونَ قَوْلاً (۹۳) قٰالُوا یٰا ذَا اَلْقَرْنَیْنِ إِنَّ یَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِی اَلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَکَ خَرْجاً عَلیٰ أَنْ تَجْعَلَ بَیْنَنٰا
وَ بَیْنَهُمْ سَدًّا (۹۴) قٰالَ مٰا مَکَّنِّی فِیهِ رَبِّی خَیْرٌ فَأَعِینُونِی بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَیْنَکُمْ وَ بَیْنَهُمْ رَدْماً (۹۵)

اللغه

۸۶[حمئه]:ذات حمأه(الطین الأسود).

۸۷[نکرا]:منکرا فظیعا.

ص:۴۶۹

۹۴[خرجا]:بعض من المال.

۹۵[ردما]:السد و الحاجز الحصين.

ص:۴۷۰

الموقف السليم من السلطه

هدى من الآيات:

فى سياق الحديث القرآنى عن موقف الإنسان من زينه الحياه الدنيا،تتناول هذه الآيات الموقف السليم من شهوه التسلط، و التى هى أكثر إثاره و أشد جاذبيه من أيه زينه أخرى فى الحياه الدنيا،و ضرب اللّه لنا مثلا ـ من ذى القرنين الذى كان فى العهود السالفه،و الذى لا نعلم بالضبط فيما إذا كان هو الإسكندر المقدونى الذى فتح كثيرا من بلاد العالم انطلاقا من اليونان أو هو ملك من حمير،أو هو الملك الفارسى كورش الأول-كما تؤكده الدراسات الحديثه-أو هو رجل آخر لم يذكر التاريخ لنا المزيد من قصصه،سواء كان هذا أو ذاك فلقد كان رجلا صالحا،لم تخدعه بهارج السلطه،و لم تخرجه الزعامه و السيطره عن حدود الشرع،و فى هذه القصه يذكرنا القرآن بعده حقائق منها:- أولا:أن ما حصل لذى القرنين من سلطه،إنما كان بسبب منه و سبب من اللّه، أما السبب الذى كان منه فهو:إتباع هدى اللّه،و الاستفاده من الإمكانات المتوفره فى الطبيعه،و أما السبب الذى كان من اللّه:فقد علمه اللّه طريق الحياه و سننها،

ص:۴۷۱

و أساليب السيطره عليها و تسخيرها،فعمل فی سبيل ذلک بهمه فكان العمل منه و كان من اللّه التوفيق و البركه.

ثانيا:أن ما قام به ذو القرنين من أعمال كان ضمن إطار قدره اللّه،و علمه، و إحاطته،فلا أحد يبلغ من السلطه مكانا فی ملكوت اللّه الواسعه إلا بأذن من اللّه.

ثالثا:كان ذو القرنين رجلا صالحا،لم ينظر إلی الدنيا نظره منحرفه،فحينما أوتی السلطه،أوحی إليه اللّه(ألهمه إلهاما):أن بقدرتک أن تسير فی الناس بما شئت، أما أن تعذب،و أما أن تعمل بالحسنی.

فقال ذو القرنين:إننی سوف أسير فی الناس بالعدل،فمن ظلم فانّی أعذبه، و من لم يظلم فسوف أرحمه.

و انطلق الرجل فی عمليه تعميقيه للسلطه من قاعده:إنها نعمه و فضل من اللّه، و أنه يجب أن يستفيد منها استفاده مشروعه،فجعلها لاقامه العدل،و دحض الباطل.

هذه المقاله توحی إلينا بحقيقه أخری و هی عبره هذه القصه،و هی:إن الإنسان قادر علی التغلب علی شهواته،و علی موقعه الاجتماعی،فلأنک من طبقه الأثرياء أو من حاشيه السلاطين و شريف من الأشراف،هل يجب عليک أن تخضع حتما لسلبيات طبقتک أو مركزک أو مالک؟كلاّ.إن باستطاعتک أن تنفلت من قيود الماده و أن أحاطت بک،و أن تحلق فی سماء القيم،باستطاعتک أن تكون سلطانا أو غنيا و تقاوم سلبيات طبقتک،و أن تكون شريفا و لا يستبدّ بک حب الشرف و الجاه فيخرجک عن طاعه الرّب.

و القرآن الكريم يعطی الإنسان الثقه بأنه قادر علی أن يتفوق علی جاذبيه الأرض و الماده.أن هذا الإيحاء المكرر و المستمر فی القرآن الكريم هو حجر الأساس

فی تربیه الإنسان،فلو لا شعور الإنسان بالثقه بذاته،و بقدرته علی التغلب علی ضغوط الحیاه،لما استطاع أن یصبح إنسانا صالحا مستقیما.

رابعا:أن علی المؤمنین أن یعملوا من أجل رفاهیه الإنسان فی الأرض،و أن الإسلام لم یأت لمصلحه طائفه معینه من البشر و لیس هدف الحکومه الإسلامیه بناء دوله قویه ذات صناعه متقدمه،بل علیها أن تسعی من أجل کل المستضعفین فی الأرض،سواء کانوا مسلمین أو لم یکونوا،لأن الإنسان کإنسان محترم فی الإسلام، و علی المؤمن أن یعمل من أجل رفاهیه الإنسانیه عامه.

و کذلک الحزب الإسلامی و التجمع الایمانی لیس هدفه السلطه،إنما علیه السعی من أجل الناس،لرفع الضّیم عن کل الناس سواء وصل الی السلطه أو لم یصل، نعم..قد تصبح السلطه أداه لتنفیذ هذه المهمه،و لکن السلطه بحد ذاتها لیست هدفا.

أن الإسلام لا یدعوک الی العنصریه بأن تری نفسک أحسن من الآخرین، و تعتبر نفسک مرکز الدنیا فتسعی من أجل إیصال نفسک الی مرکز القدره،أن تلک العنصریه یعارضها الإسلام بقوه،و هی الانحراف الذی وقع فیه الیهود فی التاریخ، فبعد أن کانوا مجموعه عامله من أجل الناس أصبحوا مجموعه عامله من أجل أنفسهم علی حساب الناس،فاعتبروا أنفسهم أبناء اللّه و شعبه المختار.

لقد کان ذو القرنین عبدا صالحا،تحرک فی العالم شرقا و غربا،و من الطبیعی ان أبناء العالم ذلک الیوم لم یکونوا مؤمنین،و لکنه حینما وصل الی منطقه معینه، و طلب منه أهلها أن یبنی لهم سدا،لم ینهرهم بل قال:نعم،أن اللّه مکننی و أعطانی السلطه من أجل رفاهیه الإنسان،من أجلکم أیها المحرومون سواء کنتم مؤمنین أو غیر مؤمنین،فبنی لهم السد و لم یطالبهم بأجر،و هذا مثل أعلی للدوله

الإسلاميه.

فلنفترض أنه قد أصبحت دوله إسلاميه بمثابه أمريكا و روسيا فى القوه و السلطه، فهل تبحث كإمريكا و روسيا عن أسواق جديده لتصدير سلعها؟و مواد خام جديده لتستفيد منها؟أو شعوب جديده لتستعمرها؟كلا..إنما يجب أن تسعى تلك الدوله المسلمه الغنيه من أجل رفاهيه الإنسانيه فى العالم،و تبحث عن أى مظلوم فى العالم فتهرع إليه لتنقذه من الظلم، و تبحث عن أى محروم لتنتشله من الجوع و الحرمان.

هذا هو هدف الأمه الإسلاميه،و هذه فى الواقع هى الحدود التى تفصل بين الأيمان و الجاهليه،فليست الحدود هى الشعارات و الكلمات،و حتى الطقوس و العبادات،إنما المؤمن هو الذى يخرج من ذاته من أجل الآخرين،

«و إنما المسلم من سلم الناس من يده و لسانه» و الدوله الإسلاميه هى التى تخرج من ذاتها من أجل رفاه الآخرين.

بينات من الآيات:

عوده للتاريخ:

[۸۳] وَ يَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ أن الذى ينفعنا من التاريخ هو أن نتذكر به و نعتبر،إذ أن الحقائق معلومه، و فطره الإنسان شاهده عليها،و لكن الإنسان ينسى و تحجبه عن الحقائق شهواته و ضغوط حياته،لذلك قال ربنا:

قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً لذلك فأن الإنسان بحاجه الى من يذكره،و التاريخ خير من يذكر الإنسان، و القرآن إنما يقص علينا قصص التاريخ لكى يذكرنا و يوجهنا من خلالها.

من هو ذو القرنين؟

هناک ثلاثه آراء فیه:

۱-قال البیرونی و قوم من المفسرین إنه ملک من الحمیر فی الیمن،و ملوک الیمن تبدأ أسمائهم بکلمه(ذی)و السد هو سد المأرب المعروف،بید أن شواهد التاریخ لا تؤید هذا الرأی،لأنه لم یعرف ملک من الیمن امتلک الشرق و الغرب، و لأن سد المأرب لا تنطبق علیه مواصفات القرآن للسد.

۲-و دافع الرازی و جماعه عن الرأی القائل بأنه الإسکندر المقدونی،لأنه ملک الشرق و الغرب،و لأن قصته کانت معروفه عند الناس فسألوا النبی عنها،إلا أنه ناقش فی هذا الرأی أیضا بأن الإسکندر کان تابعا لأرسطو،و تعالیم أرسطو لم تکن إلهیه فلا تنطبق علیه آیات القرآن،علما بأنه لم یعرف عنه بناء سدّ بتلک الصفات التی یذکرها القرآن.

۳-أما الباحث الهندی المسلم(أبو الکلام آزاد)الذی شغل لفتره ما منصب وزاره الثقافه الهندیه فقد رأی أنه کان کورش الکبیر الذی فتح الشرق و الغرب و قدم بحثا مفصلا فی ذلک و أستدل علی رأیه بأن الرجل صالحا حسب ما نقل عن المؤرخین الیونانیین،مثل هرودوت،علما بأنهم أعداؤه،و أن الیهود یقدرونه لأنه أنقذهم من أعداء الدین،و یعتقد أنهم إنما سألوا عنه النبی لوثیق العلاقه بینهم و بینه و لوجود إشاره إلیه فی کتبهم،و أضاف الباحث أنه وجد فی حفریات منطقه الاستخر تمثال لکورش له جناحا عقاب و علی رأسه تاج فیه قرن کبش مما یتناسب و معنی ذی القرنین عند بعض المفسرین.

و أیدّ رأیه أیضا بأن السد الحدیدی الموجود حالیا فی جبال«قوقاز»فی منطقه تسمی حالیا(داریال)بین وادی«ولادی کیوکز»و وادی«تفلیس»تنطبق علیه

توصیف القرآن للسد علما بأن کورش هو الذی بناه،دفاعا عن أهل المنطقه فی مواجهه قبائل«یأجوج و مأجوج»المتوحشه التی کانت لهم هجمات علی البلاد المتحضره طوال التاریخ،حیث کانت الأخیره منها بقیاده جنکیز خان المغولی (۱)هذا.و لکن الأحادیث الوارده فی قصه ذی القرنین تتناسب و هذا القول و اللّه أعلم.

[۸۴] إِنّٰا مَکَّنّٰا لَهُ فِی الْأَرْضِ وَ آتَیْنٰاهُ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ سَبَباً مکن اللّه ذا القرنین فی الأرض،و ذلک عن طریق تعریفه بالأسباب و العلل،فذا القرنین علمه اللّه أسباب الحیاه،و استطاع عن طریق علمه أن یتمکن فی الأرض و یسخّر الطبیعه.

[۸۵] فَأَتْبَعَ سَبَباً لقد تحرک ذو القرنین فی طریق السبب،و اختار أحد الأسباب و اتبعه بعد أن أتاه اللّه من کل شیء سببا،أن علم الإنسان کثیر،و لذلک فهو یختار من بین معلوماته عما یمکن أن یطبق عملیا فی إطار حیاته المحدوده،و إذا أراد أن یتبع کل ما یعلم فأن حیاته لن تکفی لذلک حتما.

سیاسه العدل:

[۸۶] حَتّٰی إِذٰا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهٰا تَغْرُبُ فِی عَیْنٍ حَمِئَهٍ وَ وَجَدَ عِنْدَهٰا قَوْماً وصل ذو القرنین الی آخر الأرض المسکونه غربا،و حینما وقف هناک رأی الشمس تسقط فی بحر أو مستنقع مائی أو ما یشبه ذلک و الإنسان إذا کان فی البر فأنه یری الشمس و کأنها تسقط فی الأرض الملساء،و إذا کان عند البحر یری

ص:۴۷۶

۱- ۱) تفسیر«نمونه»للشیرازی-ج ۱۲،ص(۵۴۹/۵۴۵)

و كأنها تسقط فى جانب من البحر،و إذا كان فى مكان وراءه مياه آسنه حينئذ يرى الشمس فيها.الحمأه:الطين الأسود العفن،و يبدو أن المنطقه التى بلغها ذو القرنين غربا،كانت مليئه بالمياه الآسنه،حتى اعتقد أن الشمس تسقط فيها،و يقال:إنه وصل الشاطئ الغربى لمنطقه آسيا الوسطى حيث يرى الشمس و كأنها تسقط فى الخلجان العديده المنتشره فى منطقه ازمير بتركيا،و لعل المنطقه كانت فى ذلك العصر مليئه بالمياه الآسنه لكثره هطول الأمطار فى هذه البقعه من العالم فى ذلك اليوم كما تشهد على ذلك البحوث العلميه الحديثه.

قُلْنا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً كان أمام ذى القرنين و هو صاحب السلطه أن يتخذ أحد الطريقين،اما طريق الجور و الإرهاب،و اما طريق العدل و الإصلاح.

[٨٧]قالَ أَمّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذاباً نُكْراً يقول بعض المفسرين أن الظلم هذا هو الشرك.و أن اللّه إنما خيّر ذا القرنين بين التعذيب و التيسير،لأن أولئك الناس كانوا كفارا،و كان يمكنه أن يعذبهم حتى ينزعوا عن الكفر،كما أنه كان يمكنه أن يبدأهم بالدعوه فمن آمن منهم عدل معه، و من أشرك عامله بالعنف،قال العلامه الطبرسى فى مجمع البيان:(فى هذا دلاله على أن القوم كانوا كفارا،و المعنى أما أن تعذب بالقتل من أقام منهم على الشرك، و أما أن تأسرهم و تمسكهم بعد الأمر لتعلمهم الهدى،و تستنقذهم من العمى (١)و يبدو أن هذا التفسير أصح و يدل ذلك على:أن السلطه الإسلاميه هى السلطه التى تتعامل مع الناس حسب معتقداتهم،و لكننى أرى أن الظلم هنا إنما هو بمفهومه المعروف كاغتصاب حقوق الآخرين،بدليل قوله سبحانه و تعالى:

١- ١) مجمع البيان-ج ۶ ص ۹۴۰

[۸۸] وَ أَمّٰا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً مما يـدل على أن السـلطه الإسـلاميه تعامـل النـاس على أسـاس أعمـالهم و ليس على معتقداتهم،صحيح أن المعتقدات تنتهى فى الأعمال،و الأيمان ينتهى الى العمل الصالح و الشرك ينتهى الى الظلم،و لكن المهم أن الجزاء ليس بالمعتقدات و إنما على الأعمال.

فَلَهُ جَزٰاءً الْحُسْنىٰ وَ سَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنٰا يُسْراً لقـد أدى إيمـان ذى القرنين بـاللّه و اليوم الآخر الى اتخاذ السياسه الصحيحه فى الحكم و الإداره،و هى إتباع العـدل و الحق،و خـدمه الناس و تيسـير أمور الرعيه، و تحريرهم من الروتين و البيوقراطيه التى يتبعها الحكام المنحرفون.

[۸۹] ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً ذو القرنين استفاد أيضا من الأسباب،و استخدم عمله و علمه فى طريق آخر نافع.

[۹۰] حَتّٰى إِذٰا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهٰا تَطْلُعُ عَلىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهٰا سِتْراً أين وصـل ذو القرنين شـرقا؟لا أعلم،إلا أن المنطقه كانت بدائيه حيث أن القوم فيها لم يكن يملكون بيوتا تكنّهم من حرارتها،كما

جاء فى حديث مأثور عن الباقر(عليه السلام):

«لم يعلموا صنعه البيوت » (۱).

و قال البعض أن المنطقه كانت سهلا بحيث تظلها الجبال و لعلهم كانوا يفتقرون

ص:۴۷۸

۱- ۱) الصافى ج ۳ ص ۲۶۲

الى الثياب أيضا.

[۹۱] کَذٰلِکَ وَ قَدْ أَحَطْنٰا بِمٰا لَدَیْهِ خُبْراً هـذا التحول من المغرب الى أول المشـرق کان دلیلا علی قدره ذو القرنین و سـلطته، و لکنها لم تکن بعیده عن سلطه اللّه،فقد کان اللّه محیطا به.

[۹۲] ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً [۹۳] حَتّٰی إِذٰا بَلَغَ بَیْنَ السَّدَّیْنِ بین السـدین ای بین الجبلین حسب الظاهر،و قد سـبق الحدیث عن انه قد یکون فی منطقه القوقاز و هکذا تکون حملته شمالیه.

وَجَدَ مِنْ دُونِهِمٰا قَوْماً لاٰ یَکٰادُونَ یَفْقَهُونَ قَوْلاً کانت لغه هؤلاء بعیده جدا عن تلک اللغه التی کان یتحدث بها ذو القرنین، بحیث لم یکد یفقهها،و إنّ اللّه الذی علم الإنسان البیان أوجد وسیله للتفاهم بین الطرفین.

یأجوج و مأجوج:

[۹۴] قٰالُوا یٰا ذَا الْقَرْنَیْنِ إِنَّ یَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ یقال ان یأجوج و مأجوج هی قبائل مغولیه بـدویه،کانت تغیر علی تلک البلاد، فتعیث فیها فسادا،و لعل ذو القرنین قد سار الی تلک البلاد لمقاومه خطرهم(علی تفسیر انه کورش الکبیر)..

فَهَلْ نَجْعَلُ لَکَ خَرْجاً عَلیٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَ بَيْنَهُمْ سَدًّا من عاده الملوك الـذين يـدخلون البلاد انهم يقـدمون خـدمه للناس،و لكنهم فى مقابل ذلك يستعمرون البلد،و يستغلون موارده،و يريدون من اهله ان يوقعوا على وثيقه العبوديه الكامله لهم،و هؤلاء أيضـا ظنـوا ان ذا القرنين من هؤلاء السلاطين و الملوك،و يبـدو انهم اسـتعدوا لاعطـاء المزيـد من خيراتهم من أجـل درء خطر يأجوج و مأجوج عن أنفسهم.

و لكن ذا القرنين لم يطالبهم بالخراج،أو يأخذ منهم مالا،و انما.

[۹۵] قٰالَ مٰا مَكَّنِّی فِيهِ رَبِّی خَيْرٌ ان اللّه مكننى و سخر الحياه لى من أجل خـدمتكم و خـدمه المحرومين و المستضـعفين،ثم انى ابحث عن الطرق المشروعه لاستغلال الحياه،بلى..ان السلطه إذا أرادت ان تسخر النـاس لاهـدافها،و تسـتثمر مواردهم،فانهـا لا تدوم،اما إذا عملت من أجل استغلال موارد الطبيعه مثلا،تستفيد من الاراضى البور و تبدأ بتصنيع البلاد و استخراج معادنها ففى ذلك خيرها و خير الشعب.

فَأَعِينُونِی بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْماً لقـد طالبهم ذو القرنين فقط بطاعته فى طريق بناء السـد(الردم)اى التعاون معه فى سبيل إنجاز المهمات الصعبه و هذه هى العلاقه المثلى بين السلطه و الشعب.

ص:۴۸۰

[سوره الكهف (۱۸): الآيات ۹۶ الى ۱۰۱]

اشاره

آتُونِی زُبَرَ اَلْحَدِیدِ حَتّٰی إِذٰا سٰاویٰ بَیْنَ اَلصَّدَفَیْنِ قٰالَ اُنْفُخُوا حَتّٰی إِذٰا جَعَلَهُ نٰاراً قٰالَ آتُونِی أُفْرِغْ عَلَیْهِ قِطْراً (۹۶) فَمَا اِسْطٰاعُوا أَنْ
یَظْهَرُوهُ وَ مَا اِسْتَطٰاعُوا لَهُ نَقْباً (۹۷) قٰالَ هٰذٰا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّی فَإِذٰا جٰاءَ وَعْدُ رَبِّی جَعَلَهُ دَکّٰاءَ وَ کٰانَ وَعْدُ رَبِّی حَقًّا (۹۸) وَ تَرَکْنٰا
بَعْضَهُمْ یَوْمَئِذٍ یَمُوجُ فِی بَعْضٍ وَ نُفِخَ فِی اَلصُّورِ فَجَمَعْنٰاهُمْ جَمْعاً (۹۹) وَ عَرَضْنٰا جَهَنَّمَ یَوْمَئِذٍ لِلْکٰافِرِینَ عَرْضاً (۱۰۰) اَلَّذِینَ کٰانَتْ
أَعْیُنُهُمْ فِی غِطٰاءٍ عَنْ ذِکْرِی وَ کٰانُوا لاٰ یَسْتَطِیعُونَ سَمْعاً (۱۰۱)

اللغه

۹۶[الصدفين]:جانبى الجبلين.

[قطرا]:نحاسا مذابا.

۹۷[نقبا]:خرقا و ثقبا.

۹۸[دكاء]:أرضا مستويه.

ذو القرنين أسوه الحكم الفاضل

هدى من الآيات:

ماذا فعل ذو القرنين شكرا لنعمه السلطه و القوه التى و هبها ربه له؟و ماذا كان موقفه من هذه الزينه الحياتيه؟و ماذا ينبغى أن يكون عليه موقف المؤمنين الصالحين من زينه الحياه الدنيا؟ كل ذلك مما تذكره هذه الآيات الكريمه،فى سلسله أحاديث القرآن فى سوره الكهف،عن علاقه الإنسان بالطبيعه،لقد بنى ذو القرنين سدا منيعا لا يخترق لقوم لا تربطه بهم علاقه الا علاقه الخدمه الانسانيه،و رفض أن يأخذ منهم أجرا أو يطالبهم بشكر،انما هو الذى شكر ربه الذى وهب له هذه القدره.

و لقد شكر ذو القرنين ربه مرتين،مره حينما استخدم القدره فى سبيل منفعه الناس و مره حينما استخدم عمله وسيله لهدايتهم،و كشف للناس أن هذه القوه مما وهبه اللّه له من فضله و عرف بأن حاجه الناس الى الرساله و الهدايه أعظم من حاجتهم الى قوته و سلطته،فاستخدم تلك اللحظه التى شعر فيها أولئك الذين كانوا

يتعرضون لهجوم مرعب كل عام مرتين بالأمن و الراحه عند ما رأوا ان اللّه قد أنقذهم على يديه،استغل ذو القرنين تلك اللحظه فى سبيل توجيه الناس و هدايتهم،و هذا منتهى ما يستطيع أن يقوم به صاحب سلطان أو صاحب قوه،فهو حين يعطى ماله- مثلا- فيشبع جوعه مسكين أو يغنى فقيرا،أو يؤوى يتيما،لا يكتفى بذلك،و انما يبدأ بهدايه ذلك الفرد،فيقول:هذا المال ليس لى،و انما هو لك،و انه فضل من ربى،ان اللّه قد يعطيك خيرا من هذا المال،و هكذا يتحدث اليه فيفيده بحديثه أكثر مما يفيده بماله.

جاء للإمام الحسين(عليه السلام)فقير يطلب منه حاجه،فأخذ أربعه آلاف درهم و جعلها فى طرف عباءته،ثم فتح جانب الباب و دفعها له،مستحييا منه لكى لا يجعل الفقير يحس بالخنوع،و لكى يربيه و يزكيه، و يبيّن له ان إعطاء المال بحد ذاته ليس خدمه،و انما الخدمه الحقيقيه هى الأسلوب المهذب المتواضع،و بالتالى فان الامام يعطيه من التربيه أكثر مما يعطيه من المال.

و

الامام على عليه السلام يأتيه رجل و يطلب منه حاجه،فيشير اليه الامام بأن:أكتب حاجتك،و لا تقلها مشافهه.

لكى يوفر عليه ماء وجهه،و بذلك يعطيه من التربيه أكثر مما يلبى حاجته الماديه.

هذا هو الموقف السليم الذى يجب ان يتحلى به المؤمنون،فيشكرون ما أعطاهم اللّه عليهم من فضله و يبنون علاقتهم بالآخرين على هذا الأساس.

و هناك درس آخر نستفيده من الآيات و هو:موقف الناس من صاحب السلطه، و أنه مهما كان عليه ذو القرنين من سلطه كبيره و عظيمه،فان هذه السلطه من اللّه و باللّه والى اللّه،و يوم القيامه يحشر الناس الى ربهم لا الى سلاطينهم أو أغنيائهم،

و کل الناس فی یوم القیامه سوف یختلطون ببعضـهم و یموج بعضـهم فی بعض،من دون ان یعرف هـذا سـید و هذا مسود،و هذا کبیر و هـذا صـغیر-بـل یکونون کالنحـل الـذی یـدخل بعضه فی بعض عنـد الخلیه من دون ان تکون هنـاک میزه لواحـده دون أخری- لا لکبیر علی صـغیر،و لا لرجل علی أنثی،و لا لشیخ علی شاب،لأن الناس سیقفون علی صعید واحد عند ما یحشرون الی ربهم،اذن فلتسقط هذه الاعتبارات الذاتیه، و لیرتفع الإنسان الی مستوی القیم.

بینات من الآیات:

بناء السّد:

[۹۶] آتُونِی زُبَرَ الْحَدِیـدِ حَتّی إِذا ساوی بَیْنَ الصَّدَفَیْنِ أی وفّروا لی قطع الحدید،و الزبر هی القطع المجتمعه من شـیء،سواء کان مادیـا کالحدیـد أو معنویا کالفکر،فالکتاب السـماوی یسـمی زبورا لان فیه أفکار مجتمعه الی بعضـها،و کـذلک الحدیـد الـذی یجتمع الی بعضه یسمی أیضا زبرا.

و بعـد ان طلب أهـالی البلاد من ذی القرنین ان یساعـدهم فی محنتهم،جمعهم ذو القرنین و نظم قواهم، و طلب منهم أن یجمعوا قطع الحدیـد التی کـانت متوفره فی بلادهم،ثم أمرهم بـأن ینفخوا فی النـار حول هـذه القطع الحدیـدیه،فاشـعلوا النـار و أخـذوا ینفخون فیها کما ینفخ أصحاب صناعه الحدید قدیما فی النار بطریقتهم الخاصه.

قالَ انْفُخُوا حَتّی إِذا جَعَلَهُ ناراً التهب الحدید من شدّه النار و هکذا التحمت القطع الحدیدیه ببعضها،و لم یکتف بذلک بل.

ص:۴۸۴

قٰالَ آتُونِی أُفْرِغْ عَلَیْهِ قِطْراً ثم طالبهم بأن یأتوا الیه بالنحاس المـذاب،ثم یصـبّونه علی القطع الحدیـدیه المحماه،ثم یترکونها مـده حتی تبرد،فاذا بسد عظیم بین الجبلین مبنی من قطع الحدید المتلاصـقه ببعضـها،و علیها النحاس..یزیده قوه لان الحدید تتضاعف قوته مع النحاس کما یقول أصحاب الفن،یسد الخلل بین قطع الحدید.و یمنع عنه الصدأ.

و إذا کان هـذا السد هو الموجود حالیا فی منطقه القوقاز فان سلسـله الجبال التی تشـکل حاجزا طبیعیا بین مناطق المغول و منطقه القوقاز تکون قد اکتملت بهذا السد و أصبحت کحائط عظیم حیث ان مکانه هی الثغره الوحیده فی المنطقه و لقد کان من أروع الانجازات المعاریه فی ذلک الیوم و لعله حتی الیوم یعتبر أقوی سد فی العالم.

[۹۷] فَمَا اسْطٰاعُوا أَنْ یَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطٰاعُوا لَهُ نَقْباً کان مرتفعا بحیث لم یستطیع یأجوج و مأجوج أن یتسلقوه،و کان متینا بحیث لم یسـتطیعوا ان ینقبوا من تحته نقبـا،و لعـل ذا القرنین کان قـد حفر حفیره کبیره و جعل الجـدار الحدیـدی راسـخا فیها بحیث لا یمکنهم النقب أیضا علی المنطقه الصخریه الصلبه.

ان کل ما قام به ذو القرنین،إعطاء الخبره،و تنظیم قوه الناس فی بناء هذا السد،فهو لم یأت بالحدید،و لا بالقطر،و لا بالقوه البشریه من بلـده،کـل الامکانـات کانت موجوده و متوفره،و مع ذلک لم یتمکن أهالی تلک البلاد من الاهتـداء الی مثل هـذا العمل،أما للاختلافـات الموجـوده بینهم،أو لعـدم تنظیم قواهم،أو لنقص فی خـبرتهم الحضـاریه،فلم یعرفوا أنه من الممکن ان یجمعوا قطع الحدید الی بعضها،و یفرغوا علیها قطرا حتی تصبح سدا منیعا،و هذا ما یؤکد علی

ان السلطه القويمه هی السلطه التی تجمع قوی الناس و تعبؤها فی سبیل مصلحتهم.

نحن نری بلادنا تفتقر الی الصناعات الثقیله برغم توفر کل الإمکانات لدیها لانشائها.لماذا؟ لأن ذلک یستدعی تعبئه طاقات الامه کلها،فالسلطه یجب ان تبنی الجامعات لکی تتوفر الکوادر القیادیه من العلماء،و الفنیین،و الأخصائیین،الذین یمکنهم الاستفاده من الامکانات البشریه،و المادیه بهذه الأمور،و هذه هی الفوائد الاساسیه للسلطه الحکیمه و علیها ان تستخرج المعادن،و تبنی المشاریع الضخمه لتوفیر الطاقه من بترول و کهرباء و علیها ان تمد الجسور و الطرق.و تبنی الموانئ ثم توفر الخطه و المال و القوانین المنسقه من أجل بناء صناعات ثقیله،و هناک یبدأ دور التعب فی السعی و الکّد و الإبداع.

وعد اللّه:

[۹۸] قَالَ هَذَا رَحْمَهٌ مِنْ رَبِّی فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّی جَعَلَهُ دَکّاءَ وَ کَانَ وَعْدُ رَبِّی حَقًّا أظهر ذو القرنین فی تلک اللحظه التی أعجب الناس فیها بعبقریته و أکبروه أیما إکبار أظهر عجزه امام اللّه لکی لا یفتن الناس به انما یعبدوا ربهم،انه قال:ان هذا السد سدّ منیع و هو عمل حضاری عظیم،و لکن سیتهاوی حینما یأتی وعد اللّه،یوم القیامه أو یوم ظهور الحجه،أو یوم انتهاء مفعول السد تتقدم البشر حضاریا کعصرنا الیوم،أو یوم یضعف ایمان الناس الذین کانوا أمام السد،لا نعلم انما المهم أنه فی الیوم الموعود سیتهاوی السد،و الأمور کلها بید اللّه.

انه وعد اللّه یأتی حتما و لیس فی ذلک أی ریب،و علی الناس أن لا یناموا علی

ص:۴۸۶

حرير الأمل،و أنما يكون عندهم احساس بالخطر المستقبلى،فيعملوا كل ما فى وسعهم لتفاديه.

[۹۹] وَ تَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ الناس يصبحون و كأنهم النحل،أو كأنهم الطير فى السماء يختلط بعضهم ببعض،و تنعدم الميزات كلها بينهم.

وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً عند ما ينفخ فى الصور يوم القيامه،فان كل الناس يأتون فورا و دون أى تلكّؤ فلا أحد يرفض،و لا أحد يتكبر،و لا أحد يتكاسل،و هذا دليل عجزهم،و دليل شعورهم بالتسليم المطلق لأمر اللّه،و الذى كان ينبغى ان يكون عندهم فى الحياه الدنيا و لم يكن.

[۱۰۰] وَ عَرَضْنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكافِرِينَ عَرْضاً يرى الكافرون يومئذ طبقات جهنم و دركاتها الملتهبه،و حيّاتها الرهيبه كالتلال و عقاربها الضخمه كالبغال،فيمتلئون رعبا و يأسا،و يعتصرهم الندم على ما عملوه فى الدنيا ولات حين مندم.

[۱۰۱] اَلَّذِينَ كانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِي هذا الغطاء هم الذين وضعوه على أعينهم،باتباعهم لأهوائهم و شهواتهم، و بخضوعهم للتضليل الاعلامى الكافر الذى يحاول جهده فى أن يحجب أنوار الحقيقه عن أعين الناس،الاّ ان ذلک الغطاء سيتمزّق يوم القيامه فيرى أصحابه ما ينتظرهم من مصير أليم و عذاب مقيم.

ص:۴۸۷

وَ كٰانُوا لاٰ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً لقد أغمضوا عيونهم،و جعلوا بينهم و بين رؤيه الذكر غطاء من كبريائهم و غفلتهم و عنادهم كما جعلوا فى آذانهم وقرا،و ذلك الوقر هو الآخر نابع من كبريائهم و غطرستهم و تعاليهم الكاذب.

ص:۴۸۸

[سوره الكهف (۱۸): الآيات ۱۰۲ الى ۱۱۰]

اشاره

أَ فَحَسِبَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً (۱۰۲) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً
(۱۰۳) اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي اَلْحَيَاةِ اَلدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (۱۰۴) أُولٰئِكَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَ لِقَائِهِ
فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ وَزْناً (۱۰۵) ذٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَ اِتَّخَذُوا آيَاتِي وَ رُسُلِي هُزُواً (۱۰۶) إِنَّ
اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ اَلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (۱۰۷) خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً (۱۰۸) قُلْ لَوْ كَانَ اَلْبَحْرُ
مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ اَلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً (۱۰۹) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ
إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَ لاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (۱۱۰)

اللغه

۱۰۲[نزلا]:النزول هو ما يهيء للضيف.

۱۰۵[وزنا]:قيمته و اعتباره.

۱۰۸[حولا]:تحولا و انتقالا.

ص:۴۸۹

١٠٩[مددا]:الأمداد المساعده.

ص:٤٩٠

جزاء المشركين

هدى من الآيات:

عـاده مـا تكون بـدايات السور القرآنيه و نهاياتهـا تلخيصا لموضوعها الرئيسـى، و إلقاء للضوء على مجمل الأفكار التى بحثت فى آياتها.

و فى نهـايه سوره الكهف الـتى حـدثتنا عن سلسـلتين متوازيـتين و مرتبطـتين مع بعضـها من الأفكـار،و همـا الحـديث عن موقف الإنسان من الطبيعه و زينه الحياه الدنيا،و الحديث عن العلم و الذكر و كيفيه الحصول عليهما،نجد تلخيصا لهذين المبحثين.

الـدرس الأخير يحـدثنا عن أولئك الذين يتخذون عباد اللّه من دونه أولياء و لعل مناسبه الحديث ذكر قصه ذى القرنين صاحب السـلطه الشامله الـذى لم يكن سوى عبـد صالـح.و لم يكن لأحـد ان يعبـده من دون اللّه و هكـذا تخوّف آيات هـذا الدرس من يعبدون البشـر،و تحذّرهم بأن جهنم هى مصـيرهم المحتوم،ثم تشـير الى جذر هذه المشـكله و هى التبرير و الخداع الذاتى،حيث يعتبر ذلك فى الواقع من أخطر الأمراض

ص:۴۹۱

الفكريه التى تواجه البشر.

ان المصاب بهذا الداء يعتقد أن ما يعمله صالح،بينما هو فى جوهره فاسد، و هكذا تصبح كل تطلعاته الخيره وراء ذلك العمل،و تصبح وقودا للسير الحثيث فى الطريق الخطأ،فلا يصل الى شىء من أهدافه،بل يجد كل الخساره فى انتظاره.

و هذا الداء لا- يصاب به الإنسان الا فى المراحل المتقدمه من ضلالته،ففى البدايه تظل النفس اللوّامه تحذّره من الانحراف و نتائجه الوخيمه،و يظل ضميره يوبّخه،كما ان عقله يظل يضىء له شيئا من الطريق الصواب،بالاضافه الى أنه كثيرا ما يجد من ينصحه و يعظه و يبين له الحقائق،لهذا يبقى له أمل بأن يقوّم ما أعوجّ من أمره.

و لكنه إذا استمرّ و عاند،فآنئذ يسلب اللّه منه ضميره و عقله،و يجعل على بصره غشاوه و فى سمعه وقرا،و يختم على قلبه،و ينفضّ الناصحون من حوله،ليحل محلهم من يزّين له السوء و يشجعه عليه،فينتهى به الأمر الى أن يكون شيطانا مريدا.

ثم يبين القرآن حقيقه هامه هى:ان ما يحسبه الإنسان ذا شأن خطير فى حياته الدنيا،من مال،و بنين،و جاه،و سلطه و ما أشبه هو عند اللّه تافه الا إذا سار فى طريقه المستقيم.

و فور ما يحدثنا القرآن عن ضلاله الإنسان فى الحياه الدنيا،يذكر لنا هذه الشهوات التى تحجب قلب الإنسان و توقعه فى وهده الضلاله،و تكون السبب فى وصوله الى ذلك الدرک الأسفل،حيث يعمل شرّا و يحسب أنه عمل صالحا.

ثم يعرج القرآن الى الجانب الآخر حيث المؤمنون الصالحون عملا- يسكنون الفردوس و هى أعالى الجنان،و حينما يدخل الإنسان ذلك المكان يجد أنه قد خلق

له،فلا یجد فی نفسه طمعا و لا طموحا و لا تطلعا آخر،لأن جنه الفردوس هی فی مستوی طموحاته و تطلعاته،ذلک الإنسان الذی لا یرضیه شیء فی الدنیا،و الذی إذا حصل علی القارات السبع فانه یرید أن یصعد الی النجوم و یحصل علیها،و عند ما یری الجنه یقول:کفانی و لا أرید عنها انتقالا.

و بالمقارنه بین هاتین الصورتین،صوره الإنسان الذی تتحقق طموحاته کلها فی الآخره،و صوره الإنسان الذی یعیش فی الدرک الأسفل.هناک،و هو یحسب أنه کان یحسن صنعا فی الدنیا نتوصل الی معرفه الفرق بین طریق الحق(و هذه نهایته)و طریق الضلال(و تلک عاقبته).

هذه الحقائق هی من کلمات اللّه التی لا تنفد،و هی المعارف و الهدی و التوجیهات التی هی انعکاس عن سنن اللّه فی خلقه للطبیعه و الإنسان،و لذلک علی الإنسان أن لا یغتر بعلمه المحدود و یعتقد أنه قد فهم کل شیء،فهذا الغرور هو الذی یسبب اعتقاده بأنه علی الصراط المستقیم،بینما الحقیقه عکس ذلک تماما.

و تنتهی هذه السوره بتلخیص فکره الاستفاده من فیض هذه الکلمات التی لا تنفد و لو کان البحر مدادا لکتابتها،و هی عباده الإنسان للّه،و إخلاص طاعته له، و العمل برجاء لقائه.

بینات من الآیات:

[۱۰۲] أَ فَحَسِبَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنْ یَتَّخِذُوا عِبٰادِی مِنْ دُونِی أَوْلِیٰاءَ ان أکثر الکفر لا یکون بإنکار وجود اللّه ذاته،و انما یتخذ صورا أخری و من أهمها:انکار ولایه اللّه و حاکمیته التشریعیه علی البشر،فنجد کثیرا من الکفار فی الأزمنه السابقه و هکذا فی زماننا الحاضر یقرّون بأن اللّه هو خالق السماوات و الأرض و کل ما فیهما،و لکنهم یضعون تشریعات من عندهم لاداره حیاتهم

اجتماعیا،و سیاسیا،و اقتصادیا،و غیر ذلک بزعم أن اللّه لم ینزل تشریعا سماویا علیهم،بل ترکهم فی هذه الحیاه سدی.

إِنّا أَعْتَدْنا جَهَنَّمَ لِلْکافِرِینَ نُزُلاً ان زعم هؤلاء لا یقوم علی حجه سلیمه و لا علی دلیل مقنع،بل ان کل الحجج و الأدله المنطقیه تناقضه و تؤید ما هو ضدّه،و لذلک فإنهم بهذا یعرضون أنفسهم لسخط الرب الذی أعدّ لهم مکانا یلیق بهم و هو جهنم.

الأخسرون أعمالا:

[۱۰۳] قُلْ هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمالاً [۱۰۴] اَلَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً قدیما حینما کانوا یریدون التأکد من جنون شخص کانوا یحضرون له برمیلا بلا قعر،و یطلبون منه أن یملأه ماء،فان کان عاقلا امتنع عن ذلک،و ان کان مجنونا فانه یشرع فی العمل بجد.

و الأخسرون أعمالا هم کهذا المجنون،یبذلون مساعیهم و جهودهم فی الحیاه ثم لا یقبضون شیئا،کمن یصطاد الهواء بالشبک،انهم لا یعلمون ما هو الشیء الباقی و ما هو الشیء الزائل فمثلا یتعب الواحد منهم علی أولاده،و یضع جهوده و دینه و قیمه علیهم حتی یکبروا،و ما ان یبلغوا أشدهم و یعتمدوا علی أنفسهم حتی یترکوا أباهم وحیدا فی حسرته،و أقصی ما ینفعونه تشییعه الی مثواه الأخیر،و قراءه الفاتحه علی روحه أما فی القبر و المحشر و عند المیزان فلا یغنی أحد عن أحد شیئا.

و کذلک عند ما یسعی الإنسان من أجل الأموال لیکرّس الملایین فوق بعضها،

لقد مات(فورد)صاحب شركه السيارات المعروفه فى خزائن أمواله،حيث كانت عنده خزانه حديديه ضخمه مؤلفه من عده غرف متداخله لكل منها باب،و كان يحتفظ بذهبه و مجوهراته و أشيائه الثمينه فى الغرفه المركزيه،و فى يوم دخل الى مكانه المحبّب هذا ليتمتع ناظريه و يرفّه قليلا عن نفسه و كان كلما يدخل بابا يوصده من ورائه،حتى إذا دخل فى غرفه السعاده أوصدها على نفسه،و قد نسى المفتاح فى الخارج،و عند ما شبع من النظر الى متاع الدنيا الرخيص أراد الخروج فلم يقدر،فظل يصرخ و يصرخ،و لكن صوته لم يكن ليخترق تلك الجدران الحديديه المتراكبه فوق بعضها،فمكث عدّه أيام على هذا الحال الى أن مات.

ان هذا الإنسان الضال لم تنفعه أمواله،و لم تنقذه من الجوع و العطش فى الدنيا حيث المال له قيمه،فما بالك فى الآخره حيث لا قيمه للمال إطلاقا؟! [۱۰۵] أُولٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيٰاتِ رَبِّهِمْ وَ لِقٰائِهِ ان السبب فى وصول الإنسان الى هذا الدرك الأسفل هو:اعراضه عن آيات اللّه،و عدم استعداده للقائه،و هذا هو الكفر بالمبدأ و المعاد.

و أساسا يؤمن الإنسان وجدانيا باللّه،و يبحث بفطرته عن المعاد،و لكن من الصعب عمليا أن يصل الإنسان الى مستوى الايمان باللّه و اليوم الآخر،لذلك فهو يحتاج الى مزيد من الاراده و العزم ليصعد على هذه القمه فيحوّل ايمانه من اطار الفطره و الوجدان الى اطار العمل و التطبيق.

ان نفوس الكفار أصغر،و عزائمهم أضعف،و هممهم أتفه من أن تصل الى حقيقه الايمان،لذلك تجدهم ينكرون آيات اللّه و يكذّبون بلقائه.

فَحَبِطَتْ أَعْمٰالُهُمْ

ان أعمال الإنسان لا تحفظ الا في اطار الايمان باللّه و اليوم الآخر،كما يحفظ الماء في البرميل السليم،أمّا وضع أعماله في أي ظرف آخر فسوف تكون كالماء الموضوع في برميل لا قعر له.

فَلاٰ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ وَزْناً برغم أنهم كانوا في الدنيا أثرياء و أصحاب سلطه و جاه،و كان لهم وزن عند كثير من الناس،الا أنهم يوم القيامه يأتون و ليس لهم أي وزن و لا كرامه من عند اللّه،و سوف يكونون أذل الناس و أحقرهم هناك.

[۱۰۶] ذٰلِكَ جَزٰاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمٰا كَفَرُوا وَ اتَّخَذُوا آيٰاتِي وَ رُسُلِي هُزُواً ان الإنسان عند ما يلجأ الى الهزء و السخريه في مقابل الحقيقه و من يحملها، فانه يكون في أقصى درجات العناد،و الانغلاق على النفس،و قساوه القلب،ان له الحق في أن يتشكك في بادئ الأمر،و يطالب بالدليل،و يجادل بالعقل الى أن يقتنع و يطمئن،أما أن يواجه الرسول و الرساله بالاستهزاء،فهذا دليل على أنه لا يريد اتباع الحق أساسا،فيا ترى أي مكان يليق بمثل هذا غير جهنم؟!

جزاء المؤمنين:

[۱۰۷] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ كٰانَتْ لَهُمْ جَنّٰاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً [۱۰۸] خٰالِدِينَ فِيهٰا لاٰ يَبْغُونَ عَنْهٰا حِوَلاً يجب على الإنسان أن يكتشف أعماق ذاته و يتساءل:لماذا خلقت؟و ما الذي أطمح إليه؟

انه فی محاسبه ریاضیه بسیطه یستطیع أن یفهم أن هذه الدنیا و ما فیها لیست کافیه لاستیعاب طموحه،فمن طموح الإنسان الخلود و الاستمرار فی الحیاه،انه لا یرید أن ینقلب الی العدم بعد الوجود،و إذا کانت الدنیا قد خلقت لنا و خلقنا لها فلا أقل من أن نبقی خالدین فیها.

أحد الفلاسفه القدامی کان یقول:أنا مستعد أن یضعونی فی جوف حمار میّت، و أظل أتنفس من دبره،فی مقابل أن أبقی حیّا فی الدنیا!! هذا الکلام غیر منطقی،و لکن یعبر عن نزعه حب البقاء عند الإنسان.

و لکن هل بقی أحد فی الدنیا؟کلهم أرادوا البقاء و کلهم ماتوا،اذن فالدنیا لیست لهم،و طموحهم هذا لن یتحقق فیها.

و بعید عن حکمه اللّه و رحمته أن یخلق فی کیان الإنسان رغبه لا تتحقق،أو حاجه لا تلبی،انه عند ما خلق العین خلق فی مقابلها شیئا یری،و عند ما خلق الأذن خلق فی مقابلها شیئا یسمع،و عند ما خلق الجهاز الهضمی،خلق فی مقابله شیئا یؤکل،و هکذا قل فی سائر الحواس و الأعضاء و الغرائز،و کذلک حینما خلق طموح الخلود،و الحصول علی ملک لا ـ یبلی؟خلق وراءه حقیقه مناسبه له،فما هی تلک الحقیقیه.

انها جنه الفردوس فی الدار الآخره،و هذا هو أبسط دلیل وجدانی علی ضروره البعث.

کلمات اللّه:

[۱۰۹] قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِماتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً

ص:۴۹۷

لو تحوّل الماء الموجود فوق الكره الأرضيه الى حبر لكتابه آيات علم اللّه و قدرته و حكمته،و آثار فضله و نعمته،لجفّ هذا البحر و لما يكتب الا النزر اليسر منها.

ترى أنهم فى مجال الفضاء فتشوا عن أحدث الوسائل الالكترونيه التى تساعدهم على رؤيه النجوم و الكواكب،فاكتشفوا بعض المجرات،ثم عادوا و صنعوا أجهزه أحدث فاكتشفوا مجرات جديده،و هكذا الى أن قال قائلهم:ان اللّه لا يزال يخلق، فكلما صنعنا مراصد أضخم لرؤيه ما تحويه السماء،خلق اللّه فى تلك الفتره مجرات جديده لم تكن موجوده من قبل،و لعلّ هذا هو مصداق الآيه الكريمه: «وَ السَّمٰاءَ بَنَيْنٰاهٰا بِأَيْدٍ وَ إِنّٰا لَمُوسِعُونَ» /۴۷الذاريات.

و خلق اللّه أسرع من صنع الأجهزه التى نرى بها هذا الخلق،فكيف تنتهى كلمات اللّه؟ هذه المجرات الواسعه فى الفضاء المتناهيه فى الضخامه و تلك الذرات المتناهيه فى الصغر،كلما درسوها و بحثوا حولها وجدوا فيها خصائص غير مكتشفه سابقا،و آخر خصيصه اكتشفوها فى الذره استفادوا منها فى صنع القنبله النيوترونيه.

ترى كم مجلد كتبوا حولها،فى طريقه صنعها،و الأسرار المرتبطه بها، و المعلومات الخاصه باستعمالها؟ هذا بالنسبه للذره المتواضعه التى لا ترى بأقوى المجاهر و هى واحده من كلمات الرب،اذن فكلمات اللّه لا تنتهى،و لهذا يجب أن يتحدد غرورك أيها الإنسان،و لا تظن أنك قد وصلت الى نهايه الحقيقه،و انك على الطريق الصواب،دائما ضع علامه استفهام أمامك،و ابحث عن الحقيقه و لا ترى نفسك أكبر منها أبدا.

[۱۱۰] قُلْ إِنَّمٰا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحىٰ إِلَيَّ

ان الرسـول ليس سـلطانا ذا صولجـان،و لاـ ثريـا ذا كنوز،انمـا هو بشـر مخلوق مثـل الآـخرين،و ميزته الوحيـده أنه يوحى اليه من السماء،و هذا الوحى يتلخص فى جمله واحده هى:

أَنَّما إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ لذلك أسقطوا الأصنام فى أنفسكم و مجتمعكم،و اعبدوا اللّه وحده.

فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً انهما شرطان بسيطان،و لكنهما يمثلان مسئوليه الإنسان فى الحياه،و يشكلان سـفينه نجاته ضـمن مسيرته فى خضمّ الأمواج المتلاطمه،و الأعاصير العاصفه،نحو اللّه الذى هو منتهى أمل العارفين،و غايه آمال الطالبين.

ص:۴۹۹

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ۹

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ۱۴۲۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥
هاتف المكتب في طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.


مركز
القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹